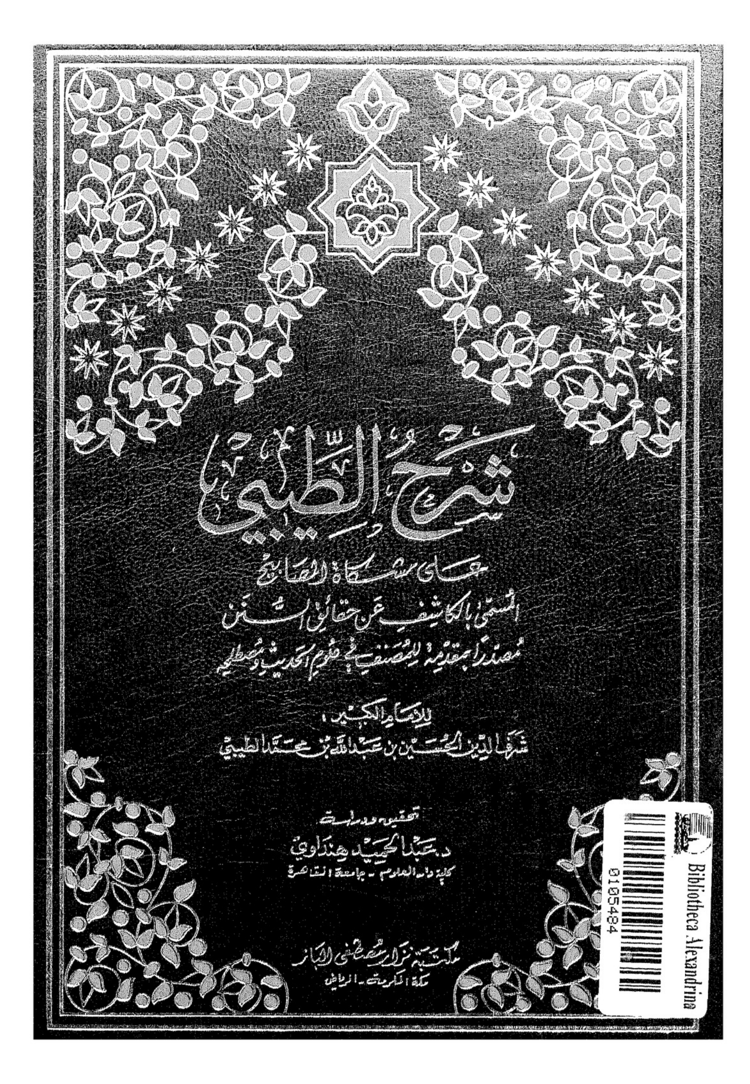
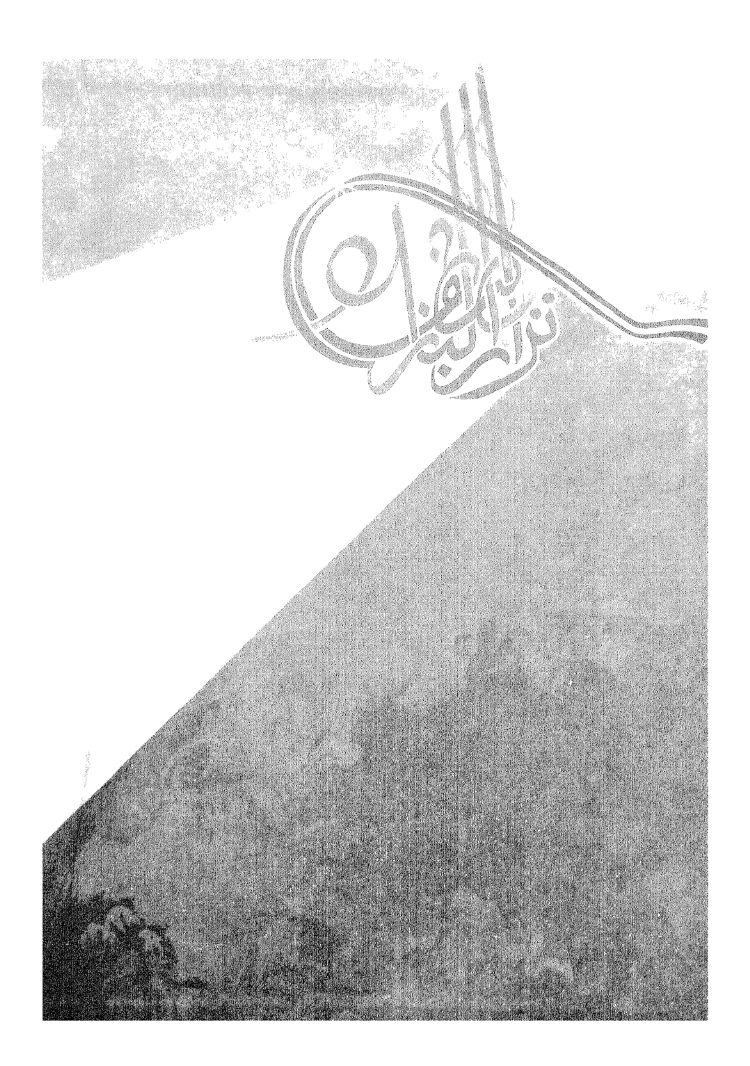

شرح الطيبي
على مشكاة المصابيح
المسمى بالكاشف عن حقائق السنن
مصدراً بمقدمة للمصنف في علوم الحديث ومصطلحه
للإمام الكبير
شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
تحقيق ودراسة
د. عبد الحميد هنداوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
مكتبة نزار مصطفى الباز
مكة المكرمة - الرياض



شرح الطيبي

على مشكاة المصابيح

المسمى بالكاشف عن حقائق السنن

مصدراً بمقدمة للمحقق في علوم الحديث ومصطلحه

للإمام الكبير:

شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي

توفي ٧٤٣ هـ

المجلد السادس

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز

تحقيق ودراسة

د. عبد الحميد هنداوي

مكتبة نزار مصطفى الباز

مكة المكرمة - الرياض

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة : الشامية - المكتبة ت ٥٧٤٩٠٢٢/٥٧٤٥٠٤٤
مستودع : ٥٣٧٢٣٧٤ ص.ب : ٣٠١٩

الرياض - شارع السويدي العام المتقاطع مع شارع
كعب بن زهير - خلف أسواق الراجحي ص.ب : ٦٦٩٣
مكتبة : ٤٢٤٠٣٥٣ مستودع : ٤٢١٩١١ الرمز البريدي : ١١٥٨٦


بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) كتاب أسماء الله تعالى(١)

الفصل الأول

٢٢٨٧ ـ * عن أبي هريرةَ [رضي اللهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للهِ تعالى تسعةً وتسعينَ اسمًا مائةً إلاَّ واحدًا، مَنْ أحصاها دخلَ الجنَّةَ». وفي روايةٍ: «وهوَ وِتْرٌ يُحبُّ الوتْرَ». متفق عليه.

الفصل الثاني

٢٢٨٨ ـ * عن أبي هريرةَ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ للهِ

كتاب أسماء الله تعالى

[«غب»]*: أسماء الله ما يصح أن يطلق عليه سبحانه وتعالى بالنظر إلى ذاته، أو باعتبار صفة من صفاته السلبية، كالقدوس والأول، أو الحقيقة به كالعليم والقادر، أو الإضافية كالحميد والملك، أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق والرازق. وقالت المعتزلة: الاسم هو التسمية دون المسمى. قال الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله: الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع لغة، والمسمى هو المعنى الموضوع له الاسم[والتسمية هو اللفظ الدال على المسمى والاسم هو المعنى الموضوع له الاسم]** والتسمية وضع اللفظ له أو إطلاقه عليه. وقال مشايخنا رحمهم الله: التسمية هو اللفظ الدال على المسمى، والاسم هو المعنى المسمى به، كما أن الوصف هو لفظ الواصف، والصفة مدلوله، وهو المعنى القائم بالموصوف. وقد يطلق ويراد به اللفظ كما تطلق الصفة ويراد به الوصف إطلاقًا لاسم المدلول على الدال، وعليه اصطلحت النحاة.

«غب»: الفرق بين الاسم والمسمى إنما يظهر من قولك: رأيت زيدًا، فإن المراد بالاسم المسمى؛ لأن المرئي ليس زايًا وياءً ودالا، وإذا قلت: سميته زيدًا، فالمراد غير المسمى؛ لأن معناه سميته بما يتركب من هذه الحروف. وقولك: زيد حسن، لفظ مشترك إن يُعْن به هذا اللفظ حَسن، وإن يعن به المسمى حسن. وما تصور من قال: لو كان الاسم هو المسمى لكان من قال: نار،احترق فمه،فهو بعيد؛لأن العاقل لا يقول: إن زيدًا الذي هو زاي وياء ودال هو الشخص.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» سيرد الكلام فيها مشبعًا بعد في الفصل الثاني.

---

* في «ك» «قض»

** كذا في (ك).

تعالى تسعةً وتسعينَ اسمًا، مَنْ أحْصاها دخلَ الجنَّةَ، هوَ اللهُ الذى لا إِلهَ إلاَّ هوَ،

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» روى الشيخ محيي الدين النواوي عن الإمام أبى القاسم القشيريّ: فى الحديث دليل على أن الاسم هو المسمى، إذ لو كان غيره لكانت الأسماء لغيره. لخّص هذا المعنى القاضى، وأجاب عنه حيث قال: فإن قيل: إذا كان الاسم عين المسمى لزم من قوله «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» الحكم بتعدد الإله؛ فالجواب من وجهين: الأول: أن المراد من الاسم هاهنا اللفظ، ولا خلاف فى ورود الاسم بهذا المعنى، إنما النزاع فى أنه هل يطلق ويراد به المسمى عينه، ولا يلزم من تعدد الأسماء تعدد المسمى. والثانى: أن كل واحد من الألفاظ المطلقة على الله سبحانه يدل على ذاته باعتبار صفة حقيقية، أو غير حقيقية، وذلك يستدعى التعدد فى الاعتبارات والصفات دون الذات، ولا استحالة فى ذلك.

«خط»: فيه دليل على أن أشهر أسماء الله تعالى «الله» لإضافة هذه الأسماء إليه، وقد روى «إن الله هو اسمه الأعظم» وقال المالكيُّ النحويّ: ولكون «الله» اسمُ عَلَمٍ وليس بصفة، قيل فى كل اسم من أسمائه تعالى سواه: اسم من أسماء الله تعالى، وهو من قول الطبرى على ما رواه الشيخ محيي الدين: إلى الله ينسب كل اسم له. ويقال: الكريم من أسماء الله، ولا يقال من أسماء الكريم «الله». وجاء فى الروايات الصحاح «مائة إلا واحدة» أنث واحدة ذهابًا إلى معنى التسمية، أو الصفة، أو الكلمة.

فإن قلت: ما فائدة هذا التأكيد؟ قلت: ما ذكره الشيخ التوربشتى: إن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، تعلم من طريق الوحى والسنة، ولم يكن لنا أن نتصرف فيها بما نهتدى إليه بمبلغ علمنا، ومنتهى عقولنا، وقد منعنا عن إطلاق ما لم يرد به التوقيف من ذلك وإن جوزه العقل وحكم به القياس، كأن الخطب فى ذلك غير هيِّن، والمخطىء فيه غير معذور، والنقصان عنه كالزيادة فيه غير مرضي، وكان الاحتمال فى رسم الخط واقعًا باشتباه تسعة وتسعين فى زلة الكاتب، وهفوة القلم بسبعة وتسعين أو سبعة وسبعين أو تسعة وسبعين، فينشأ الاختلاف فى المسموع من المسطور، فأكده به حسما لمادة الخلاف وإرشادًا إلى الاحتياط فى هذا الباب.

وقال محيي السنة فى معالم التنزيل: الإلحاد فى أسمائه تسميته بما لا ينطق به كتاب ولا سنة. وقال أبو القاسم القشيريّ فى مفاتيح الحجج: أسماء الله تؤخذ توقيفًا، ويراعى فيها الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فى هذه الأصول وجب إطلاقه فى [وصفه]* تعالى، وما لم يرد فيها لا يجوز إطلاقه فى وصفه تعالى وإن صح معناه. قال الراغب: ذهبت المعتزلة

* فى«ك» ، «توقيفه».

إلى أنه يصح أن يطلق على الله عز وجل كل اسم يصح معناه فيه، والأفهام الصحيحة البشرية لها سعة ومجال في اختيار الصفات. قال: وما ذهب إليه أهل الحديث هو الصحيح. ولو تُرِك الإنسانُ وعقلَه لما جسر* أن يطلق عليه غاية هذه الأسماء التي ورد الشرع بها، إذ كان أكثرها على حسب تعارفنا يقتضي أعراضًا، إما كمية نحو العظيم والكبير، وإما كيفية نحو الحيِّ والقادر، أو زمانًا نحو القديم والباقي، أو مكانًا نحو العليِّ والمتعالي، أو انفعالا نحو الرحيم والودود، وهذه معان له تصح عليه سبحانه على حسب ما هو متعارف بيننا، وإن كان لها معان معقولة عند أهل الحقائق، من أجلها صح إطلاقها عليه عز وجل.

وقال الزجاج: لا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه، فيقول: «يا رحيم» لا «يا رفيق»، ويقول: «يا قوي»، لا «يا جليد». وقال الإمام فخر الدين الرازي: قال أصحابنا: ليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه عليه سبحانه وتعالى؛ فإنه الخالق للأشياء كلها، ولا يجوز أن يقال: «يا خالق الذئب، والقردة»، وورد **«وعلم آدم الأسماء كلها»**[1]، **«وعلمك ما لم تكن تعلم»**[2] **«وعلمناه من لدنا علما»**[3] ولا يجوز «يا معلم»، ولا يجوز عندي «يا محب» وقد ورد **«يحبهم ويحبونه»**[4] . فإن قلت: ما ورد في شرح السنة عن أبي أمية قال: إنه رأى الذي بظهر رسول الله ﷺ، فقال: دعني أعالجه، فإني طبيب، فقال: «أنت رفيق والله الطبيب»، هل هو إذن منه ﷺ في تسمية الله تعالى بـ«الطبيب»؟ قلت: لا، لوقوعه مقابلا لقوله: «فإني طبيب» **مشاكلة**** وطباقًا للجواب على السؤال لقوله تعالى: **«تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك»**[5].

قوله: «من أحصاها» فيه وجوه: أحدها «مح»: معنى «أحصاها» حفظها، هكذا فسره البخاري والأكثرون. ويؤيده أنه ورد في رواية في الصحيح «من حفظها دخل الجنة». أقول: أراد بالحفظ القراءة بظهر القلب، فيكون **كناية**؛ لأن الحفظ يستلزم التكرار، فالمراد بالإحصاء تكرار مجموعها. وثانيها: أن يكون بمعنى الضبط، والتفقد، والرعاية، فيرجع إلى معنى ما ذكره الشارحون: من أتى عليه حصراً وتعداداً وعلمًا وإيمانًا، فدعا الله بها استحق بذلك دخول الجنة، **وذكر الجزاء بلفظ الماضي تحقيقًا**. وثالثها: أن يكون بمعنى الإطاقة، أي أطاق القيام بحقها والعمل بمقتضاها، وذلك بأن يعتبر معانيها فيطالب نفسه بما تتضمنه من صفات الربوبية وأحكام العبودية، فيتخلق بها. ورابعها: أن تكون بمعنى العلم، أي عقلها وأحاط بمعانيها، ويكون من قولهم: فلان ذو حصاة، أي ذو عقل ولب. وخامسها: أن يكون **مستعاراً** للعلم من الإحصاء الذي هو عدُّ الشيء؛ لكونه موجبًا للعلم به.

وأقول: لما أكد الأعداد دفعًا للتجوز واحتمال الزيادة والنقصان، وقد أرشد الله تعالى بقوله:

---

(١) البقرة: ٣١ . (٢) النساء: ١١٣ . (٣) الكهف: ٦٥ .
(٤) المائدة: ٥٤ . (٥) المائدة: ١١٦ .

* جسر: أقدمَ على الأمر.

** ما ذهب إليه الطِّيبي هنا - من أن تسمية النبي ﷺ لله تعالى بالطبيب إنما هو على سبيل المشاكلة، لا أنها تسمية مأذون فيها - أقول إن هذا بعيد، ويدل عليه أن النبي ﷺ نفى عن الرجل صفة الطبيب وسمّاه (رفيقا) وسمى الله تعالى طبيبا فكأن المراد أنّ الله تعالى أولى بهذه الصفة من غيره، وأحقّ بها منه، ولا يكون كذلك إلا إذا كان ذلك عن إذن من سبحانه وتعالى لنبيه، والنبي ﷺ «ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى».

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه»[1] إلى عظم الخطب فى الإحصاء، بأن لا يتجاوز المسموع والأعداد المذكورة، وأن لا يلحد منها إلى الباطل، بل يستقيم فيها، ويعمل بمقتضاها. وقد علم من قوله: «استقيموا ولن تحصوا» أن الاستقامة أمر شاق. فقوله: «أحصى» كلمة جامعة لا تحصى فائدتها، ضُرِب لمعنى التجنب عن الزيادة والنقصان فى عدد مثلَ تلك الأسماء مثل*، وهو أن الطبيب الحاذق إذا وصف لداء مخصوص معجونًا مركبًا من أدوية معدودة بأوزان معينة، فإذا تصرف فيها بالزيادة والنقصان فى العدد والوزن على ما وصفه، لم يفد فائدة ما إذا لم يتصرف فيها. وهكذا قيل: إذا وصى الوالد ولده بأنى خبأت لك كنزًا، ومن موضع كذا إليه كذا خطوات، فإن تعدى خطوة جاوز عنه، وإن نقص خطوة لم يصل إليه؛ لأن لمراتب الأعداد خواص** فى الشرع على سبيل التعبد، كأعداد الركعات، ونصب الزكاة، ومقادير الحدود والكفارات، لا يعقل معناها وإن كانت لا تخلو عن حكمة بالغة، وجاء أيضًا فى رواية الصحاح.

«الوتر» «تو»: الوتر الفرد، الله سبحانه هو الفرد الوتر؛ لأنه واحد لا شريك له، بل هو الوتر من حيث ماله الوحدة من كل وجه. وقوله: «يحب الوتر» أى يثيب على العمل الذى أتى به وترًا، ويقبله من عامله؛ لما فيه من التنبيه على معاني الفردانية قلبًا، ولسانًا، وإيمانًا، وإخلاصًا، ثم إنه أدعى إلى معاني التوحيد.

قوله: «هو الله الذى» «هو» مبتدأ «الله» خبره «الذى لا إله إلا هو» صفته، و«الرحمن» إلى آخره خبر بعد خبر، والجملة مستأنفة، إما بيان لكمية تلك الأعداد أنها ما هى فى قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسما» وذكر الضمير نظرًا إلى الخبر، وإما بيان لكيفية الإحصاء فى قوله: «من أحصاها دخل الجنة» دالة كيف تحصى، فالضمير راجع إلى المسمى الدال عليه قوله: «الله». كأنه لما قيل: «ولله الأسماء الحسنى»[2] سئل وما تلك الأسماء؟ فأجيب: هو «الله»، أو لما قيل: «من أحصاها دخل الجنة» سئل كيف أحصيها؟ فأجيب: قل «هو الله»، فعلى هذا الضمير ضمير الشأن، و«الله» مبتدأ وقوله: «الذى لا إله إلا هو» خبره، والجملة خبر الأول، ويجوز أن يكون«الرحمن» خبره، والموصول مع الصلة صفة «الله».

فإن قلت: الإحصاء يقتضى أن يلقيها أغفالا من سمة الإعراب، فيقول: الله، الرحمن، الرحيم، موقوفة كما يلقى على الحاسب أجناسًا مختلفة ليرفع حسبانها فيقول: دار، غلام، جارية، ولو أعربت ركبت شططًا.

قلت: إنما عدل عن التعداد تفخيما لشأنها، وإدخالا للروعة فى قلب السامع، فيحصل منه

(١) الأعراف: ١٨٠.   (٢) الأعراف : ١٨٠.

* كذا فى الأصل (ك) ولعل الصواب (مثلاً) بالنصب، أولعلها منونة مع إسقاط الألف وهو جائز فى وجه، والتقدير ضرب هذا اللفظ (احصى) مثلاً.

** كذا فى الأصل (ك).

التعداد ضمنًا، كما قالت قريش لرسول الله ﷺ: «صف لنا ربك الذى تدعونا إليه» فنزلت «قل هو الله أحد»[1] يعنى الذى سألتمونى وصفه، هو الله. قال الشيخ أبو القاسم القشيرى فى التحبير فى شرح أسماء الله الحسنى: هو للإشارة، وهو عند هذه الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق، فإذا قلت: «هو» لا يسبق إلى قلوبهم غير الحق فيكتفون عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم فى حقائق القرب، واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم، وانمحائهم عن شواهدهم، فضلا عن إحساسهم ممن سواه.

أقول: فيكون «هو» إذن بمنزلة اسم الإشارة فى قول الشاعر:

كأنه في الجلد توليع البهق

كأنه قيل: ما ذلك المسمى، وما تلك الأسماء؟ قيل: ذلك المسمى هو الذى له هذه الأسماء المعدودة، فكان هذا الوجه أولى الوجوه على التقديرين: المراد بقوله: «الله» المسمى لا الاسم. فإن قلت: قد سبق أن «الله» اسم علم، والبواقى صفات، فكيف سميت بالاسم، وجعلت أُخبارًا لا صفات؟ قلت: لقوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»[2]، لأنه إذا دعى بها قيل: يا الله يا رحمن، يا رحيم، فالرحمن صفة أقيمت مقام ذات له الرحمة، فلا يكون حينئذ صفة كما يقال: شجاع باسل، فيصفه بالبسالة على تأويل ذات له الشجاعة، وهو باسل.

«الله» «قض»: قيل: أصله «لاها» بالسريانية، فعرب. وقيل: عربى وضع لذاته سبحانه كالعلم له؛ لأنه يوصف ولا يوصف به؛ ولأنه لابد له من اسم يجرى عليه صفاته، ولا يصلح له غيره، فتعين أن يكون هو اسمه، ولأنه لو كان وصفًا لم يكن قولنا: «لا إله إلا الله» توحيدًا، كمثل لا إله إلا الرحيم، فإنه لا يمنع الشركة. والحق أنه وصف فى أصله؛ لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقى أو غيرحقيقى معقول للبشر، فلا يمكنه وضع اللفظ له، ولا الإشارة إليه بإطلاق اللفظ عليه.

أقول: وفيه نظر؛ لأن الواضع إن كان الله تعالى فظاهر، وإن كان غيره فيكفى فى الوضع تعقله بوجه ما. ثم قال: لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل فى غيره، وصار كالعلم أجرى مجراه فى إجراء الأوصاف عليه، وامتناع الوصف به، وعدم تطرق احتمال الشركة إليه،ومعناه المستحق للعبادة، وأصله أله إلاهة وألوهة بمعنى عبد عبادة وعبودة، أو من أله إذا تحير؛ لأن العقول تتحير فى معرفته.

واعلم أن إحصاء العوام له: إجراؤه على اللسان، والذكر به على الخشية والتعظيم، وإحصاء الخواص أن يتأملوا معناه، ويعلموا أن هذا الاسم لا يستحق ولا يستأهل لأن يطلق إلا على من كان موجودًا، فائض الجود، جامعًا لصفات الإلهية، منعوتًا بنعوت الربوبية. وإحصاء الأخص

(١) الإخلاص: ١. (٢) الأعراف: ١٨٠.

له أن يستغرق له قلبه بالله، فلا يلتفت إلى أحد سواه، ولا يرجو ولا يخاف فيما يأتي ويذر إلا إياه؛ لأنه هو الحق الثابت، وما عداه باطل، قال تعالى: «**كل شيء هالك إلا وجهه**»(١). وقال الشبلى رحمه الله: ما قال أحد «الله» سوى الله، فإن من قاله قاله بحظ، وأنى تدرك الحقائق بالحظوظ!

قال الشيخ أبو القاسم: قال بعضهم: كل اسم من أسمائه يصلح للتخلق به إلا هذا الاسم، فإنه للتعلق دون التخلق. وقال في اسم المؤمن: اعلم أن الموافقة فى الأسماء لا تقتضى المشابهة فى الذوات، فيصح أن يكون الحق سبحانه وتعالى مؤمنًا، والعبد مؤمنًا، ولا يقتضى مشابهة العبد الرب، ألا ترى أن الكلامين يشتركان فى الاسم، ولا يشتبهان.

وقال أبو حامد رحمه الله: إن هذا الاسم أعظم الأسماء؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا تدل آحادها إلا على آحاد الصفات من علم، أو قدرة، أو غيرها.

قوله: «الذى لا إله إلا هو» قال الشيخ أبو القاسم: هذا القول وإن كان المراد ابتداؤه النفى، فالمراد به غاية الإثبات، ونَهاية التحقيق، فإن قول القائل: لا أخ لى سواك، ولا معين لى غيرك، آكد من قولهم: أنت أخى، وأنت معينى. قالوا فى هذه الكلمة: إنها نفى ما يستحيل كونه، وإثبات ما يستحيل فقده، أى أن كون الشريك له سبحانه وتعالى محال وتقدير العدم لوجوده مستحيل.

قال الشيخ أبو على الدقاق: إذا قال العبد: «لا إله» صفا قلبه، وحضر سره، فيكون ورود قوله: «إلا الله» على قلب منقى، وسر مصفى. أقول: كذا فى قوله تعالى: ﴿**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا**﴾(٢) الاستثناء فى التأكيد لإثبات المعدود بمنزلة المؤكدات فى الشمول، نحو كل وأجمع، وفى خبر «لا» فى هذه الكلمة مذهبان: حجازى، وتميمى. وقد حققنا القول فيه فى شرح التبيان*.

«قض»: لهذه الكلمة فوائد جمة يقف الحصر دون إحصائها، ولها خمس مراتب: الأولى: أن يتكلم بها المنافق مجردًا عن تصديق قلب، قلت وهى وإن لم تنفعه فى الآخرة، لكن لا تدعه محروما من بركتها، من حقن دمه وحرز ماله وأهله. ولعله يحظيه من مال الغنيمة، وربما يفضي به إلى الإخلاص. والثانية: أن ينضم إليها عقد قلب على سبيل التقليد، وفى صحته خلاف. والثالثة: أن يكون صدورها عن اعتقاد مستفاد من الأمارات، والأكثر على اعتبارها. والرابعة: أن تكون معربة عن عقد جازم مستفاد من حجج قاطعة، وهى مقبولة بالاتفاق،

(١) القصص: ٨٨ . (٢) العنكبوت : ١٤.

* التبيان فى المعانى والبيان، كتاب فى علوم البلاغة للطِّيبى، قمت بتحقيقه ونشرته المكتبة التجارية بمكة المكرمة، أما شرح التبيان فقد ذكر الحافظ بن حجر أن للطِّيبى شرحًا على التبيان، وكذا ذكره السبكى فى مقدمة عروس الأفراح ضمن مارجع إليه من كتب البلاغة، ولم أعثر على شرح الطيبى هذا، اللهم إلا أن يكون ما وجدته من حاشية على إحدى نسخ التبيان المخطوطة بدار الكتب المصرية.

مخلِّصة عن العذاب، موصلة إلى الثواب. والخامسة: أن يكون المتكلم بها مكاشفًا بمفهومها، كأنه يعاينه ببصيرته، ويشاهده بقلبه، وهذه هى المرتبة العليا، والنهاية القصوى. قال الشيخ أبو القاسم: قال أهل الإشارة: إذا كان مخلصًا فى مقالته، كان داخلا فى الجنة فى حالته، قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[1] قيل: جنة معجلة، وهى حلاوة الطاعات، ولذة المناجات، والاستئناس بقبول المكاشفات، وجنة مؤجلة، وهى قبول المثوبات، وعلو الدرجات.

«الرحمن الرحيم» اسمان بنيا للمبالغة من رَحِم، كالغضبان من غضب، والعليم من علم، والرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف، يقتضى التفضل والإحسان على من رق له. وأسماء الله تعالى وصفاته إنما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادىء التى تكون انفعالات، فرحمة الله على العباد إما إرَادَة الإنعام عليهم، ودفع الضرر عنهم، فيكون الاسمان من صفات الذات، أو نفس الإنعام والدفع، فيعودان إلى صفات الأفعال. و«الرحمن» أبلغ من الرحيم لزيادة بنائه. وحظ العارف منهما: أن يتوجه بكليته إلى جناب قدسه، ويتوكل عليه، ويلتجىء فيما يعن له إليه، ويشغل سره بذكره، والاستمداد به عن غيره، لما فهم منهما أنه المنعم الحقيقى المولى للنعم كلها، عاجلها وآجلها، ويرحم عباد الله؛ فيعاون المظلوم، ويصرف الظالم عن ظلمه بالطريق الأحسن، وينبه الغافل، وينظر إلى العاصى بعين الرحمة دون الإزراء، ويجتهد فى إزالة المنكر وإزاحته على أحسن ما يستطيعه، ويسعى فى سد خلة المحتاجين بقدر وسعه وطاقته.

وعن عبدالله بن المبارك: «الرحمن» هو الذى إذا سئل أعطى، و«الرحيم» هو الذى إذا لم يسأل غضب. وفى الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه». قال بعض المفسرين: إنما يلى الرحمن «الله»، لأنه كالعلم إذ كان لا يوصف به غير الله، فكأنه الموصوف، وهو الأقدم، إذ الأصل فى نعم الله أن تكون عظيمة، فالبداية بما يدل على عظمها أولى. وهذا المعنى قريب مما فى ـ الكشاف ـ لما قال: «الرحمن» فيتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه «بالرحيم» كالتتمة والرديف، ليتناول ما دق منها ولطف. وأقول: قد تقرر فى موضعه أن هذا الأسلوب من باب التتميم، وموقع «الملك» فى الحديث كموقع «ملك يوم الدين»[2] فى التنزيل على سبيل التكميل؛ لأنه تعالى لما ذكر ما دل على النعم والألطاف، أردفه بما يدل على الغلبة والقوة، وأنه الملك الحقيقى، وأن لا ملك سواه، إذ القدرة الكاملة ليست إلا له. ثم إنه لما وصفه بما قد يوصف به المخلوق، وكان مظنة للتشبيه، فأراد أن ينزهه عن ذلك أتبعه بقوله: «القدوس» وهلم جرًا يتابع سائر الأسماء فى التناسب، فليتأمل، والله الموفق.

---

(١) الرحمن: ٤٦.　　(٢) الفاتحة: ٤.

«الملك» معناه ذو الملك، وهو إذا كان عبارة عن القدرة على التصرف، كان من صفات الذات، كالقادر، وإذا كان عبارة عن التصرف فى الأشياء بالخلق، والإبداع، والإماتة، والإحياء، كان من أسماء الأفعال، كالخالق. وعن بعض المحققين: الملك الحق، هو الغنى مطلقًا فى ذاته وفى صفاته عن كل ما سواه، ويحتاج إليه كل ما سواه، إما بواسطة أو بغير واسطة، فهو بتقديره متفرد منفرد، وبتدبيره متوحد، ليس لأمره مرد، ولا لحكمه رد. أما العبد: فإنه محتاج فى الوجود إلى الغير، والاحتياج مما ينافى الملك، فلا يمكن أن يكون له ملك مطلق، والملك مختص عرفًا بمن يسوس ذوى العقول، ويدبر أمورهم، فلذلك يقال له: ملك الناس، ولا يقال: ملك الأشياء. وهو أبلغ من المالك باعتبار الزنة فى النعوت لأنه فعل فى النعوت موضوع للثبات، بخلاف الفاعل، ولذلك أطلق الملك على الله وحده، ولم يطلق الملك إلا مضافًا إلى ما يقيد بإضافة معنى الملك، وباعتبار المعنى؛ لأن كل ملك مالك ولا ينعكس.

ووظيفة العارف من هذا الاسم: أن يعلم أنه هو المستغنى على الإطلاق عن كل شيء، وما عداه مفتقر إليه فى وجوده وبقائه، مسخر لحكمه وقضائه، فيستغنى عن الناس رأسًا، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، ويتخلق بالاستغناء عن الغير، والاستبداد بالتصرف فى مملكته الخاصة التى هى قلبه وقالبه، والتسلط على جنوده ورعاياه، من القوى والجوارح، واستعمالها فيما فيه خير الدارين، وصلاح المنزلين. قال الشيخ أبو القاسم: «الملك» عند أهل التحقيق هو القدرة على الإبداع والإنشاء، فعلى هذا، فلا مالك على الحقيقة إلا الله، والعبد إذا وصف بالملك، فلفظ الملك فى حقه مجاز، وإن كان أحكام الملك فى مسائل الشرع فى حقه حقيقة؛ فإن لفظ الاستنجاء فى الاستطابة توسع فيه ثم لا تمنع أن يكون أحكام الاستنجاء فى الشريعة على الحقيقة.

قيل: «الملك» عبارة عن جواز التصرف فى الأعيان إن لم يكن مانعًا، هذا فى حق الخلق متفاوت، ولكن بالنسبة إلى الحق واحد؛ لأن القدرة الحقيقية بالتصرف فى الأعيان بالإيجاد عن العدم، وبالإعدام عن الوجود بلا مانع لله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿**لله ملك السموات والأرض**﴾(1) وقال: ﴿**وإن لنا للآخرة والأولى**﴾(2) ذكر «لام» التمليك، وقدم الجار والمجرور فنفى الملك فى الدارين إلا له. وقال تعالى: «مالك الملك» فالملك مملوك المالك، فإذن لا ملك ولا مالك إلا هو، فكل ملك فى الدنيا ملكه عارية من الله تعالى وكل مستعار مردود، وإليه الإشارة بقوله فى المحشر: ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾(3)، ومن ثم سمى نفسه ﴿**ملك يوم الدين**﴾(4)؛ لأن العارية من الملك والمالك عادت وردت إلى مالكها ومعيرها، ولما كان ملك الملوك فى الحقيقة هو الله تعالى وحده، كان أبغض التسمية وأقبحها عنده أن يسمى الرجل نفسه ملك الأملاك.

---

(1) الشورى: ٤٩. (2) الليل: ١٣.

(3) غافر: ١٦. (4) الفاتحة: ٤.

قال: إذا تحقق العبد أن الملك لله، وتنكب عن وصف الدعوى، وتبرأ من الحول والقوى، سلم الأمر لمالكه، فلا يقول: لى. ولهذا قال بعض المشايخ: التوحيد إسقاط إلياآت يريد الإضافة إلى النفس. وقيل لبعضهم: ألك رب؟ فقال: أنا عبد، وليس لى نملة، فمن أنا حتى أقول: لى! وإذا ثبت أنه مالك على الإطلاق، يملك من عباده من سبقت له عنايته، وحقت له في عموم الأحوال رعايته، فيملكه هواه، ويعتقه عن أسر نفسه ومناه، ويحرره عن رق البشرية، ويخلصه عن رعونة الإنسانية. وفى معناه قيل: من ملك نفسه فهو حر، والعبد من يملكه هواه. وحكى أن بعض الأمراء قال لبعض الصالحين: سلنى حاجتك، قال: أو لى تقول، ولى عبدان سيداك! قال: ومن هما؟ قال: الشهوة والغضب، غلبتهما وغلباك، وملكتهما وملكاك. وإذا ثبت أن لا ملك ولا مالك إلا هو، فلا يعتمد إلا عليه، ولا يثق إلا به، وأن يكون بما فى حكم الله تعالى أوثق منه بما فى يده، ولا يهتم ولا يحزن على المفقود، ولا يفرح بالموجود.

حكى الشقيق البلخى: أنه قال: كان ابتداء توبتى أنى رأيت غلامًا فى سنة قحط، يمر فى زهو، والناس يعلوهم الكآبة من مقاساة الجدوبة، فقلت له: ما هذا المرح؟ أما ترى ما فيه الناس من المحن؟ فقال: ومالى والحزن، ولسيدى قرية مملوكة يدخل منها ما أحتاج إليه، فقلت فى نفسى: إن كان هذا العبدالمخلوق، لا يستوحش من السنة والقحط؛ لأن لسيده قرية مملوكة، فكيف يصح لى أن استوحش، وسيدى مالك الملوك؟ فانتهيت وتبت.

«القدوس» فعول من القدس، وهو الطهارة والنزاهة، ومعناه المنزه عن سمات النقص، وموجبات الحدوث، المبرأ عما يدركه حس، أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يحيط به عقل، وهو من أسماء التنزيه. وحظ العارف منه: أن يتحقق أنه لا يحق الوصول إلا بعد العروج من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وتنزيه السر عن المتخيلات والمحسوسات، والتطواف حول العلوم الإلهية، والأمور الأزلية المتعالية عن تعلقات الحس والخيال، وتطهير القصد عن أن يحوم حول الحظوظ الحيوانية، واللذائذ الجسمانية، فيقبل بكليته على الله تعالى شوقًا إلى لقائه مقصور الهم على معارفه ومطالعة جماله، حتى يصل إلى جناب العز، وينزل بحبوحة القدس.

قال الشيخ أبو القاسم: من عرف أنه القدوس، تسمو همته إلى أن يطهره الحق من عيوبه وآفاته، ويقدسه عن دنس آثامه فى جميع حالاته، فيحتال فى تصفية وقته عن الكدورات، ويرجع إلى الله تعالى بحسن استعانته فى جميع الأوقات، فإن من طهر الله سبحانه وتعالى لسانه عن الغيبة، طهر الله قلبه عن العيبة، ومن طهر الله قلبه عن العيبة طهّر الله طرفه عن نظر الريبة، ومن طهر الله طرفه عن نظر الريبة، طهر الله سره عن الحجبة من القُربة القريبة. حكى

عن إبراهيم بن أدهم: أنه مر بسكران مطروح على قارعة الطريق، وقد تقيأ، فنظر إليه وقال: بأى لسان أصابته هذه الآفة، وقد ذكر الله به، وغسل فمه، فلما أن أفاق السكران أخبر بما فعله، فخجل، وتاب، وحسنت توبته، فرأى إبراهيم فى المنام كأن قائلا يقول له: غسلت لأجلنا فمه غسلنا لأجلك قلبه.

«السلام» مصدر، نعت به، والمعنى ذو السلامة من كل آفة ونقيصة، أى الذى تسلم ذاته عن الحدوث والعيب، وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشر المحض، فإن ما تراه من الشرور فهى مقضية، لا لأنها كذلك، بل لما تتضمن من الخير الغالب الذى يؤدى تركه إلى شر عظيم، فالمقتضى والمفعول بالذات هو الخير، والشر داخل تحت القضاء، وعلى هذا يكون من أسماء التنزيه. والفرق بينه وبين القدوس: أن القدوس يدل على براءة الشىء من نقص تقتضيه ذاته ويقوم به، فإن القدوس طهارة الشىء فى نفسه، ولذلك جاء الفعل منه على فعل - بالضم - والسلام يدل على نزاهته عن نقص يعتريه لعروض آفة، أو صدور فعل، ويقرب منه ما قيل: القدوس فيما لم يزل، والسلام فيما لا يزال، وقيل: معناه مالك تسليم العباد من المخاوف والمهالك، فرجع إلى القدرة، فيكون من صفات الذات. وقيل: ذو السلام على المؤمنين فى الجنان، كما قال تعالى: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾(1) فيكون مرجعه إلى الكلام القديم.

ووظيفة العارف: أن يتخلق به حيث يسلم قلبه عن الحقد والحسد، وإرادة الشر، وقصد الخيانة، وجوارحه عن ارتكاب المحظورات، واقتراف الآثام، ويكون سلما لأهل الإسلام ساعيًا فى ذب المضار ودفع المعاطب عنهم، ومسلما عن كل من يراه عرفه أو لم يعرفه. وعن بعض الصالحين: السليم من العباد من سلم عن المخالفات سرًا وعلنًا، وبرىء من العيوب ظاهرًا وباطنًا. قال الشيخ أبو القاسم: ومن آداب من تحقق بهذا الاسم أن يعود إلى مولاه بقلب سليم، والقلب السليم هو الخالص من الغل، والحقد، والحسد؛ فلا يضمر للمسلمين إلا كل خير ونصح، فيحسن الظن بكافتهم، ويسىء الظن بنفسه، فإذا رأى من هو أكبر سنًا منه قال: هو خير منى؛ لأنه أكثر منى طاعة، وإذا رأى من هو دونه فى السن قال: إنه خير منى؛ لأنه أقل معصية. وقال المشايخ: إذا ظهر لك من أخيك عيب، فاطلب له سبعين بابًا من العذر، فإن اتضح لك عذره، وإلا عد على نفسك باللوم، وقل: بئس الرجل أنت، حيث لم تقبل سبعين عذرًا من أخيك.

«المؤمن» المؤمن فى الأصل الذى يجعل غيره آمنًا، ويقال للمصدق من حيث إنه جعل المصدق آمنًا من التكذيب والمخالفة، وإطلاقه على الله تعالى باعتبار كل واحد من المعنيين صحيح، فإنه تعالى المصدق: بأن صدق رسله بقوله الصدق، فيكون مرجعه إلى الكلام، أو

(1) يس: ٥٨.

بخلق المعجزات، وإظهارها عليهم، فيكون من أسماء الأفعال: وقيل: معناه أنه الذى آمن البرية بخلق أسباب الأمان، وسد أبواب المخاوف، وإفادة آلات يدفع بها المضار، فيكون أيضًا من أسماء الأفعال. وقيل: معناه أنه يؤمن عباده الأبرار يوم العرض من الفزع الأكبر، إما بقول مثل **﴿ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾**[1]، أو بخلق الأمن والطمأنينة فيهم، فيرجع إلى الكلام، أو الخلق.

ووظيفة العارف منه: أن يصدق الحق، ويسعى فى تقريره، ويكف نفسه عن الإضرار، والحيف، ويكون بحيث يأمن الناس بوائقه، ويعتضدون به فى دفع المخاوف، ورفع المفاسد فى أمور الدين والدنيا. قال الشيخ أبو القاسم: إذا كان أحد معانى اسمه أنه يؤمن عباده ويجيرهم، فاعلم: أن إجارته وإيمانه للعبد على قسمين: مؤجل، ومعجل، فالمؤجل فى القيامة والجنة، قال الله تعالى: **﴿أولئك لهم الأمن﴾**[2]، والمعجل على أقسام، لكل بحسب ما يليق بوقته، فمنهم من يؤمنه من خواطر* الشيطان الذى يقدح فى الإيمان بما يظهر فى قلوبهم من أوضح البرهان، ويلوح لأسرارهم من لائح البيان، حتى إذا عارضهم نوازع الشكوك، أو ناظرهم من هو فى حكم المخالف في العقد، غيروا فى وجه شبهتهم، ودمروا بالحجج على أصحاب البدعة، والناس فى أسر التهمة، والكرب، والغمة، وامتداد الظلمة، وهم فى برد اليقين، وروح الحق المبين. وفى معناه أنشد:

ليلى من وجهك شمس الضحى ... وإنما الظلمة فى الجَوَ

والناس فى ظلمة من ليلهم ... ونحن من وجهك فى الضو

وكان الشيخ أبو على الدقاق كثيرًا ما ينشد:

إن شمس النهار تغرب بالليل ... وشمس القلوب ليست تغيب

وأنشد بعضهم:

هى الشمس إلا أن للشمس غيبة ... وهذا الذى نعنيه ليس يغيب

ومنهم من يؤمنه من هواجس النفوس ودواعى الزلات، حتى لا تدعوه نفسه إلى ارتكاب محظور. يحكى عن أبى زيد أنه قال: كنت هممت أن أدعو الله سبحانه ليكفينى شهوات النفس. قلت: إن رسول الله ﷺ لم يسأل ذلك، فتركت الدعاء، فمن بركة اتباع هذه السنة، كفانى الله سبحانه شهوات نفسى حتى لا أميز بين امرأة وجدار. ومنهم من يؤمنه خوف الفقر ورعب الضر، حتى يكون فارغ القلب، ساكن السر، يثق بموعود ربه كما يثق أرباب الغفلة بمعلوم النفس، فخوف الفقر قرينة الكفر، وحسن الثقة بالرب نتيجة الإيمان. سأل رجل أبا زيد

---

(١) فصلت: ٣٠ . (٢) الأنعام: ٨٢.

* فى (ط) خواطب والتصويب من (ك).

عن سبب معيشته، وكان قد صلى خلفه، فقال اصبر حتى أقضى الصلاة التى صليتها خلفك، حيث شككت فى أرزاق المخلوقين.

«المهيمن» الرقيب المبالغ فى المراقبة والحفظ، من قولهم: هيمن الطير إذا نشر جناحه على فرخه صيانة له، هكذا قاله الخليل، وسيأتى معنى الرقيب. فإن قيل: كيف تجعله مرادفًا للرقيب، والمستفاد من أحد المترادفين عين المستفاد من الآخر، فلا يكون فى إحصاء الثانى فائدة؛ لأن فضيلة هذه الأسامى لما تحتها من المعانى، فإذا دل عليه بلفظ لم يكن للدلالة عليه بلفظ آخر مزيد فضل؟ قلت: لا أجعله مرادفًا، إذ فى «المهيمن» من المبالغة باعتبار الاشتقاق والزنة ما ليس فى الرقيب، فهما كالغافر والغفور، والرحمن والرحيم. وقيل: معناه الشاهد أى العالم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة، فيرجع إلى العلم، أو الذى يشهد على كل نفس بما كسبت، فيرجع إلى القول. وقيل: أصله مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء، كما قلبت فى «هرقت، وهرجت، وهياك» ومعناه الأمين الصادق وعده. وقيل: هو القائم على خلقه بأعمالهم، وأرزاقهم، وآجالهم، فيرجع إلى القدرة.

قال الشيخ أبو حامد: «المهيمن» اسم لمن استجمع ثلاث صفات: العلم بحال الشىء، والقدرة التامة على مراعاة مصالحه، والقيام عليها. وهو كالشرح والتفصيل للقول الأول، فإن المراقبة والمبالغة فى الحفظ إنما تتم بهذه الثلاث، وإن صح وضعه لهذا كان من الأسماء المركبة من صفات المعنى والفعل. وحظ العارف منه: أن يراقب قلبه، ويقوم أحواله، ويحفظ القوى والجوارح عن الاشتغال بما يشغل قلبه عن جناب القدس، ويحول بينه وبين الحق.

قال الشيخ أبو القاسم: من تحقق بهذا الاسم يكون محتشما من رؤيته، مستحيى من محل اطلاعه، وهذا المعنى يسمى مراقبة فى لسان أهل المعاملة. قال أبو محمد الحريرى: من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة، لم يصل إلى الكشف والمشاهدة. حكى الشيخ أبو على: أن وزيرًا بين يدى الأمين نظر إلى بعض غلمانه بمؤخر عينيه، فلمح الأمير إليه، ففطن الوزير أنه يوهم فيه الريبة، فجعل يرى من نفسه الحول كلما يدخل على الأمير، حتى ظن أنه حدث فيه الحول. وحكِىَ: أن إبراهيم بن أدهم كان يصلى قاعدًا فجلس، ومد رجليه، فهتف به هاتف: أهكذا تجالس الملوك؟ وكان الحريرى لا يمد رجليه فى الخلوة، فقيل: وليس يراك أحد، فقال: حفظ الأدب مع الله أحق. وفى معناه أنشد:

كأن رقيبًا منك يرعى خواطرى	وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما رمقت عيناى بعدك منظـرًا	يسـوؤك إلا قلت: قـد رمقـانى
وما بدرت من فيّ بعدك مزحـة	بسرك إلا قلت قد سمعـــانى

وما خطرت في السر منى خطـرة لغيـــرك إلا عرجا بعنـــانى

وما الزهد أسلى عنهم غير أنـــنى وجدتك مشهودى بكل مكانى

وإخوان صدق قد سمعت حديثهم وأمسكت عنهم ناظرى ولسانى

«العزيز» الغالب من قولهم: عز إذا غلب، ومرجعه إلى القدرة المتعالية عن المعارضة فمعناه مركب من وصف حقيقى، ونعت تنزيهى. وقيل: القوى الشديد من قولهم: عز يعز إذا قوى واشتد. ومنه قوله تعالى: ﴿فعززنا بثالث﴾[1] وقيل: عديم المثل، فيكون من أسماء التنزيه. وقيل: هو الذى يتعذر الإحاطة بوصفه، ويعسر الوصول إليه مع أن الحاجة تشتد إليه. وحظ العارف منه: أن يعز نفسه، فلا يستهينها بالمطامع الدنيوية، ولا يدنسها بالسؤال عن الناس، والافتقار إليهم، ويجعلها بحيث يشتد إليها احتياج العباد فى الإرفاق والإرشاد.

قال الشيخ أبو القاسم: «العزيز» على طريقة أهل الإشارة هو الذى لا يدحر (خدمة من خدمه)* شيئًا، ولا يؤثر من عرفه هواه على رضاه، فيقضى حقوقه فرضًا، ولا يرى لنفسه عليه حقًا، وأنشد:

وتكرمها جاراتها فيزرنها وتقعد عن إتيانهن فتعزز

والعزيز من العباد: من يمنع فيشكر، ويبلى فلا يشكو، من يعرفه يستلذ بحكمه الهوان ويستحلى منه الحرمان دون الإحسان. وأنشد:

وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرًا ما من يهون عليك ممن أكرم

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم إذ كان حظى منك حظى منهم

قيل: إنما يعرف الله تعالى عزيزًا من أعز أمره وطاعته، فأما من استهان بأوامره، فمن المحال أن يكون متحققًا بعزته. وقيل لبعضهم: ما علامة أنك تعرفه؟ فقال: لا أهم لمخالفته إلا نادانى من قلبى مناد: استحيي منه. وقيل: العزيز من ضلت العقول فى بحار عظمته، وحارت الألباب دون إدراك نعته، وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله، ووصف جماله. وأنشد:

وكل من أغرق فى مدحه أصبح منسوبًا إلى العي

قال سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه بعد ما بلغ فى ثنائه تعالى: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

ومن آداب من عرف أنه العزيز: أن لا يعتقد لمخلوق إجلالا، ولهذا قالوا: المعرفة تحقير الأقدار سوى قدره، ومحو الأذكار سوى ذكره، وإذا عرف أنه المعز لم يطلب العز إلا منه، ولا

---

(١) يس: ١٤.

* كذا فى (ط) و(ك).

يكون العز إلا فى طاعته تعالى. حكى عن بعضهم: أنه قال: رأيت رجلا فى الطواف، وبين يديه شرطيان يطردان الناس، ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على الجسر، فسألته عن ذلك، فقال: إنى تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه، فوضعنى الله تعالى فى موضع يترفع فيه الناس.

قال الشيخ أبو حامد فى معنى قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[1]: العزيز من العباد من يحتاج إليه خلق الله عز وجل فى أهم أمورهم، وهى الحياة الأخروية، والسعادة الأبدية، وذلك مما يقل لا محالة وجوده، ويصعب إدراكه، وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم، ويشاركهم فى العز من يتفرد بالقرب من درجتهم فى عصره، كالخلفاء، وورثتهم من العلماء، وعزة كل واحد منهم بقدر علو رتبته، عن سهولة النيل والمشاركة، وبقدر عناية وإرشاد الخلق.

«الجبار» بناء مبالغة من الجبر، وهو فى الأصل إصلاح الشيء بضرب من القهر، ثم يطلق تارة فى الإصلاح المجرد، نحو قول على رضى الله عنه: «يا جابر كل كسير، ومسهل كل عسير» وتارة فى القهر المجرد، نحو ما ورد: «لا جبر ولا تفويض» ثم تجوز عنه لمجرد العلو؛ لأن القهر مسبب عنه، فيقال: نخلة جبارة، للباسقة التى لا تنالها الأيدى، ولذلك قيل: الجبار هو المصلح لأمور العباد والمتكفل لمصالحهم، فهو إذن من أسماء الأفعال، وقيل: معناه حامل العباد على ما يشاء، لا انفكاك لهم عما شاء من الأخلاق، والأعمال، والأرزاق، والآجال. فمرجعه أيضا إلى الفعل. وقيل: معناه المتعالى عن أن يناله كيد الكائدين، ويؤثر فيه قصد القاصدين، فيكون مرجعه إلى التقديس والتنزيه.

وحظ العارف من هذا الاسم: أن يقبل على النفس فيجبر نقائصها باستكمال الفضائل، ويحملها على ملازمة التقوى، والمواظبة على الطاعة، ويكسر فيها الهوى والشهوات بأنواع الرياضات، ويترفع عما سوى الحق غير ملتفت إلى الخلق، فيتحلى بحلي السكينة والوقار، بحيث لا يزلزله تعاور الحوادث، ولا يؤثر فيه تعاقب النوازل، بل يقوى على التأثير فى الأنفس والآفاق بالإرشاد والإصلاح. قال الشيخ أبو القاسم: الاسم إذا احتمل معاني مما يصح فى وصفه تعالى، فمن دعاه بهذا الاسم فقد أثنى عليه بتلك المعاني، فهو الجبار على معنى أنه عزيز، متكبر، محسن إلى عباده، لا يجرى فى سلطانه شيء بخلاف مراده.

ومن آداب من عرف أنه لا تناله الأيدى لعلو قدره: أن يتحقق بأنه لا سبيل إليه، ولابد منه. فلا يصيب العبد منه إلا لطفه، وإحسانه، اليوم عرفانه، وغداً غفرانه. وأنشد:

فلا بذل إلا ما تزود ناظرى ... ولا وصل إلا بالخيال الذى يسرى

(١) المنافقون: ٨.

وقلن لنا نحن الأهلة إنما ... نضىء لمن يسرى بليل ولا نقرى

وإذا علم أنه يجبر الخلق على مراده، وعلم أنه لا يجرى فى سلطانه ما يأباه، ويكرهه ترك ما يهواه، وانقاد لما يحكم به مولاه، فيستريح عن كد الفكر، وتعب التدبير. وفى بعض الكتب: عبدى تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن رضيت بما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم ترض بما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

قال أبو حامد: الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع، ونال درجة الاستتباع، وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به، ومتابعته فى سمته وسيرته، فيفيد الخلق ولا يستفيد، ويؤثر ولا يتأثر. وإنما خص بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله عليه، حيث قال: «لو كان موسى حيًا لما وسعه إلا اتباعى، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر».

«المتكبر» هو الذى يرى غيره حقيراً بالإضافة إلى ذاته، فينظر إلى غيره نظر المالك إلى عبده. وهو على الإطلاق لا يتصور إلا لله تعالى، فإنه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة إلى كل شىء من كل وجه، ولذلك لا يطلق على غيره إلا فى معرض الذم. فإن قيل: هذا اللفظ من باب التفعل ووضعه للتكلف فى إظهار ما لا يكون، فينبغى أن لا يطلق على الله تعالى. قلت: لما تضمن التكلف بالفعل مبالغة فيه، أطلق اللفظ وأريد به مجرد المبالغة. ونظير ذلك فيه شائع فى كلامهم، مع أن التفعل جاء لغير التكلف كثيراً، كالتعمم، والتقمص.

قال الشيخ أبو القاسم: من عرف علوه تعالى وكبرياءه، لازم طريق التواضع، وسلك سبيل التذلل، وقد قيل: هتك ستره، من جاوز قدره. وقد قيل: الفقير فى خَلَقه* أحسن منه فى جديد غيره، ولا شىء أحسن على الخدم من التواضع بحضرة السادة، وأنشد:

ويظهر فى الهوى عز الموالى ... فيلزمنى له ذل العبيد

وسئل يحيى بن معاذ عن المحبة: فقال: هو مالا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء. وقيل: كل من أخلص فى وده، وصدق فى حبه، كان استلذاذه بمنعه أكثر من استلذاذه بعطائه. وحظ العارف منه: أن يتكبر عن الركون إلى الشهوات، والسكون إلى الدنيا وزخارفها، فإن البهائم تساهمه فيها، بل عن كل ما يشغل سره عن الحق، ويستحقر كل شىء سوى الوصول إلى جناب القدس من مستلذات الدنيا والآخرة.

«الخالق، البارىء، المصور» قيل: إنها ألفاظ مترادفة، وهو وهم، فإن الخالق من الخلق، وأصله التقدير المستقيم، ويستعمل بمعنى الإبداع، وهو إيجاد الشىء من غير أصل، كقوله

* خَلِقه: أى قديمه، والمقصود أن الفقير فى ثيابه القديمة أحسن حالاً منه فى جديد ليس له.

تعالى: ﴿خلق السموات والأرض﴾[1] وبمعنى التكوين، كقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾[2] وقوله: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾[3]. و«البارىء» مأخوذ من البرء، وأصله خلوص الشىء عن غيره، إما على سبيل التفصى منه، وعليه قولهم: برىء فلان من مرضه، والمديون من دينه، واستبرأت الجارية رحمها. وإما على سبيل الإنشاء، ومنه برأ الله النسمة، وهو البارىء لها. وقيل: البارىء هو الذى خلق الخلق بريئًا من التفاوت والتنافر المخلين بالنظام الكامل، فهو أيضًا مأخوذ من معنى التفصى. و«المصور» هو مبدع صور المخترعات، ومزينها، ومرتبها، فالله سبحانه خالق كل شىء، بمعنى أنه مقدره، أو موجده من أصل، ومن غير أصل، وباريه بحسب ما اقتضته حكمته، وسبقت به كلمته من غير تفاوت واختلال، ومصوره بصورة يترتب عليها خواصه ويتم بها كماله، وثلاثتها من أسماء الأفعال، اللهم إلا إذا فسر الخالق بالمقدر، فيكون من صفات المعانى؛ لأن مرجع التقدير إلى الإرادة، وإن فسر الخالق بالمقدر، فوجه الترتيب ظاهر؛ لأنه يكون التقدير أولا، ثم الإحداث على الوجه المقدر ثانيًا، ثم التسوية والتصوير ثالثًا، وإن فسر بالموجد، فالاسمان الآخران كالتفصيل له، فإن الخالق هو الموجد بتقدير واختيار، سواء كان الموجد مادة أو صورة، ذاتًا أو صفة.

وحظ العارف منها: أن لا يرى شيئًا، ولا يتصور أمرًا إلا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة، وعجائب الصنع، فيترقى من المخلوق إلى الخالق، وينتقل من ملاحظة المصنوع إلى ملاحظة الصانع، حتى يصير بحيث كلما نظر إلى شىء وجد الله عنده. قال الشيخ أبو القاسم: وإذا عرف العبد أنه لم يكن شيئًا، ولا عينًا، فحوله الله شيئًا، وجعله عينًا، فبالحري أن لا يعجب بحاله، ولا يدل بأفعاله. وقد أشكل عليه حكم مآله، وكيف لايتواضع من يعلم أنه فى الابتداء نطفة، وفى الانتهاء جيفة، وفى الحال صريع جوعة، وأسير شبعة، وحمال وحشة، كنيف فى قميص، إن أمسك عن الكلام ساعة تغير عليه خلوفه، وإن عرق فى سعيه (سطع)* (تفتر)** المستطاب صنان إبطه ورائحة رجله، ثم إذا شاهد نقص نفسه، عرف جلال ربه.

وقال بعضهم: لما قال تعالى: ﴿وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾[4] نبههم على حسن الخلق بما دلهم على صفة الأرض، وذلك أنه يلقى عليها كل وحشة، فيخرج منها كل زهرة وخضرة، وهكذا المؤمن ينبغى أن يكون متشربًا غير مترشح، محتملا للجفاء غير منتقم، لا يقابل بالجفاء إلا قابل الجافى بالاحتمال، وجميل الإغضاء والأفعال. يحكى أن بعضهم كان يسىء القول فى واحد، والرجل يسمع ويسكت، فضاق صدر هذا الرجل، فقال: إياك أعنى، فقال الرجل: وعنك أحلم.

---

(1) إبراهيم: ١٩. (2) النحل: ٤.

(3) الرحمن: ١٥. (4) الذاريات: ٢٠: ٢١.

* كذا فى (ط) و (ك).

** كذا فى (ط) و (ك) ولعلها (ينفر) أو (يُفِرُّ).

«الغفار» فى الأصل بمعنى الستار من الغفر، وهو ستر الشىء بما يصونه، ومنه المغفر، ومعناه أنه يستر القبائح والذنوب، بإسبال الستر عليها فى الدنيا، وترك المؤاخذة بالعفو عنها فى العقبى، ويصون العبد من أوزارها. وهو من أسماء الأفعال، وقد جاء التوقيف فى التنزيل بالغفار والغفور والغافر، والفرق بينها أن الغافر يدل على اتصافه بالمغفرة مطلقًا، والغفار والغفور يدلان عليه مع المبالغة، والغفار أبلغ لما فيه من زيادة البناء، ولعل المبالغة فى الغفور باعتبار الكيفية، وفى الغفار باعتبار الكمية، وهو قياس المشدد للمبالغة من النعوت والأفعال.

وقال بعض الصالحين: إنه غافر؛ لأنه يزيل معصيتك من ديوانك، وغفور؛ لأنه ينسى الملائكة أفعالك، وغفار؛ لأنه ينسيك ذنبك حتى كأنك لم تفعله. وقال آخر: إنه غافر لمن له علم اليقين، وغفور لمن له عين اليقين، وغفار لمن له حق اليقين.

وحظ العارف منه: أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه، فلا يفشى منه إلا أحسن ما فيه، ويتجاوز عما يندر عنه، ويكافىء المسىء إليه بالصفح والإنعام عليه. قال الشيخ أبو القاسم فى قوله تعالى: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا»(١). «ثم» تقتضى التراخى، كأنه قال: من زجى عمره فى الزلات، وأفنى حياته فى المخالفات، وأبلى شبابه فى البطالات، ثم ندم قبل الممات، وجد من الله العفو عن السيئات. «ومن يعمل سوءًا» إخبار عن الفعل، و«يستغفر الله» عن القول، كأنه قيل: الذين زلاتهم حالة، وتوبتهم قالة، ولقد سهل عليك الأمر من رضى عنك بقالة، وقد عملت ما عملت، والاستغفار يستدعى مجرد الغفران، فقوبل بقوله: «يجد الله» انظر إلى حال هذا المذنب كيف طلب المغفرة، فوجد الله تعالى والله أعلم.

«القهار» هو الذى لا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته، مسخر لقضائه، عاجز فى قبضته، ومرجعه إلى القدرة، فيكون من صفات المعنى. وقيل: هو الذى أذل الجبابرة، وقصم ظهورهم بالإهلاك، ونحوه. فهو إذن من أسماء الأفعال. وعن بعض السالكين: «القهار» الذى طاحت عند صولته صولة المخلوقين، وبادت عند سطوته قوى الخلائق أجمعين. قال الله تعالى: «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»(٢) فأين الجبابرة الأكاسرة عند ظهور هذا الخطاب، وأين الأنبياء والمرسلون والملائكة فى هذا العتاب، وأين أهل الضلال والإلحاد والتوحيد والرشاد، وأين آدم وذريته وإبليس وشيعته. فكأنهم بادوا وانقرضوا، زهقت النفوس وتلفت الأرواح، وتبددت الأجسام والأشباح، وتفرقت الأوصال، ويبقى الموجود الذى لم يزل ولا يزال.

وحظ العارف منه: أن يسعى فى تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة قهرًا، وكسر شهواتها، فإنها أعدى عدوه. قال الشيخ أبو القاسم: من علم أنه القهار خشى بغتات مكره،

(١) النساء: ١١٠ . (٢) غافر: ١٦ .

وخاف فجاءة قهره، فيكون وجلاً بقلبه، منفردًا عن قومه ورهطه، مستديمًا لكربه، مفارقًا لخلطائه وصحبه، كما قيل:

فريد من الخلان فى كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد

واعلم أن الله تعالى قهر نفوس العابدين بخوف عقوبته، وقلوب العارفين بسطوة قربته، وأرواح الواجدين بكشف حقيقته، فالعابد بلا نفس لاستيلاء سلطان أفعاله عليه، والعارف بلا قلب لاستيلاء سلطان إقباله عليه، والواجد بلا روح لاستيلاء كشف جماله وجلاله عليه. فمتى أراد العابد خروجه عن قيد مجاهدته، قهرته سطوات العقاب، فردته إلى بذل المهجة، ومتى أراد العارف خروجه عن مطالبات القربة، قهرته بواده الهيبة، فردته إلى توديع المهجة، فشتان بين عبد هو مقهور أفعاله، وبين عبد هو مقهور جماله وجلاله.

«الوهاب» كثير النعم، دائم العطاء، والهبة الحقيقية هى العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإن المعطى لغرض مستفيض وليس بواهب، وهو من أسماء الأفعال. وحظ العارف منه: أن لا يستمنح، ولا يتوقع إلا من الله، بل أن يبذل جميع ما يملكه حتى الروح خالصًا لوجه الله، لا يريد به جزاء ولا شكوراً. قال الشيخ أبو القاسم: من تحقق بأنه الوهاب لم يخش الفقر، ومقاساة الضر، ورجع إليه فى كل وقت بحسن القصد. ويحكى أن الشبلى سأل بعض أصحاب أبى علي الثقفى، فقال: أى اسم من أسمائه يجرى على لسان أبي علي الثقفي أكثر؟ فقال الرجل: اسمه الوهاب، فقال الشبلى لذلك كثر ماله.

«الرزاق» خالق الأرزاق والأسباب التى يتمتع بها، والرزق هو المنتفع به، وكل ما ينتفع به منتفع فهو رزقه، سواء كان مباحًا أو محظوراً. وقالت المعتزلة: الرزق هو الملك، وفساده ظاهر طردًا وعكسًا. أما الأول: فلأن كل ما سوى الله تعالى ملكه، وليس رزقًا له، وللفرار من هذا الإشكال زاد بعضهم، وقال: رزق كل مرزوق ما ينتفع به من ملكه. وأما الثانى: فلأن ما يدر على البهائم رزقها لقوله تعالى: **«وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها»**[1] وليس ملكًا لها، والرزق نوعان: محسوس ومعقول، فلذلك قال بعض المحققين: الرزاق من رزق الأشباح فوائد لطفه، والأرواح عوائد كشفه، وقال آخر: الرزاق من غذى نفوس الأنبياء بتوفيقه، وحلى قلوب الأخيار بتصديقه.

وحظ العارف منه: أن يحقق معناه ليتيقن أنه لا يستحقه إلا الله تعالى، فلا ينتظر الرزق ولا يتوقعه إلا منه، فيكل أمره إليه، ولا يتوكل فيه إلا عليه، ويجعل يده خزانة ربه، ولسانه وصلة بين الله وبين الناس فى وصول الأرزاق الروحانية والجسمانية إليهم بالإرشاد، والتعليم،

(١)هود: ٦.

وصرف المال، ودعاء الخير، وغير ذلك؛ لينال حظًا وافرًا من هذه الصفة. قال الشيخ أبو القاسم: من عرف أن الله تعالى هو الرزاق، أفرده بالقصد إليه، وتقرب إليه بدوام التوكل عليه، قيل لبعضهم: من أين يأكل فلان؟ قال: مذ عرفت خالقه، ما شككت فى رازقه. وقيل: أراد حاتم الأصم أن يسافر فقال لامرأته: كم تحتاجين من النفقة؟ فقالت: بقدر ما يتخلف من الحياة، فقال حاتم: وما يدرينى كم تعيشين؟ فقالت: كله إلى من يعلم. فلما سافر، قيل لها: إن حاتمًا تركك بلا نفقة، فقالت: إنه كان آكلا للرزق، ولم يكن رازقًا. ومن الناس من تسمو همتهم فلا يطلبون منه الحوائج الخسيسة.

يحكى عن الشبلى أنه أرسل إلى غني أن ابعث إلينا شيئًا من دنياك، فكتب إليه، سل دنياك من مولاك، فكتب إليه الشبلى: الدنيا حقيرة وأنت حقير، وإنما أطلب الحقير من الحقير، ولا أطلب من مولاي غير مولاي*. واعلم أنه يرزق الأرواح والسرائر، كما يرزق الأشباح والظواهر، وأرزاق القلوب الكشوفات والمعانى، كما أن أرزاق النفوس الغذاء والأحاظى. وقيل لعارف: أيش القوت؟ فقال: ذكر الحى الذى لا يموت. وأنشد:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التى أنت قوتها

وقال بعضهم: دخلت على داود الطائى، فرأيته منبسطًا، وكنت إذا دخلت عليه أراه منقبضًا، فسألته عن ذلك، فقال: سقانى البارحة وقت السحر شراب أنسه، فأردت أن أجعل اليوم عيدًا، وأنشد:

فأسـكر القـوم دور كأسـى وكـان سـكرى من المدير

وقال غيره:

فمن ذا يلمنى أن أهزُ معاطفـى وقد وصلت ليلى وقد وعدت هند

«الفتاح» الحاكم بين الخلائق، من الفتح بمعنى الحكم، قال الله تعالى: «**ربنا افتح بيننا وبين قومنا**»(١) أى احكم، وذلك، لأن الحكم فتح الأمر المغلق بين الخصمين، والله سبحانه بين الحق وأوضحه، وميز الباطل وأدحضه، بإنزال الكتب ونصب الحجج، ومرجعه إما إلى القول القديم، أو الأفعال المنتصفة للمظلومين عن الظلمة. وقيل: هو الذى يفتح خزائن الرحمة على أصناف البرية، قال الله تعالى: «**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها**»(٢). وقيل: معناه مبدع الفتح والنصرة. وعن بعض الصالحين: «الفتاح» الذى لا يغلق وجوه النعمة بالعصيان، ولا يترك إيصال الرحمة إليهم باللسان. وعن آخر منهم: «الفتاح» الذى فتح قلوب

(١) الأعراف: ٨٩. (٢) فاطر: ٢.

* قد أكثر الطِّيبى غفر الله له هنا فى النقل عن الشبلىّ حكايات لاحجة فيها، إلا فيما صح به الكتاب والسنة وكان عليه الصحابة رضى الله عنهم، وكيف يقبل ما نقله هنا عن الشبلى، وقد ورد فى الحديث الحثّ على أن يسأل العبد ربّه حاجته كلها حتى يساله شِسع نعله إذا انقطع!.

المؤمنين بمعرفته، وفتح على العاصين أبواب مغفرته. وقيل: «الفتاح» الذى فتح على النفوس باب توفيقه، وعلى الأسرار باب تحقيقه.

وحظ العارف منه: أن يسعى فى الفصل بين الناس، وانتصار المظلومين، ويهتم بتيسير ما تعسر على الخلق من الأمور الدينية والدنيوية، حتى يكون له حظ من هذا الاسم. قال الشيخ أبو القاسم: من علم أنه «الفتاح» للأبواب، والميسر للأسباب، الكافى للخطوب، المصلح للأمور، فإنه لا يتعلق بغيره قلبه، ولا يشتغل بدونه فكره، يعيش معه بحسن الانتظار لا يزداد بلاءً، إلا ويزداد بربه ثقة ورجاءً. واعلم أنه يفتح للنفوس بركات التوفيق، وللقلوب زوائد التحقيق، فبتوفيقه تتزين النفوس بالمجاهدات، وبتحقيقه تتزين القلوب بالمشاهدات.

ومن آداب من علم أنه «الفتاح» أن يكون حسن الانتظار لنيل كرمه، لوجود لطفه سبحانه، دائم الترقب لحصول فضله، يستديم التطلع لنيل كرمه تاركًا للاستعجال عليه، ساكنًا تحت جريان الحكم، عالمًا بأنه لا يقدم ما حكم بتأخيره، ولا يؤخر ما حكم بتقديمه. ويحكى أن مؤذنًا لعلى رضى الله عنه قال لجارية له تمر عليه: إنى أحبك، فشكت يومًا إلى على، فقال: قولى له: وأنا أيضًا أحبك، فأيش بعد هذا؟ فقالت الجارية ذلك له، فقال: إذن نصبر حتى يحكم الله بيننا، فذكرت ذلك لعلى، فدعا بالمؤذن وسأله عن القصة، فأخبره بالصدق، فقال على: خذ بيدها فهى لك، فقد حكم الله بينكما.

«العليم» العليم بناء مبالغة من العلم، والله سبحانه حقيق بالمبالغة فى وصفه، وعلمه تعالى شامل لجميع المعلومات، محيط بها، سابق على وجودها، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه قاصية ولا دانية، ولا يشغله علم عن علم كما لا يشغله شأن عن شأن، وهو من صفات الذات. وحظ العبد منه: أن يكون مشغوفًا بتحصيل العلوم الدينية، لاسيما المعارف الإلهية التى هى باحثة عن ذاته وصفاته، فإنها أشرف العلوم، وأقرب الوسائل إلى الله تعالى، مراقبًا لأحواله، محتاطًا فى مصادره وموارده، لعلمه بأنه تعالى عالم بضمائره مطلع على سرائره.

وعن بعض الصالحين: من عرف أنه عليم بحالته، صبر على بليته، وشكر على عطيته، واعتذر عن قبيح خطيئته. قال الشيخ أبو القاسم: من آداب من علم أن الله تعالى عالم الخفيات خبير بما فى الضمائر والسرائر من الخطرات، لا يخفى عليه شىء من الحوادث فى عموم الحالات، فبالحرى أن يستحيي عن مواضع اطلاعه، ويرعوى عن الاغترار بجميل ستره. وفى بعض الكتب: إن لم تعلموا أنى أراكم فالخلل فى إيمانكم، وإن علمتم أنى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين إليكم؟ فمن شأن من تحققه أن يكون مكتفيًا بعلمه عند جريان حكمه، ساكنًا عن تدبيره وتقديره، فارغًا عن اختياره واحتياله. قيل لبعض الموفقين: أيطلب

العبد الرزق؟ فقال: إن علم أين هو فليطلب. وقيل: أيسأل الله؟ فقال: إن علم أنه نسيه فليذكره.

«القابض، الباسط» «مظ»: مضيق الرزق على من أراد، وموسعه لمن شاء. وقيل: هو الذى يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، وينشر الأرواح في الأجساد عند الحياة، وقيل: قبض القلوب وبسطها، ، تارة بالضلالة والهدى، وأخرى بالخشية والرجاء، ولذلك قيل: القابض الذى يكاشفك بجلاله فيفنيك، ويكاشفك بجماله فيبقيك، وكلاهما من صفات الأفعال. وإنما يحسن إطلاقهما معًا ليدل على كمال القدرة والحكمة.

وحظ العارف منهما: أن يراقب الحالين فيرى القبض عدلا من الله، فيصبر عليه، والبسط فضلا منه، فيشكر. وأن يكون ذا قبض وبسط ضنا على الأسرار الإلهية على غير أهلها، وإفاضة لها على من هو أهلها. قال الشيخ أبو القاسم: القبض والبسط نعتان، يتعاقبان على قلوب أهل العرفان، فإذا غلب الخوف انقبض، وإذا غلبه الرجاء انبسط. ويحكى عن الجنيد أنه قال: الخوف يقبضنى، والرجاء يبسطنى، والحق يجمعنى، والحقيقة تفرقنى، وهو فى ذلك كله موحشى غير مؤنسى، بحضورى أذوق طعم وجودى فليته أفنانى، أوغيبنى منى. فإذا كاشف الحق عند وصف جلاله قبضه، وإذا كاشفه بنعت جماله بسطه، والقبض يوجب إيحاشه، والبسط يوجب إيناسه.

ويحكى عن الشبلى أنه قال: من عرف الله حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينه، ومن عرف الله لو تعلق به جناح بعوضة (لضج يحمل متنه)*. هذا على حالتى القبض والبسط. وقال بعضهم: إنه إذا قبض قبض حتى لا طاقة، وإذا بسط بسط حتى لا فاقة. وينبغى للعبد أن يتجنب الضجر وقت قبضه، ويجتنب ترك الأدب فى حال بسطه، ومن هذا خشى الأكابر والسادة.

«الخافض، الرافع» هو الذى يخفض القسط ويرفعه، أو يخفض الكفار بالخزى والصغار، ويرفع المؤمنين بالنصر والإعزاز، أو يخفض أعداءه بالإبعاد ويرفع أولياءه بالتقريب والإسعاد، وخفض أهل الشقاء بالطبع والإضلال، ورفع ذوى السعادة بالتوفيق والإرشاد، وكلاهما من صفات الأفعال.

وحظ العبد منهما: أن يخفض الباطل، ويرفع الحق، ويعادى أعداء الله فيخفضهم، ويوالى أولياءه فيرفعهم. قال الشيخ أبو القاسم: ليس المرفوع قدرًا، والمعلى شأنًا وأمرًا، والمستحق مجدًا وفخرًا، من رفع الطين على الطين، وتكبر على المساكين، وتجبر على أشكاله بكثرة ماله، واستقامة أحواله، وإنما المشرف شأنًا، والمعلى رتبة ومكانًا، من رفعه الله بتوفيقه، وأيده لتصديقه، وهداه لطريقه، صفا مع الله قلبه، وجلى له وجهه، وصدق إلى الله شوقه وحنينه.

* كذا فى (ط) و (ك).

وروى فى الخبر «كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه»، وقيل: إن رجلاً رئى واقفًا فى الهواء، فقيل له: بمَ بلغت هذه المنزلة؟ فقال: أنا رجل جعلت هواى تحت أقدامى فسخر الله لى الهواء.

«المعز ،المذل» الإعزاز جعل الشىء ذا كمال يصير بسببه مرغوبًا قليل المثال، والإذلال جعله ذا نقيصة بسببها يرغب عنه، ويسقط عن درجة الاعتبار، وكلا المعنيين يعرض للإنسان وغيره، والذى يعرض للإنسان منه ما يتعلق بالبدن كالقوة، والجمال، ورفعة الجاه، وكثرة المال، وشرف النسب، والتظاهر بالأتباع والأنصار، ونقائضها. ومنه ما يتعلق بالنفوس كالتخليص عن ذل الحاجة، واتباع الشهوة، وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، والإرشاد إلى معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وما يقابل ذلك.

وقال بعض الصالحين: «المعز» الذى أعز أولياءه بعصمته، ثم غفر لهم برحمته، ثم نقلهم إلى دار كرامته، ثم أكرمهم برؤيته ومشاهدته. و«المذل» الذى أذل أعداءه بحرمان معرفته، وركوب مخالفته، ثم نقلهم إلى دار عقوبته، وأهانهم بطرده ومفارقته. وحظ العبد من ذلك أن يعز الحق وأهله، ويذل الباطل وحزبه، وأن يسأل الله تعالى التوفيق لما يستمد به إعزازه، ويجتهد فيه، ويستعيذ به من موجبات الإذلال ويتوقى عن مظانه. قال الشيخ أبو القاسم: الحق يعز الزاهدين بعزوب نفوسهم عن الدنيا، ويعز العابدين بسلامة نفوسهم عن الرغبات والمنى، ويعز أصحاب العبادات بسلامتهم عن اتباع الهوى، ويعز المريدين بزهادتهم عن صحبة الورى، وانقطاعهم إلى باب المولى، ويعز العارفين بتأهيلهم لمقامات النجوى، ويعز المحبين بالكشف واللقاء، والغنى عن كل ما هو غير وسوى، ويعز الموحدين بشهودهم جلالة من له البقاء والبهاء.

قال المشايخ: ما أعز الله عبدًا بمثل ما يرشده إلى ذل نفسه، وما أذل الله عبدًا بمثل ما يرده إلى توهم عزه. وقيل فى معنى قوله تعالى: «**تعز من تشاء وتذل من تشاء**»(1) : المذلة أن يكون فى أسر نفسه، وغطاء شهواته، وسجن تمنيه وآفاته، يصبح محجوبًا ويمسى محرومًا، لا بالطاعات له توفيق، ولا بالقلب تصديق، ولا فى الحال تحقيق، نعوذ بالله من شر الأقدار وسوء الاختيار، وبالله التوفيق.

«السميع، البصير» هما من أوصاف الذات، والسمع إدراك المسموعات حال حدوثها، والبصر إدراك المبصرات حال وجودها. وقيل: إنهما فى حقه تعالى صفتان تنكشف بهما المسموعات والمبصرات انكشافًا تامًا، ولا يلزم من افتقار هذين النوعين من الإدراك فينا إلى آلة

(1) آل عمران: ٢٦.

افتقارهما إليها بالنسبة إلى الله تعالى؛ لأن صفات الله تعالى مخالفة لصفات المخلوقين بالذات، وإن كانت تشاركها، فإنما تشاركها بالعوارض، وفى بعض اللوازم، ألا ترى أن صفاتنا أعراض عارضة معرضة للآفة والنقصان، وصفاته تعالى مقدسة عن ذلك؟.

وحظ العبد منهما: أن يتحقق أنه بمسمع من الله ومرأى منه، فلا يستهين باطلاع الله عليه ونظره إليه، ويراقب مجامع أحواله من مقاله وأفعاله. قال الشيخ أبو القاسم: من عرف من عباده أنه السميع البصير فمن آدابه: دوام المراقبة، ومطالعة النفس بدقيق المحاسبة.

وقيل: إذا عصيت مولاك فاعص فى موضع لا يراك. ومن ألطاف الله تعالى بعباده الذين يحفظون له سمعهم وبصرهم أن يكفيهم مئونة أنفسهم، ويصونهم فى أحوالهم، فتكون أسماعهم مصونة عن سماع كل لغو، وأبصارهم محفوظة عن شهود كل كفو وغير، وإليه الإشارة بقوله: «كنت له سمعًا وبصرًا، فبي يسمع وبي يبصر» الحديث . وهذا هو محل الحفظ، ووصف التخصيص فى العناية، وروى عن سهل بن عبد الله أنه قال: منذ كذا سنة أنا أخاطب الحق تعالى، والناس يتوهمون أنى أكلمهم. وفى معناه أنشد:

وظنونى أخاطبهم قديمًا وأنت بما أخاطبهم مرادى

وهذا هو صفة الجمع الذى أشار إليه القوم أن لا يكون العبد لنفسه بنفسه، بل يكون لربه بربه.

واعلم أنه إذا علم أن مولاه يسمع ما يقول، ويرى ما يختلف به من الأحوال، فإنه يكتفى بسمعه وبصره عن انتقامه وانتصاره، فإن نصرة الحق أتم له من نصرته لنفسه، قال الله تعالى لنبيه صلوات الله عليه: **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾**(1) ثم انظر بماذا سلاه، وكيف خفف عليه تحمل أثقال بلواهم بما يشغله به عنهم، وأمره به حيث قال: **﴿فسبح بحمد ربك﴾**(2) أى فاتصف أنت بمدحنا وثنائنا، يعنى إذا تأذيت بسماع السوء منهم ، فاستروح بروح ثنائك علينا. قال الشيخ أبو حامد: من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله، فقد استهان بنظر الله. والمراقبة إحدى مراتب الإيمان بهذه الصفة، فمن قارف معصية وهو يعلم أن الله تعالى يراه، فما أجرأه وما أجسره! ومن ظن أن الله تعالى لا يراه فما أكفره وما أكفره!

«الحكم» الحاكم الذى لا مرد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ومرجع الحكم إما إلى القول الفاصل بين الحق والباطل، والبر والفاجر، والمبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر؛ وإما إلى الفعل الدال على ذلك لنصب الدلائل، والأمارات الدالة عليه؛ وإما إلى المميز بين الشقى والسعيد بالإثابة والعقاب. وقيل: أصله المنع، ومنه سميت حكمة اللجام حكمة؛ فإنها تمنع الدابة عن الجماح، والعلوم حكمًا؛ لأنها تزع صاحبها عن شيم الجهال.

---

(1) الحجر: ٩٧. (2) الحجر: ٩٨.

وحظ العبد منه: أن يستسلم لحكمه، وينقاد لأمره، فإن لم يرض بقضائه اختياراً أمضى فيه إجباراً، ومن رضي به طوعًا لعلمه بأن له في كل شيء لطفًا مخفيًا، عاش راضيًا مرضيًا. قال الشيخ أبو القاسم: واعلم أنه تعالى حكم فى الأزل لعباده بما شاء، فمن شقي وسعيد، وقريب وبعيد، فمن حكم له بالسعادة فلا يشقى أبدًا، ومن حكم له بالشقاوة لا يسعد أبدًا، كذا قالوا: من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل، وقالوا: من قعد به جِدُّه لم ينهض به جَدُّه.

واعلم أن الناس على أربعة أقسام: أصحاب السوابق، فتكون فكرتهم أبدًا فيما سبق لهم من الله تعالى فى الأزل، يعلمون أن الحكم الأزلى لا يتغير باكتساب العبد، وأصحاب العواقب يتفكرون فيما يختم به أمرهم، فإن الأمور بخواتيمها، والعاقبة مستورة، ولهذا قيل: لا يغرنك صفاء الأوقات، فإن تحتها غوامض الآفات، فكم من مريد لاحت عليه أنوار الإرادة، وظهرت عليه أثمار السعادة، وانتشر صيته فى الآفاق، وعقد عليه الخناصر، وظنوا أنه من جملة أوليائه وأهل صفائه بُدل بالوحشة صفاؤه، وبالغيبة ضياؤه. وفى معناه أنشد:-

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت	ولم يخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها	وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وأصحاب الوقت وهم لا يشتغلون بالتفكر في السوابق والعواقب، بل بمراعاة الوقت، وأداء ما كلفوا من أحكامه.

وقيل: العارف ابن وقته، وأصحاب الشهود هم الذين غلب عليهم ذكر الحق، فهم مأخوذون بشهود الحق عن مراعاة الأوقات، لا يتفرغون إلى مراعاة وقت وزمان، ولا يتطلعون بشهود حين وأوان. ويحكى عن الجنيد أنه قال: قلت للسرى: كيف أصبحت؟ فأنشأ يقول:

ما في النهار ولا فى الليل لى فرح	فلا أبالى أطال الليل أم قصرا

ثم قال : ليس عند ربكم صباح ولا مساء، أشار بهذا أنه غير متطلع للأوقات، بل هو مستوفى شهود الوقت عن الحالات والتارات.

«العدل» العدل في الأصل مصدر عدلت الشيء أعدله: إذا قومته. ـثم قيل للتسوية والإنصاف؛ لما فيه من إقامة الأمر، وحفظه عن طرفى الإفراط والتفريط. ومعناه البالغ فى العدل، وهو الذى لا يفعل إلا ماله فعله. مصدر نعت به للمبالغة، وهو من صفات الأفعال. ووظيفة العارف منه: أن لا يعترض على الله تعالى فى تدبيره وحكمه، بل يرى الكل منه حقًا وعدلاً، ويستعمل كل ما منح من الأمور الداخلة فيه والخارجة عنه فيما ينبغى أن يستعمل فيه شرعًا وعقلاً، ويجتنب فى مجامع أموره طرفى الإفراط والتفريط، فيتوقى فى الأفعال الشهوية

عن الفجور والخمود، وفي الأفعال الغضبية عن التهور والجبن، وفي الآراء والتدابير عن الجربزة والبلاهة، ويلازم أوساطها التي هى العفة والشجاعة والحكمة، المعبر عن مجموعها بالعدالة، ليندرج تحت المخاطبين بقوله تعالى: **«وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس»**(١).

قال الشيخ أبو القاسم: حقيقة العدل أن يكون فعله حسنًا صوابًا، وإنما يكون حسنًا وصوابًا إذا كان لفاعله أن يفعل فهو عادل، وأفعاله عدل، وله أن يفعل بحق ملكه ما يريد فى خلقه. وحكى أن رجلا جاء إلى سمنون* وقال له: ما معني قوله تعالى: **«ومكروا ومكر الله»**(٢)؟ فأنشد سمنون*:

ويقبح من سواك الفعل عندى ... وتفعله فيحسن منك ذاكا

فأنكر عليه السائل ، فقال: لم أجبك بالبيت لقصور فى الجواب، ولكن أردت أن أبين لك أن فى أقل قليل أدل دليل على ما سألت، فالجواب أن تخليته إياهم مع مكرهم مكره بهم. فمن علم أنه «العدل» لم يستقبح منه موجودًا، ولم يستثقل منه حكمًا، بل استقبل حكمه بالرضا والصبر تحت بلاياه بغير شكوى لم يضيق لتحمل بلاياه قلبًا،ووسع لمقاساة فجاءة تقديره ذرعًا.

«اللطيف» قيل: معناه الملطف كالجميل، فإنه بمعنى المجمل، فيكون من أسماء الأفعال. وقيل: معناه العليم بخفيات الأمور ودقائقها، وما لطف منها. وحظ العبد منه: أن يلطف بعباده، ويرفق بهم فى الدعاء إلى الله تعالى، والإرشاد إلى طريقة الحق، ويتيقن أنه تعالى عالم بمكنونات الضمائر علمه بجليات الظواهر، فلا يضمر ما لا يحسن إظهاره. قال الشيخ أبو القاسم: «اللطيف» العليم بدقائق الأمور ومشكلاتها، وهذا فى وصفه واجب، واللطيف المحسن الموصل للمنافع برفق، وهذا في نعته مستحق، وهو من صفات فعله.

وقوله تعالى: **«الله لطيف بعباده»**(٣) يحتمل المعنيين جميعًا، أن يكون عالمًا بهم وبمواضع حوائجهم، يرزق من يشاء ما يشاء كما يشاء، ولطيف بهم يحسن إليهم ويتفضل عليهم، ويرفق بهم. قيل: إن من لطفه تعالى بعباده أنه أعطاهم فوق الكفاية، وكلفهم دون الطاقة، ومن لطفه بعباده توفيق الطاعات، وتسهيل العبادات، وتيسير المرافقات، إذ لولا ذلك لكان للمخالفات مرتكبًا، وفى الزلات منهمكًا، ثم من لطفه بعباده حفظ التوحيد في القلوب، وصيانة العقائد عن الارتياب، وسلامة القلوب عن الاضطراب، وإن بقاء المعرفة بين وحشة الزلة أعجب من إخراج اللبن من بين الفرث والدم، ولكن جرت سنته بحفظ كل لطيفة بين كثيفة، بل أجرى سنته بإخفاء الودائع فى مواضع مجهولة.

---

(١) البقرة: ١٤٣. (٢) آل عمران: ٥٤.

(٣) الشورى: ١٩.

* كذا بالأصل (ط) و (ك).

وقيل: «اللطيف» فى الأصل ضد الكثيف. ومن خواصه أن لا يحس به، فإطلاقه على الله تعالى باعتبار أنه متعال من أن يحس به، فيكون من الصفات التنزيهية، وعليه قوله تعالى: **«لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»**(١). **وفيه لف ونشر**، يعنى أنه لطيف لا تحيط بكنهه الأبصار، وهو للطف إدراكه للمدركات يحيط بتلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك علما.

«الخبير» العليم ببواطن الأشياء من الخبرة، وهى العلم بالخفايا الباطنة، وقيل: هو المتكمن من الإخبار عما علمه. وحظ العبد منه: أن لا يتغافل عن بواطن أحواله، ويشتغل بإصلاحها، وتلافى ما يحدث فيها من المقابح. وعن بعض الصالحين: من عرف أنه خبير كان بزمام التقوى مشدودًا، وعن طريق المنى مصدودًا، والله الموفق.

قال الشيخ أبو القاسم: إذا علم العبد أنه تعالى مطلع على سره، عليم بأمره، يكتفي من سؤاله برفع همته، وإحضار الحاجة بقلبه من غير أن ينطق بلسانه. وحكى أن رجلا جاء إلى أبى يزيد، وقال: أيها الشيخ! إن الناس قد احتاجوا إلى المطر، فادع الله يرزقهم ذلك، فقال أبو يزيد: ياغلام! أصلح الميزاب، فلم يفرغ الغلام من إصلاح الميزاب حتى جاء المطر، ولم يتكلم بشىء.

«الحليم» هو الذى لا يستفزه غضب، ولا يحمله غيظ على استعجال العقوبة والمسارعة إلى الانتقام، وحاصله راجع إلى التنزيه عن العجلة. وحظ العبد منه: أن يتخلق به ويحمل نفسه على كظم الغيظ، وإطفاء ثائرة الغضب بالحلم. قال الشيخ أبو القاسم: وإنما يلذ حلمه لرجاء عفوه؛ لأنه إذا ستر في الحال بفضله، فالمأمول منه أن يغفر فى المآل بلطفه. وروى أن بعضهم رئى فى المنام بعد وفاته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أعطانى صحيفتى، فمررت بزلة استحييت أن أقرأها، فقلت: إلهى لا تفضحنى! قال: حين فعلتها ولم تستحي ما فضحتك، أفأفضحك وأنت تستحي!.

قال الإمام فخر الدين: ليس الوصف بالحلم أنه لا يحمله غيظ على استعجال العقوبة على الإطلاق، فإن الذى لا يعجل الانتقام إذا كان على عزمه سمى حقودًا، ولم يسم حليما ، بل الحليم هو الذى لا يقصد الانتقام على الجزم، وأعرض عن إظهاره، والعَفُوُّ هو الذى أعرض عنه بعد إظهاره. قال القاضى: الفرق بين الحقود والحليم: أن الحقود يؤخر الانتقام انتهازًا للفرصة، والحليم يؤخره انتظارًا للتوبة.

«العظيم» أصله من عظم الشىء إذا كبر عظمه، ثم استعير لكل جسم كبير المقدار كبرًا يملأ العين، كالجمل والفيل، أو كبرًا يمنع إحاطة البصر بجميع أقطاره كالأرض والسماء، ثم لكل شىء كبير القدر عظيم المرتبة على هذا القياس، والعظيم المطلق البالغ إلى أقصى مراتب

(١) الأنعام: ١٠٣.

العظمة: هو الذى لا يتصوره عقل، ولا يحيط بكنهه بصيرة، وهو الله تعالى فيرجع حاصل الاسم إلى التنزيه، والتعالى عن إحاطة العقول بكنه ذاته.

وحظ العبد منه: أن يحقر نفسه ويذللها، للإقبال على الله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه، والاجتهاد فى اقتناص مراضيه. قال الشيخ أبو القاسم: يجب أن يحمل العظيم في صفة الله تعالى على استحقاق علو الوصف من استحقاق القدم، ووجود الوحدانية والانفراد بالقدرة على الإيجاد، وشمول العلم بجميع المعلومات، ونفوذ الإرادة في المتناولات، وإدراك السمع والبصر لجميع المسموعات والمرئيات، وتنزه ذاته عن قبول الحدثان، فسبحانه من عظم لا يصادره«عن» ولا يلاصقه«إلى» ولا يحده«كيف» ولا يقابل بـ «كم»-ولا يستخبر عن ذاته بـ«أين» ولا يستخبر عن نفسه بـ«ما». ومن عرف أن مقدوراته لا نهاية لها، علم أنه لو أراد أن يخلق في لحظة عشرين ألف ألف عالم لم يكن إلا كما إذا أراد خلق بعوضة بلا تفاوت بينهما، إذ ليس خلق بقة أعظم عليه من خلق ألف عالم. واعلم أن همة العارف أعظم المخلوقات لأنه يضيع ويتلاشى فيها جملة المقدورات فضلا عن المخلوقات. سبحانه ما أعظم شأنه!.

«الغفور» كثير المغفرة، وهى صيانة العبد عما استحقه من العقاب بالتجاوز عن ذنوبه من الغفر، وهو إلباس الشىء بما يصونه عن الدنس، ولعل الغفار أبلغ منه؛ لزيادة بنائه.

وقيل: الفرق بينه وبين الغفار أن المبالغة فيه من جهة الكيفية، وفى الغفار باعتبار الكمية. ولعل إيراد كل من أبنية المبالغة من الرحمة والمغفرة فى الأسماء التسعة والتسعين لتأكيد أمرهما، والدلالة على أنه تعالى عظيم الرحمة عميمها، كثير المغفرة كبيرها، والإشعار بأن رحمته أغلب من غضبه ، وغفرانه أكبر من عقابه.

«الشكور» هو الذى يعطى الثواب الجزيل على العمل القليل، فيرجع إلى الفعل. وقيل: هو المثنى على العباد المطيعين، فيرجع إلى القول. وقيل: معناه المُجازي عباده على شكرهم، فيكون الاسم من قبيل الازدواج، كما سمى جزاء السيئة سيئة. وحظ العبد منه: أن يعرف نعم الله تعالى، ويقوم بمواجب شكره، ويواظب على وظائفه، وأن يكون شاكراً للناس معروفهم، لأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

قال الشيخ أبو القاسم: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، ثم العبد يثنى على الرب بذكر إحسانه الذى هو نعمته، والرب يثنى على عبده بأن يمدحه، ويذكر إحسانه وطاعاته. وقد قيل: إن الشكور فى وصفه بمعنى أنه يعطى الثواب الكثير على اليسير من الطاعة. حكى أن رجلا ر ئى فى المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: حاسبنى، فخفت كفة حسناتى، فوقعت فيها صرة، فثقلت، فقلت: ما هذا؟ قال: كف تراب ألقيته فى قبر مسلم.

قال تعالى: «**وقليل من عبادى الشكور**»[1]. وقال بعضهم: قليل من عبادى من يشهد النعمة منى، لأن حقيقة الشكر الغيبة عن شهود النعمة بشهود المنعم، وقيل: هم الأكثرون وإن قلُّوا، ومواضع الأنس حيث حلُّوا.

«العلى» فعيل من العلو، ومعناه البالغ فى علو الرتبة إلى حيث لا رتبة إلا وهى منحطة عنه، وهو من الأسماء الإضافية . قال بعض الصالحين: العلى الذى علا عن الدرك ذاته، وكبر عن التصور صفاته. وقال آخر: هو الذى تاهت الألباب فى جلاله، وعجزت العقول عن وصف كماله. وحظ العبد منه: أن يذل نفسه في طاعة الله ويبذل جهده في العلم والعمل، حتى يفوق جنس الإنس في الكمالات النفسانية، والمراتب العلمية والعملية.

قال الشيخ أبو القاسم: ومن علوه وكبريائه أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيرًا، ولا بإجلالهم له جليلا، بل من وفقه لإجلاله فبتوفيقه أجله، ومن أيده بتكبيره وتعظيمه، فقد رفع محله، لا يلحقه نقص فيجبر ذلك بتوحيد عباده، فهو العزيز الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يتوجه عليه سبة ولا لوم. ومن حق من عرف عظمته: أن لا يذل لخلقه ويتواضع لهم، فإن من تذلل لله فى نفسه رفع الله قدره على أبناء جنسه. وقيل: المؤمن له العزة لا الكبر، وله التواضع لا المذلة.

«الكبير» نقيض الصغير، وهما فى الأصل يستعملان للأجسام باعتبار مقاديرها، ثم لعالى الرتبة ودانيها، قال الله تعالى حكاية عن فرعون: «**إنه لكبيركم الذي علمكم السحر**»[2] والله سبحانه وتعالى كبير بالمعنى الثانى، إما باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها، من حيث أنه قديم، أزلى، غنى، على الإطلاق، وما سواه حادث بالذات، نازل فى حضيض الحاجة والافتقار، وإما باعتبار أنه كبير عن مشاهدة الحواس، وإدراك العقول. وعلى الوجهين فهو من أسماء التنزيه. وحظ العبد منه: أن يجتهد فى تكميل نفسه علما وعملا، بحيث يتعدى كماله إلى غيره، ويقتدى بآثاره، ويقتبس من أنواره، قال عيسى عليه السلام: من علم وعمل، فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السماء.

«الحفيظ» الحفظ صون الشىء عن الزوال والاختلال، إما فى الذهن، وبإزائه النسيان، وإما في الخارج، وبإزائه التضييع. والحفيظ يصح إطلاقه على الله تعالى بكل واحد من الاعتبارين، فإن الأشياء كلها محفوظة في علمه تعالى، لا يمكن زوالها عنه بسهو أو نسيان، وإنه تعالى يحفظ الموجودات عن الزوال والاختلال ما شاء، ويصون المتضادات والمتعاديات بعضها عن

(١) سبأ: ١٣ .   (٢) طه: ٧١.

بعض، فيحفظها في المركبات محمية عن إفناء بعضها بعضًا، فلا يطفىء الماء النار، ولا تحلل النار الماء. ويحفظ على العباد أعمالهم، ويحصى عليهم أفعالهم، وأقوالهم. وحظ العبد منه: أن يحفظ سره عن اتباع الشبهات والبدع، وجوارحه عن انقياد الشهوات والغضب، ويختار قصد الأمور، ويحفظ نفسه عن الميل إلى طرفي الإفراط والتفريط. والعارف خصوصًا أن يحفظ باطنه عن ملاحظة الأغيار، وظاهره عن موافقة الفجار.

قال الشيخ أبو القاسم: ومن حفظه تعالى لأوليائه صيانة عقودهم في التوحيد عن اكتفائهم بالتقليد ، وتحقيق العرفان في أسرارهم بجميل التأييد، وليس كل الحفظ أن يحفظ عبدًا بين البلاء عن البلاء؛ وإنما الحفظ أن يحفظ قلبًا على خلوص المعرفة من الأهواء، حتى لا يزل عن الطريقة المثلى، ولا يحيد إلى البدع والهوى. وقيل: من حفظ لله جوارحه، حفظ الله عليه قلبه، لا بل من حفظ لله حقه حفظ الله عليه حظه. وحكى : أن بعض الصالحين وقع بصره يومًا على محظور، فقال: إلهى إنما أريد بصرى لأجلك، فإذا صار سببًا لمخالفة أمرك فاسلبنيه، فعمى. وكان يصلي بالليل، فاحتاج إلى الطهارة، ولم يتمكن منها فقال: إلهى إنما قلت خذ بصرى لأجلك، فالليل أحتاج لأجلك، فعاد إليه بصره.

«المقيت» خالق الأقوات البدنية، والروحانية، وموصلها إلى الأشباح والأرواح، وفى الحديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقيت»، فهو من صفات الأفعال. وقيل: هو المقتدر بلغة قريش. قال الشاعر:

وذى ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على إساءته مقيتًا

وقيل: الشاهد والمطلع على الشىء، من أقات الشىء إذا شهد عليه، فهو على الوجهين من صفات الذات. وحظ العبد منه: أن يصير نافعًا هاديًا، يطعم الجائع، ويرشد الغافل.

قال الشيخ أبو القاسم: وإذا اختلفت الأقوات، فمن عباده من يجعل قوت نفسه توفيق العبادات، وقوت قلبه تحقيق المعارف والمكاشفات، وقوت روحه إدامة المشاهدات والمؤانسات، خص كلا بما يليق به على ما سبق فيه الاختيار، وحق فيه القول، وإذا شغل عبد بطاعاة الله أقام لأجله من يقوم بشغله، وإذا رجع إلى متابعة شهوته، وتحصيل أمنيته، وكله إلى حوله وقوته، ورفع عنه ظل عنايته.

«الحسيب» الكافى فى الأمور، قال الله تعالى: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»[1] من أحسبنى إذا كفانى، فعيل بمعنى مفعل، كأليم، والحسيب المطلق هو الله تعالى، إذ لا يمكن أن تحصل الكفاية في جميع ما يحتاج إليه الشىء فى وجوده وبقائه، وكماله البدنى والروحانى

(١) الطلاق : ٣.

بأحد سواه. وقيل: المحاسب يحاسب الخلائق يوم القيام، فعيل بمعنى مفاعل، كالجليس والنديم، فمرجعه بالمعنى الأول إلى الفعل، وبالمعنى الثانى إليه أن جعل المحاسبة عبارة عن المكافأة، وإلى القول إن أريد بها السؤال والمعاتبة، وتعداد ما عملوا من الحسنات والسيئات، وكأنه جمع بين المعنيين مَن قال: الحسيب من يعد عليك أنفاسك، ويصرف بفضله عنك بأسك. وقيل: الشريف، والحسب الشرف.

وحظ العبد منه: أن يتسبب لكفاية حاجات المحتاجين، وسد خلتهم، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويشرف نفسه بالمعرفة والطاعة. قال الشيخ أبو القاسم: كفاية الله للعبد أن يكفيه جميع أحواله وأشغاله، وأجل الكفايات أن لا يعطيه إرادة الشيء، فإن سلامته عن إرادة الأشياء حتى لا يريد شيئًا أتم من قضاء الحاجة، وتحقيق المأمول. ومن علم أن الله تعالى كافيه لا يستوحش من إعراض الخلق ثقة بأن الذى قسم له لا يفوته وإن أعرضوا، وأن الذى لم يقسم لا يصل إليه وإن أقبلوا عليه، وقيل فى معناه: إن كان الله معك، فمن تخاف؟ وإن كان الله عليك، فمن ترجو؟ثم إن العبد إذا اكتفى بحسن توليته تعالى لأحواله فعن قريب يرضيه بما يختار له مولاه، فعند ذلك يؤثر العدم على الوجود، والفقر على الغنى، ويستروح إلى عدم الأسباب. وقيل: إن فتحًا الموصلى رجع ليلة إلى بيته فلم يجد عشاء، ولا سراجًا، ولا حطبًا، فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع إليه، ويقول: إلهى! لأى سبب، وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما تعامل به أولياءك!.

«الجليل» المنعوت بنعوت الجلال، وهى من الصفات التنزيهية، كالقدوس والغنى. قال الإمام الرازى: الفرق بينه وبين الكبير العظيم: أن الكبير اسم الكامل في الذات، والجليل اسم الكامل في الصفات، والعظيم اسم الكامل فيهما. وحظ العبد منه: أن ينزه نفسه عن العقائد الزائغة، والخيالات الفارغة، والأخلاق الذميمة، والأفعال الدنية*.

قال الشيخ أبو القاسم: إن الله تعالى جعل يقلب قلوب العابدين بين شهود ثوابه وأفضاله، وشهود عذابه وأنكاله، فإذا فكروا فى إفضاله ازداد رغبتهم، وإذا فكروا فى عذابه وإنكاله ازداد رهبتهم، وأنه جعل تنزه أسرار العارفين في شهود جلاله وجماله، إذا كوشفوا بنعت الجلال، فأحوالهم طمس فى طمس، وإذا كوشفوا بوصف الجمال، فأحوالهم أنس فى أنس، فكشف الجلال يوجب محوًا وغيبة، وكشف الجمال يوجب صحوًا وقربة، فالعارفون كاشفهم بجلاله، فغابوا، والمحبّون كاشفهم بجماله، فطابوا، والحقائق إذا اصطلمت القلوب، لا تبقي ولا تذر، والمعاني إذا استولت على الأسرار، فلا عين ولا أثر. وإن للعلوم على القلوب مطالبات، وللحقائق سلطان يغلب على أقسام الترتيب ، فالحال تؤذن حتى ليس الأقرب، والحقائق تبرز نعت الصمدية حتى لا قرب، وأنشد:

* فى (ط) الدميمة.

بأى نواحى الأرض أبغى وصالكم وأنتم ملوك ما لمقصدكم نحو

«الكريم» المفضل. الذى يعطى من غير مسألة ، ولا وسيلة، وقيل: المتجاوز الذى لا يستقصى فى العتاب. وقيل: المقدس عن النقائص والعيوب. من قولهم: كرائم الأموال لنفائسها. ومنه سمى شجر العنب كرمًا، لأنه طيب الثمرة، قريب المتناول، سهل القطاف، عار عن الشوك، بخلاف النخل، وحظ العبد منه: أن يتخلق به، فيعطى من غير موعدة، ويعفو عن مقدورة، ويتجنب عن الأخلاق المردية، والأفعال المؤذية.

قال الشيخ أبو القاسم: قيل: الكريم هو الذى إذا أذنبت اعتذر عنك، وإذا هجرت وصلك، وإذا قدم من السفر زارك، وإذا افتقر أحسن إليك ببقية ماله. وقيل: الكريم الذى يرى لمن يقبل عطاءه منة على نفسه. وقيل: الكريم هو الذى إذا رفعت إليه حاجتك عاتب نفسه، كيف لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله. وأنشد في المعنى الأول:

إذا شئت أن تدعى كريمًا مكرمًا حليما ظريفًا ماجدًا فطنًا* حرًا

إذا ما بدا من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عـذرًا

«الرقيب» الحفيظ الذى يراقب الأشياء ويلاحظها، فلا تعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء. وحظ العبد منه: أن يراقب أحوال نفسه، ويأخذ حذره من أن ينتهز الشيطان منه فرصة، فيهلكه على غفلة فيلاحظ مكامنه ومنافذه، ويسد عليه طرقه ومجاريه. قال الشيخ أبو القاسم: المراقبة عند هذه الطائفة هى أن يصير الغالب على العبد ذكره بقلبه، ويعلم أن الله تعالى مطلع عليه، فيرجع إليه فى كل حال، ويخاف سطوات عقوبته فى كل نفس، ويهابه فى كل وقت، فصاحب المراقبة يدع من المخالفات استحياء منه وهيبة له، أكثر مما يترك من يدع من المعاصى لخوف عقوبته، وأن من راعى قلبه، عد مع الله أنفاسه، فلا يضيع مع الله نفسًا، ولا يخلو عن طاعته لحظة، كيف وقد علم أن الله يحاسبه على ما قل وجل.

وحكى عن بعضهم: أنه ر ئ في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى وأحسن إلى إلا أنه حاسبنى حتى طالبنى بيوم كنت صائمًا، فلما كان وقت الإفطار أخذت حنطة من حانوت صديق لى فكسرتها، فذكرت أنها ليست لى، فألقيتها على حنطته، فأخذ من حسناتى مقدار كسرها. ومن تحقق ذلك لم يزج فى البطالات عمره، ولم يمحق فى الغفلات وقته.

«المجيب» هو الذى يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، أو يسعف السائل إلى ما التمسه واستدعاه، وحظ العبد منه: أن يجيب ربه أولا فيما أمره ونهاه، ويتلقى عباده بلطف الجواب وإسعاف السؤال. قال الشيخ أبو القاسم: في الخبر «إن الله يستحيي أن يرد يد عبده صفرًا» وأنه تعالى

* كذا فى الأصول (ط)، (ك).

إذا علم من أخطر من أوليائه حاجتهم ببالهم يحقق لهم مرادهم قبل أن يذكروا بلسانهم، وربما يضيق عليهم الحال حتى إذا يئسوا وظنوا أنه لا يجيبهم، يتداركهم بحسن إيجا ده ودليل وجميل إمداده.

«الواسع» مشتق من السعة، وهى تستعمل حقيقة باعتبار المكان، وهى لا يمكن إطلاقها على الله تعالى بهذا المعنى، ومجازًا في العلم والإنعام، والمكنة والمغنى، قال تعالى: **«وسعت كل شيء رحمة وعلما»**(١) وقال تعالى: **«لينفق ذو سعة من سعته»**(٢) ولذلك فسر الواسع بالعالم المحيط علمه بجميع المعلومات كليها وجزئيها، موجودها ومعدومها، وبالجواد الذى عمت نعمته، وشملت رحمته كل بر وفاجر، ومؤمن وكافر، وبالغنى التام الغنى المتمكن مما يشاء. وعن بعض العارفين: الواسع الذى لا نهاية لبرهانه، ولا غاية لسلطانه، ولا حد لإحسانه.

وحظ العبد منه: أن يسعى فى سعة معارفه وأخلاقه، ويكون جوادًا بالطبع، غنى النفس لا يضيق قلبه بفقد الفائت، ولا يهتم بتحصيل المآرب. قال الشيخ أبو القاسم: من الواجب على العبد أن يعلم أنه ليس كل إنعامه انتظام أسباب الدنيا، والتمكن من تحصيل المنى، والوصول إلى الهوى؛ بل ألطاف الله تعالى إلى ما يزوى عنهم للدنيا أكثر، وإحسانه إليهم أوفر، وإن قرب العبد من الرب تعالى على حسب تباعده عن الدنيا. وفى بعض الكتب: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتى.

«الحكيم» ذو الحكمة، وهى عبارة عن كمال العلم، وإحسان العمل والإتقان فيه. وقد يستعمل بمعنى العليم، والمحكم. وقيل: هو مبالغة الحاكم، فعلى الأول مركب من صفتين إحداهما من صفات الذات، والأخرى من صفات الأفعال، وعلى الثانى يرجع إلى القول. وعن بعضهم: الحكيم هو الذى يكون مصيبًا فى التقدير، ومحصيًا في التدبير. وحظ العبد من هذا الاسم: أن يجتهد في تكميل القوة النظرية بتحصيل المعارف الإلهية، واستكمال القوة العملية بتصفية النفس عن الرذائل ، والميل إلى الدنيا، والرغبة فى زخارفها، والاشتغال بما يوجب الزلفى من الله تعالى حتى يندرج تحت«من» في قوله تعالى: **«ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا»**(٣).

قال الشيخ أبو القاسم: من حكمه على عباده وتخصيصه قومًا بحكم السعادة من غير استحقاق وسبب، ولا جهد وطلب، ولا زيادة أدب ولا شرف نسب، بل تعلق العلم القديم بإسعاده، وسبق الحكم الأولى بإيجاده؛ وخص قومًا بطرده وإبعاده، ووضع قدره بين عباده من غير جرم سلف، ولا ذنب اقترف، بل حقت الكلمة عليه بشقاوته، ونفذت المشيئة بجحد قلبه

---

(١) غافر: ٧ . (٢) الطلاق: ٧.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

وقساوته. فالذى كان شقيًا فى حكمه، أبرزه فى نطاق أوليائه، ثم حطه أبلغ حط، وقال: «**فمثله كمثل الكلب**»[1]. والذى كان سعيدًا فى حكمه خلقه فى صورة الكلب، ثم حشره في جملة أوليائه، وذكره فى جملة أصفيائه، فقال: «**رابعهم كلبهم**»[2]، وقال: «**وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**»[3].

«الودود» مبالغة الواد. ومعناه: الذي يحب الخير لجميع الخلائق، ويحسن إليهم فى الأحوال كلها. وقيل: المحب لأوليائه. وحاصله يرجع إلى إرادة مخصوصة. وحظ العبد منه: أن يريد للخلق ما يريد لنفسه، ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعه، ويحب الصالحين من عباده. قال الشيخ أبو القاسم: قيل: إنه **فعول بمعنى الفاعل**، كما يقال: رجل قتول، إذا كان كثير القتل. وقيل: إنه بمعنى المفعول، كقولهم: ناقة حلوب، بمعنى محلوبة، فمعنى «الودود» فى وصفه أنه يود المؤمنين، ويودونه، قال تعالى: «**يحبهم ويحبونه**»[4]. ومعنى المحبة فى صفة الحق لعباده تكون بمعنى رحمته عليهم، وإرادته للجميل لهم، ومدحه لهم، وبمعنى إنعامه عليهم، وإحسانه إليهم. ومحبة العبد لله تعالى تكون بمعنى طاعته له، وموافقته لأمره، وتكون بمعنى تعظيمه له، وهيبته عنه.

وقد تكلموا فى اشتقاق المحبة على وجوه: أحدها: أنه من حبب الإنسان، وهو صفاؤها ونضارتها، فمحبة العبد صفاء وقته، وضياء أحواله. وذلك لتنزهه عن الغفلات، وتباعده عن العلات، وتنقيه عن أوضار المخالفات، وتوقيه من أدناس الزلات. وثانيها: أنه من قولهم: أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح، فالمحب أبدًا يكون مقيما على باب محبوبه بنفسه وبدنه، فإن لم يمكنه فبقلبه وروحه، والمحب يصل سيره بسراه، ويدع هواه فى رضاه. وأنشد:

أحبكم ما دمت حيًا فإن أمت يحبك عظم فى التراب رميم

يهجر فيأبى إلا الوصال، ويقابل بالصد والرد، والإهانة والطرد، والتنفير والبعد، ولا يزداد بالظاهر إلا جهدًا على جهد، وبالباطن إلا وجدًا على وجد، يؤثر العز على الذل، والبعد على القرب. وأنشد:

رأيتـك يدنينى إليــك تباعدى فباعــدت نفسى لابتغاء التقرب

وثالثها: أنه من الحب، وهو القرط، سمى حبًا لقلقه واضطرابه، كما أن القرط لا يستقر بل يضطرب دائمًا، كذلك المحب عديم القرار، فقيد الاضطبار لا يسكن أنينه، ولا يهدأ حنينه، نهاره ليل، وليله ويل، ونومه مفقود، وفى قلبه وقود.

---

(1) الأعراف: ١٧٦. (2) الكهف: ٢٢.
(3) الكهف: ١٨. (4) المائدة: ٥٤.

ورابعها: أنها من الحبة، وهى بذور تنبت في الصحراء، فالمحبة شجرة تغرس فى الفؤاد، وتسقى بماء الوفاء، أصلها ثابت في السر، وفرعها ثابت في الهوى، وثمراتها لطائف الأنس تؤتى أكلها دائمًا، جوره أحلى من عدله، ومنعه أشهى من بذله، ورده أحظى من قبوله، ولا يودى قتيله، ولا يسلك إلا بنعت التحمل سبيله.

«المجيد» مبالغة الماجد من المجد، وهو سعة الكرم، من قولهم: مجدت الماشية إذا صادفت روضة أنفا، وأمجدها الراعى. ومنه قولهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، والمرخ والعفار شجرتان إذا دلكت أحدهما بالأخرى اصطلم النار منهما. واستمجد أى استكثر. وحظ العبد منه: أن يعامل الناس بالكرم وحسن الخلق، ليكون ماجدًا فيما بينهم.

قال الشخ أبو القاسم: «المجيد» فى وصفه تعالى، قيل: بمعنى العظيم الرفيع القدر، فهو فعيل بمعنى مفعل. وقيل: معناه الجميل العطاء، فهو **فعيل بمعنى فاعل مبالغة**. وكل وصف من أوصافه يحتمل معنيين، فمن أثنى عليه بذلك الوصف فقد أتى بالمعنيين، وكل من قال له مجيد فقد وصفه بأنه عظيم رفيع القدر، وأنه محسن جزيل البر. ومن أعظم ما ينعم الله على عباده، حفظه عليهم توحيدهم ودينهم، حتى لا يزولوا ولا يزيغوا، إذ لولا لطفه وإحسانه لضلوا وارتدوا. ومن وجوه إحسانه إليهم الذى لا يخفى على أكثر الخلق حفظه عليهم قلوبهم، وتصفيته لهم أوقاتهم، فإن النعمة العظمى نعم القلوب كما أن المحنة الكبرى محن القلوب. ويحكى عن بعضهم قال: رأيت رجلا يطوف بالبيت، وهو يقول: واوحشتاه بعد الأنس! واذلاه بعد العز! وافقراه بعد الغنى! قال: فقلت: أذهب لك مال أم أصابتك مصيبة؟ قال: لا، ولكن كان لى قلب فقدته.

«الباعث» هو الذى يبعث* ما فى القبور، ويحيي الأموات يوم النشور. وقيل: هو باعث الرسل إلى الأمم. وقيل: هو باعث الهمم إلى الترقى فى ساحات التوحيد، والتنقى من ظلم صفات العبيد، وهو فى الجملة من صفات الأفعال. وحظ العبد منه: أن يؤمن أولاً بمعنييه، ويكون مقبلاً بشراشره على استصلاح المعاد، والاستعداد ليوم التناد، منقادًا بطبعه للرسل، سالكًا ما يهديهم من السبل، ويحيى النفوس الجاهلة بالتعليم والتذكير، فيبدأ بنفسه، ثم بمن هو أقرب منه منزلة وأدنى رتبة. ويكون معنى الباعث فى وصفه أنه يبعث الخواطر الخفية فى الأسرار، فمن دواع تبعثها إلى الحسنات، ومن دواع تبعثها إلى السيئات، ومن موفق لاستحقاق و[1] طلب، ومن مخذول لا لعلة وسبب.

«الشهيد» من الشهود، وهو الحضور، ومعناه العليم بظاهر الأشياء، وما يمكن مشاهدتها، كما أن الخبير هوالعليم بباطن الأشياء، وما لم يمكن الإحساس بها. وقيل: مبالغة الشاهد،

---

(١) وفي النسخ كلها بسقوط الواو، ولكن زدناه للمعنى مصحح (ط).

* فى (ط) يبعثر.

والمعنى أنه تعالى يشهد على الخلق يوم القيامة، وهو على الوجهين من صفات المعانى؛ لأن مرجعه إما إلى العلم أو إلى الكلام.

وحظ العبد منه: أن يسعى في التزكية والتصفية حتى يصير من أهل الشهود، وينخرط فى سلك المخاطبين بقوله تعالى: «**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا**»[1]. قال الشيخ أبو القاسم: إن أهل المعرفة لم يطلبوا مع الله مؤنسًا سواه، ولا أحدًا يشكون بين يديه غيره، بل رضوا به شهيدًا لأحوالهم عليما بأمورهم، وكيف لا، وهو يعلم السر وأخفى، ويسمع النجوى، ويكشف البلوى، ويجزل الحسنى، ويصرف الردى، وأنشد:

أنتم سرورى وأنتم مشتكى حزنى ... وأنتم فى سواد الليل سمـــارى

وإن تكلـــمت لم ألفـــظ بغيركـــم ... وإن سكت فأنتم عقد إضمارى

«الحق» الثابت، وبإزائه الباطل الذى هو المعدوم، والثابت مطلقًا هو الله سبحانه، وسائر الموجودات من حيث إنها ممكنة لا وجود لها فى حد ذاتها، ولا ثبوت لها من قبل أنفسها، وإياه عنى الشاعر بقوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وهو بهذا المعنى من صفات الذات. وقيل: معناه المحق، أى المظهر للحق، أو الموجد للشيء حسبما تقتضيه الحكمة، فيكون من صفات الأفعال.

وحظ العبد منه: أن يرى الله تعالى حقًا وما سواه باطلا فى ذاته، حقًا بإيجاده واختراعه، وأن له حكمة ولطفًا فى كل ما يوجده، وإن خفى علينا كنهه. قال الشيخ أبو القاسم: الحق والحقيقة من صفات الخلق في اصطلاح هذه الطائفة، يعنون بالحق ما يعود إلى العقائد وأوصاف القلوب في المعارف، وبالحقيقة المعاملات والمنازلات، ومأخذ هذا الاصطلاح خبر حارثة حين قال له النبي ﷺ: «لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: أسهرت ليلى، وأظمأت نهارى» فأشار بالحقيقة إلى المعاملات من سهر الليل وظمأ النهار.

«الوكيل» القائم بأمور العباد، وتحصيل ما يحتاجون إليه. وقيل: الموكول إليه تدبير البرية، وهذا الأمر ينبىء عن أمرين: أحدهما عجز الخلق عن القيام بمجامع أمورهم كما ينبغى، إذ الغالب أن العاقل لا يكل أمره إلى غيره إلا إذا تعذر، أو تعسر عليه. وثانيهما: أنه تعالى عالم بحالهم قادر على ما يحتاجون إليه، رحيم بهم، فإن من لم يستجمع هذه الصفات لا يحسن توكيله.

---

(١) البقرة: ١٤٣.

وحظ العبد منه: أن يكل إليه، ويتوكل عليه، ويستكفى بالاستعانة به عن الاستمداد بغيره، ويقوم بأمور الناس، ويسعى في إنجاح مآربهم، وتحصيل مطالبهم. قال الشيخ أبو القاسم: إذا تولى الله تعالى أمر عبد بجميل الكفاية، كفاه كل شغل، وأغناه عن كل غير ومثل. فلا يستكثر العبد حوائجه؛ لأنه يعلم أن كافيه مولاه، ولهذا قيل: من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل. ومن عرف أنه وكيله، وصدق عليه تعويله، فبالحرى أن يكون وكيله تعالى على نفسه فى استيفاء حقوقه ولوازمه، واقتضاء أوامره وفرائضه ، فيكون خصمه تعالى على نفسه ليلاً ونهارًا، ولا يفتر لحظة، ولا يجوز التقصير منه. وأنشد:

عليَّ رقيب منك حال بمهجتي إذا رمت تسهيلاً عليَّ تصعبا

«القوى، المتين» القوة تطلق على معانى مرتبة ، أقصاها القدرة التامة البالغة إلى الكمال، والله تعالى قوى بهذا المعنى، والمتانة شدة الشيء واستحكامه، وهى في الأصل مصدر متن إذا قوى ظهره، ومرجعهما إلى الوصف بكمال القدرة وشدتها. وحظ العبد منه: أن يقوى نفسه بحيث يغلب أولا على هواه، فيؤثر فيه ولا يتأثر عنه، ثم إلى ما عداه فلايلتفت إلى سوى الله، ولا ينغفل* عنه.

قال الشيخ أبو القاسم: اعلم أنه تعالى على ما يشاء قدير، لا يخرج عن قدرته مقدور، كما لا ينفك عن حكمته مفطور، وهو تعالى فى إمضائه غير مستظهر بجند ومدد، ولا يستعين بجيش وعضد، إن أراد إهلاك عبد أهلكه بيده، حتى يخرج على نفسه فيتلف نفسه إما خنقًا أو غرقًا، سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول: خف من لا يحتاج إلى عون عليك، بل لو شاء إتلافك أخرجك على نفسك، حتى يكون هلاكك على يدك. وأنشد:

إلى حتفي مشى قدمى أرى قـدمى أراق دمـى

ومن علم أن مولاه قدير على ما يريد، يقطع رجاءه عن الأغيار، ويفرد سره لمن لم يزل ولا يزال.

«الولى» المحب الناصر، وقيل: معناه متولى أمر الخلائق. وحظ العبد منه: أن يحب الله ويحب أولياءه، ويجتهد فى نصره ونصر أوليائه، وقهر أعدائه، ويسعى في ترويج حوائج الناس ونظم مصالحهم، حتى يتشرف بهذا الاسم. قال الشيخ أبو القاسم: ومن أمارات ولايته لعبد أن يديم توفيقه حتى لو أراد سوءًا، أو قصد محظورًا عصمه عن ارتكابه، ولو جنح إلى تقصير في طاعته أبى إلا توفيقًا له وتأييدًا، وهذا من أمارات السعادة، وعكس هذا من أمارات الشقاوة.

ومن أمارات ولايته: أن يرزقه مودة فى قلوب أوليائه، فإنَّ الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه في كل وقت، فإذا رأى في قلوبهم لعبد محلا نظر إليه باللطف، وإذا رأى همة ولى من أوليائه بشأن عبد، أو سمع دعاء ولى فى شأن شخص، يأبى إلا الفضل والإحسان إليه، بذلك أجرى

* فى (ط) (ينفصل)، والتصويب من (ك).

سنته الكريمة. وسمعت الشيخ أبا عليٍّ الدقاق يقول: لو أن وليًا من أولياء الله مر ببلدة، لنال بركات مروره أهل تلك البلدة، حتى يغفر الله لهم كلهم، قال الله تعالى: «ولم يكن له ولى من الذل»(١) فأولياؤه يكونون فى العز فى دنياهم وعقباهم، وآخرتهم وأولاهم. جعلنا الله منهم بفضله ورحمته*.

«الحميد» المحمود المستحق للثناء، فإنه الموصوف بكل كمال، والمولى لكل نوال، وإن من شىء إلا يسبح بحمده بلسان الحال، فهو الحميد المطلق. والحمد أعم من الشكر من حيث إنه يطلق بمعنى الثناء على الجميل من الصفات والأفعال، يقال: حمدت فلانًا على علمه وكرمه. والشكر مخصوص بالنعم وإن كان الشكر أعم منه من حيث إنه يكون باللسان والقلب والجوارح، والحمد لا يكون إلا باللسان. وحظ العبد منه: أن يسعى لينخرط فى سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لا لغيره، وأن يستضىء بانعكاس نور هذا الاسم إذا سعى قدر ما يقدر فى تنقيح عقائده، وتهذيب أخلاقه، وتحسين أعماله، ثم إنه بعد لم يخل عن مذمة خلقه، أو منقصة خلقته لا يستطيع التفصى عنه.

قال الشيخ أبو القاسم: حمد العبد لله تعالى الذى هو شكره ينبغى أن يكون على شهود المنعم؛ لأن حقيقة الشكر الغيبة بشهود المنعم عن شهود النعمة. وقيل: إن داود عليه السلام قال في مناجاته: إلهى كيف أشكرك، وشكرى لك نعمة منك على؟ فأوحى الله إليه: الآن قد شكرتنى. وكم من عبد يتوهم أنه في نعمة يجب عليه شكرها، وهو فى الحقيقة فى محنة يجب عليه الصبر عنها، فإن حقيقة النعمة ما يوصلك إلى المنعم لاما يشغلك عنه، فإذن النعم ما كان دينيًا، فإن كان مع النعم الدينية راحات معجلة، فهو الكمال، فإن وجد التوفيق للشكر فذاك، وإلا انقلبت النعمة محنة.

«المحصى» العالم الذى يحصى المعلومات، ويحيط بها إحاطة العاد بما يعده. وقيل: القادر الذى لايشذ عنه شىء من المقدورات، وقد سبق الكلام فى شرح الإحصاء في أول الباب. والعبد وإن أمكنه إحصاء بعض المعلومات، والوصول إلى بعض ما يقدر عليه، لكنه يعجز عن إحصاء أكثرها، فينبغى أن يحصى ما قدر عليه من أعمال نفسه قبل أن يحصى، ويتلافي مقابح أعماله قبل أن يجازى. قال الشيخ أبو القاسم: ومن آداب من علم أنه المحصى: أن يتكلف عد آلائه لديه وإن علم أنه لا يحصيها، قال الله تعالى: «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»(٢) ليزجى وقته بذكر إنعامه، وشكر أقسامه، مستوجب المزيد من عوائد إحسانه.

رئى بعضهم يعد تسبيحاته، فقيل له: أتعد عليه؟ قال: لا ولكن أعد له. فيجب أن يراعى

(١) الإسراء: ١١١. (٢) إبراهيم : ٣٤.

* هذا المعنى بعيد عن سياق الآية، ومخالف لتأويل السلف لها، وانظر تفسير ابن كثير أو الطبرى على سبيل المثال لكى تتبين بعد هذا التأويل.

المُحيي، المُميتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الواجِدُ، الماجِدُ، الواحِدُ، الأحَدُ، الصمد، القادر، المقتدر، المقدِّم، المؤخِّر، الأوَّلُ، الآخِرُ، الظاهِرُ، الباطِنُ، الوالي،

أيامه، ويعد آثامه، فيشكر جميل ما يوليه ربه، ويعتذر من قبيح ما تأتيه نفسه، ويذكر الأيام الماضية.

والتأسف على ما سلف من الأوقات الصافية صفة الأكثرين من هذه الطائفة؛ إذ قل كثير منهم إلا ولهم من هذه القصة حصة، وها هو سيد هذه الطائفة أبو القاسم جنيد، يقول: لا أزال أحن إلى بدو إرادتي وحدة سمعي وركوبي الأهوال، طمعًا في الوصال، وها أنا في أوقات الفترة أبكي على الأيام الماضية. وأنشد:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام كنت على الأيام منصور

قال الله تعالى: «**وذكرهم بأيام الله**»[1]، واعجبًا للقلوب التي منيت بالبعاد بعد الوصلة، وأطلقها سبحانه الغيبة بعد أنس القربة! كيف لا تنقطع أسفًا، ولا تتفتت حسرة ولهفًا؛ لأن هذا العظيم من المحنة شديد الوقعة.

«المبدىء، المعيد» قال الشيخ أبو القاسم: المبدىء المظهر للشيء من العدم إلى الوجود، وهو بمعنى الخالق المنشىء، والإعادة خلق الشيء بعد ما عدم، والله تعالى قادر على إعادة المحدثات (إذا عدمت جواهرها وأعراضها)*، خلافًا لمن قال: الإعادة خلق مثله لا إعادة عينه.

وذلك إذا كان مقدورا قبل أن خلقه، فإذا عدم بعد وجوده أعاد إلى ما كان قبله عليه. ويجوز أن تكون الإعادة جمع الأجزاء المتفرقة من المكلفين، فإذا بعث الخلق وحشرهم فقد أعادهم.

وحظ العبد منه: أن يسعى في إبداء الخيرات، وتأسيس الحسنات، وإعادة ما انقطع عنها، واضمحل حتي يصير ذا حظ من آثار هذين الاسمين العظيمين. ومن معنى هذا الاسم إعادة الله تعالى للعبد عوائده، وفوائده وألطافه، وإحسانه وإسعافه، وقد أجرى الله تعالى سنته بأن ينعم على عباده عودًا على بدء، وأن الكريم من يربي صنائعه. وأنشد:

بدأت بإحسان، وثنيت بالرضا وثلثت بالنعمى، وربعت بالفضل

«المحيي المميت» الإحياء خلق الحياة في الجسم والإماتة إزالتها عنه. فإن قيل: الموت عدم الحياة، والعدم لا يكون بالفاعل. قلت: العدم الأصلي كذلك، فأما العدم المتجدد، فهو بالفاعل، ولكن الفاعل لا يفعل العدم، وإنما يفعل ما يستلزمه، قال الله تعالى: «**وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم**»[2] أسند الموت الثاني إلى أفعاله دون الموت الأول، المراد به

---

(١) إبراهيم: ٥. (٢) البقرة: ٢٨.

* في (ط) (إذا عدمته جواهرها أعراضها) وهو خطأ.

العدم الأصلى. قال بعض الصالحين: المحيى من أحيا قلوب العارفين بأنوار معرفته، وأرواحهم بلطف مشاهدته، والمميت من أمات القلوب بالغفلة، والنفوس باستيلاء الزلة، والعقول بالشهوة.

وحظ العبد: أن تسعى روحه بالمعارف الإلهية، والاستعداد لقبول الواردات الغيبية، وإماتة القوى الغضبية والشهوية فى نفسه. قال الشيخ أبو القاسم: من أقبل عليه الحق أحياه، ومن أعرض عنه أماته وأفناه، ومن قربه أحياه، ومن غيبه أماته وأفناه. وأنشد:

أموت إذا ذكرتك ثم أحيى فكم أحيى عليك وكم أموت

«الحي» ذو الحياة، وهو الفعال الدراك، واختلف فى معنى الحياة، فذهب أكثر أصحابنا، والمعتزلة إلى أنه صفة حقيقية قائمة بذاته لأجلها، صح لذاته أن يعلم ويقدر. وذهب آخرون إلى أن معناها: أنه لا يمتنع منه أن يعلم ويقدر، هذا فى حقه، وأما فى حقنا: فعبارة عن اعتدال المزاج المخصوص بجنس الحيوان. وقيل: هوالقوة التابعة له، المعدة لقبوله الحس والحركة الإرادية.

وحظ العبد منه: أن يصير حيًا بالله حتى لا يموت، كما قال تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم**﴾[1] قال الشيخ أبو القاسم: إذا علم العبد أنه تعالى حى وعالم، وأنه حى لا يموت، وقديم وقائم، لا يجوز عليه العدم، صح توكله عليه، ولهذا قال تعالى: «**وتوكل على الحى الذى لا يموت**»[2] أى أن من اعتمد على مخلوق، واتكل عليه ليوم حاجته، احتمل وفاته وقت حاجته إليه، فيضيع رجاؤه وأمله لديه،

«**القيوم**» **فيعول للمبالغة، كالديور والديوم**، ومعناه القائم بنفسه المقيم لغيره، وهو على الإطلاق والعموم لا يصح إلا لله تعالى، فإن قوامه بذاته لا يتوقف بوجه ما على غيره، وقوام كل شيء به؛ إذ لا يتصور للأشياء وجود ودوام إلا بوجوده، وللعبد فيه مدخل بقدر استغنائه عما سوى الله وإمداده للناس، وكان مفهومه مركب من نعوت الجلال، وصفات الأفعال. قال الشيخ أبو القاسم: من عرف أنه القيوم بالأمور استراح عن كد التدبير ، وتعب الاشتغال، وعاش براحة التفويض، فلم يضن بكريمة، ولم يجعل في قلبه للدنيا كثرة قيمة.

«الواجد» هو الذى يجد كل ما يطلبه ويريده، ولا يعوزه شيء من ذلك. وقيل: الغنى مأخوذ من الوجد، قال الله تعالى: «**أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم**»[3]. وحظ العبد: أنه إذا عرف أن الله غني، فمن أماراته أن يستغنى به، ويلتجىء إليه. قال الشيخ أبو القاسم: والوجد عند القوم ما يصادفونه من الأحوال من غير تكلف ولا تطلب. قال الثورى: الوجد لهيب ينشأ

(١) آل عمران: ١٦٩. (٢) الفرقان : ٥٨.

(٣) الطلاق: ٦.

فى الأسرار، ويسنح عن الشوق، فيضرب الجوارح طربًا، أو حزنًا عند ذلك. وقيل: الوجد وجود نسيم الحبيب، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾[1]، وقيل: الوجد نيران الأنس تثيرها رياح القدس.

«الماجد» بمعنى المجيد ، إلا أن في المجيد مبالغة ليست فى الماجد، وقد سبق الكلام فيه.

«الواحد الأحد» «الأحد» ليس فى جامع الترمذى، والدعوات للبيهقى، وشرح السنة، لكن ثبت فى جامع الأصول «الواحد والأحد» مأخوذان من الوحدة، فإن أصل «أحد»وحد ـ بفتحتين ـ فأبدلت الواو همزة، والفرق بينهما من حيث اللفظ من وجوه:الأول:أن أحداً لا يستعمل فى الإثبات على غير الله،فيقال: الله أحد، ولا يقال: زيد أحد، كما يقال: زيد واحد، وكأنه بنى لنفى ما يذكر معه من العدد. والثانى أن نفيه يعم، ونفى الواحد قد لايعم، ولذلك صح أن يقال: ليس فى الدار واحد بل فيها اثنان، ولايصح ذلك فى «أحد»؛ فلذلك قال تعالى: ﴿لستن كأحد من النساء﴾[2] ،ولم يقل لستم كواحدة. الثالث: أن الواحد يفتح به العدد، ولا كذلك الأحد. الرابع: أن الواحد يلحقه التاء بخلاف الأحد. ومن حيث المعنى أيضاً وجوه: الأول: أن أحداً من حيث البناء أبلغ من واحد كأنه من الصفات المشبهة التي بنيت بمعنى الثبات وتشهد له الفروق اللفظية المذكورة. الثانى: أن الوحدة تطلق ويراد بها عدم التجزؤ، وتطلق ويراد بها عدم التثنى، والنظير كوحدة الشمس، والواحد يكثر إطلاقه بالمعنى الأول، والأحد يغلب استعماله فى الثانى، ولذلك لا يجمع. قال الأزهرى: سئل أحمد بن يحيى عن الآحاد أنه جمع أحد؟ فقال: معاذ الله!ليس للأحد جمع، ولا يبعد أن يقال: جمع واحد، كالأشهاد فى جمع شاهد. ولا يفتح به العدد، وإليه أشار من قال: الواحد للوصل، والأحد للفصل، فمن الواحد وصل إلى عباده ما وصل من النعم، ومن الأحد فصل منهم ما فصل من النقم. الثالث: ما ذكره بعض المتكلمين فى صفاته تعالى خاصة، وهو أن الواحد باعتبار الذات، والأحد باعتبار الصفات.

وحظ العبد: أن يغوص لجة التوحيد، ويستغرق فيه، حتى لا يرى من الأزل إلى الأبد غير الواحد الصمد. قال الشيخ أبو بكر بن فورك: الواحد فى وصفه تعالى له ثلاثة معان حقيقة: أحدها: أنه لاقسم لذاته، وأنه غير متبعض، ولا متجزئ. والثاني: أنه لاشبيه له، والعرب تقول: فلان واحد فى عصره، أى لاشبيه له.

ياواحد العرب الذى ما فى الأنام له نظير   لو كان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير

والثالث: أنه واحد على معنى أنه لا شريك له فى أفعاله، يقال: فلان متوحد في هذا الأمر، أى ليس يشركه فيه أحد.

---

(١) يوسف: ٩٤ .   (٢) الأحزاب: ٣٢.

قال الشيخ أبو القاسم: والأولون قالوا: هذه المعانى الثلاثة مستحقة لله تعالى، ولكن لفظ التوحيد فيه حقيقة فى نفى القسم، مجاز فى الثانى، والتوحيد الحكم بأن الواحد واحد، ويكون ذلك الحكم بالقول، وبالعلم، وقد يكون بالإشارة إذا عقد على أصبع واحد. والتوحيد ثلاثة: توحيد الحق تعالى لنفسه، وهو علمه بأنه واحد، وإخباره عنه بأنه واحد، وتوحيد العبد للحق بهذا المعنى، وتوحيد الحق للعبد، وهو إعطاؤه التوحيد له، وتوفيقه لذلك. قال الشبلى: التوحيد للحق والخلق طفيل. وقال الجنيد: التوحيد له إفراد القدم من الحدث. وقيل: التوحيد إسقاط اليآات، أى لا يقول: «بى» ولا «منى» ولا«لى». وقيل: التوحيد فناء الاسم لظهور الاسم، وقيل : ثبور الخلق لظهور الحق.

«الصمد» السيد، سمى بذلك؛ لأنه يصمد إليه في الحوائج، ويقصد إليه فى الرغائب، من صمدت الأمر إذا قصدته. وقيل: إنه المنزه عن أن يكون بصدد الحاجة أو في معرض الآفة، مأخوذ من الصمد بمعنى المصمد، وهو الصلب الذى لا جوف له. ومن كان يقصده الناس فيما يعن لهم من مهام دينهم ودنياهم، فله حظ من هذا الوصف، أو من رسخ فى التوحيد، وصار متصلبًا في الدين، لا يتزلزل بتقادم الشبهات، وتعاقب البليات، فقد حظى منه. قال الشيخ أبو القاسم: الصمد قيل : معناه: الباقى الذى لا يزول، وقيل: الدائم.

ومن حق من عرفه بهذا الوصف أن يعرف نفسه بالفناء والزوال، ووشك الارتحال، ويلاحظ الكون بعين الفناء فيزهد فى حطامها، ولا يرغب فى حلالها فضلا عن حرامها. وقيل: هو الذى لا يطعم، ولكن يطعم، فمن عرفه به تتوجه رغائبه عند مآربه إليه، ويصدق توكله فى جميع حالاته عليه، فلا يتهمه فى رزقه كما أنه لم يستغن بأحد فى خلقه، كذلك لا يشاركه فى رزقه، وقضاء حوائجه غيره. وإذا عرف أنه الذى يصمد إليه فى الحوائج، شكا إليه حاجته وفاقته،ورفع إليه، ويملق بجميل تضرعه، ويقرب بصنوف توسله. وعن بعضهم أنه زار قبر النبي ﷺ، وقال: إلهى إن غفرت لى سررت نبيك هذا، وإن رددتنى أشمت عدوك الشيطان، وأنا لا أتوقع منك أن تؤثر شماتة عدوك على سرور نبيك.

«القادر المقتدر» معناهما ذو القدرة، إلا أن المقتدر أبلغ لما فى البناء من معنى التكلف والاكتساب، فإن ذلك وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة، ونظيره سافرت وغادرت لواحد، ومن حقهما أن لا يوصف بهما مطلقًا غير الله، فإنه القادر بالذات، والمقتدر على جميع الممكنات، وما عداه فإنما يقدر بإقداره على بعض الأشياء فى بعض الأحوال، فحقيق به أن لا يقال له: إنه قادر إلا مقيدًا ، أو على قصد التقييد.

قال الشيخ أبو القاسم : ومن عرف أنه قادر على الكمال خشى سطوات عقوبته عند ارتكاب مخالفته، وأمل لطائف رحمته، وزوائد نعمته عند سؤاله وحاجته، لا بوسيلة طاعته، ولكن بإسداء كرمه ومنته. وكذلك من عرف أن مولاه قدير، ترك الانتقام ثقة بأن صنع الحق له،

وانتصاره له أتم من انتقامه لنفسه، ولهذا قيل*: احذروا من لا ناصر له غير الله، قال الله تعالى: «إن بطش ربك لشديد»(١).

«المقدم المؤخر» هو الذى يقدم الأشياء بعضها على بعض، إما بالوجود، كتقديم الأسباب على مسبباتها، أو بالشرف والقربة، كتقديم الأنبياء والصالحين على من عداهم، أو بالمكان كتقديم الأجسام العلوية على السفلية، والصاعدات منها على الهابطات، أو بالزمان كتقديم الأطوار والقرون بعضها على بعض. وعن بعض العارفين: المقدم من قدم الأبرار بفنون المبار، والمؤخر من أخر الفجار، وشغلهم بالأغيار. وحظ العبد منه: أن يهتم بأمره فيقدم الأهم فالأهم، كما ورد«كن في الدنيا كأنك تعيش أبدًا، وفى الآخرة كأنك تموت غدًا» فإنه يستدعى تقديم أمر الآخرة، والاستعجال فيها، وتأخير أمور الدنيا والتأنى فيها، فإن من وجد في الأمر مهلة أخره، وتساهل فيه، ومن ضاق عليه وقت فعل، قدمه وسارع إليه.

قال الشيخ أبو القاسم: إن أولياء الله مختلفون، فمنهم من يتقدم بجهده وعبادته، ويتكلف أن لا يتخلف عن أشكاله فى موافقته. وأنشد:

السباق السباق قولا وفعلا ‏ ‏ ‏ ‏ حذر النفس حسرة المسبوق

ومنهم من لم يروا لأنفسهم استحقاق التقدم، وكانت همتهم السلامة فحسب. وقال أبو سعيد الخزاز: لو خيرت بين القرب والبعد، آثرت البعد على القرب. وأنشد:

وما رمت الدخول عليه حتى ‏ ‏ ‏ ‏ حللت محله العبد الذليل

وأغضيت الجفون على قذاها ‏ ‏ ‏ ‏ فمضت النفس عن قال وقيل

ومنه ما روى ابن عبد البر فى الاستيعاب: حضر الناس باب عمررضي الله عنه، وفيهم سهيل بن عمرو، وأبو سفيان، وأولئك الشيوخ من قريش، فخرج آذنه، فجعل يأذن لأهل بدر، كصهيب وبلال، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد، ونحن جلوس لا يلتفت إلينا! فقال سهيل: أيها القوم! إنى والله أرى الذى في وجوهكم، فإن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم دعى القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم. أما والله لما سبقوكم من الفضل أشدُّ عليكم فوتا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه ثم نفض ثوبه، وقام ولحق بالشام قاصدا الغزو، فقال الحسن ـ وياله من رجل ما كان أعقله! وصدق ـ : والله لا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه. والله أعلم.

«الأول والآخر والظاهر والباطن» «الأول» السابق على الأشياء كلها؛ فإنه موجدها ومبدعها. «الآخر» الباقى وحده، بعد أن يفنى الخلق كله، أو الذى هو منتهى السلوك، فإنه منه بدأ وإليه يعود. «الظاهر» الجلى وجوده بآياته الباهرة في أرضه وسمائه. و«الباطن» المحتجب

(١) البروج: ١٢.

* فى (ك) (قال).

كنه ذاته عن نظر الخلق بحجب كبريائه، وإليه أشار من قال: الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء ، والظاهر بالقدرة، والباطن عن الفكرة. وقيل: الأول بلا مطلع، والآخر بلا مقطع، والظاهر بلا اقتراب، والباطن بلا حجاب. قال الشيخ أبو حامد: اعلم أنه تعالى إنما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره، وظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره، وكل ما جاور حده انعكس على ضده.

وحظ العبد: أن يهتم بأمره، فيتدبر أوله ويتدبر آخره ، ويصلح باطنه وظاهره. قال الشيخ أبو القاسم: أشار بهذه الأسماء إلى صفات أفعاله، فهو الأول بإحسانه، والآخر بغفرانه، والظاهر بنعمته، والباطن برحمته. وقيل: هو الأول بحسن تعريفه؛ إذ لولا فضله بما بدا لك من إحسانه لما عرفته. وأنشد:

سقيا لمعهدك الذى لو لم يكن ما كان قلبى للصبابة معهدًا

وهو الآخر بإكمال اللطف، كما كان أولا بإسداء العرف. وهو الظاهر بما يفيض عليك من العطاء والنعماء، والباطن بما يدفع عنك من فنون البلاء وصنوف الأدواء. وقيل: الظاهر لقوم فلذلك وحدوه، والباطن عن قوم فلذلك جحدوه.

ويقال: الأول بوده لك بدأ، إذ لولا أنه بدأك بسابق وده، ما أخلصت له فى عقده وعهده، آثرك في سابق القدم، وحكم لك عنده بصدق القدم، ورباك بفنون النعم، وعصمك عن سجود الصنم، واختارك على جميع الأمم، ورداك برداء الإيمان، وكفاك بجميل الإحسان، ورقاك إلى درجة الرضوان، وحرسك من الشرك والبدع، وألقى فى قلبك حسن الرجاء والطمع، فإن لم يلبسك صدار العرفان والورع، فلم يؤنسك عن لطفه بنهاية الفزع ، وإن الذى هداك في الابتداء هو الذي يكفيك فى الانتهاء.

يقال: إن العبد يبتهل إلى الله تعالى في الاعتذار، والحق تعالى يقول: عبدى لو لم أقبل عذرك لما وفقتك للعذر. وإن من فكر في صنوف الضلال، وكثرة طرق المحال، وشدة مغاليط الناس في البدع والأهواء، وما تشعب لكل قوم من مختلفى النِّحل* والآراء، ثم فكر فى ضعفه، ونقصان عقله، وكثرة تحيره في الأمور، وشدة جهله، وتناقض تدبيره في أحواله، وشدة حاجته إلى الاستعانة بأشكاله في أعماله، ثم رأى خالص يقينه، وقوة استبصاره فى دينه، ونقاء توحيده عن غبرة الشرك، وصفاء عين عرفانه عن وهج الشك - علم أن ذلك ليس من مناقبه، ولا بجهده، وكده، ووسعه وجده، بل بفضل ربه، وسابق طوله.

«الوالى» هو الذي تولى الأمور، وملك الجمهور. «المتعالى» هو البالغ في العلاء، والمرتفع عن النقائص.

* فى (ط) (البُخل) وهو خطأ، والتصويب من (ك).

«البر» المحسن، وهو البر في الحقيقة؛ إذ ما من بر وإحسان إلا وهو موليه. قال الشيخ أبو القاسم: من كان الله تعالى بارًا به، عصم عن المخالفات نفسه، وأدام بفنون اللطائف أنسه، وطيب فؤاده، وحصل مراده، ووفر فى طريقه اجتهاده، وجعل التقوى زاده، وجعل قصده سداده، ومبتغاه وساده، وأغناه عن إشكاله بإفضاله، وحماه عن مخالفته بيمن إقباله، فهو ملك لا يستظهر بجيش وعدد، وغنى لا يتمول بمال وعدد. ومن آداب من عرف أنه تعالى البر: أن يكون بارًا بكل أحد لا سيما بأبويه.

«التواب» الذى يرجع بالإنعام على كل مذنب حل عقد إصراره، ورجع إلى التزام الطاعة بقبول توبته، من التوب وهو الرجوع. وقيل: هو الذى ييسر للمذنبين أسباب التوبة، ويوفقهم لها، ويسوق إليهم ما ينبههم عن رقدة الغفلة، ويطلعهم على وخامة عواقب الزلة؛ فسمى المسبب للشىء باسم المباشر له، كما أسند إليه فعله فى قولهم: بنى الأمير المدينة. وحظ العبد منه: أن يكون واثقًا بقبول التوبة غير آيس عن الرحمة، يكره ما اقترفه من الذنوب صفاحًا عن المجرمين، قابلا لمعاذيرهم، حتى يفوز بنصيب كامل من هذا الوصف ، ويصير متخلقًا بهذا الخلق كل التخلق. قال الشيخ أبو القاسم: قيل: توبة الله تعالى على العبد توفيقه للتوبة؛ لأنه ما لم يتب على العبد لا يتوب، فإذن ابتداء التوبة وأصلها من الله، وكذلك تمامها على الله تعالى، ونظامها بالله نظامها في الحال، وتمامها في المآل، ولولا أن الله تعالى يتوب على العبد، ما كان للعبد توبة؟ قال الله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾[1]. ومن الكرم أن يتوب على ذنبك فيك. وأنشد:

إذا مرضنا أتيناكم نعود　　كم فتذنبون فنأتيكم ونعتذر

«المنتقم» هو المعاقب للعصاة على مكروهات الأفعال. والانتقام افتعال من نقم الشىء إذا كرهه غاية الإكراه، وهو لا يحمد من العبد إلا إذا كان انتقامه من أعداء الله، وأحق الأعداء بالانتقام نفسه، فينتقم منها مهما قارفت معصية، أو تركت طاعة، بأن يكلفها خلاف ما حملته عليه.

«العفو» هو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصى، وهو أبلغ من الغفور؛ لأن الغفران ينبىء عن الستر، والعفو ينبىء عن المحو، وأصل العفو: القصد لتناول الشىء، سمى به المحو؛ لأنه قصد لإزالة الممحو. وحظ العبد منه ظاهر . قال الشيخ أبو القاسم: من عرف أنه تعالى عفو، طلب عفوه، ومن طلب عفوه، تجاوز عن خلقه، فإن الله تعالى بذلك أدبهم،

(١) التوبة:١١٨

وإليه ندبهم، فقال عز من قائل: ﴿**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم**﴾[1]. وإن الكريم إذا عفا، حفظ قلب المسيء عن الاستيحاش بتذكره سوء فعله، بل يزيد عنه تلك الخجلة بما يسبل عليه من ثوب العفو، ويفيض عليه من ذيول الصفح، وعفو الله تعالى عن العباد ليس مما يستقصى بالعبارات كنه معانيه.

وروى أن بعضهم قال في آخر مجلس له. اللهم اغفر لأقسانا قلبًا، وأجمدنا عينًا، وأقربنا بالمعصية عهدًا، وكان حاضر المجلس مخنثًا، فقال: أعد هذه الدعاء فإنى أقساكم قلبًا، وأجمدكم عينًا، وأقربكم بالمعاصى عهدًا، قال: فرأيت فى الليلة الثانية في المنام رب العزة يقول: سرنى حيث أوقعت الصلح بينى وبين عبدى، وقد غفرت لك ولأهل مجلسك.

«الرءوف» ذو الرأفة، وهى شدة الرحمة، فهو أبلغ من الرحيم بمرتبة، ومن الراحم بمرتبتين. وقيل: الفرق بين الرأفة والرحمة، أن الرأفة إحسان مبدأه شفقة المحسن، والرحمة إحسان مبدأه فاقة المحسن إليه. قال الشيخ أبو القاسم: ومن رحمته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته، فإن عصمته عن الزلة أبلغ في باب الرحمة من غفران المعصية، ومن رحمته بعبده أن يصونه عن ملاحظة الأغيار والاعتلال(*)، ورفع الحوائج إلى الأمثال والأشكال، بصدق الرجوع إلى الملك الجبار، وبحسن الاستغناء به في جميع الأحوال.

وقال رجل لآخر: ألك حاجة؟ فقال: لا حاجة لى إلى من لا يعلم حاجتى. وأن الله تعالى ربما يدنى العبد من المحبة، ثم يجرى عليه بعد يأسه بفتح باب الرحمة، قال الله تعالى: ﴿**وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**﴾[2]، وإذا كانت الحسنى بعد اليأس كان أوجب للسرور والاستئناس. وعن بعضهم: أنه كان فى جيرانه رجل** شرير فمات، فرفعت جنازته، قال: فتنحيت من الطريق؛ لئلا يحتاج إلى الصلاة عليه، فرؤى فى المنام على حالة حسنة، فقال له الرائى: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى، وقال: قل لفلان: ﴿**لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق**﴾[3].

«مالك الملك» هو الذى ينفذ مشيئته في ملكه، يجرى الأمور فيه على ما يشاء، لا مرد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

«ذو الجلال والإكرام» هو الذى لا شرف ولا كمال إلا وهوله، ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي منه. قال الشيخ أبو القاسم: جلاله، وكبرياؤه، وعلوه، وبهاؤها كونه الحق بالوصف الذى يحق له العز والإكرام، قريب من معنى الإنعام، إلا أنه أخص؛ لأنه ينعم على من لا يقال أكرمه، ولكن لا يكرم إلا من يقال أنعم عليه. ومن عرف جلاله تذلل وتواضع له، ومن

---

(١) النور: ٢٢. (٢) الشورى: ٢٨. (٣) الإسراء: ١٠٠.

* هكذا فى (ط) وفى (ك) بلفظ [الامتثال].

** فى (ط) إنسان.

عرف إكرامه لا يشكر غيره، فإذا كان الحق ينعم، والعبد يشكر غيره، وهو يرزق والعبد يخدم غيره، وهو يعطي والعبد يسأل غيره، فقد أخطأ طريق الرشد، وسلك سوء الطريق.

«المقسط» الذى يتصف للمظلومين، ويدرأ بأس الظلمة عن المستضعفين، يقال: قسط إذا جار، وأقسط إذا عدل وأزال الجور. وحظ العبد منه: أن يتجنب الظلم رأسًا أولا على نفسه، ثم على غيره، ويسعى لوجه الله في إماطته حسب منته وطاقته، حتى يكون من المسلمين بطاعته، ومن المستوجبين لمحبته.

«الجامع» هو المؤلف بين أشتات الحقائق المختلفة والمتضادة، متحاورة وممتزجة فى الأنفس والآفاق ، ويستجمع للحشر الأجزاء المتفرقة المتبددة، ويعيد من تأليفها الأبدان كما كان. ثم يجمع بينها وبين أرواحها المفرقة، فيحييها، ثم يجمعهم للجزاء فى موقف الحساب. فمن جمع بين العلم والعمل، ووافق الكمالات النفسانية بالآداب الجسمانية، فله حظ من ذلك.

قال الشيخ أبو القاسم: وقد يجمع الله اليوم قلوب أوليائه إلى شهود تقديره، حتى يتخلص من أسباب التفرقة فيطيب عيشه؛ إذ لا راحة للمؤمن دون لقاء الله، فلا يرى الوسائط، ولا ينظر إلى الحادثات إلا بعين التقدير، إن كان نعمة علم أن الله هو المعطى لها، وإن كان شدة علم أن الله هو الكاشف لها ومزيحها . وأنشد:

فلا ألبس الدنيا وغيرك ملبسى ... ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبى

«الغنى» هو الذى يستغنى عن كل شىء لا يحتاج إليه فى ذاته، ولا فى شىء من صفاته؛ لأنه الجامع من جميع جهاته.

«المغنى» هو الذى وفر على كل شىء ما يحتاج إليه حسب ما اقتضته حكمته ، وسبقت به كلمته ، فأغناه من فضله. والعبد إذا قطع الطمع عما في أيدى الناس، وأعرض عن السؤال عنهم، والتوقع منهم رأسًا بحيث لم يبق له حاجة إلا إلى الله، وسعى فى سد خلة المحتاجين فاز بحظ أوفر من هذين الاسمين، مع أنهما على الإطلاق لا يصدقان إلا على الله تعالى.

قال الشيخ أبو القاسم: إن الله تعالى يغنى عباده بعضهم عن بعض على الحقيقة؛ لأن الحوائج لا تكون إلا إلى الله، فمن أشار إلى الله تعالى، ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله ابتلاه الله تعالى بالحاجة إلى الخلق، ثم ينزع الرحمة من قلوبهم، ومن شهد محل افتقاره إلى الله تعالى فرجع إليه بحسن العرفان أغناه من حيث لا يحتسب، وأعطاه من حيث لا يرتقب. وإغناء الله العباد على قسمين، منهم من يغنيه بتنمية أمواله، ومنهم من يغنيه بتصفية أحواله، وهذا هو المغني الحقيقى.

«المانع» هو الذى يمنع أسباب الهلاك، والنقصان فى الأبدان والأديان، ولما كان المنع من

مقدمات الحفظ أعنى حفظ ما يفضى إلى الفساد، ويؤدى إلى الهلاك، صار كونه مانعًا من مقدمات كونه حفيظًا. قال الشيخ أبو القاسم: المانع في وصفه تعالى يكون بمعنى منع البلاء عن أوليائه، ويكون بمعنى منع العطاء عمن شاء من عباده وأوليائه وأعدائه. وقد يمنع المنى والشهوات من نفوس العوام، ويمنع الإرادات والاختيارات عن قلوب الخواص، ويمنع الشبه عن القلوب، والبدع من العقائد، والمخالفات في الأوقات، والزلل من النفوس، وهو من أجل النعم التى يخص بها عباده المقربين، ويكرم بها أولياءه المنتجبين، جعلنا الله من جملتهم وحشرنا في زمرتهم، ويرحم الله عبدًا قال: آمينا.

«الضار النافع» اعلم أن مجموع الوصفين كوصف واحد، وهو الوصف بالقدرة التامة الشاملة، فهو الذي يصدر عنه النفع والضر، فلا خير ولا شر، ولانفع ولا ضر إلا وهو صادر عنه، منسوب إليه، إما بواسطة أو بغير واسطة. قال الشيخ أبو القاسم: وفى معنى الوصفين إشارة إلى معنى التوحيد، وهو أنه لا يحدث شيء فى ملكه إلا بإيجاده، وحكمه وقضائه، وإرادته ومشيئته، فمن استسلم بحكمه عاش في راحة، ومن آثر اختياره وقع في كل آفة، وقد ورد «أنا الله لا إله إلا أنا، من استسلم لقضائى، وصبر على بلائى، وشكر نعمائى؛ كان عبدى حقا ومن لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائى، ولم يشكر نعمائى؛ فليطلب ربًا سواي».

وإذا عرف العبد ذلك فوض الأمور إليه، وعاش في راحة من الخلق، والخلق في راحة منه، فيبذل النصح من نفسه، ولم يستشعر الغش والخيانة لغيره، وورد «اطلبوا الفضل عند الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم، فإنى جعلت فيهم رحمتى، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم، فإن فيهم غضبى»، وإن رحمة الحق تعالى بالعبد أتم من رحمة بعضهم لبعض.

«النور» هو الظاهر بنفسه، المظهر لغيره، ولا شك فى أن الوجود إذا قوبل بالعدم، كان الظهور للوجود، والخفاء للعدم، ولما كان البارى تعالى موجودًا بذاته، مبرأ عن ظلمة العدم، وإمكان طرو ئه، وكان وجود سائر الأشياء فائضًا عن وجوده، صح إطلاق لفظ النور عليه. وحظ العبد منه أن يضيء قلبه بنور معرفته، فإن انشراح القلب وإضاءته بالمعرفة، كما قال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[1].

قال الشيخ أبو القاسم: الله نور السموات والأرض، ينور الآفاق بالنجوم والأنوار، والقلوب بفنون الدلائل، وصنوف الحجج والملاطفات، والأبدان بآثار الطاعات؛ لأن العبادات زينة النفوس والأشباح، والمعارف زينة القلوب والأرواح، والتأييد بالموافقات نور الظواهر، والتوحيد بالمواصالات نور السرائر، وإن الله تعالى يزيد قلب العبد نورًا على نور، يهدى الله لنوره من

(١) النور: ٤٠

يشاء، وقد يهدى القلوب إلى محاسن الأخلاق ليؤثر الحق ويصطفيه، ويترك الباطل ويدع ما يستدعيه.

«الهادى» هو الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. والذى هدى خاصة عباده إلى معرفة ذاته، فاطلعوا بها على معرفة مصنوعاته، وهدى عامة خلقه إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على معرفة ذاته وصفاته. والمحظوظ فى هذا الاسم من الناس من أرشد الخلق إلى الحق القويم، وهداهم إلى الصراط المستقيم، وهم الأنبياء، ثم العلماء الوارثون لهم.

قال الشيخ أبو القاسم: يهديهم ربهم، يكرم قومًا بما يلهمهم من جميل الأخلاق، ويصرف قلوبهم إلى ابتغاء ما فيه رضاه، ويهديهم إلى استصغار قدر الدنيا، واستحقار كرائمها، حتى لا يسترقهم ذل الأطماع، ولا تستعبدهم أخطار المستحقرات، فلا يتدنسون بالركون إلى كل خسيسة، ولا يتلبسون بتعاطى كل نفيسة، ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[1]. والهداية إلى حسن الخلق ثانى الهداية إلى اعتقاد الحق؛ لأن الدين شيئان، صدق مع الحق، وخلق مع الخلق.

«البديع» المبدع وهو الذى أتى بما لم يسبق إليه. وقيل: هو الذى لم يعهد مثله. والله سبحانه وتعالى هو البديع مطلقًا بالمعنيين، أما الأول فظاهر، وأما الثانى؛ فلأنه لا مثل له فى ذاته ولا نظير له في صفاته وأفعاله، ومرجعه بالمعنى الأول إلى صفات الأفعال، وبالمعنى الثانى إلى صفات التنزيه. وحظ العبد منه: أن يتأمل عجائب صنعه ليرى غرائب حكمته، وليحقق كمال قدرته، وأنه هو المبدع وحده، وكل من أبدع شيئًا خلاف ما أبدعه فهو مبتدع، فلا تتبعه.

قال الشيخ أبو القاسم: ومن آداب من عرف هذا الاسم لله: أن يجتنب البدعة، ويلازم السنة، والبدعة ما ليس لها أصل فى الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره**﴾[2] وقال: ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا**﴾[3]. وقال أبو عثمان الحيرى: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة. وقال سهل بن عبد الله التسترى: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبى ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال وصدق المقال، وإخلاص النية في جميع الأعمال. وقال أيضًا: من داهن مبتدعًا سلبه الله حلاوة السنن، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه. وسمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول: من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عقوب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قيض الله مبتدعًا يذكر عنده باطلا، فيوقع في قلبه شبهة. وفقنا الله لمتابعة السنة، وعصمنا من اتباع البدعة.

---

(١) الحشر: ٩.   (٢) النور: ٦٣.
(٣) النور: ٥٤.

الباقي، الوارِثُ، الرَّشيدُ، الصَّبورُ». رواه الترمذيُّ، والبَيهقيُّ في «الدَّعواتِ الكبيرِ» وقال الترمذيّ: هذا حديثٌ غريبٌ. [٢٢٨٨]

«الباقي» الدائم الوجود الذي لا يقبل الفناء. قال الشيخ أبوالقاسم: حقيقة الباقى من له البقاء، ولا يجوز أن يكون الباقى باقيًا ببقاء في غيره. ومما يجب أن يشتد العناية به: أن يتحقق العبد أن المخلوق لا يجوز أن يكون متصفا بصفات الحق تعالى؛ فلا يجوز أن يكون العبد عالمًا بعلم الحق، ولا قادر بقدرته، ولا سميعًا بسمعه، ولا بصيرًا ببصره، ولا باقيًا ببقائه؛ لأن الصفة القديمة لا يجوز قيامها بالذات الحادثة، كما لا يجوز قيام الصفة الحادثة بالذات القديمة.

وحفظ هذا الباب أصل التوحيد، وإن كثيرًا ممن لا تحصيل له ولا تحقيق زعموا: أن العبد يصير باقيًا ببقاء الحق، سميعًا بسمعه، بصيرًا ببصره. وهذا خروج عن الدين وانسلاخ عن الإسلام بالكلية، وربما تعلقوا فى نصرة هذه المقالة الشنيعة بما روى في الخبر«فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا، فبى يسمع وبى يبصر». ولا احتجاج لهم فى ظاهره، إذ ليس فيه أنه يسمع بسمعى، ويبصر ببصرى، بل قال: بى يسمع» ،قال النصر آبادى: الله تعالى باق ببقائه، والعبد باق بإبقائه. ولقد حقق رحمه الله وحصل، وأخذ عن نكتة المسألة وفصل.

«الوارث» الباقى بعد فناء الموجودات، فترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك، وهذا بالنظر العامى، وأما بالنظر الحقيقى: فهو المالك على الإطلاق من أزل الآزال إلى أبد الآباد، لم يتبدل ملكه ولا يزال، كما قيل: الوارث الذى يرث بلا توريث أحد، الباقى الذي ليس لملكه أمد.

«الرشيد» الذي تنساق تدابيره إلى غاياتها على سنن السداد، من غير استشارة وإرشاد. وقيل: هو المرشد، فعيل بمعنى مفعل، كالأليم والوجيع. والرشيد من العباد من هدى إلى التدابير الصائبة فيما يعن له من مقاصد الدين والدنيا، فيتبع مقتضى العقل والشرع، ويتجنب الهوى والطبع، لتصير آراؤه مصونة عن الخطر والزلل، وأفعاله مأمونة عن الفساد والخطل.

قال الشيخ أبو القاسم: إرشاد الله لعبده هدايته لقلبه إلى معرفته، هذا هو الإرشاد الأكبر الذي خص به أولياءه من المؤمنين، ثم إنه تعالى أرشد نفوس الزاهدين إلى طريق طاعته، وقلوب العارفين إلى سبيل معرفته، وأرواح الواحدين إلى حقيقة محبته، وأسرار الموحدين إلى

[٢٢٨٨] ضعيف أخرجه الترمذى، وابن حبان، والحاكم، والبيهقى فى الأسماء والصفات وفى سننه الكبرى، وقال الترمذى: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولانعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وانظر ضعيف الجامع (١٩٤٣).

تطلع قربته. وأمارة من يرشده الحق لإصلاح نفسه أن يلهمه حسن التوكل عليه، وتفويض أموره بالكلية إليه، واستخارته إياه في كل خطب، واستجارته به فى كل شغل. فإن رجع بعد ما أرشده الله إلى ذاك عاتبه الله بما يعلم أنه كان منه سوء أدب، حتى يعود إلى سكونه، وترك اختياره واحتياله.

حكى أن إبراهيم بن أدهم جاع يومًا، فأخرج شيئًا كان معه، وأمر أن يرهن ويؤتى بشيء يأكله، فخرج الرجل، فاستقبله إنسان بين يديه بغلة موقرة طالبًا إبراهيم بن أدهم، قال الرجل فقلت له: ماتريد منه؟ فقال: أنا غلام أبيه، وهذه الأشياء له، فدللته عليه، فدخل المسجد، وقال: أنا غلام أبيك ومعى أربعون ألف دينار ميراثًا لك من أبيك. فقال: إن كنت صادقًا فأنت حر لوجه الله، والذى معك كله وهبته منك*، انصرف عنى. فلما خرج، قال: يارب كلمتك في رغيف، فصببت على الدنيا صبًا! فوحقك لئن أمتنى لم أتعرض بعده لطلب شيء.

«الصبور» هو الذى لا يستعجل في قوله مؤاخذة للعصاة، ومعاقبة المذنبين. وقيل: هو الذى لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، وهو أعم من الأول. والفرق بينه وبين الحليم: أن الصبور يشعر بأنه يعاقب بالآخرة بخلاف الحليم. وأصل الصبر حبس النفس عن المراد، فاستعير لمطلق التأنى في الفعل. والعبد إذا حبس نفسه عما تدعو إليه القوى، وصبر على مضض الطاعات، وترك الشهوات، حتى يترقى إلى جناب القدس، ومحل الكرامة والأنس فاز بالحظ الأوفى من هذا الاسم.

قال الشيخ أبو القاسم: رتبة العباد فى الصبر على أقسام : أولها التصبر، وهو تكلف الصبر، ومقاساة الشدة فيه، وبعد ذلك الصبر وهو سهولة تحمل ما يستقبله من فنون القضاء وصنوف البلاء وبعد ذلك الاصطبار، وهو النهاية في الباب، ويكون ذلك بأن يألف الضر فلا يجد مشقة بل يجد روحا وراحة. قال:

تعودت مس الضر حتى ألفته ... وأسلمنى حسن العزاء إلى الصبر

وقيل: من شرط الصبر أن لا يتنفس بخلاف الإذن تحت جريان حكمه. وقيل: حقيقة الصبر تجرع البلاء من غير تعبس. وقيل : ينبغى أن يكون الصابر في حكمه، كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء. هذا، وإن المحققين من العلماء والراسخين منهم، قد صنفوا فيها مصنفات جمة ذات ذيول وأطراف، ولخصها القاضى تلخيصًا غريبًا، وكان أجمع للمقصود، وأشمل في المغزى، فآثرنا إيراده من غير تغيير، وأضفنا إليه من كلام الشيخ أبى القاسم القشيرى مما لم يورده اختصارًا لمعنى دعا إليه.

فإن قلت: قد سبق عن الشيخ التوربشتى: أن فائدة التأكيد بقوله:«مائة إلا واحدة»

* كذا فى (ط) و(ك).

لقوله: «تسعة وتسعين» أن لا يزاد فيها ولا ينقص، وإنا نجد فى كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ أسماء سوى ما فى هذا الحديث، ومما دل عليه الكتاب: الرب، الأكرم، الأعلى، أحكم الحاكمين، أرحم الراحمين، أحسن الخالقين، الحافظ، الخلاق، ذو الفضل، ذو الطول، ذو القوة، ذو المعارج، ذو العرش، رفيع الدرجات، (الساتر*، الستار*)، العادل، العالم، العلام، غافر الذنب، الغالب، القاهر، الفاطر، الفالق، الفعال لما يريد، قابل التوب، القدير، فإنى قريب، القاهر، الكافي، المنير●، المحيط، المليك، المولى، مخرج الحى، النصير. ومما وردت به السنة: المقيت**، والقريب بدل الرقيب، المبين بدل المتين، كذا ذكره النواوى في الأذكار. وورد فى السنة: الحنان، المنان، ونجد مثال ذلك في أحاديث.

وروى هذا الحديث الإمام محمد بن يزيد بن ماجه، كما رواه البخارى ومسلم،وعد الأسماء كما عدها الترمذى إلا أن فيها زوائد وتبديلا واختلافًا، فأردت أن أذكر تلك الرواية لتحيط بها أيضًا، وهى هذه : هو الله ، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارىء، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السلام، البصير، العليم، العظيم، البار، المتعالى، الجليل، الجميل، الحى، القيوم، القادر، القاهر، العالى، الحيكم، القريب، المجيب، الغنى، الوهاب ، الودود، الشكور، الماجد، الوالى، الراشد، الحليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولى، الشهيد، المبين ، البرهان، الرؤوف، المبدىء،المعيد، الباعث، الوارث، القوى، الشديد، الضار، النافع، الباقى، الواقي، الخافض، الرافع، القابض، الباسط، المعز، المذل، المقسط، الرزاق، ذو القوة، المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، الناظر، السامع، المعطي، المانع، المحيى، المميت،الجامع، الهادى، الكافى، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام ،القديم ، الأحد، الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

قلت: قد أوقع ﷺ دخول الجنة جزاء للشرط، أى الإحصاء ، ثم أتبعه هذه الأسماء، وهو لا يدل على أن الأسماء لاتزيد على ما ذكر لغير هذه الخاصية. وتحريره أن من أحصى هذه الأسماء المحصورة دخل الجنة، ومن زاد عليها فى غير هذا النص زاد ثوابه، وارتفعت درجاته في الجنة. وما قيل في الجواب: إنه ﷺ لم يرد بقوله: «إن لله تسعة وتسعين اسما» الحصر، ونفى ما يزيد عليها، بل أراد تخصيصها بالذكر؛ لكونها أشهر لفظًا، وأظهر معنى - لا يتم جوابًا ولا يدفع التناقض، والله أعلم.

* هاتان الصفتان (الساتر والستّار) ليستا فى كتاب الله، ولايصح بهما شيء من سنة النبى ﷺ.

** صفة المقيت فى كتاب الله تعالى فى قوله تعالى: «وكان الله على كل شيء مقيتًا» النساء.

● هذه الصفة ليست فى كتاب الله تعالى كذلك.

٢٢٨٩ - * وعن بُريْدَةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ سمعَ رجلا يقولُ اللهُمَّ إني أسْألُكَ بأنَّكَ أنتَ اللهُ، لا إلهَ إلاَّ أنتَ، الأحدُ، الصَّمدُ، الذي لمْ يلدْ، ولمْ يولدْ، ولمْ يكُنْ له كفُوًا أحَدٌ، فقال: «دَعا اللهَ باسمِه الأعظمِ الذي إذا سُئِلَ بهِ أعطَى، وإذا دُعِيَ بهِ أجابَ» رواه الترمذيُّ، وأبو داود. [٢٢٨٩]

٢٢٩٠ - * وعن أنسٍ، قال: كنتُ جالسًا معَ النبيِّ ﷺ في المسجدِ ورجلٌ يُصلِّي، فقال: اللهُمَّ إني أسألُك بأنَّ لكَ الحمدَ ، لا إلهَ إلاَّ أنتَ الحنَّانُ، المنَّانُ، بديعُ السَّماواتِ والأرض، ياذا الجَلالِ والإكرامِ! ياحَيُّ ياقَيُّومُ، أسْألُكَ. فقال النبيُّ ﷺ: «دَعا اللهَ باسمِه الأعْظمِ الذي إذا دُعِىَ بهِ أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطَى» رواه الترمذيُّ، وأبو داود، والنَّسائيُّ، وابن ماجه.[٢٢٩٠]

٢٢٩١ - * وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ [رضى الله عنها]: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اسمُ اللهِ الأعظمُ في هاتَينِ الآيتَينِ: ﴿وإلهُكمْ إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الرَّحمن الرحيم﴾(١)، وفاتحة (آلِ عمران): ﴿آلم، اللهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾(٢)» رواه الترمذي، وأبو داود ، وابنُ ماجه، والدارميُّ.[٢٢٩١]

الحديث الثانى إلى الرابع عن بريدة: قوله: «دعا الله باسمه الأعظم»«مظ»: قيل: الأعظم هنا بمعنى العظيم،وليس أفعل التفضيل؛ لأن جميع أسمائه عظيم، وليس بعضها أعظم من بعض. وقيل: بل هو للتفضيل؛ لأن كل اسم فيه أكثر تعظيمًا لله، فهو أعظم، فالرحمن أعظم من الرحيم، والله أعظم من الرب، فإنه لا شريك في تسميته به لا بالإضافة ولا بدونها، وأما الرب فيضاف إلى المخلوقات، كما يقال: رب الدار.

وفى لباب شرح السنة: في هذا الحديث دلالة على أن لله تعالى اسمًا أعظم، إذا دعى به أجاب، وأن ذلك هو المذكور فيها، وهو حجة على من قال: ليس الاسم الأعظم اسمًا معينًا،

[٢٢٨٩] صحيح انظر صحيح ابن ماجه (٣٨٥٧)، وصحيح الترمذى (٢٧٦٣).

[٢٢٩٠] صحيح انظر صحيح النسائى (١٢٣٣) ، وابن ماجه (٣٨٥٨).

[٢٢٩١] حسن أخرجه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد (٦/ ٤٦١)، والدارمى وغيرهم وانظر صحيح الترمذى (٢٧٦٤)، وابن ماجه (٣٨٥٧).

(١) البقرة : ١٦٣.

(٢) آل عمران : ١:٢.

٢٢٩٢ - * وعن سعيدٍ [رضي الله عنه] ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «دَعوةُ ذي النُّونِ إذا دَعا ربَّه وهو في بطنِ الحُوت ﴿لا إلهَ إلاَّ أنتَ، سُبحانَكَ إني كنتُ منَ الظالمينَ﴾(١)، لم يدْعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيء إلاَّ استجابَ له» رواه أحمد ، والترمذي. [٢٢٩٢]

الفصل الثالث

٢٢٩٣ - * عن بُريْدَةَ [رضي الله عنه]، قال: دخلتُ معَ رسولِ الله ﷺ المسجدَ عشاء، فإذا رجلٌ يقرأُ، ويرفع صوتَه، فقلتُ: يارسولَ الله! أتقولُ: هذا مُراء؟ قال: بلْ مؤْمنٌ مُنيبٌ». قال: وأبو موسى الأشعريُّ يقرأ، ويرفَعُ صوتَه، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يتسمَّعُ لقراءَته، ثمَّ جلسَ أبو موسى يدعو، فقال: اللهُمَّ إني أشهدكَ أنَّكَ أنتَ

بل كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سوى الله هو الاسم الأعظم؛ لأن شرف الاسم بشرف المسمى، لا بواسطة الحروف المخصوصة. وأقول: ولناصر هذا الحديث أن يقول: سترد أحاديث مختلفة، فيها أسامٍ لم تذكر فى هذا الحديث، قيل فى كل منها: إنه الاسم الأعظم، فصح قول من قال: إن أفعل ليس للتفضيل، بل هو لمطلق الزيادة، نعم! قد ذكر فى كل منه لفظ الله تعالى، فإذا استدل بذلك على أنه الاسم الأعظم استقام وصح. فإن قلت: ما الفرق بين قوله: «إذا سئل به أعطى» وبين قوله: «إذا دعى به أجاب» ؟ قلت: الثانى أبلغ، فإن إجابة الدعاء تدل على شرف الداعى، ووجاهته عند المجيب، فيتضمن أيضًا قضاء حاجته، بخلاف السؤال، فإنه قد يكون مذمومًا، ولذلك ذم السائل فى كثير من الأحاديث، ومدح المتعفف عنه، على أن فى الحديث دلالة على فضل الدعاء على السؤال.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن بريدة: قوله: «أتقول: هذا مراء»؟ أى أتعتقد أو أتحكم، وفى رواية شرح السنة «أتراه مرائيًا»، وإنما أجاب بقوله: «بل مؤمن منيب»؛ لأن المرائين حينئذ أكثرهم منافقون، وفى الإضراب إنكار على السؤال. وقوله: «وأبو موسى يقرأ» حال من فاعل «قال»،

[٢٢٩٢] صحيح أخرجه أحمد (١/ ١٧٠)، والترمذى (صحيح الترمذى ٢٧٨٥)، والحاكم (١/ ٥٠٥)، (٢/ ٣٨٢ ، ٥٨٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رُوى عن الفريابى عن سفيان الثورى عن يونس بن أبى إسحاق كذلك، وهو وهم من الراوى، ووافقه الذهبى.

(١) الأنبياء : ٨٧.

اللهُ، لا إلهَ إلا أنتَ، أحَدًا صمَدًا، لمْ يلِدْ ولمْ يولَدْ ولمْ يكُنْ له كفُوًا أحدٌ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لقدْ سألَ اللهَ باسمه الذي إذا سُئلَ به أعطى، وإذا دُعيَ به أجابَ» قلتُ: يارسولَ الله! أخبِرهُ بما سمعتُ منكَ؟ قال: «نعمْ». فأخبرتُه بقَولِ رسولِ الله ﷺ، فقال لي: أنتَ اليومَ لي أخٌ صديقٌ، حدَّثتَني بحديثِ رسولِ الله ﷺ. رواه رزين[٢٢٩٣].

(٣) باب ثواب التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

الفصل الأول

٢٢٩٤ - * عن سمُرةَ بنِ جُندبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ «أفضلُ الكلامِ أربع: سُبحانَ اللهِ، والحمْدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبر»-وفي رواية: أحبُّ الكلامِ إلى

وهو رسول الله ﷺ، والتقدير: قال رسول الله ﷺ ، والحال أن أبا موسى يقرأ، ويؤيد هذا التأويل رواية شرح السنة بعد هذا، فعلم من ذلك أن الرجل فى صدر الحديث هو أبو موسى، وفى رواية شرح السنة «قال: بل هو مؤمن منيب».

عبدالله بن قيس، أو أبى موسى قوله: «أحدًا صمدًا» منصوبان على الاختصاص، لقوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو- إلى قوله - قائمًا بالقسط﴾(١). وفى شرح السنة: مرفوعان معرفتان صفتان لله. وفي الحديث دليل على أن من رأى أو سمع في حق أخيه المؤمن ما يسره من أمور الدين، يجب عليه إعلامه ليؤدى حق الأخوة.

باب ثواب التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

الفصل الأول

الحديث الأول عن سمرة: قوله: «أفضل الكلام أربع» «مح»: هذا محمول على كلام البشر، وإلا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، وأما المأثور فى وقت، أو حال ونحو ذلك، فالاشتغال به أفضل. «قض»: الظاهر أن المراد من الكلام كلام البشر، فإن الثلاث الأول وإن

[٢٢٩٣] أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٤) بنحوه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم، وأخرجه أحمد مطولا (١/ ٣٤٩) ثم أعاده (١/ ٣٦٠) ببعضه.

(١) آل عمران: ١٨.

اللهِ أربَعٌ: سُبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، لايضرُّكَ بأيِّهِنَّ بدأتَ» رواه مسلم [٢٢٩٤].

٢٢٩٥ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنْ أقولَ: سبحانَ اللهِ

وجدت فى القرآن، لكن الرابعة لم توجد فيه، ولا يفضل* ما ليس فيه على ماهو فيه؛ ولأنه روى أنه ﷺ قال: «أفضل الذكر بعد كتاب الله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، والموجب لفضلها اشتمالها على جملة أنواع الذكر، من التنزيه، والتحميد، والتمجيد، والتوحيد، ودلالتها على جميع المطالب الإلهية إجمالا. وهذا النظم وإن لم يتوقف عليه المعنى المقصود؛ لاستقلال كل واحدة من الجمل الأربع، ولذلك جاء في رواية «لايضرك بأيهن بدأت» لكنه حقيق بأن يراعى؛ لأن الناظر المتدرج فى المعارف يعرفه سبحانه أولا بنعوت الجلال التى هى تنزيه ذاته عما يوجب حاجة أو نقصًا. ثم بصفات الإكرام، وهى الصفات الثبوتية التى بها يستحق الحمد، ثم يعلم أن من هذا شأنه لايماثله غيره، ولايستحق الألوهية سواه، فيكشف له من ذلك أنه أكبر، إذ كل شئ هالك إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون.

أقول: قوله: «لايضرك» بعد إيراد الكلمات على النسق والترتيب يشعر بأن العزيمة أن يراعى الترتيب، والعدول عنه رخصة ورفع للجناح، روي عن مالك بن أنس: أن الباقيات الصالحات هى هذه الكلمة، ولعله صلوات الله عليه خصها بالباقيات الصالحات؛ لكونها جامعات للمعارف الإلهية، فالتسبيح تقديس لذاته عما لايليق بجلاله، وتنزيه لصفاته من النقائص، والتحميد منبه على معنى الفضل والإفضال من الصفات الذاتية والإضافية، والتهليل توحيد للذات، ونفي للضد والند، وتنبيه على التبرى عن الحول والقوة إلا به، واختتامها بالتكبير اعتراف بالقصور في الأفعال والأقوال. قال: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». وفى هذا التدرج لمعة من معنى العروج للسالك العارف. وتسميتها بالباقيات الصالحات؛ لما أنه تعالى قابلها بالفانيات الزائلات أعنى **«واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء»** (١) الآية، وخص منها ماهو العمدة فيها، ويحصل منه تزيين المجالس، والتفاخر في المحافل من المال والبنين، وجعلها خيرًا منها ثوابًا وخير مؤمل. «حس»: يحتج بهذا الحديث من يذهب إلى أن من حلف أن لايتكلم اليوم، فسبح أو كبر، أو هلل، أو ذكر الله أنه يحنث؛ لأن الكل كلام، وهو قول بعض أهل العلم، وذهب قوم إلى أنه لايحنث إلا أن يريده بنيته.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «فى «يوم» يوم مطلق، لم يعلم فى أى

[٢٢٩٤] أخرجه مسلم : ك الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة (٢١٣٦).

(١) الكهف : ٤٥.

* فى (ط) [يعضل] والتصويب من (ك).

والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ» رواه مسلم[٢٢٩٥].

٢٢٩٦ - * وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قالَ: سبحانَ اللهِ وبحمده في يومٍ مائة مرَّةٍ حُطَّتْ خطاياه وإن كانَتْ مثلَ زَبَدِ البحر» متفق عليه.

٢٢٩٧ - * وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قالَ حينَ يُصبح وحين يُمسي: سبحانَ اللهِ وبحمده مائةَ مرَّةٍ لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاءَ به إلا أحدٌ قالَ مثلَ ما قالَ أو زادَ عليه» متفق عليه.

٢٢٩٨ - * وعنه، قال: قالَ رسول الله ﷺ: «كلمتانِ خفيفتان على اللسانِ، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتان إلى الرَّحمنِ: سبحانَ اللهِ وبحمده، سبحانَ اللهِ العظيمِ» متفق عليه.

وقت من أوقاته، فلا يقيد بشئ منها. قوله «مثل زبد البحر» هذا وأمثاله نحو« ما طلعت عليه الشمس»كنايات، عبر بها عن الكثرة عرفًا. «مح»: ظاهر الإطلاق يشعر بأنه يحصل هذا الأجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة فى يومه، سواء قاله متوالية أو متفرقة فى مجالس، أو بعضها أول النهار وبعضها آخره، لكن الأفضل أن يأتى بها متوالية فى أول النهار.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أو زاد عليه» «مح»: فيه دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم، كان له هذا الأجر المذكور والزيادة عليه، وليس هذا من التحديد الذي نهى عن اعتدائها،والمجاوزة عن أعدادها، وأن زيادتها لافضل فيها، أو يبطلها كالزيادة فى عدد الطهارة، وعد ركعات الصلاة، ويحتمل أن يكون المراد بالزيادة ما أتى من أعمال الخير، لا من نفس التسبيح.

أقول: والاستثناء فى قوله: «إلا أحد» منقطع، فالتقدير: لم يأت أحد بأفضل مما جاء به، ولكن رجل قال مثل ما قاله، فإنه يأتي بمساو له، ولايستقيم أن يكون متصلا إلا على التأويل. نحو قول الشاعر:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضى الله عنه قوله: «كلمتان خفيفتان» **الخفة مستعارة للسهولة**، شبه سهولة جريان الكلمتين على اللسان بما يخف على الحامل من بعض الأمتعة،

[٢٢٩٥] أخرجه مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٥).

٢٢٩٩ - * وعن سعد بن أبي وقّاص. قال: كنا عندَ رسولِ الله ﷺ، فقال: «أيَعْجزُ أحدُكم أن يكسبَ كلَّ يومٍ ألف حسنة؟» فسألهُ سائلٌ، مِنْ جُلسائه: كيف يكسبُ أحدُنا ألفَ حسنةٍ؟ قال: «يسبحُ مائةَ تسبيحةٍ، فيُكتبُ له ألف حسنةٍ، أو يحطُّ عنه ألفُ خطيئة» رواه مسلم.

وفي كتابه: في جميع الروايات عن موسى الجهني: «أو يُحَطُّ»، قال أبو بكر البرقاني: وروواه شعبة، وأبو عوانة، ويحيى بن سعيد القطان عن موسى، فقالوا: «ويحُطُّ» بغير ألف. هكذا في كتاب الحميدي.

٢٣٠٠- * وعن أبي ذَرّ ، قالَ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ أيُّ الكلام أفضلُ؟ قال. «ما اصطفى اللهُ لملائكتِهِ سبحانَ الله وبحمده» رواه مسلم.

فلا يتعبه كالشئ الثقيل، فذكر المشبه به وَأراد المشبه، وأما الثقل فعلى الحقيقة عند علماء أهل السنة؛ إذ الأعمال تتجسم حينئذ، والخفة والسهولة من الأمور النسبية فهما مختصران من قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر» فتدبر.

وفيه حث على المواظبة عليها، وتحريض على ملازمتها، وتعريض بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه خفيفة سهلة عليها، مع أنها تثقل فى الميزان ثقل غيرها من التكاليف، فلا يتركوها إذا. روى فى الآثار أنه سئل عيسى عليه السلام: ما بال الحسنة تثقل، والسيئة تخف؟ فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها، وغابت حلاوتها، فلذلك ثقلت عليكم، فلا يحملنكم ثقلها على تركها، فإن بذلك ثقلت الموازين يوم القيامة، والسيئات حضرت حلاوتها، وغابت مرارتها، فلذلك خفت عليكم، فلا يحملنكم على فعلها خفتها، فإن بذلك خفت الموازين يوم القيامة.

الحديث السادس عن سعد: قوله: «وفى كتابه» إلى آخر الفصل مذكور فى شرح صحيح مسلم. أقول : يختلف معنى الواو وأو إذا أريد به أحد الأمرين، وأما إذا أريد به التنويع. فهما سيان فى القصد.

الحديث السابع عن أبى ذر رضي الله عنه: قوله: «اصطفى الله لملائكته» لمح به إلى قوله تعالى: «**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**» (١)، ويمكن أن تجعل هذه الكلمة مختصرة من قوله: «سبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» لما سبق أن سبحان الله» تنزيه

---

(١) البقرة: ٣٠.

٢٣٠١- * وعن جُوَيْرِيةَ أنَّ النبيَّ ﷺ خرَجَ من عنْدها بُكرةً حينَ صلى الصُبْحَ، وهي في مسجدِها، ثمَّ رجعَ بعد أن أضحى وهي جالسةٌ، قال: «مازلتِ على الحالِ التي فارقْتُك عليها؟» قالت: نعم قال النبيُّ ﷺ: «لقد قلتُ بعدَكِ أربعَ كلماتٍ ثلاث مراتٍ، لـو وُزِنَتْ بما قلتِ منذُ اليوم لوزنَتْهُنَّ: سبحانَ اللهِ وبحمدِه عددَ خلقِه، ورضاءَ نفسه ، وزِنةَ عرشِه، ومدادَ كلماته» رواه مسلم.

لذاته عما لايليق بجلاله، وتقديس لصفاته من النقائص، فيندرج فيه معنى قول «لا إله لا الله»، وقوله: «وبحمده» صريح في معنى «والحمد لله ﷺ»؛ لأن الإضافة فيه بمعنى اللام فى الحمد، ومستلزم لمعنى «والله أكبر»؛ لأنه إذا كان كل الفضل والإفضال لله ومن الله، وليس من غيره، فلا يكون أحد أكبر منه.

فإن قلت: يلزم من هذا أن يكون التسبيح أفضل من التهليل. قلت: لا يلزم ذلك؛ إذ التهليل تصريح فى التوحيد، والتسبيح متضمن له، ولأن نفى الإلهية فى قوله: «لا إله إلا الله» نفي لمصححهما من الخالقية والرازقية وكونه مثيبًا ومعاقبًا من الغير، وقوله: «إلا الله» إثبات له، ويلزم من ذلك نفى ما يضاد الإلهية ويخالفها من النقائض، فمنطوق «سبحان الله» تنزيه ، ومفهومه توحيد، ومنطوق «لا إله إلا الله» توحيد، ومفهومه تقديس، فإذا اجتمعا دخلا فى أسلوب الطرد والعكس، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

الحديث الثامن عن جويرية- وهى زوجة النبى ﷺ، واسم أبيها الحارث بن ضرار: قوله: «فى مسجدها» أى موضع سجودها للصلاة بعد أن أضحى، أى دخل في الضحى. و«أربع كلمات» نصب على المصدر، أى تكلمت بعد مفارقتك أربع كلمات. قوله: «لوزنتهن» «تو»: أى ساوتهن، أى لو قوبلت بما قلت لساوتهن، ويحتمل أن يراد الرجحان، أى رجحت عليهن فى الوزن، كما تقول: حاججته فحججته، أى غلبته فى الحجة، أعاد الضمير إلى ما يقتضيه المعنى لا إلى لفظه «ما» في قوله: «ما قلت» ، وفيه تنبيه على أنها كلمات كثيرة، و«اليوم» فى قوله: «منذ اليوم» مجرور، وهو الاختيار.

«شف»: وقوله: «عدد خلقه» وكذلك ما بعده نصب على المصدر، أى سبحته تسبيحًا يساوى خلقه عند التعداد، وزنة عرشه، ومداد كلماته في المقدار، ويوجب رضى نفسه، أو يكون ما يرتضيه لنفسه. «مظ»: «عدد خلقه» منصوب على المصدر، أى أعد تسبيحه وتحميده بعدد خلقه، وبمقدار ما يرضاه خالصًا ، وبثقل عرشه، ومقداره، وبمقدار كلماته . «تو» : «زنة عرشه» ما يوازنه في القدر والرزانة، يقال: هو زنة الجبل أى حذاؤه فى الثقل، والوزانة المداد، مصدر، تقول: مددت الشيء أمده مدًا ومدادًا. وقيل: يحتمل أن يكون جمع مد- بالضم- أى

٢٣٠٢- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله: «من قالَ: لا إله إلا اللهُ وحدَه لاشريكَ لهُ، لهُ الملكُ وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائةَ مرةٍ كانتْ له عدلَ عشرِ رقابٍ، وكُتِبَتْ له مائةُ حسنةٍ، ومُحِيَتْ عنهُ مائةُ سيئةٍ، وكانتْ له حِرزًا من الشيطان يومَه ذلك حتى يُمسيَ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا رجلٌ عمِل أكثرَ منه» متفق عليه.

٢٣٠٣ - * وعن أبي موسى الأشعريِّ، قال: كنَّا معَ رسولِ الله ﷺ في سفرٍ فجعلَ الناسُ يجهرونَ بالتكبيرِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «يأيُّها الناسُ! أربعوا على أنفسِكم؛ إنَّكُم لاتدْعُونَ أصمَّ ولاغائبًا، إنَّكم تَدْعُون سميعًا بَصيرًا، وهوَ معكم،

مكيال، فإنه يجمع على مداد، وكلمات الله علمه، وقيل: كلامه، وقيل: يراد به القرآن، وذكر العدد على المجاز مبالغة في الكثرة؛ لأنها لاتتعدد ولاتنحصر.

«مح»: فيه ترقى. أقول: قوله: «أربع كلمات» يقتضى تقدير الناصب فى كل من المنصوبات؛ إذ الكلمات خمس، كأنه قيل: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، وسبحان الله وبحمده رضى نفسه، وهلم جرًا. فإن قلت: كيف صرح فى القرينة الأولى بالعدد، وفى الثالثة بالزنة، وعزل الثانية والرابعة عنهما؟ قلت: ليؤذن بأنهما لايدخلان فى جنس المعدود والموزون، ولايحصرهما المقدار لاحقيقة ولامجازا، فيحصل الترقى حينئذ من عدد الخلق إلى رضى الله، ومن زنة العرش إلى مداد الكلمات.

الحديث التاسع عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «محيت عنه مائة سيئة» «مح»: جعل في هذا الحديث التهليل ماحيًا للسيئات مقدارًا معلومًا، وفى حديث التسبيح جعل التسبيح ماحيًا لها مقدار زبد البحر، فيلزم أن يكون التسبيح أفضل، وقد قال فى حديث التهليل: «ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به»؟ أجاب القاضى عياض: أن التهليل المذكور فى هذا الحديث أفضل؛ لأن جزاءه مشتمل على محو السيئات، وعلى عتق عشر رقاب، وعلى إثبات مائة حسنة، والحرز من الشيطان.

الحديث العاشر عن أبى موسى: قوله: «أربعوا على أنفسكم» أى ارفقوا بها، يقال: أربع على نفسك، أى انتظر، وقيل: المعنى أمسكوا عن الجهر وقفوا عنه، من أربع الرجل بالمكان، إذا وقف عن السير وأقام. قوله: «إنكم تدعون سميعًا بصيرًا» كالتعليل لقوله: «لاتدعون أصم»، وقوله: «وهو معكم» لقوله «ولا غائبًا». فإن قلت: فما فائدة الزيادة فى قوله: «بصيرًا»؟ قلت: السميع البصير أشد إدراكًا وأكمل إحساسًا من الضرير والأعمى.

والذي تَدْعُونه أقربُ إلى أحدِكم من عُنقِ راحلتِه. قال أبو موسى: وأنا خلفَه أقول: لاحولَ ولاقوةَّ إلا باللهِ في نفسي، فقال «ياعبدالله بن قيس! ألا أدلُّكَ على كَنزٍ مِنْ كنوزِ الجنَّةِ؟»، فقلت: بلى يارسول الله. قال: «لاحولَ ولاقوةَّ إلا بالله» متفق عليه.

الفصل الثاني

٢٣٠٤ - * عن جابرٍ، قال: قالَ رسولُ الله: «من قال سبحان اللهِ العظيم وبحمدِهِ غُرستْ له نخلة في الجنَّةِ» رواه الترمذي[٢٣٠٤].

قوله: «والذي تدعونه» أقرب تمثيل لمعنى قرب القريب، والمبالغة فيه، فيكون ترقيًا من قوله: «وهو معكم». قوله: «لاحول ولاقوة إلا بالله» ذكر فى إعرابه وجوه خمسة في كتب النحو. «تو» الأصل فى الحول تغيير الشئ وانفصاله عن غيره، فيفسر بالحالة، وهى ما يتوصل به إلى حيلة ما فى خفية. وقيل: الحيلة هى الحول، قلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها، والمعنى لاتوصل إلى تدبير أمر وتغيير حال إلا بمشيئتك ومعونتك. وقيل: الحول الحركة، يقال: حال الشخص إذا تحرك، فالمعنى لاحركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله. ومعنى قوله: «كنز من كنوز الله» أنه يعد لقائله، ويدخر له من الثواب ما يقع له فى الجنة موقع الكنز فى الدنيا؛ لأن من شأن الكانزين أن يسعدوا به، ويستظهروا بوجدان ذلك عند الحاجة.

قوله: «كنز من كنوز الجنة» قد سبق مثل هذا التركيب أنه ليس باستعارة؛ لذكر المشبه وهو الحوقلة، والمشبه به وهو الكنز، ولا التشبيه الصرف؛ لبيان الكنز بقوله: «من كنوز الجنة»؛ بل هو من إدخال الشيء فى جنس، وجعله أحد أنواعه على التغليب ونحوه قوله تعالى: «لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم»(١) فالكنز إذن نوعان: المتعارف. وهو المال الكثير يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ، وغير المتعارف، وهو هذه الكلمة الجامعة المكتنزة بالمعانى الإلهية، كما أنها محتوية على التوحيد الخفى؛ لأنه إذا نفيت الحيلة والحركة والاستطاعة عما من شانه ذلك، وأثبتت لله على سبيل الحصر وبإيجاده واستعانته وتوفيقه، لم يخرج شئ من ملكه وملكوته، ومن الدلالة على أنها دالة على التوحيد الخفى قول رسول الله ﷺ لأبى موسى «ألا أدلك على كنز من الكنوز» مع أنه كان يذكرها فى نفسه، والدلالة إنما تستقيم على ما لم يكن عليه، وهو أنه لم يعلم أنه توحيد خفى، وكنز من الكنور، ولأنه لم يقل: ماذكرته كنز من الكنوز، بل صرح بها وقال: «لاحول ولاقوة إلا بالله» تنبيهًا له على هذا السر، والله أعلم.

الفصل الثاني

الحديث الأول والثاني عن الزبير رضى الله عنه قوله: «صباح» نكرة وقعت في سياق النفى،

[٢٣٠٤] صحيح.

(١) الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

٢٣٠٥- * وعن الزبيرِ، قال: قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : «مامنْ صَبَاحٍ يُصبِحُ العبادُ إِلا مُنادٍ ينادى: سبحوا الملكَ القدُّوسَ» رواه الترمذي. [٢٣٠٥]

٢٣٠٦ - * وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أفضلُ الذِّكرِ: لا إله إِلا اللهُ، وأفضلُ الدعاءِ الحمد لله» رواه الترمذي، وابن ماجه. [٢٣٠٦]

وضمت إليها «من» الاستغراقية لإفادة الشمول، ثم جئ بقوله: «يصبح» صفة مؤكدة لمزيد الشمول والإحاطة، كقوله تعالى: «**وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه**» (١) الآية.
قوله: «سبحوا الملك القدوس» «مظ»: أى قولوا: سبحان الملك القدوس. أو ما فى معناه من قوله: سبوح قدوس رب الملائكة والروح. أقول : كأنه قيل: نزهوا عن النقائص من هو منزه عنها.

الحديث الثالث عن جابر رضي الله عنه: قوله: «أفضل الذكر لا إله إلا الله» قال بعض المحققين: إنما جعل التهليل أفضل الذكر؛ لأن لها تأثيرًا في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التى هى معبودات في باطن الذاكر، قال تعالى: «**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**» (٢) فيفيد نفى عموم الإلهية بقوله: «لا إله» ويثبت الواحد بقوله: «إلا الله» ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قالبه، فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه. وجد حلاوة هذا من ذاق. **وإطلاق الدعاء على الحمد من باب المجاز**، ولعله جعل أفضل الدعاء من حيث انه دعاء* لطيف يدق مسلكه، ومن ذلك قول أمية بن أبى الصلت حين خرج إلى بعض الملوك يطلب نائله:

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضـــه الثناء

أقول: يمكن أن يكون قوله: «الحمد لله» من باب التلميح والإشارة إلى قوله: «**اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم**» (٣) وأى دعاء أفضل وأكمل وأجمع من ذلك!ونظيره قوله تعالى: «**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا**»(٤) **الكشاف**:(٥) قوله: «وآتينا داود زبورًا» دلالة على وجه تفضيل محمد صلوات الله عليه، وهو أنه خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم؛ لأن ذلك مكتوب فى الزبور، قال تعالى: «**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**»(٦). ونظائر هذا كثيرة فى التبيان.

«مظ»: إنما كان التهليل أفضل الذكر؛ لأنه لايصح الإيمان إلا به، وإنما جعل «الحمد لله»

[٢٣٠٥] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥١٩١).
[٢٣٠٦] صحيح، انظر صحيح الجامع (١١٠٤).
(١) الأنعام: ٣٨ . (٢) الجاثية: ٢٣. (٣) الفاتحة: ٦: ٧ .
(٤) الإسراء : ٥٥. (٥) الكشاف : ٢/ ٣٦٤. (٦) الأنبياء : ١٠٥.
* فى (ط) سؤال.

٢٣٠٧- * وعن عبدالله بن عمرٍو، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الحمدُ رأسُ الشكرِ، ماشكَرَ اللهَ عبدٌ لايحْمَدُه». [٢٣٠٧]

٢٣٠٨ - *وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أوَّلُ من يُدعى إلى الجنَّةِ

أفضل الدعاء؛ لأن الدعاء عبارة عن ذكر الله، وأن يطلب منه حاجته، و«الحمد لله» تشملهما؛ فإن من حمد الله إنما يحمده على نعمته، والحمد على النعمة طلب مزيد، قال تعالى: «**لئن شكرتم لأزيدنكم**»(١).

الحديث الرابع عن عبدالله بن عمرو: قوله: «الحمد رأس الشكر» - الكشاف- : الحمد الثناء على الجميل من نعمة وغيرها، تقول: حمدته على إنعامه وعلى شجاعته، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان والجوارح، والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شعب الشكر. وإنما جعل رأسًا؛ لأن ذكر النعمة باللسان، والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد، وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب، وما فى عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان، وهو النطق الذى يفصح عن كل خفى ، ويجلى عن كل مشتبه.

وأقول: ولذلك صرح نبى الله داود وسليمان القول بالتحميد، وقصرا عليه، وكنيا عن أعمال الجوارح والقلب بالواو العاطفة فى قوله تعالى: «**ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله**»(٢) إذ التقدير: آتينا داود وسليمان علما، فعملا به وعلماه، وعرفا حق النعمة، وقالا : الحمد لله، ونحن لما ذهبنا إلى أن «الحمد لله» أفضل الدعاء فى الحديث السابق تلميحًا إلى ما فى الفاتحة، فنقول: إنما كان رأس الشكر؛ لأنه حكم رتب عليه الأوصاف الآتية إشعارًا بالعلية، فيجعل اللام فيه للاستغراق؛ ليدل على أن كل ثناء وشكر صدر عن المخلوقات من الملائكة، والثقلين وغيرهم، من ابتداء خلقتهم إلى الأبد لله تعالى؛ لأنه ربهم ومولى نعمهم جلائلها ودقائقها، وظاهرها وباطنها، ومالك أمورهم في العاقبة، فأى حمد أفضل وأعلى وأسنى منه؟ فطابق معنى الحمد معنى الدعاء فى قوله: «**اهدنا الصراط المستقيم**» (٣) يعنى حمدناك بما هو رأس الشكر، فأولنا ماهو أفضل، وهى الهداية إلى الصراط المستقيم.

قوله: «ما شكر الله عبد لم يحمده» «قض»: ولما جعل الحمد رأس الشكر، وأصله والعمدة فيه، حتى انعكس عليه، لم يعتد بغيره من الشعب عند فقده ، وكان التارك له كالمعرض عن الشكر رأسًا.

الحديث الخامس عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «فى السراء والضراء» هو عبارة عن

[٢٣٠٧] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٢٧٨٩).

(١) إبراهيم : ٧. (٢) النمل: ١٥ . (٣) الفاتحة: ٦ .

يومَ القيامةِ الذينَ يحمدونَ اللهَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ» رواهما البيهقي في «شعب الإِيمان»[٢٣٠٨].

٢٣٠٩- * وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قال موسى عليه السلام: ياربِّ! علِّمني شيئًا أذكُرك به، وأدْعُوكَ به، فقال: ياموسى! قل لا إله إلا الله. فقال: ياربِّ! كلُّ عبادِكَ يقولُ هذا، إنَّما أريدُ شيئًا تخصُّني به، قال: ياموسى! لو أنَّ السمواتِ السبع وعامِرَهنَّ، غيري، والأرضينَ السبعَ وُضِعنَ في كِفَّةٍ، ولا إلَهَ إلا اللهُ في كِفَّةٍ لمالتْ بهِن لا إلهَ إلا اللهُ» رواه في «شرح السنة». [٢٣٠٩]

جميع أحوال الإنسان، فالسراء من المسرة، والضراء من المضرة، والمقابلة بينهما من حيث المعنى؛ إذ المقابلة الحقيقية للسرور الحزن، وللضر النفع، فقوبل بينهما لمزيد التعميم والإحاطة، وهو أسلوب غريب في البديع.

الحديث السادس عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «أذكرك به» خبر مبتدأ محذوف استئنافًا، أى أنا أذكرك، ولا يجزم جوابًا للأمر لعطف قوله: «أو أدعوك به» ويجوز الجزم، وعطف «أو أدعوك» بالجزم على منوال قوله ولسنا بالجبال ولا الحديدا.

قوله: «قال: ياموسى!قل: لا إله إلا الله» فإن قلت: طلب موسى ما به يفوق على غيره من الذكر أو الدعاء، فما مطابقة الجواب السؤال؟ قلت: كأنه تعالى قال: طلبت شيئًا محالا؛ إذ لا ذكر ولادعاء أفضل من هذا، إذ المطلوب من الذكر والدعاء الثواب، فلا ثواب أعظم من ثوابها. وفى إخراج ذاته تعالى من بين عمارها إشعار بأن لاغاية لثواب هذه الكلمة؛ إذ المعنى: أن ثواب هذه الكلمة، أو مدلولها لو وزنت بالسموات والملائكة القاطنين فيها، والموكلين بحفظها، والأرضين السبع لترجحت، **والزبدة والخلاصة** منه: أنه لو وزنت بجميع الكائنات لرجحت، ولإرادة الاستيعاب، وأن المعنى به ماسوى الله استثناه بقوله: «وعامرهن غيرى» وهذا الذي أردناه بالمحال.

قوله: «وعامرهن» العمارة نقيض الخراب، يقال: عمر أرضه يعمرها عمارة، والعمر اسم للمدة التى فيها عمارة البدن بالحياة ، والعمرة الزيارة التى فيها عمارة الود. وقوله: «**إنما يعمر مساجد الله**» (١) إما من العمارة التى هى حفظ البناء، أو من العمرة التى هى الزيارة، أو من

[٢٣٠٨] ضعيف.

[٢٣٠٩] إسناده ضعيف، انظر شرح السنة (٥/ ٥٤) (١٢٧٣).

(١) التوبة: ١٨.

٢٣١٠ - * وعن أبي سعيد، وأبي هريرةَ [رضي الله عنهما]، قالا: قال رسول الله ﷺ: «من قالَ: لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبر، صدَّقهُ ربُّه. قال: لا إله إلا أنا وأنا أكبرُ، وإذا قال: لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لاشريك لهُ، يقولُ اللهُ: لا إله إلا أنا وحْدي، لاشريكَ لي، وإذا قال: لا إله إلا اللهُ له الملكُ ولهُ الحمدُ، قال: لا إلهَ إلا أنا، ليَ الملكُ وليَ الحمدُ، وإذا قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ، قال: لا إلهَ إلا أنا لاحولَ ولاقوةَ إلا بي» وكان يقول: «من قالهَا في مرَضِه ثمَّ ماتَ لم تَطعَمْهُ النار» رواه الترمذي، وابن ماجه. [٢٣١٠]

قولهم «عمرت بمكان كذا» أى أقمت به. «قض»: عامر الشئ حافظه، ومدبره، وممسكه من الخلل والانحلال، ولذلك سمى الساكن والمقيم فى البلد عامره، وسمى زوار البيت عماراً. وفي الحديث على المعنى الأعم الذى هو الأصل والحقيقة؛ ليصح استثناؤه تعالى عنه، فإنه الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا بالحقيقة.

أقول: لو حمل على جميع مفهومات العمارة من الإصلاح، والمرمة، والحفظ، والإمساك، والزيارة، والإقامة وغير ذلك لم يستبعد، فيكون من باب قوله: «**إن الله وملائكته يصلون على النبي**» (١) أو يكون «غيرى» صفة لـ «عامرهن»، وهذا أولى بسياق الحديث، وإرادة المبالغة منه. «مظ»: قوله: «غيرى» مشكل على تأويل العامر بالساكن؛ فإن الله ليس بساكن فيها، فمعنى العامر - المصلح؛ لأنه تعالى مصلح للسموات والأرض ومن فيهن، والملائكة فى السموات مصلحوها بالسكون، وأهل الأرض مصلحوها كذلك، فإذن صح الاستثناء، ويحتمل أن يكون التقدير: وما فيهن غير كلامي وذكرى، فحذف المضاف.

الحديث السابع عن أبى سعيد رضى الله عنه قوله: «صدقه ربه» أى قرره بأن قال ما قال، وهو أبلغ من أن لو قال: صدقت، نحوه قوله تعالى: «**لقد صدق الله رسوله الرؤيا**» (٢) أى حقق فى اليقظة ما رآه ﷺ فى النوم، وقوله: «**والذى جاء بالصدق وصدق به**»(٣) ، فقوله: «لا إله إلا أنا» بيان لقوله: «صدقه» لأنه هو التصديق بعينه. قوله: «لم تطعمه النار» استعار الطعم للإحراق مبالغة، كأن الإنسان طعامها تتغذى وتتقوى به، نحو قوله تعالى: «**وقودها الناس والحجارة**» (٤) أى الناس كالوقود والحطب الذى تشتعل به النار.

[٢٣١٠] صحيح، انظر صحيح الترمذى (٢٧٢٧).

(١) الأحزاب : ٥٦. (٢) الفتح: ٢٧.

(٣) الزمر: ٣٣. (٤) البقرة: ٢٤.

٢٣١١ - * وعن سعد بنِ أبي وقّاصٍ، أنه دَخلَ معَ النبيِّ ﷺ على امرأةٍ وبين يدَيْها نوىً أو حصىً، تسبّحُ به فقال: «ألا أُخبرُكِ بما هو أيسرُ عليكِ من هذا أو أفضلُ؟ سبحان الله عدَدَ ما خلَقَ في السَّماء. وسبحان الله عدَد ما خلقَ في الأرضِ، وسبحانَ الله عددَ مابينَ ذلك، وسبحانَ الله عدَد ماهو خالقٌ، واللهُ أكبر مثلَ ذلك، والحمدُ لله مثلَ ذلك، ولا إلهَ إلا اللهُ مثلَ ذلك، ولا حولَ ولاقوّةَ إلا باللهِ مثلَ ذلك» رواه الترمذي، وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حديث غريب[٢٣١١].

٢٣١٢ - * وعن عمرو بنِ شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسول الله، : «من سبَّحَ الله مائةً بالغداةِ ومائةً بالعَشيِّ؛ كان كمن حجَّ مائةَ حجَّةٍ، ومن حَمِدَ اللهَ مائةً بالغداةِ ومائةً بالعَشيِّ؛ كان كمنْ حَملَ على مائةِ فرَسٍ في سبيلِ الله، ومن هلَّلَ اللهَ مائةً بالغداةِ ومائةً بالعَشيِّ؛ كانَ كمنْ أعتقَ مائةَ رقبَةٍ من ولد إسماعيل، ومَنْ كبَّر الله مائةً بالغداة ومائةً بالعَشيِّ؛ لم يأتِ في ذلكَ اليومِ أحدٌ بأكثرَ مما أتى به إلا مَنْ قالَ مِثْلَ ذلك، أو زادَ على ما قال». رواه الترمذي ،وقال هذا حديثٌ حسن غريب.[٢٣١٢]

الحديث الثامن عن سعد رضي الله عنه: قوله: «أو أفضل» «مظ»: شك الراوى أى قال رسول الله ﷺ: أيسر عليك، أو قال: أفضل. أقول: ويمكن أن يكون «أو» بمعنى بل، وإنما كان أفضل؛ لأنه اعتراف بالقصور، وأنه لايقدر أن يحصى ثناؤه، وتسبيحه على العد بالنواة إقدام على أنه قادر على الإحصاء، كما قال: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». قوله: «عدد ما خلق فى السماء» فى «ما» وجهان: أحدهما أنه عام فى الأجناس كلها، سواء كانت ذوات العلم أم لا، وثانيهما جعل ذوا العلم بمنزلة غيره على تأويل المعدود.

قوله: «ماهو خالق» أى ماهو خالقه، أجمل بعد التفصيل؛ لأن اسم الفاعل إذا أسند إلى الله يفيد الاستمرار من بدء الخلق إلى الأبد- الكشاف- : قوله: «وجاعل الليل سكنًا»(١) ما هو بمعنى المضى، وإنما هو دال على جعل مستمر فى الأزمنة المختلفة، كما تقول: الله قادر عالم، فلا تقصد زمانًا دون زمان. قوله: «مثل ذلك» «مثل» منصوب نصب عدد فى القرائن السابقة على المصدر.

الحديث التاسع عن عمرو بن شعيب : قوله: «من ولد إسماعيل » تتميم ومبالغة فى معنى

[٢٣١١] ضعيف.

[٢٣١٢] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٦٣٠).

(١) الأنعام: ٩٦ قال في الكشاف وقرأت (وجاعل الليل سكنًا)

٢٣١٣ - وعن عبدِالله بنِ عمرٍو، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «التسبيحُ نصفُ الميزانِ. والحمد لله يملؤُهُ. ولا إلهَ إلا اللهُ ليسَ لها حجابٌ دونَ الله حتى تَخْلُصَ إليه». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وليس إسناده بالقوي. [٢٣١٣]

٢٣١٤ - * وعن أبي هريرةَ، قالَ: قالَ رسولُ الله ، «ما قالَ عبدٌ لا إله إلا اللهُ مخلصًا قطُّ إلا فُتحتْ لهُ أبوابُ السَّماءِ حتى يُفضيَ إلى العرشِ ما اجتنب الكبائرَ» رواه الترمذي ، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٢٣١٤]

العتق؛ لأن فك الرقاب أعظم مطلوب، وكونه من عنصر إسماعيل الذى هو أشرف الخلق نسبًا، أعظم وأمثل.

الحديث العاشر عن عبدالله بن عمرو: قوله: «التسبيح نصف الميزان»، والحمد لله يملؤه» قالوا: فيه وجهان، أحدهما أن يراد التسوية بين التسبيح والتحميد، بأن كل واحد منهما يأخذ نصف الميزان، فيملآن الميزان معًا، وذلك؛ لأن الأذكار التى هى أم العبادات البدنية، والغرض الأصلى من شرعها تنحصر في نوعين، أحدهما: التنزيه، والآخر التمجيد، والتسبيح يستوعب القسم الأول، والتحميد يتضمن القسم الثانى. وثانيهما: أن يراد بيان تفضيل الحمد على التسبيح، وأن ثوابه ضعف ثواب التسبيح؛ لأن التسبيح نصف الميزان، والتحميد وحده يملؤه.

وذلك؛ لأن الحمد المطلق إنما يستحقه من كان مبرءًا عن النقائص، منعوتًا بنعوت الجلال وصفات الإكرام، فيكون الحمد شاملا للأمرين وأعلى القسمين، وإلى الوجه الأول الإشارة بقوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان» وإلى الثانى بقوله ﷺ «بيدى لواء الحمد يوم القيامة». أقول: يؤيد معنى الترجيح الترقي في قوله: « ولا إله إلا الله ليس لها حجاب»؛ لأن هذه الكلمة اشتملت على التنزيه والتمجيد لله تعالى كما مر، وعلى نفى ذلك عما سواه صريحًا، ومن ثم جعله من جنس آخر؛ لأن الأولين دخلا في معنى الوزن ، والمقدار في الأعمال ، وهذا حصل منه القرب إلى الله تعالى من غير حاجز ولا مانع.

الحديث الحادى عشر عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: « حتى يفضى إلى العرش» أى ينتهى إليه، وأصله من الفضاء. «غب»: الفضاء المكان الواسع، ومنه أفضى بيده، وأفضى إلى امرأته، قال: «وقد أفضى بعضكم إلى بعض» (١) . «مظ»: الحديث المتقدم يدل على أنه تجاوز من العرش حتى انتهى إلى الله تعالى، والمراد بهذا وأمثاله سرعة القبول، وكثرة الثواب. قيد سرعة القبول وكمال الثواب باجتناب الكبائر؛ فإن الثواب يحصل للقائل سواء

[٢٣١٣] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٢٥٠٩).
[٢٣١٤] حسن، انظر صحيح الترمذى (٢٨٣٩).
(١) النساء : ٢١.

٢٣١٥- * وعن ابنِ مسعود، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسريَ بي. فقال: يا محمّد ! أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مني السَّلامَ، وأَخبِرْهُمْ أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأنها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبر» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن، غريب إسنادًا [٢٣١٥].

٢٣١٦- * وعن بُسَيرة [رضي اللهُ عنها]، وكانت من المهاجراتِ، قالت: قالَ لنا

اجتنب الكبائر أو لم يجتنب، ولكن ثواب من يجتنب الكبائر أكمل ممن لم يجتنب، فإن السيئة لاتحط الحسنة، بل تذهب الحسنة السيئة، قال تعالى: «**إن الحسنات يذهبن السيئات**»[١].

الحديث الثانى عشر عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «وأنها قيعان» «تو»: القيعان جمع القاع، وهو المستوى من الأرض، والغراس جمع غرس، وهو ما يغرس، والغرائس أيضًا وقت الغرس، والغرس إنما يصلح فى التربة الطيبة، وينمو بالماء العذب، المعنى: أعلمهم أن هذه الكلمات تورث قائلها الجنة، وتفيد مخارفتها، وأن الساعى فى اكتسابها لايضيع سعيه؛ لأنها المغرس الذى لايتلف ما استودع فيه. وأقول: هنا إشكال؛ لأن هذا الحديث يدل على أن أرض الجنة خالية عن الأشجار والقصور، ويدل قوله تعالى: «**جنات تجرى من تحتها الأنهار**»[٢] وقوله تعالى: «**أعدت للمتقين**»[٣] على أنها غير خالية عنها؛ لأنها إنما سميت جنة لأشجارها المتكاثفة المظلة بالتفاف أغصانها، وتركيب الجنة دائر على معنى الستر، وأنها مخلوقة معدة للمتقين. والجواب: أنها كانت قيعانًا، ثم إن الله تعالي أوجد بفضله وسعة رحمته فيها أشجارًا وقصورًا على حسب أعمال العاملين، لكل عامل ما يختص به بحسب عمله، ثم إن الله تعالى لما يسره لما خلق له من العمل لينال به ذلك الثواب، جعله كالغارس لتلك الأشجار على سبيل **المجاز، إطلاقًا للسبب على المسبب**. مثاله فى الشاهد الوالد إذا ألف كتابًا جامعًا للآداب، فقال: هذا لولدى إذا تعلم ونشأ أديبًا، فإذا حصل له ولد بعد برهة على ما أراد منه، فقال: أنت صاحب ذلك الكتاب، وأنت الذى حصلته، وجمعت ما فيه؛ لأنك أنت الغرض فيه، ولما كان سبب إيجاد الله الأشجار عمل العامل أسند الغراس إليه. والله أعلم بالصواب.

الحديث الثالث عشر عن بسيرة: قوله: «والتهليل» «تو»: العرب إذا كثر استعمالهم

[٢٣١٥] حسنه الشيخ بشواهده.

(١) هود: ١١٤. (٢) البقرة: ٢٥

(٣) آل عمران: ١٣٣.

رسولُ اللهِ ﷺ: «عليكُنَّ بالتسبيحِ والتهليل، والتقديس. وأعقِدْنَ بالأناملِ، فإنهنَّ مسئولاتٌ مستنطقات، ولا تَغْفُلْنَ فتُنْسَيْنَ الرحمةَ» رواه الترمذي، وأبو داود. [٢٣١٦]

الفصل الثالث

٢٣١٧- * عن سعد بن أبي وقّاصٍ، قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ، فقال: علِّمني كلامًا أقولُه، قال: «قُلْ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لهُ، اللهُ أكبرُ كبيرًا. والحمدُ للهِ كثيرًا، وسُبحانَ اللهِ ربِّ العالمينَ. لاحولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَزيزِ الحكيمِ» فقال: فهؤلاءِ لربِّي، فما لي؟ فقال: «قلْ: اللُّهمَّ اغفرْ لي، وارْحمني، واهْدِني، وارزُقْني وعافِني» شكَّ الراوي في «عافِني» رواه مسلم.

الكلمتين، ضموا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى، مثل الحوقلة، والبسملة، فالتهليل مأخوذ من لا إله إلا الله، يقال: هيلل الرجل وهلل إذا قالها، أخبر رسول الله ﷺ أن تحصيل تلك الكلمات بأناملهن ليحط عنها بذلك ما اجترحته من الأوزار، فإنهن مسئولات مستنطقات، فيشهدن على أنفسهن بما أكتسبنها، قال تعالى: **«وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم»**(١). «مظ»: فيه تحريض على استعمال جميع الأعضاء فى الخيرات.

قوله: «فتنسين الرحمة» «تو»: النسيان ترك ضبط ما استودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة أو قصد، أى استحفظتن ذكر الرحمة، وأمرتن بمسألتها، فإذا غفلتن ضيعتن ما استودعتن. «مظ»: المعنى لاتتركن الذكر، فإنكن لو تركتن الذكر لحرمتن ثواب الذكر، فإن الله تعالى قال: **«فاذكرونى أذكركم»**(٢). وأقول: قوله: «ولا تغفلن» نهى للأمرين، أى لا تغفلن عما ذكرت، لكن من اللزوم على الذكر والمحافظة عليه، والعقد بالأصابع توثيقًا. وقوله: «فتنسين» جواب له، أى إنكن لو تغفلن عما ذكرت لكن تركتن سدى عن رحمة الله، هذا من باب قوله تعالى: **«لاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبى»**(٣) أي لا تكن منكن الغفلة، فيكون من الله ترك الرحمة، فعبر بالنسيان عن الترك كما فى قوله تعالى: **«وكذلك اليوم تنسى»**(٤).

الفصل الثالث

الحديث الأول عن سعد رضى الله عنه: قوله: «الله أكبر كبيرًا» «مح»: هو منصوب بفعل مضمر، أى كبرت كبيرًا، ويجوز أن يكون حالا مؤكدة كقولك: زيد أبوك عطوفًا. قوله:

[٢٣١٦] حسنه الشيخ بشاهد موقوف على عائشة.

(١) فصلت: ٢٢. (٢) البقرة: ١٥٢. (٣) طه: ٨١. (٤) طه: ١٢٦.

٢٣١٨- * وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مرَّ على شجرةٍ يابسةِ الوَرَقِ، فضربَها بعَصاهُ، فتَناثرَ الورَقُ، فقال: «إنَّ الحمدَ* للهِ، وسُبحانَ اللهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، تُساقطُ ذُنُوبَ العَبدِ كما يَتَساقطُ ورَقُ هذهِ الشَّجرةِ» رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ غريب .

٢٣١٩- * وعن مكحولٍ، عنْ أبي هريرةَ، قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «أكثِرْ منْ قولِ: لا حوْلَ ولا قوة إلا باللهِ؛ فإنَّها منْ كنزِ الجنَّةِ» قال مكحولُ: فمنْ قال: لا حوْل ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ، ولا منجى منَ اللهِ إلا إليه؛ كشفَ اللهُ عنه سبعينَ بابًا منَ الضُّرِّ، أدْناها الفقرُ. رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ ليسَ إسنادُه بمتَّصلٍ، ومكحولٌ لم يسمَعْ عنْ أبي هريرةَ.[٢٣١٩]

٢٣٢٠- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ دَواءٌ منْ تِسعةٍ وتسعينَ داءً أيسرُهَا الهَمُّ».[٢٣٢٠]

٢٣٢١- * وعنه. قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أدلُّكَ على كلمةٍ منْ تحتِ العَرشِ منْ كنزِ الجنَّةِ: لا حوْلَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ، يقولُ اللهُ تعالى: أَسلَمَ عَبدِي، واستَسلَمَ» رواهُما البيهقيُّ في «الدَّعوات الكبير» .[٢٣٢١]

«العزيز الحكيم» هذه التتمة للحوقلة لم ترد فى أكثر الروايات إلا عن الإمام أحمد بن حنبل، فإنه أردفها بقوله: «العلى العظيم».

الحديث الثانى عن أنس رضي الله عنه: قوله: «تساقط» - بضم التاء - وقوله: «كما يتساقط» إن جعل صفة مصدر محذوف لم تبق المطابقة بين المصدرين، ولو جعل حالا من الذنوب استقام، ويكون تقديره: تساقط الذنوب مشبهًا تساقطها بتساقط الورق.

الحديث الثالث عن مكحول: قوله: «فمن قال: لا حول ولاقوة إلا بالله إلى آخره» موقوف عليه.

الحديث الرابع والخامس عن أبى هريرة رضي الله عنه قوله: «من تحت العرش» صفة «كلمة»، ويجوز أن تكون «من» ابتدائية، أى ناشئة من تحت العرش، وبيانية أى كائنة من تحت العرش، ومستقرة فيه. وأما «من» الثانية فليست إلا بيانية، فإذا ذهب إلى أن الجنة تحت العرش، والعرش سقفها جاز أن يكون «من كنز الجنة» بدلاً من «تحت العرش». وقد مر أن «لا حول» دل على نفى التدبير للكائنات، وإثباته لله عز وجل، هذا معنى قوله: «أسلم عبدى

[٢٣١٩] صحيح دون قول مكحول «فمن قال....» فإنه مقطوع، انظر صحيح الترمذى (٢٨٤٧).

[٢٣٢٠] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٦٣٠٠).

[٢٣٢١] صحيح، انظر صحيح الجامع (٢٦١٤).

(*) مرفوعة على الحكاية.

٢٣٢٢- * وعن ابنِ عمرَ: أنَّه قال: سُبحانَ اللهِ هيَ صلاةُ الخَلائقِ، والحمد لله كلمةُ الشكرِ، ولا إله إلاَّ اللهُ كلمةُ الإخلاصِ، واللهُ أكبرُ تملأُ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ، وإذا قالَ العَبدُ: لا حوْلَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ؛ قال اللهُ تعالى: أسلَمَ واستَسلمَ. رواه رزين.

(٤) باب الاستغفار والتوبة

الفصل الأول

٢٣٢٣- * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «واللهِ إني لاستغفر اللهَ وأتوبُ إليهِ في اليومِ أكثَر من سبعينَ مرَّةً» رواه البخاري.

واستسلم» أى فوض أمور الكائنات كلها إلى الله، وانقاد هو بنفسه لله تعالى مخلصًا له الدين، والعرش منصة التدابير، قال الله تعالى: «**ثم استوى على العرش يدبر الأمر**»[١] فقوله: «يقول الله تعالى» جزاء شرط محذوف، أى إذا قال العبد هذه الكلمة يقول الله.

الحديث السادس عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «سبحان الله، هى صلاة الخلائق» «هى» ضمير فصل وعماد، وعلى التقديرين الحصر لازم، و«الخلائق» جمع محلى بلام الاستغراق، فلا يخرج ذرة من ذرات الكائنات إلا هى مسبحة لله خاضعة لأمره منقادة لطاعته. قال تعالى: «**وإن من شئ إلا يسبح بحمده**»(٢). فالتسبيح إما بالمقال أو بالحال حيث يدل على الصانع، وعلى قدرته، وحكمته، وحيث ينزه الله مما لايجوز عليه من الشركاء وغيرها، فالمراد بالصلاة كونها منقادة لله تعالى، مسخرة لما يراد منهم، وهى كالسجود فى قوله: «**يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون**»[٣] - الكشاف- [٤]: أى يرجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له. وهى داخرة صاغرة لأفعاله تعالى. قوله: «والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض» إشارة إلى أن هذه الخاتمة كالمجمل للتفصيل، وقد سبق أنه كاعتراف العبد بالقصور من إجراء تلك الأوصاف على موصوفها.

باب الاستغفار والتوبة

الاستغفار استفعال من الغفران، وأصله من الغفر، وهو إلباس الشىء بما يصونه عن الدنس. ومنه قيل: اغفر ثوبك فى الوعاء، فإنه أغفر للوسخ. الغفران والمغفرة من الله، هو أن

---

(١) يونس: ٣. (٢) الإسراء: ٤٤
(٣) النحل: ٤٨. (٤) الكشاف: ٢/ ٣٣٠.

٢٣٢٤- * وعن الأغرِّ المزَني [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنه ليُغانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائةَ مرَّةٍ» رواه مسلم.

يصون العبد من أن يمسه العذاب، والتوبة ترك الذنب على أحمد الوجوه، وهو أبلغ ضروب الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه، إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت، ولقد أقلعت، ولا رابع لذلك. وهذا الأخير هو التوبة، ثم التوبة فى الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة؛ فمتى اجتمع هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة، وتاب إلى الله. هذا كلام الراغب، وزاد الشيخ محيى الدين النواوى وقال: وإن كان الذنب يتعلق ببنى آدم، فلها شرط آخر، وهو رد الظلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه. والتوبة أهم قواعد الإسلام، وهى أول مقدمات سالكى الآخرة. وأنشد بعضهم فى مناجاته:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من جود كفيك ما علمتنى الطلبا

يريد به قوله تعالى: ﴿واستغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾(١).

الفصل الأول

الحديث الأول والثانى عن الأغر: قوله: «إنه ليغان على قلبى» اسم «إن» ضمير الشأن، والجملة بعده خبر له ومفسرة. «فا»: «ليغان» أى ليطبق إطباق الغين، وهو الغيم، يقال: غيت السماء تغان، والفعل مسند إلى الظرف، وموضعه رفع بالفاعلية.

«مح»: ذكروا فى الغين وجوهًا، أحدها قال القاضى عياض: المراد به فترات وغفلات من الذكر الذي شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه، أو غفل عنه عد ذلك ذنبًا فاستغفر منه. وثانيها: هو همه بسبب أمته، وما اطلع عليه من أحوالهم بعده ويستغفر لهم. وثالثها: قيل: سببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته، وأمورهم ومحاربة العدو ومداراتهم، وتأليف المؤلفة، ونحو ذلك من معاشرة الأزواج، والأكل والشرب والنوم، وذلك مما يحجبه، ويحجزه عن عظيم مقامه، فيراه ذنبًا بالنسبة إلى ذلك المقام العلى، وهو حضوره فى حظيرة القدس ومشاهدته، ومراقبته وفراغه مع الله تعالى مما سواه، فيستغفر لذلك. ورابعها: قيل: يحتمل أن الغين هو السكينة التى تغشى قلبه لقوله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله﴾(٢) فالاستغفار لإظهار العبودية والافتقار، والشكر لما أولاه. وخامسها قيل: يحتمل أن الغين هو حالة خشية وإعظام، فالاستغفار شكر لها. قال المحاسبي: خوف المقربين خوف إجلال وإعظام. وسادسها: هو شئ يعترى القلوب مما تتحدث به النفس. كل ذلك فى شرح مسلم.

---

(١) نوح: ١٠.

(٢) الفتح: ٢٦.

٢٣٢٥- * وعنه، قال، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يأَيُّها النَّاسُ! توبُوا إِلى اللهِ، فإنِّي أتوبُ إِليهِ في اليوم مائةَ مرَّةٍ» رواه مسلم .

«تو»: سئل الأصمعى عن هذا الحديث، فقال: عن قلب من تروى هذا؟ فقال: عن قلب النبى ﷺ، فقال: لو كان عن قلب غيره لكنت أفسره لك. ولله دره فى انتهاجه منهج الأدب، وإجلال القلب الذى جعله الله موقع وحيه، ومنزل تنزله! وبعد فإن قلبه مشرب، سد عن أهل اللسان موارده، وفتح لأهل السلوك مسالكه، وأحق من يعرب، أو يعبر عنه، مشايخ الصوفية الذين نازل الحق أسرارهم، ووضع الذكر أوزارهم.

ومن كلمات شيخنا شيخ الإسلام أبى حفص السهروردى - قدس الله سره - : لاينبغى أن يعتقد أن الغين نقص فى حاله صلوات الله عليه، بل هو كمال، أو تتمة كمال، وهذا السر دقيق لاينكشف إلا بمثال، وهو أن الجفن المسبل على حدقة البصر، وإن كانت صورته صورة نقصان، من حيث هو إسبال وتغطية على من شأنه أن يكون باديًا مكشوفًا، فإن المقصود من خلق العين إدراك المدركات الحسية، وذلك لايتأتى إلا بانبعاث الأشعة الحسية من داخل العين، واتصالها بالمرئيات على مذهب قوم، وبانطباع صور المدركات فى الكرة الجليدية على مذهب آخرين، فكيف ما قدر لايتم المقصود إلا بانكشاف العين، وعرائها عما يمنع من انبعاث الأشعة عنها، ولكن لما كان الهواء المحيط بالأبدان الحيوانية قلما يخلو من الأغبرة الثائرة بحركة الرياح، فلو كانت الحدقة دائمة الانكشاف ، لاستضرت بملاقاتها وتراكمها عليها، فأسبلت أغطية الجفون عليها، وقاية لها، ومصقلة لها؛ لتنصقل الحدقة بإسبال الأهداب، ورفعها لخفة حركة الجفن، فيدوم جلاؤها، ويحتد نظرها. فالجفن وإن كان نقصًا ظاهرًا، فهو كمال حقيقةً، فهكذا لم تزل بصيرة النبى ﷺ معترضةً لأن تصدأ بالأغبرة الثائرة من أنفاس الأغيار، فلا جرم دعت الحاجة إلى إسبال جفن من الغين على حدقة بصيرته سترًا لها، ووقاية وصقالا عن تلك الأغبرة المثارة برؤية الأغيار وأنفاسها، فصح أن الغين وإن كانت صورته نقصًا، فمعناه كمال وصقال حقيقة.

ثم قال - رضى الله عنه ـ : وأيضًا فإن روح النبى ﷺ لم تزل فى الترقى إلى مقامات القرب، مستتبعة للقلب فى رقيها إلى مركزها، وهكذا القلب كان يستتبع نفسه الزكية، ولا خفاء أن حركة الروح والقلب أسرع وأتم من نهضة النفس وحركتها، فكانت خطى النفس تقصر عن مدى الروح والقلب فى العروج والولوج فى حريم القلب، ولحوقها بهما، فاقتضت العواطف الربانية على الضعفاء من الأمة إبطاء حركة القلب بإلقاء الغين عليه؛ لئلا يسرع القلب، ويسرح فى معارج الروح ومدارجها، فتنقطع علاقة النفس عنه لقوة الانجذاب، فيبقى العباد مهملين* محرومين عن الاستنارة بأنوار النبوة، والاستضاءة بمشكاة مصباح الشريعة، حيث كان يرى ﷺ إبطاء القلب بالغين الملقى عليه، وقصور النفس عن شأنه، وترقى الروح إلى الرفيق الأعلى،

---

* فى (ط) [مهمكين] والتصويب من (ك).

٢٣٢٦- * وعن أبي ذر [رض الله عنه]، قال: قال رسولَ اللهِ ﷺ فيما يَروي عن الله تباركَ وتعالى أنه قال: «ياعبادي! إني حرَّمتُ الظُلْمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحرَّمًا، فلا تَظالَموا. يا عبادي! كلُّكم ضالٌّ إلا من هَدَيْتُه فاستَهدُوني أهْدِكمْ. يا

كان يفزع إلى الاستغفار؛ إذا لم تف قواهما فى سرعة اللحوق بها. وهذا من أعز مقول فى هذا المعنى، وأحسن مشروح فيه. والله أعلم.

الحديث الثالث والرابع عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «يا عبادى» «قض»: الخطاب مع الثقلين خاصة لاختصاص التكليف، وتعاقب التقوى والفجور بهم، ولذلك فصل المخاطبين بالإنس والجن، ويحتمل أن يكون عامًا شاملا لذوى العلم كلهم من الملائكة والثقلين، ويكون ذكر الملائكة مطويًا مدرجًا فى قوله: «وجنكم» لشمول الاجتنان لهم، وتوجه هذا الخطاب نحوهم لايتوقف على صدور الفجور منهم، ولا على إمكانه؛ لأنه كلام صادر على سبيل الفرض والتقدير. وأقول: يمكن أن يكون الخطاب عامًا، ولا يدخل الملائكة فى الجن؛ لأن الإضافة فى «جنكم» تقتضى المغايرة، فلا يكون تفصيلا، بل إخراجًا للقبيلين اللذين يصح اتصاف كل منهما بالتقوى والفجور.

قوله: «حرمت الظلم على نفسي» «نه» : أى تقدست عنه، وتعاليت، فهو في حقى كالشئ المحرم على الناس. **أقول**: يريد أنه **استعارة مصرحة تبعية**، شبه تنزهه تعالى عن الظلم الذى هو وضع الشئ فى غير موضعه، باحتراز المكلف عما نهى عنه شرعًا فى الامتناع منه، ثم استعمل فى جانب المشبه ما كان مستعملا فى جانب المشبه به مبالغة وتشديدًا، ويحتمل أن يكون **مشاكلة** لقوله بعده: «وجعلته بينكم محرمًا». نحو قوله الشاعر:

من مبلغ أفناء يعرب كلها   أنى بنيت الجار قبل المنزل

قوله: «يا عبادى كلكم ضال» لما كان الخطاب بعد «يا عبادى» معنيًا به مهتما بشأنه، كرره تنبيهًا على فخامته، ونسبة الضلال إلى الكل بحسب مراتبهم.

«غب»: الضلال العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، فإن الطريق المستقيم الذى هو المرتضى صعب جدًا. قيل: كوننا مصيبين من وجه، وكوننا ضالين من وجوه كثيرة؛ فإن الاستقامة والصواب تجرى مجرى المقرطس من المرمى، وما عداه من الجوانب كلها ضلال، وإليه أشار ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا». فإذا كان الأمر على ما جرى، صح أن يستعمل لفظ الضلال فيمن يكون على خطأ ما، ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار وإن كان بين

عبادي! كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه؛ فاستطعمُوني أُطعِمْكم. ياعبادي! كلُّكم عارٍ إلا منْ كسوتُه؛ فاستكسوني أكسكم. ياعبادي! إنكم تُخطِئونَ بالليلِ والنهارِ، وأنا أغفر الذنوبَ جميعًا، فاستغفِرُوني أغفرْ لكم. يا عبادي! إنكم لنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضرُّوني، ولنْ تبلغوا نفعي فتَنْفَعُوني. يا عبادي! لو أنَّ أولكم، وآخركَم، وإنسكم، وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحد منكم؛ مازادَ ذلك في ملكي شيئًا. ياعبادي! لو أنَّ

الضلالين بون بعيد، قال فى حق النبى ﷺ: «ووجدك ضالا فهدى»[1] أى غير مهتد لما سبق إليك من النبوة، وقال موسى عليه السلام: «فعلتها إذن وأنا من الضالين»[2] تنبيهًا على أن ذلك منه سهو. ولما فرغ من الامتنان بأمور الدين شرع فى الامتنان بأمور الدنيا، وذكر منها ما هو أصل فيها، ومكمل لمنافعها من الشبع واللبس ولا يستغنى عنهما، ومن ثم وصف الجنة بقوله: «إن لك ألا تجوع فيها ولاتعرى»[3].

فإن قلت: ما معنى الاستثناء فى قوله: «إلا من أطعمته، وإلا من كسوته» إذ ليس أحد من الناس محرومًا عنهما؟ قلت: الإطعام والكسوة لما كانا معبرين عن النفع التام والبسط فى الرزق، وعدمها عن التقتير والضيق، كما قال تعالى: «الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»[4] سهل التقصى عن الجواب، فظهر من هذا أن ليس المراد من إثبات الجوع والعرى فى المستثنى منه، نفى الشبع والكسوة بالكلية، وليس فى المستثنى إثبات الشبع والكسوة مطلقًا، بل المراد بسطهما وتكثيرهما، يوضحه الحديث الرابع عشر من الفصل الثانى أنه وضع قوله: «وكلكم فقراء إلا من أغنيت» فى موضعه.

قوله: «إنكم لن تبلغوا ضرى، فتضرونى» نصب، حذف منه نون الإعراب جوابًا عن النفى، أي لن تبلغوا لعجزكم إلى مضرتى، ولا يستقيم، ولا يصح منكم أن تضرونى أو تنفعونى، حتى أتضرر منكم أو أنتفع بكم؛ لأنكم لو اجتمعتم على عبادتى أقصى ما يمكن ما نفعتمونى ولا زدتم فى ملكى شيئًا، ولو اجتمعتم كلكم على عصيانى ما ضررتمونى، ولا نقصتم من ملكى شيئًا، فالقرينتان الأخيرتان كالنشر للأولين.

قوله: «كانوا على أتقى قلب رجل واحد» «قض»: أى على تقوى أتقى قلب رجل، أو على أتقى أحوال قلب رجل واحد. أقول: لابد من هذا التقدير ليستقيم أن يقع «أتقى» خبرا لـ«كان» ثم إنه لم يرد أن كلهم بمنزلة رجل واحد، هو أتقى من الناس، بل كل واحد من الجمع

---

(١) الضحى: ٧. (٢) الشعراء: ٢٠.
(٣) طه: ١١٨. (٤) الزمر: ٥٢.

أوَّلكم، وآخرَكم، وإنسكم، وجنَّكم، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم؛ ما نقَصَ ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي! لو أنَّ أولكم وآخركم، وإنسكم، وجنَّكم قامُوا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مَسألتَه؛ ما نقَصَ ذلكَ مما عندي إلا كما يَنْقُصُ المخْيَطُ إذا أُدخِلَ البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالُكم أحصيها عَلَيكُم، ثمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاها. فمنْ وجدَ خيرًا فلْيَحمَدِ الله. ومن وجَدَ غيْرَ ذلك فلا يَلومَنَّ إلا نفْسَهُ» رواه مسلم.

٢٣٢٧- * وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ:

بمنزلته؛ لأن هذا أبلغ، كقولك: ركبوا فرسهم، وعليه قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم»(١) فى وجه، ثم إضافة «أفعل» إلى نكرة مفردة تدل على أنك لو تقصيت قلب رجل رجل من كل الخلائق، لم تجد أتقي قلبا من هذا الرجل، قوله: «ما نقص ذلك من ملكى شيئًا» «شيئًا» يجوز أن يكون مفعولا به، إن قلنا: إن «نقص» متعد، ومفعولا مطلقًا إن قلنا: إنه لازم، أى نقص نقصانًا قليلا، والتنكير فيه للتحقير بقرينة قوله فى الحديث الآتى: «جناح بعوضة».

قوله: «فى صعيد واحد» الصعيد وجه الأرض. «قض»: قيد السؤال بالاجتماع فى مقام واحد؛ لأن تزاحم السؤال وازدحامهم مما يدهش المسئول ويبهته، ويعسر عليه إنجاح مآربهم، والإسعاف إلى مطالبهم. و«المخيط» بكسر الميم وسكون الخاء الإبرة، وغمسها فى البحر إن لم يخل عن نقص ما، لكنه لما لم يظهر ما ينقصه للحس، ولم يعتد به العقل، وكان أقرب المحسوسات نظيرًا ومثالا، شبه به صرف ملتمسات السائلين مما عنده، فإنه لا يغيضه مثل ذلك، ولا أقل منه.

قوله: «إنما هى أعمالكم» «قض»: أى هى جزاء أعمالكم، فأحفظها عليكم، ثم أؤديها إليكم تامًا وافيًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. «مظ»: «أعمالكم» تفسير لضمير المؤنث فى قوله: «إنما هى» يعنى إنما نحصى أعمالكم، أى نعد ونكتب أعمالكم من الخير والشر، توفية لجزاء عمل أحدكم على التمام. أقول: يمكن أن يرجع الضمير إلى ما يفهم من قوله: «أتقى قلب رجل، وأفجر قلب رجل» وهى الأعمال الصالحات والطالحات، ويشهد له لفظة «إنما» فإنها تستدعى الحصر، أى ليس نفعها وضرها راجعًا إليَّ، بل أحصيها لكم، لأجازيكم بها، فمن وجد خيرًا فليشكر الله؛ لأنه تعالى هو هادى الضلال، وموفقهم للخيرات، ومن وجد شرًا، فليلم نفسه؛ لأنه باق على ضلاله الذى أشار إليه بقوله: «كلكم ضال».

الحديث الخامس عن أبى سعيد رضي الله عنه: قوله: «أله توبة» «مظ»: أى هل تقبل

---

(١) البقرة :٧.

«كانَ في بني إسرائيلَ رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ إنسانًا، ثم خرجَ يسألُ، فأتى راهبًا، فسأله، فقال: أَلَهُ توبةٌ؟ قال: لا فقتَلَهُ؛ وجعَلَ يسألُ، فقالَ لهُ رجلٌ: ائتِ قرية كذا وكذا، فأدْرَكَهُ الموتُ فناءَ بصدرهِ نحوَها، فاختَصَمَتْ فيهِ ملائكةُ الرحمةِ وملائكة العذابِ، فأوحى اللهُ إلى هذهِ أنْ تقرَّبي، وإلى هذهِ أن تباعدي، فقال: قِيسُوا ما بينَهما فوُجِدَ إلى هذه أقربَ بشبرٍ فغُفِرَ لَهُ» متفق عليه.

٢٣٢٨- * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نَفْسي بيدِه لو لمْ تذْنبوا؛ لذَهَبَ اللهُ بكم، ولجاءَ بقومٍ يُذْنبونَ، فَيَسْتغفِرون اللهَ فَيَغفِرُلهم» رواه مسلم.

توبته بعد هذه الجريمة العظيمة؟ فى الحديث إشكال؛ لأنا إن قلنا: لا، فقد خالفنا نصوصًا، وإن قلنا: نعم، فقد خالفنا أيضا أصل الشرع، فإن حقوق بنى آدم لاتسقط بالتوبة، بل توبتها أداؤها إلى مستحقيها، أو الاستحلال منها. فالجواب: أن الله تعالى إذا رضى منه، وقبل توبته، يرضى خصمه. قوله: «فأدركه الموت» أى أماراته وسكراته، فالفاء عطف على محذوف، أى قيل له: ائت قرية كذا، فقصدها وصار نحوها، وقرب من وسط الطريق فأدركه الموت.

قوله: «فناء» «نه»: أى نهض، ويحتمل أن يكون بمعنى ناء، أى بعد، يقال: ناء ونأى بمعنى. قوله: «فأوحى الله إلى هذه، أن تقربى» «أن» مفسرة، لأن «أوحى» فيه معنى القول، و«هذه» إشارة إلى القرية التى توجه إليها، أى تقربى من الميت، وقوله: «هذه» ثانيًا إشارة إلى القرية التى هاجر منها، وقيل: هى إشارة إلى الملائكة المتخاصمين. وفيه بعد؛ إذ لو أريد هذا، لقيل: أبعدا عنه وقيسا. «مظ»: فيه تحريض للمذنبين على التوبة، ومنع لهم عن اليأس من رحمة الله تعالى، إذ لا منجا ولا ملجأ، ولا مجير للمذنبين سواه.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم» «تو»: لم يرد هذا الحديث مورد تسلية المنهمكين فى الذنوب، وقلة احتفال منهم بمواقعة الذنوب، على ما يتوهم الغرة، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب؛ بل ورد مورد البيان لعفو الله عن المذنبين، وحسن التجاوز عنهم، ليعظموا الرغبة فى التوبة والاستغفار.

والمعنى المراد من الحديث هو أن الله تعالى كما أحب أن يحسن إلى المحسن، أحب أن يتجاوز عن المسئ - وقد دل على ذلك غير واحد من أسمائه الغفار، الحليم، التواب ، العفو لم

٢٣٢٩- * وعن أبي موسى [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يبسُطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النَّهارِ، ويبسُطُ يدَهُ بالنَّهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ، حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مغرِبها». رواه مسلم.

يكن ليجعل العباد شأنًا واحدًا كالملائكة مجبولين على التنزه من الذنوب، بل يخلق فيهم من يكون بطبعه ميالا إلى الهوى، متفتنًا بما يقتضيه، ثم يكلفه التوقى عنه، ويحذره عن مداناته، ويعرفه التوبة بعد الابتلاء، فإن وفى فأجره على الله، وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه، فأراد النبى ﷺ إنكم لو كنتم مجبولين على ما جبلت عليه الملائكة، لجاء الله بقوم يتأتى منهم الذنب، فيتحلى عليهم بتلك الصفات على مقتضى الحكمة، فإن الغفار يستدعى مغفوراً، كما أن الرزاق يستدعى مرزوقًا.

أقول: تصدير الحديث بالقسم رد لمن ينكر صدور الذنب عن العباد، ويعده نقصًا فيهم مطلقًا، وأن الله تعالى لم يرد من العباد صدوره، كالمعتزلة ومن سلك مسلكهم، فنظروا إلى ظاهره، وأنه مفسدة صرفة، ولم يقفوا على سره أنه مستجلب للتوبة والاستغفار الذى هو موقع محبة الله، «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»[(١)] و«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار»، و«الله أشد فرحًا بتوبة عبده» الحديث.

ولعل السر فى هذا إظهار صفة الكرم، والحلم، والغفران، ولو لم يوجد لانثلم طرف من صفات الألوهية، والإنسان إنما هو خليفة الله فى أرضه، يتجلى له بصفات الجلال، والإكرام، والقهر، واللطف، والملائكة لما نظروا إلى الجلال والقهر، قالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»[(٢)] والله تعالى حين نظر إلى صفة الإكرام واللطف قال: «إنى أعلم ما لا تعلمون»[(٣)]. وإلى هذا المعنى يلمح قوله ﷺ: «لذهب الله بكم» ولم يكتف بقوله: «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون» والله أعلم.

الحديث السابع عن أبى موسى: قوله: «إن الله يبسط يده» «تو» بسط اليد عبارة عن التوسع فى الجود، والتنزه عن المنع عند اقتضاء الحكمة، ومنه الباسط. وفى الحديث تنبيه على سعة رحمة الله، وكثرة تجاوزه عن الذنوب. «مح»: «بسط اليد» عبارة عن قبول التوبة. قال المازرى: وذلك أن العرب إذا رضى أحدهم الشىء، بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه. أقول: لعله تمثيل، شبه حالة إرادة الله تعالى التوبة من العبد، وأنها مما هو مطلوبه يجب أن ينالها. بحالة من ضاع ما هو تعيشه به، ولا غنى له عنه، فيتفقده وهو يمد يده إلى من وجد

---

(١) البقرة: ٢٢٢ (٢) البقرة: ٣٠

(٣) البقرة: ٣٠

٢٣٣٠- * وعن عائشةَ [رضي الله عنها]، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العَبْدَ إذا اعترَفَ ثمَّ تابَ؛ تابَ اللهُ عليه». متفق عليه.

٢٣٣١- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تابَ قبلَ أنْ تطلُعَ الشَّمس منْ مغربِها؛ تابَ اللهُ علَيه». رواه مسلم.

٢٣٣٢- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «للهُ أشدُّ فرحًا بتوْبةِ عبدِه حينَ يتوبُ إليهِ منْ أحدِكم، كانَ راحلَتُه بأرض فلاة، فانفلتَتْ منه، وعليها طعامُه وشرابُه، فأيِس منها، فأتى شجرةً، فاضطَجعَ في ظلِّها، قدْ أيِسَ منْ راحلَته. فبينما هوَ كذلك إذ هوَ بها قائمةٌ عندَه، فأخذَ بخِطامِها، ثمَّ قال منْ شدَّةِ الفرَحِ اللهُمَّ أنتَ عَبدي وأنا ربُّكَ أخطأَ منْ شدَّةِ الفرَحِ». رواه مسلم.

ضالته، طالبًا منه، متضرعا لديه. ثم استعمل فى جانب المستعار له ما كان مستعملا فى جانب المستعار منه من بسط اليد. ويشهد له الحديث العاشر من هذا الفصل، وما جاء في رواية أخرى: «إن الله واضع يده لمسىء الليل» «نه»: المعنى يكفها لأجله يتقاضى منه التوبة ليقبلها منه.

الحديث الثامن عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «تاب الله عليه» أى قبل توبته، وتحقيقه أن الله تعالى رجع متعطفًا عليه برحمته، وقبل توبته، فيكون «تاب الله عليه» كناية عن قبول التوبة؛ لأن قبول التوبة مستلزم لتعطف الله تعالى وترحمه عليه.

الحديث التاسع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «قبل أن تطلع الشمس من مغربها» «مح»: هذا حد لقبول التوبة، وهو معنى قوله: **«يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»**(١). وللتوبة حد آخر، وهو أن يتوب قبل أن يغرغر. وأن يرى بأس الله؛ لقوله تعالى: **«فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا»**(٢) لأن الاعتبار إنما هو للإيمان بالغيب.

الحديث العاشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «لله أشد فرحًا» «مظ»: معناه أرضى بالتوبة وأقبل لها، والفرح المتعارف فى نعوت بنى آدم غير جائز على الله تعالى؛ إنما معناه الرضى، وكذا الضحك والاستبشار. والمتقدمون من أهل الحديث فهموا منها ما وقع الترغيب فيه من الأعمال، والإخبار عن فضل الله عز وجل، وأثبتوا هذه الصفات لله تعالى، ولم يشتغلوا بتفسيرها مع اعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات المخلوقين، ليس كمثله شىءٌ، وهو السميع البصير.

---

(١) الأنعام: ١٥٨. (٢) غافر: ٨٥.

٢٣٣٣- * وعن أبي هريرةَ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ عبداً أذنبَ ذنبًا، فقال. ربِّ ! أذنبتُ فاغفرْهُ، فقال ربُّه: أعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذَّنبَ ويأخذُ به؟ غفَرتُ لعبدي. ثمَّ مكثَ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أذنبَ ذَنبًا، فقالَ ربِّ! أذنبتُ ذنبًا فاغفرهْ فقال [ربُّه]. أعلمَ عبَدي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذَّنبَ ويأخذُ به؟ غفَرتُ لعَبدي. ثمَّ مكثَ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أذنبَ ذنبًا، قالَ: ربِّ! أذنبتُ ذَنبًا آخرَ فاغفرْ لي. فقال: أعلِمَ عبدِي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ به؟غفَرتُ لعبدي، فلْيفعَلْ ماشاءَ». متفق عليه.

أقول : هذا هو المذهب المحتاط، وقلما يزيغ عنه قدم الراسخ، ومن اشتغل بالتفسير والتأويل، فله طريقان، أحدهما أن **التشبيه مركب عقلى** من غير نظر إلى مفردات التركيب، بل تؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع، وهى غاية الرضى ونهايته، وإنما أبرز ذلك فى صورة التشبيه تقريراً لمعنى الرضى فى نفس السامع، وتصويراً لمعناه. وثانيهما **تمثيلى**، وهو أن يتوهم للمشبه الحالات التى للمشبه به،وينتزع له منها ما يناسبه حاله بحيث لم يختل منها شىء، فإنك إذا أمعنت النظر فى التمثيل السابق فى حديث بسط اليد، حل لك هذا المعضل، وانكشف لك الحال.

الحديث الحادى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: **«أعلم عبدى» يجوز أن يكون استخباراً** عن الملائكة وهو أعلم بهم، للمباهاة، وأن **يكون استفهامًا للتقرير والتعجيب، والتفاتًا عدل من الخطاب**، وقوله: «أعلم عبدى» إلى الغيبة شكراً لصنيعه إلى غيره وإحماداً له على فعله. قوله: «فليفعل ما شاء» «مح»: معناه اعمل ما شئت ما دمت تذنب، ثم تتوب قد غفرت لك.

«فليفعل ما شاء» كلام يستعمل تارة فى معرض السخطة والنكير، وطوراً فى صورة التلطف والحفاوة، وليس المراد منه فى كلتا الصورتين الحث على الفعل أو الترخص فيه. وعلى السخطة والنكير ورد قوله تعالى: **«اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير»**(١)، وعلى الحفاوة والتلطف ورد هذا الحديث، وذلك مثل قولك لمن توده وترى منه الجفاء: اصنع ماشئت، فلست بتارك لك، وقوله ﷺ فى حق حاطب بن أبى بلتعة: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». قوله: ««فقال» خبر «إن» إذ كان اسمها نكرة موصوفة بفعل، فالفاء فى «فاغفره» سببية، جعل اعترافه بالذنب سببًا للمغفرة، حيث أوجب الله تعالى المغفرة للتائبين المعترفين بالسيئات على سبيل الوعد.

---

(١) فصلت : ٤٠.

٢٢٣٤- * وعن جُنْدُب [رضي الله عنه]: أنَّ رسولَ الله ﷺ حدَّث: «أنَّ رجلاً قال: والله لايغفِرُ اللهُ لفُلان، وأنَّ اللهَ تعالى قال: مَنْ ذا الذي يتألَّى عَلَيَّ أنّي لا أغفِرُ لفلان فإني قدْ غفَرتُ لفُلانٍ وأحْبطْتُ عملَكَ». أو كما قال رواه مسلم .

٢٢٣٥- * وعن شدَّادِ بنِ أوسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سيّدُ الاستغفارِ أن تقولَ : اللهُمَّ أنتَ ربِّي لا إلهَ إلا أنتَ، خلَقتَني وأنا عبدُكَ، وأنا على عهدكَ ووعْدكَ ما استَطعتُ، أعوذُ بكَ منْ شرِّ ما صنعتُ، أبُوءُ لكَ بنعمتِكَ عليَّ، وأبُوءُ بذنْبي فاغفرْ

الحديث الثانى عشر عن جندب رضى الله عنه: قوله: «من ذا الذى يتألى» وارد على الإنكار والتهديد، وكان من الظاهر أن يقال: أنت الذى تتألى على، يدل عليه الالتفات فى قوله: «أحبطت عملك» فعدل منه شاكيًا صنيعه لغيره، معرضًا عنه على عكس الحديث السابق. «نه» :«من يتألى على الله» أى من حكم على الله وحلف، كما تقول: والله لا يدخلن الله فلانا النار، وفلانًا الجنة، ومنه الحديث «من يتألى على الله يكذبه».

«مظ»: لايجوز لأحد أن يجزم بالغفران، أو بالعقاب؛ لأن أحدًا لايعلم مشيئة الله وإرادته فى عباده، بل نرجو للمطيع، ونخاف للعاصى، وإنما يجزم القول فى حق من جاء فيه نص، كالعشرة المبشرة. قوله: «أحبطت عملك» إن قلنا: قوله هذا كفر، فهو ظاهر، وإن قلنا: إنه معصية، فمذهب المعتزلة على هذا، وأما على مذهب أهل السنة فمحمول على التغليظ، وقد تأوله المظهر، بأن قال: أبطلت قسمك، وجعلت حلفك كذبًا. قوله: «أو كما قال» أى قال ما ذكرته، أو قال ما يشبهه. «مح»: ينبغى لمن روى حديثًا بالمعنى أن يقول عقيبة: أو كما قال، أو نحو هذا، وما أشبهه، روى هذا عن عبدالله بن مسعود، وأبى الدرداء، وأنس وغيرهم.

الحديث الثالث عشر عن شداد: قوله: «سيد الاستغفار» السيد هنا مستعار من الرئيس المقدم، الذى يصمد إليه فى الحوائج، ويرجع إليه فى الأمور بهذا الدعاء، الذى هو جامع لمعانى التوبة كلها، وقد سبق أن التوبة غاية الاعتذار. وقوله: «وأنا عبدك» يجوز أن يكون مؤكده، وأن يكون مقدرة، أى أنا عابد لك، كقوله تعالى: **«وبشرناه بإسحاق نبيًا»**(١) وينصره عطف قوله: «وأنا على عهدك، ووعدك». «حس»: يريد أنا على ما عاهدتك عليه، وواعدتك من الإيمان بك، وإخلاص الطاعة لك، وقد يكون معناه أنى مقيم على ما عاهدت إلىَّ مِنْ أمرك ومتمسك به، ومنتجز وعدك فى المثوبة، والأجر عليه. واشتراط الاستطاعة فى ذلك،

---

(١) الصافات : ١١٢ .

لي، فإنَّه لايغفر الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ» قال: «ومَنْ قالَها منَ النَّهارِ مُوقِنًا بها فماتَ منْ يومه قبلَ أنْ يمُسيَ فهُوَ منْ أهلِ الجنَّةِ. ومَنْ قالَها منَ الليلِ وهوَ مُوقِنٌ بها فماتَ قبلَ أنْ يُصبحَ فهوَ منْ أهلِ الجنَّةِ». رواه البخاري .

الفصل الثاني

٢٣٣٦- * عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدَمَ! إنَّكَ ما دعوتَني ورجَوْتَني غفرت لكَ على ما كانَ فيكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ! لوْ بلغتْ ذُنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ، ثمَّ استغفرتَني، غفَرتُ لكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ! إنَّكَ لوْ لَقيتَني بقُرابِ الأرض خطايا، ثمَّ لَقيتَني لاتشركُ بي شيئًا، لأَتيتُكَ بقُرابِها مغفرةً». رواه الترمذي .[٢٣٣٦]

معناه الاعتراف بالعجز، والقصور عن كنه الواجب من حقه عز وجل. أقول(١): ويجوز أن يراد بالعهد والوعد ما فى قوله: تعالى: **«وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا»**(٢).

قوله: «أبوء لك» «نه»: أى ألتزم وأرجع، وأقر، وأصل البوء اللزوم، ومنه الحديث «فقد باء أحدهما» أى ألزمه، ورجع به. أقول: اعترف أولا بأنه تعالى أنعم عليه، ولم يقيده ليشمل كل الإنعام، ثم أعترف بالتقصير، وأنه لم يقم بأداء شكرها، وعده ذنبًا مبالغة فى التقصير وهضم النفس.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ما دعوتنى» أى ما دمت تدعونى، وترجو مغفرتى، ولا تقنط من رحمتى، فإنى أغفر لك، ولا يعظم علىَّ مغفرتك وإن كانت ذنوبك كثيرة وفى عدم المبالاة معنى قوله: **«لايسأل عما يفعل»**(٣). قوله: «عنان السماء» «نه»: العنان السحاب، وإضافته على هذا المعنى إلى السماء غير فصيح، وأرى الصواب «أعنان السماء»، وهى صفائحها، وما اعترض من أقطارها، كأنها جمع عنن، فلعل الهمزة أسقطت عن بعض الرواة، أو ورد العنان بمعنى العنن.

[٢٣٣٦] حسن.

(١) وجاء فى هامش نسخة بهاولبور: قال بعض أصحابنا: يجوز أن يكون هذا من باب قولهم: أنا على محبة آمير المؤمنين ما دام روحى فى جسدى، أى دائمًا؛ لأنه لايريد بذلك زوال المحبة بالموت، بل مراده استمرار المحبة. والله أعلم أفاده مصحح (ط).

(٢) الأعراف: ١٧٢ (٣) الأنبياء: ٢٣.

٢٣٣٧- *ورواه أحمدُ، والدارميّ، عن أبي ذَرٍّ.

وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

٢٣٣٨- * وعن ابنِ عبَّاسٍ [رضى اللهُ عنهُما]، عنْ رسولِ الله ﷺ، قال: «قال اللهُ تعالى: مَنْ علِمَ أنّي ذو قُدْرةٍ على مغفرةِ الذُّنوبِ غفَرتُ له ولا أُبالي، مالمْ يشرِكْ بي شيئًا». رواه في «شرح السنَّة». [٢٣٣٨]

٢٣٣٩- * وعنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لزِمَ الاستِغفارَ جعلَ اللهُ له منْ كلِّ ضيقٍ مَخْرجًا، ومنْ كلِّ همٍّ فرَجًا، ورزَقَه منْ حيثُ لايحتسبُ». رواه أحمدُ، وأبو داود، وابنُ ماجه. [٢٣٣٩]

أقول: يمكن أن يجعل من باب قوله: تعالى: «فخرَّ عليهم السقف من فوقهم»(١) تصويراً لارتفاع شأن السحاب، وأنها بلغت السماء، وأن يجعل من قوله: «أو كصيِّب من السماء»(٢) فإن فائدة ذكر السماء، والصيِّب لايكون إلا منها، أنه جيءَ بها معرفة، فبقى أن يتصوب من سماء، أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق؛ لأن كل أفق من آفاقها سماء. و«قراب الأرض» ملاؤها، ومثله طباقها وطلاعها. قوله: «خطايا» تمييز من الإضافة، نحو قولك: ملاء الإناء عسلا. قوله: «ثم لقينى لايشرك» «ثم» هنا للتراخى فى الإخبار، وأن عدم الشرك منه مطلوب أولى، ولذلك أعاد «لقينى» وعلقه به، وإلا لكان يكفى أن يقال: لو لقينى بقراب الأرض خطايا لايشرك بى.

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «من علم أنى ذو قدرة» «مظ» : فيه أن اعتراف العبد بأنه تعالى قادر على مغفرة الذنوب سبب للغفران، وهو نظير قوله: «أنا عند ظن عبدي بى». أقول: إن قوله: «من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب» تعريض بالوعيدية، وبمن قال: إن الله تعالى لايغفر الذنوب بغير توبة، ويشهد للتعريض قوله: «ولا أبالى» أى لا أحتفل بما يقوله المعتزلة القائلون بالحسن والقبح العقليين.

«حس»: روى أن حماد بن سلمة عاد سفيان الثورى، فقال له سفيان: يا أبا سلمة! أترى الله يغفر لمثلى؟ قال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله تعالى إياى وبين محاسبة أبوى لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبوى لأن الله أرحم بى من أبوى.

الحديث الثالث عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجًا»

[٢٣٣٨] حسن، انظر صحيح الجامع (٤٣٣٠).

[٢٣٣٩] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٨٤١).

(١) النحل: ٢٦. (٢) البقرة: ١٩.

٢٣٤٠- * وعن أبي بكر الصدِّيقِ [رضي اللهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما أصرَّ منِ استغفرَ وإنْ عادَ في اليوْمِ سبعينَ مرةً». رواه الترمذيُّ، وأبو داود[٢٣٤٠].

٢٣٤١- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ: «كلُّ بَني آدمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التوَّابونَ» رواه الترمذي، وابنُ ماجه، والدارميّ [٢٣٤١].

مقتبس من قوله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجًا»(١) لأن من داوم الاستغفار وأقام بحقه، كان متقيًا، وناظرًا إلى قوله تعالى: «فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا»(٢) الآية، روى عن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقيل له: شكوا إليك أنواعًا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فتلا الآية.

الحديث الرابع عن أبى بكر رضي الله عنه: قوله: «ما أصر» قال الشيخ ابن عبد السلام فى كتابه القواعد: وقد جعل الإصرار على الصغيرة بمثابة ارتكاب الكبيرة، قال ﷺ: «لا صغيرة مع إصرار»، فما حد الإصرار، هل يثبت بمرة أو مرتين، أو بأكثر؟ قلنا: إذا تكررت الصغيرة منه تكرارًا يشعر بقلة مبالاته بذنبه إشعار ارتكاب الكبيرة، ردت شهادته وروايته بذلك، وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع حيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر. أقول: الإصرار ها هنا مطلق، أى من أصر على الذنب، سواء كان صغيرة أو كبيرة، ولأن الاستغفار يرفع الذنوب كلها حتى الشرك.

الحديث الخامس عن أنس رضي الله عنه: قوله: «خطاء» «نه»: يقال: رجل خطاء، إذا كان ملازمًا للخطايا، غير تارك لها، وهو من أبنية المبالغة. أقول: إن أريد بلفظ الكلّ الكلُّ من حيث هو كلّ، كان تغليبًا؛ لأن فيهم الأنبياء، وليسوا مبالغين فى الخطأ، وإن أريد به الاستغراق، وأن كل واحد واحد خطاء فلا يستقيم إلا على التوزيع، كما تقول: هو ظلام لعبيده، أى يظلم كل احدٍ واحدٍ، فهو ظالم بالنسبة إلى كل أحد، وظلام بالنسبة إلى المجموع، وإذا قلت: هو ظلّام لعبدِه، كان مبالغًا فى الظلم.

«مظ»: فيه تعميم جميع بنى آدم حتى الأنبياء، لكنهم خصوا منه لكونهم معصومين، واختلفوا فى أنهم معصومون عن الصغائر والكبائر، أم عن الكبائر، فمن قال: هم غير

[٢٣٤٠] إسناده ضعيف.

[٢٣٤١] حسن الشيخ إسناده.

(١) الطلاق: ٢. (٢) نوح: ١٠:١١.

٢٣٤٢- * وعن أبي هريرةَ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ إذا أذنبَ كانتْ نُكتةٌ سوْداءُ في قلبِه، فإنْ تابَ واستغفرَ صُقِلَ قلبُه، وإنْ زادَ زادتْ حتى تَعلوَ قلبَه، فذلكُم الرَّانُ الذي ذكرَ اللهُ تعالى (**كلاَّ، بلْ رانَ على قُلوبِهمْ ما كانوا يكسِبونَ**)». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديثٌ صحيح. [٢٣٤٢]

٢٣٤٣- * وعن ابنِ عمر، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العَبدِ مالم يُغَرْغِرْ». رواه الترمذي، وابن ماجه. [٢٣٤٣]

معصومين عن الصغائر استدلوا بعصيان آدم، وكذبات إبراهيم عليهما السلام، ومن قال: هم معصومون عن الصغائر أيضًا، حملوا زلات الأنبياء على النسيان، والخطأ، وهذا هو الأولى لما فيه من تعظيم الأنبياء، وقد أمرنا بتعظيمهم. أقول: إخراجه الأنبياء من هذا الحديث بالنظر إلى بناء المبالغة، وإثبات الخطأ لهم بالنظر إلى التوزيع.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «الرَّان» «نه»: أصلُ الرين الطبع والتغطية، والران والرين سواء كالذام والذيم، والعاب والعيب. «قض»: المعنىٌ بالقصد الأول فى التكليف بالأعمال الظاهرة، والأمر بمحاسنها، والنهى عن مقابحها هو ما تكتسب النفس منها من الأخلاق الفاضلة، والهيئات الذميمة، فمن أذنب ذنبًا أثر ذلك فى نفسه، وأورث لها كدورة ما، فإن تحقق قبحه وتاب عنه، زال الأثر، وصارت النفس مصقولة صافية، وإن انهمك فيه، وأصر عليه زاد الأثر، وفشا فى النفس، واستعلى عليها، وصار من أهل الطبع.

وقوله: «فذلكم الرَّان» أى فذلك الأثر المستعلى ما أخبر الله تعالى وعبر عنه بقوله: «ران على قلوبهم»(١) أى غلب واستولى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الذنوب. وأدخل حرف التعريف على الفعل، لما قصد به حكاية اللفظ، فأجراه مجرى الاسم، وشبه تأثر النفس باقتراف الذنوب بالنكتة السوداء من حيث إنهما يضادان الجلاء والصفاء، وأنث الضمير الذى فى «كانت» الراجع إلى ما دل عليه «أذنب» لتأنيثها على تأويل السيئة. تم كلامه.

وروى «نكتة» بالرفع على أن «كان» تامة، فلا بد من الراجع، أى حدثت نكتة منه أى من الذنب. «مظ»: هذه الآية نازلة فى حق الكفار، ولكن ذكرها فى الحديث تخويف للمؤمنين، لكى يحترزوا عن كثرة الذنوب؛ لأن المؤمن لا يكفر بكثرة الذنوب، لكن يصير قلبه مسوداً بها، فيشبه الكافر فى اسوداد القلب.

الحديث السابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «مالم يغرغر» «نه»: الغرغرة أن يجعل المشروب فى الفم، ويردد إلى أصل الحلق، ولايبلغ، فالمعنى مالم تبلغ روحه حلقومه،

[٢٣٤٢] حسن، انظر صحيح ابن ماجه (٣٤٢٢).

[٢٣٤٣] حسن، انظر صحيح الترمذى (٢٨٠٢).

(١) المطففين: ١٤.

٢٣٤٤- * وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « إنَّ الشيطانَ قال: وعزَّتِكَ يارب! لا أبرَحُ أُغْوِي عبادَكَ ما دامتْ أرواحُهم في أجسادِهم. فقالَ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي وارتفاعِ مكاني، لاأزالُ أغفِرُ لهُم ما استغفروني». رواه أحمد[٢٣٤٤].

فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض. «قض»: اعلم أن توبة العبد المذنب مقبولة مالم يحضره الموت، فإذا حضره لم ينفعه؛ كما قال تعالى: **«وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن»**[١]. وذلك لأن من شرط التوبة العزم على ترك الذنب المتوب عنه، وعدم المعاودة عليه، وذلك إنما يتحقق مع تمكن التائب منه، وبقاء أوان الاختيار.

«مظ» : قال ابن عباس رضي الله عنهما: تقبل التوبة مالم يعاين الرجل ملك الموت معناه أنه ما لم يتيقن الموت، لا أنه يرى ملك الموت بعينه؛ لأن كثيراً من الناس لم يره وفيه نظر، لقوله تعالى: **«قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم»**[٢] وقوله: **«فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا»**[٣] وهذا القائل من أين علم أن المحتضر لم ير ملك الموت؟ «مظ»: هذا الخلاف في التوبة من الذنوب، أما لو استحل من مظلمة صح تحليله، وكذا لو أوصى بشيء أو نصب وليًا على أطفاله أو على خير، صحت وصيته.

الحديث الثامن عن أبي سعيد رضى الله عنه: قوله: «وعزتك يارب» الحديث. فإن قلت: كيف المطابقة بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: **«لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين* قال فالحق والحق أقول * لأملأ ن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين»**[٤] فإن الآية دلت على أن المخلصين هم الناجون فحسب، والحديث دال على أن غير المخلصين أيضًا ناجون؟ قلت: قيد قوله تعالى: «ممن تبعك»[٥] أخرج العاصين المستغفرين منهم؛ لأن المعنى ممن تبعك، واستمر على المتابعة، ولم يرجع إلى الله ولم يستغفر. قوله: «وارتفاع مكانى» عبارة عن علو شأنه من غير ذهاب إلى المكان، كقولهم: المجلس العالى.

[٢٣٤٤] قال الشيخ:« رواه أحمد فى «المسند»: (٣/ ٢٩) دون قوله : (وارتفاع مكانى) وإنما رواه بهذه الزيادة البغوى صاحب «المصابيح» - فى شرح السنة (١/ ١٤٦/ ٢) وفيه عندهما ابن لهيعة عن دراج، وكلاهما ضعيف، ورواه الحاكم من طريق أخرى عن دراج بدون الزيادة، وأخرجه أحمد (٣/ ٢٩/ ٤١) من طريق أخرى عن أبى سعيد بدونها أيضًا فهى زيادة منكرة، وأما أصل الحديث فمن مجموع الطريقين».

(١) النساء: ١٨ . (٢) السجدة: ١١ . (٣)غافر: ٨٥ .

(٤) ص: ٨٢: ٨٣: ٨٤: ٨٥ . (٥) ص: ٨٥ .

٢٣٤٥- * وعن صَفوانَ بن عسَّالٍ [رضي اللهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى جعلَ بالمغرِبِ بابًا، عرضُه مسيرةَ سبعينَ عامًا للتَّوبَة، لا يُغلقُ مالمْ تطلُعِ الشَّمسُ منْ قِبَله، وذلكَ قولُ الله عزَّ وجلَّ: (يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربِّكَ لاينفَعُ نفسًا إيمانُها لمْ تكُنْ آمَنَتْ منْ قَبلُ). رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه. [٢٣٤٥]

٢٣٤٦- * وعن معاويةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تنقطعُ الهِجرةُ حتى تنقطعَ

الحديث التاسع عن صفوان: قوله: «إن الله تعالى جعل بالمغرب بابًا» «قض»: المعنى أن باب التوبة مفتوح على الناس، وهم فى فسحة وسعة عنها، ما لم تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت انسد عليهم، فلم يقبل منهم إيمان ولاتوبة؛ لأنهم إذا عاينوا ذلك، واضطروا إلى الإيمان والتوبة، فلا ينفعهم ذلك، كما لاينفع المحتضر. ولعله لما رأى أن سد الباب إنما هو من قبل المغرب، جعل فتح الباب أيضًا من ذلك الجانب. وقوله: «مسيرة سبعين عامًا» مبالغة فى التوسعة، أو تقدير لعرض الباب بمقدار ما يسده من جرم الشمس الطالع من المغرب.

قوله: «**لاينفع نفسًا إيمانها**»[1] تمسكت المعتزلة بها على أن الإيمان المجرد لا ينفع شيئًا. - الكشاف- : «لم تكن آمنت من قبل» صفة لقوله: «نفسًا» وقوله: «**أو كسبت فى إيمانها خيرًا**»[2] عطف على «آمنت»، والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت- وهى آيات ملجئة مضطرة - ذهب أوان التكليف عندها، فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسًا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات، أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيرًا في إيمانها. فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت فى غير وقت الإيمان، وبين النفس التى آمنت فى وقتها ولم تكسب خيرًا؛ ليعلم أن قوله تعالى: «**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**»[3] جمع بين قرينتين لاينبغى أن تنفك إحداهما عن الأخرى، حتى يفوز صاحبهما ويسعد، وإلا فالشقاوة والهلاك. الجواب أنه إن حمل على ما قال، لم يفد قوله: «**فى إيمانها**»[4]، لما يلزم من العطف على «**آمنت**» حصول الكسب فى الإيمان، فالوجه أن يحمل على الكف التقديرى، بأن يقال: لا ينفع نفسًا إيمانها حينئذ، أو كسبها فى إيمانها خيرًا حينئذ لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيرًا من قبل، والإيجاز من حلية التنزيل.

الحديث العاشر عن معاوية: قوله: «لا تنقطع الهجرة» لم يرد بها الهجرة من مكة إلى المدينة؛ لأنها انقطعت، ولا الهجرة من الذنوب والخطايا، كما ورد «المهاجر من هاجر الذنوب والخطايا» لأنها عين التوبة، فيلزم التكرار، فيجب أن يحمل على الهجرة من مقام لايتمكن فيه

[٢٣٤٥] صحيح، انظر شرح السنة (٥/ ٨٩) (١٣٠٥).

(١) الأنعام: ١٥٨. (٢) الأنعام: ١٥٨.

(٣) الرعد: ٢٩. (٤) الأنعام: ١٥٨.

التوبةُ، ولا تنقطعُ التَّوبةُ حتى تطلُعَ الشَّمسُ منْ مغربِها». رواه أحمدُ، وأبو داود، والدراميّ. [٢٣٤٦]

٢٣٤٧- * وعن أبي هريرةَ [رضي اللهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ رجُلينِ كانا في بني إسرائيلَ متحابَّينِ، أحدُهما مجتهدٌ في العبادة، والآخرُ يقول: مذنبٌ، فجعَلَ يقولُ: أقْصِرْ عمَّا أنتَ فيه. فيقول: خلّني وربِّي. حتى وجدَه يومًا على ذنب استعظَمَهُ فقال: أقصِرْ. فقال: خلّني وربّي، أبُعِثْتَ علَيَّ رقيبًا؟ فقال: واللهِ لايغفرُ اللهُ لكَ أبدًا، ولاَ يدخلُكَ الجنَّةَ، فبعثَ اللهُ إليهما ملَكًا، فقبَضَ أرواحَهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنبِ: ادخلِ الجنَّةَ برحمتي. وقال للآخر: أتستطيعُ أن تَحظُرَ علَى عبدي رحمتي؟ فقال: لاياربِّ! قال: اذهبوا به إلى النار». رواه أحمد. [٢٣٤٧]

٢٣٤٨- * وعن أسماءَ بنت يزيدَ، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ: (قل ياعبادِيَ الذين أسرَفُوا على أنفسِهم لا تقنَطُوا منْ رحمةِ الله، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذنوبَ جميعًا)[1]

من الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإقامة حدود الله، قال تعالى: «**ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**»[2].

الحديث الحادى عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «يقول: مذنب» «مظ»: أى يقول الآخر: أنا مذنب، ويحتمل أن يكون معناه ويقول النبى ﷺ: الآخر مذنب. أقول: ويمكن أن يقال: إن المعنى: والآخر منهمك فى الذنب، ليطابق قوله: «مجتهد فى العبادة»؛ لأن القول كثيراً ما يعبر عن الأفعال المختلفة بحسب المقام. والتنكير فى قوله: «ملكًا» إما للإفراد شخصًا، أى ملكًا من أعوان ملك الموت، أو للتعظيم والتفخيم، أي ملك عظيم الشأن، وهو ملك الموت، كقوله تعالى: «**إنا أرسلنا إلى فرعون رسولا**»[3].

قوله: «اذهبوا به إلى النار» «مظ»: الضمير فى «اذهبوا» يرجع إلى ما لم يجر له ذكر؛ لأنه لا إلباس فى أن المراد منه الملائكة، وإدخاله النار؛ لمجازاته على قسمه بأن الله تعالى لايغفر للمذنب؛ لأن هذا حكم على الله تعالى، وجعل الناس آيسًا من رحمته، وحكم بكون الله غير غفور. «حس»: قال أبو هريرة فيه: «والذى نفسى بيده! لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته».

الحديث الثانى عشر عن أسماء رضى الله عنها: قوله: «يا عبادى» فى هذه الآية مبالغات شتى، والتفاسير مشحونة بها.

[٢٣٤٦] صحيح انظر صحيح أبى دواو ح (٢١٦٦).

[٢٣٤٧] إسناده حسن انظر شرح السنة ح ٤١٨٧ (١٤/ ٣٨٥).

(١) الزمر : ٥٤.

(٢) النساء: ١٥.   (٣) المزمل: ١٥.

«ولا يبالي». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وفي «شرح السنة» يقول: بدل: يقرأ.

٢٣٤٩- * وعن ابنِ عبَّاسٍ: في قوله تعالى: (إلاَّ اللمم)، قال رسول الله ﷺ «إن تغفِرِ اللهمَّ تغفرْ جمّـًا وأيُّ عبدٍ لك ما ألـمَّا». [٢٣٤٩]

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

الحديث الثالث عشر عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «إلا اللمم» «تو»: اللمم ما قل وصغر، ومنه قولهم: ألم بالمكان، إذا قل فيه لبثه، ويقال: زيارته لمام، أي قليلة، ومنه قول القائل: لقاء أخلاء الصفاء لمام، وإلى هذا المعنى أشار ابن عباس بما نقله عن رسول الله ﷺ فى تفسير قوله تعالى: «والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم»(١) من قوله: «إن تغفر اللهمَّ - البيت»، والاستثناء فيها منقطع. ويجوز أن يكون قوله: «إلا اللمم» صفة، أى كبائر الإثم والفواحش غير اللمم، وقد تنوعت أقاويل أهل التفسير فيه، فمن قائل: هو النظرة، والغمزة، والقبلة، ومن قائل: كل ذنب لم يذكر الله فيه حدًا ولا عذابًا، ولاخفاء فى أن المراد منه صغائر الذنوب.

أقول: وجه مطابقة الآية وتفسيرها للبيت، هو أن يقال: إن الشرط والجزاء فى البيت متحدان، فيدل على كمال الغفران ونهايته، ومجيئهما مضارعين للدلالة على الاستمرار وأن هذا من شأنه تعالى، وكذا الاعتراض بـ«اللهم» يدل على فخامة الشأن، أى من شأنك اللهم أن تغفر غفرانًا كبيرًا للذنوب العظيمة، وأما الجرائم الصغائر، فلا تنسب إليك؛ لأن أحدًا لايخلو عنها، وأنها مكفرة باجتناب الكبائر.

فإن قلت: فعلى هذا كان الواجب أن يجاء بـ «إذا» المقتضية للقطع، لا «إن» لاقتضائها الشك. قلت: «إن» هاهنا بمعنى التعليل، كما في قوله تعالى للنبى وأصحابه: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾(٢) أى لأجل أنكم مؤمنون لاتهنوا ولا تحزنوا، وقولك للسلطان: إن كنت سلطانًا فأعط الجزيل من النوال. «قض»: البيت لأمية بن الصلت، أنشده رسول ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾(٣) ينفى إنشاء الشعر، لا إنشاده؛ لأنه رد لقولهم: هو شاعر.

[٢٣٤٩] إسناده صحيح انظر شرح السنة ح ٤١٩٠ (١٤/ ٣٨٧).

(١) النجم: ٣٢. (٢) آل عمران: ١٣٩.

(٣) يس: ٦٩.

٢٣٥٠- * وعن أبي ذر، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يقولُ اللهُ تعالى يا عبادي! كلكم ضالٌ إلا مَنْ هدَيْتُ؛ فاسألوني الهُدى أهدكم. وكلكم فقراءُ إلا منْ أغنيتُ؛ فاسألوني أرزقكُم. وكلكم مذنبٌ إلا من عافيتُ؛ فمَنْ عَلِمَ منكم أني ذو قُدرةٍ على المغفرةِ فاسْتغفَرَني غَفَرْتُ له ولا أُبالي. ولو أنَّ أولَّكم وآخركم، وحيكم، وميِّتكم، ورَطْبكم، ويابَسكم اجتمعُوا على أتقى قلب عبد من عبادي؛ مازادَ ذلك في ملكي جَناحَ بعوضةٍ. ولو أنَّ أولَّكُم وآخِركم وحَيَّكُم، وميِّتكمُ، ورَطْبكُم، ويابِسكُم اجتمعُوا على أشقى قلبِ عبد من عبادي؛ ما نقصَ ذلكَ منْ مُلكي جناحَ بعوضةٍ ولو أنَّ أولَّكُم، وآخِركم، وحيَّكم وميِّتكُم، ورَطْبكُم، ويابِسكُم اجتمعُوا في صعيدٍ واحدٍ؛ ما نَقصَ ذلك من مُلكي إلا كما لو أنَّ أحدكم مرَّ بالبحر فغَمَسَ فيه إبرة، ثمَّ رفعها؛ ذلك بأنِّي جوَادٌ ماجدٌ أفعلَ ما أريدُ، عطائي كلامٌ، وعذابي كلامٌ، إنما أمري لشيءٍ إذا أردتُ أنْ أقولَ له: (كن، فيكونُ)». رواه أحمد والترمذي، وابن ماجه. [٢٣٥٠]

الحديث الرابع عشر عن أبى ذر رضي الله عنه: قوله: «يقول الله تعالى: كلكم ضال» الحديث سبق شرحه مستوفى فى الفصل الأول، وسنذكر أبحاثًا مخصوصة بهذا الحديث، منها قوله: «كلكم مذنب إلا من عافيت» أى من شأن بنى آدم وجبلتهم، أن يذنب إلا من أعصمه من الأنبياء، والصديقين، فوضع «عافيت» موضعَ «عصمت» يشعر بأن الذنب مرض ذاتى، وصحته عصمة الله تعالى منه. وقوله: «فمن علم» مرتب على حاصل المعنى المذكور، أى فمن لم أعصمه فأذنب، وعلم أنى ذو قدرة على المغفرة، «غفرت له».

قوله: «ورطبكم ويابسكم» «مظ»: أى أهل البحر والبر، ويحتمل أن يراد بالرطب النبات والشجر، وباليابس الحجر والمدر، يعنى لو صار كل ما فى الأرض من النبات والشجر والحجر والمدر إنسانًا كان كيت وكيت. أقول: الرطب واليابس عبارتان عن الاستيعاب التام، كما في قوله تعالى: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾(١). والإضافة إلى ضمير المخاطبين تقتضى أن يكون الاستيعاب فى نوع الإنسان، فيكون تأكيدًا للشمول بعد تأكيد، وتقريرًا بعد تقرير.

قوله: «إلا كما لو أن أحدكم» هذا التمثيل يوهم النقصان فى الممثل أيضًا. قلت: هو من باب الفرض والتنزل، أي لو فرض النقص فى ملك الله تعالى، لكان مقداره مقدار الممثل به، نحو قوله تعالى: ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى﴾(٢) وقد حققنا القول فيه فى شرح

[٢٣٥٠] رواه أحمد فى المسند (٥/ ١٥٤).

(١) الأنعام: ٥٩. (٢) الكهف: ١٠٩.

٢٣٥١- * وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قرأ: ﴿هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة﴾[(١)] قال: «قال ربكم» أنا أهْلٌ أنْ أُتَّقَى، فمنِ اتَّقاني فأنا أهلٌ أنْ أَغْفِرَ له».
رواه الترمذي، وابن ماجه، والدارميُّ.

الكشاف[(٢)]. قوله: «وذلك بأني جواد ماجد» فيه ترق؛ لأن الماجد أبلغ من الجواد، فإن معناه السعة في الكرم والجلال، وموقع ذلك هاهنا كموقع «أولئك على هدى من ربهم»[(٣)] من الكلام السابق، يعنى أنى جدير بأن أتمدح بالجواد والماجد، لأنى هاد لكل ضال، ومغن لكل فقير، وعاف لك مذنب، وغافر لكل مستغفر، وإن طاعتكم ومعصيتكم لاتزيد ولاتنقص من ملكى شيئًا، وإن خزائن رحمتى لاينفدها إسعاف حاجاتكم.

قوله: «عطائى كلام» إلى آخره استئناف على بيان الموجب لقوله: «أفعل ما أريد». «تو»: المعنى الخلق يعتريهم العجز إذا أرادوا الانتقام، ويعتورهم العوز إذا أرادوا الإعطاء؛ لأنهم يفتقرون فيه إلى مادة فينقطع بهم انقطاع المادة، وأنا الغنى القادر الذى لايفتقر إلى المواد، ولا ينقص ما عندى بالعطاء، وإنى إذا أردت إيجاد شيء لم يتأخر كونه عن الأمر. قوله: «كن فيكون»[(٤)] - الكشاف[(٥)]- : «كن» من كان التامة، أى احدث فيحدث، وهذا ومعناه أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، كالمأمور المطيع الذى يؤمر فيمتثل، ولا يتوقف ولا يمتنع، ولا يكون منه الإباء.

الحديث الخامس عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «أهل التقوى» أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب، أو دين، أو ما يجرى مجراهما من صناعة، وبيت وبلد وضيعة. وكما قيل لمن يجمعهم دين : هم أهل فى دين، كذا نفاه عن ابن نوح بقوله: «إنه ليس من أهلك»[(٦)] ثم تجوز واستعمل فى معنى الخليق والجدير، فقيل: فلان أهل لكذا، أى خليق به، وهو المعنى بقوله: «هو أهل التقوى». والواو فى قوله تعالى: «وأهل المغفرة»[(٧)] عاطفة بمنزلة الفاء السببية، أخبر الله تعالى أنه أهل التقوى، أى حقيق بأن يتقى منه، وأخبر بأنه حقيق بأن يغفر لمن اتقاه، ففوض الترتب إلى ذهن السامع، ولعل الفاء فى قوله ﷺ حكاية عن الله: «فأنا أهل أن أغفر له» تفسير لهذا الواو.

---

(١) في نص الحديث آية المدثر: ٥٦.
(٢) الكشاف: ٣/ ٢٩١.
(٣) البقرة: ٥.
(٤) يس: ٨٢.
(٥) الكشاف: ٣/ ٢٩٤.
(٦) هود: ٤٦.
(٧) المدثر: ٥٦.

٢٣٥٢- * وعن ابنِ عمر، قال: إنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلس يقول: «ربِّ! اغفِرْ لي، وتُبْ عَلَيَّ، إنَّكَ أنتَ التوابُ الغفورُ» مائةَ مرَّةٍ. رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه. [٢٣٥٢]

٢٣٥٣- * وعن بلالِ بنِ يسار بنِ زيدٍ مولى النبيِّ ﷺ، قال: حدَّثني أبي، عن جدي أنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من قال: أستغفِر اللهَ الذي لا إله إلا هوَ الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه. غُفِرَ له، وإن كان قد فرَّ منَ الزَّحف». رواه الترمذي، وأبو داود، لكنه عند أبي داود: هلال بن يسار، وقال الترمذي: هذا حديث غريب. [٢٣٥٣]

الفصل الثالث

٢٣٥٤- * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ «إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليرْفعُ الدرجةَ للعبدِ الصَّالحِ في الجنَّةِ، فيقول: ياربِّ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدِكَ لك». رواه أحمد. [٢٣٥٤]

الحديث السادس عشر عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «إن كنا» «إن» هى المخففة من الثقيلة، و«اللام» هى الفارقة، وفيه معنى التأكيد، وأن العد واقع ألبتة، والمعدود قوله: «يقول» على تأويل أن يقول، كما فى قوله: احضر الوغى، المعنى كنا نكثر أن نعد لرسول الله ﷺ قول: «رب اغفر لى» مائة مرة.

الحديث السابع عشر عن بلال: قوله: «الحى القيوم» يجوز فيهما النصب صفة لـ«الله» أو مدحًا، والرفع بدلا من الضمير، أو خبر مبتدأ محذوف على المدح. قوله: «من الزحف» الزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف، أى يدب دبيبًا من زحف الصبى، إذا دب على استه قليلا قليلا.

أقول: وفى تخصيص ذكر الفرار عن الزحف إدماج لمعنى أن هذا الذنب من أعظم الكبائر لأن سياق الكلام، وارد فى الاستغفار، وعبارته فى المبالغة عن حط الذنوب عنه، فيلزم بإشارته أن هذا الذنب أعظم الذنوب. «مظ»: أراد بقوله: «فر من الزحف» أنه فر من حرب الكفار حيث لايجوز له الفرار، وذلك بأن لا يكون عدد الكفار على مثلى عدد جيش المسلمين.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إن الله عز وجل ليرفع» الحديث، دل الحديث على أن الاستغفار يحط من الذنوب أعظمها، وهذا يدل على أنه يرفع درجة غيرالمستغفر إلى مالم يبلغها بعمله فما ظنك بالعامل المستغفر؟ ولو لم يكن فى النكاح فضيلة

[٢٣٥٢] صحيح انظر صحيح الجامع (٣٤٨٦)، الصحيحة (٥٥٦).

[٢٣٥٣] صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٢٨٣١).

[٢٣٥٤] رواه أحمد فى مسنده (٢/٥٠٩).

٢٣٥٥- * وعن عبد اللهِ بنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الميتُ في القبرِ إلا كالغريقِ المتغوِّث، ينتظر دعوةً تَلْحَقُهُ من أبٍ، أو أُمٍ، أو أخٍ، أو صَديقٍ، فإذا لَحِقَتْهُ كانَ أحبَّ إليه من الدُّنيا وما فيها، وإنَّ الله تعالى ليُدخِلُ على أهلِ القبورِ من دعاءِ أهلِ الإرضِ أمثالَ الجبال، وإنَّ هديةَ الأحياءِ إلى الأمواتِ الاستغفارُ لهم» . رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٢٣٥٥]

٢٣٥٦- *وعن عبدِ الله بن بُسرٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «طوبى لمنْ وجَدَ في صَحيفَتِه استغفارًا كثيرًا». رواه ابن ماجه، وروى النسائي في «عملِ يومٍ وليلة» [٢٣٥٦]

٢٣٥٧- *وعن عائشةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يقول: «اللهمَّ اجعلني من الذينَ إذا أحْسَنوا استبشَروا، وإذا أساؤوا استغفَروا». رواه ابن ماجه، والبيهقي في «الدعوات الكبير». [٢٣٥٧]

٢٣٥٨- * وعن الحارث بن سُوَيد، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ مسعود حديثين: أحدُهما عن رسولِ الله ﷺ، والأخرُ عن نفسهِ. قال: إنَّ المؤمنَ يرى ذُنوبَهُ كأنه

غير هذا، لكفى به فضلا*. فإن قلت: كيف طابق الباء فى قوله: «باستغفار» و «اللام» فى قوله: «لى»؟ والظاهر أن يقال: لاستغفار. قلت: ليس بذلك، بل التقدير كيف حصل لى هذه؟ فقيل: حصل لك باستغفار ولدك.

الحديث الثانى والثالث عن عبد الله: قوله: «لمن وجد فى صحيفته» فإن قلت: لم يقل: «طوبى لمن استغفر كثيرًا» وما فائدة العدول؟ قلت: هو كناية عنه، فيدل على حصول ذلك جزمًا، وعلى الإخلاص؛ لأنه إذا لم يكن مختصًا فيه، كان هباءً منثورًا، فلم يجد فى صحيفته إلا ما يكون حجة عليه، ووبالا له. قوله: «فى عمل يوم وليلة» هو ترجمة كتاب صنف في الأعمال اليومية والليلية.

الحديث الرابع عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «إذا أحسنوا استبشروا» أى إذا أتوا بعمل حسن، قرنوه بالإخلاص، فيترتب عليه الجزاء، فيستحقوا الجنة، ويستبشروا بها، كما قال: **«وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون»**(١) فهو كناية تلويحية. وقوله: «وإذا أساءوا استغفروا» عبارة عن أن لايبتليه بالاستدارج، ويرى عمله حسنًا، فإن الله يضلّه فيهلك، كما قال تعالى: **«أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا فإن الله يضل من يشاء»**(٢).

[٢٣٥٥] شعب الإيمان ح (٩٢٩٥) ٧/ ١٦.
[٢٣٥٦] صحيح انظر صحيح ابن ماجه ح (٣٠٧٨).
[٢٣٥٧] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (١٢٦٦).
(١) فصلت : ٣٠. (٢) فاطر : ١٢.
* أى يكون سبباً فى الولد الصالح الذى يستغفر لوالديه.

قاعدٌ تحتَ جبلٍ يخافُ أن يقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ يرى ذنوبَهُ كذبابٍ مرَّ على أنفه فقال به هكذا - أي بيده - فَذَبَّه عنه، ثمَّ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «للهُ أفرحُ بتوبةِ عبدهِ المؤمنِ من رجلٍ، نزلَ في أرضٍ دَوِيَّةٍ مُهلكةٍ، معه راحلتُهُ، عليها طعامُهُ وشرابُهُ، فوضعَ رأسَهُ فنامَ نومة، فاستيقظَ وقدْ ذَهبتْ راحلته، فطلبها حتى إذا اشتدَّ عليهِ الحرُّ والعطشُ أو ماشاءَ اللهُ، قال: أَرجِعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه. فأنامُ حتى أموتَ، فوضعَ رأسهُ على ساعدهِ ليموتَ، فاستيقظ؛ فإذا راحِلَتُهُ عنده، عليها زادُه وشرابُه، فاللهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ العبدِ المؤمنِ من هذا براحلَتِه وزاده». روى مسلمٌ المرفوعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ منهُ فحَسْبُ، وروى البخاري الموقوفَ على ابنِ مسعودٍ أيضًا.

الحديث الخامس عن الحارث: قوله: «يرى ذنوبه» المفعول الثانى محذوف، أى كالجبال، بدليل قوله: «كذباب». ويجوز أن يكون «كأنه» مفعولا ثانيًا، والتشبيه تمثيل، شبه حالة ذنوبه وأنها مهلكة له بحالته إذا كان تحت جبل، على منوال قوله:

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلُّوها، وغدوا بلاقع

لم يشبه الناس بالديار، وإنما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم، بحلول أهل الديار ووشك نهوضهم عنها، وتركها خلاءً خاوية. دل التمثيل الأول على غاية الخوف، والاحتراز من الذنوب، والثانى على نهاية قلة المبالاة، والاحتفال بها.

فإن قلت: ما التوفيق بين هذا القول، وقول رسول الله ﷺ: «لله أفرح»؟ قلت: لما بالغ فى احتراز المؤمن، وخوفه من الذنوب، وصوره بتلك الصورة الفظيعة الهائلة، تصور أنه طلب ملجأ وكهفًا يلوذ إليه من ذلك الهول، فقيل له: ليس ذلك الملجأ والمفزع إلا إلى الله؛ لأنه أفرح إلى آخره، وذكر الفاجر وارد على سبيل **الاستطراد**، كما فى قوله تعالى: **﴿ومن كل تأكلون لحما طريًّا﴾**[1] بعد قوله: **«وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه»**[2]؛ لأن البحرين تمثيل للمؤمن والكافر. قوله: «لله أفرح» الحديث قد مر شرحه في الفصل الأول، ويذكر بعض ما يختص به هاهنا.

قوله: «دوية» «مح»: هى بتشديد الواو والياء جميعًا، وذكر مسلم فى رواية أخرى «داوية» بزيادة ألف، وهى بتشديد الياء أيضًا، وهى الأرض القفر والمفازة الخالية، فالدوية منسوبة إلى الدو، وأما الداوية فبإبدال إحدى الواوين ألفًا، كالطائي منسوبًا إلى الطيء. و«المهلكة» - بفتح

---

(١) فاطر: ١٢. (٢) فاطر: ١٢

٢٣٥٩- * وعن علي، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ يُحبُّ العبدَ المؤمنَ المفتَّنَ التوَّابَ». [٢٣٥٩]

٢٣٦٠- * وعن ثوبانَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺيقول: «ما أُحبُّ أنَّ لي الدنيا بهذه الآية ﴿يا عباديَ الذين أسرفوا على أنْفُسهم لا تقْنَطوا﴾[1]»الآية. فقال رجل: فَمنْ أشركَ؟ فسكتَ النبيُّ ﷺ ثمَّ قال: «ألا ومن أشركَ» ثلاث مرَّات. [٢٣٦٠]

٢٣٦١- * وعن أبي ذرّ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى ليغفرُ لعبدِه مالم يقع الحجابُ». قالوا: يارسولَ اللهَ! وما الحجابُ؟ قال: «أن تموتَ النفسُ وهي مشركةٌ».

الميم وفتح اللام وكسرها - موضع خوف الهلاك. قوله: ««أو ما شاء الله» إن كان الترديد من الراوي، كان التقدير: قال رسول الله ﷺ ذلك، أو قال: ما شاء الله، وإن كان من قول الرسول ﷺ، تكون «أو» للتنويع، وكان التقدير: اشتد عليه الحر والعطش، أو ماشاء الله من العذاب والبلاء غير الحر والعطش. قوله: «فالله أشد فرحًا» «الفاء» هي التى تعقب المجمل بالمفصل تأكيدًا وتقريرًا له ؛ لئلا يزاد فيه ولاينقص .

الحديث السادس عن علي رضى الله عنه: قوله: «المفتن» «نه» : وفى الحديث: «المؤمن خلق مفتنًا» أى ممتحنًا يمتحنه الله بالذنب، ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب، يقال: فتنته أفتنه فتنًا، وفتونًا، إذا امتحنته، وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر.

الحديث السابع عن ثوبان: قوله: «بهذه الآية» أى بدلها، وهى أرجى آية فى القرآن، وذلك أن وحشيًا قاتل حمزة عرض عليه آيات نحو هذا، فما اطمأن ولا آمن إلا بها. و«الواو» فى قوله: «ألا ومن أشرك» مانعة من حمل «إلا» على الاستثناء، وموجبة لحملها على حرف التنبيه، فقول السائل: «فمن أشرك؟» معناه هل خص هذا العام بمن أشرك، أى المشرك داخل فيه أم خارج؟ فأجابه ﷺ بأنه داخل فيه، ويمكن أن ينزل السؤال على قوله: «ياعبادى» يعنى المشرك داخل فى هذا المفهوم، وينادي بـ «يا عبادي» فقيل : «نعم» أو على الذين أسرفوا أى هل يصح أن يقال لهم : أسرفوا على أنفسهم، فقيل: نعم، أو على «لاتقنطوا» فينهون عن القنوط، فقيل: نعم، أو على قوله: «إن الله يغفر الذنوب جميعًا» فقيل: نعم . وفى قوله: «فسكت ثم قال» يحتمل وجهين، أنه ﷺ علم بوحى نزل عليه، فأجاب، أو تفكر واجتهد فأجاب.

[٢٣٥٩] موضوع انظر ضعيف الجامع ح (١٧٠٤).

[٢٣٦٠] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (٤٩٨٢).

(١) الزمر: ٥٣.

روى الأحاديث الثلاثة أحمد، وروى البيهقي الأخير في كتاب «البعث والنشور».[٢٣٦١]

٢٣٦٢- * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ :« من لقي الله لا يعدلُ به شيئًا في الدُّنيا، ثمَّ كان عليه مثلَ جبالٍ ذنوبٌ غفرَ اللهُ له» رواه البيهقي في كتاب «البعث والنشور».

٢٣٦٣- * وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «التائبُ من الذَّنب كمن لا ذَنْب له». رواه ابن ماجه، والبيهقي في «شعب الإيمان» وقال: تفرَّد به النَّهْرانيُّ وهو مجهولٌ.[٢٣٦٣]

وفي «شرح السنة» روي عنه موقوفًا. قال: النَدَمُ توبةٌ، والتَّائبُ كم لاذَنْبَ له.

(٥) باب [سعة رحمة الله]*

الفصل الأول

٢٣٦٤- * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «لمـَّا قضى اللهُ الخلْقَ كَتَب كِتابًا، فهو عندَه فوق عرْشِهِ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبي» وفي رواية : «غَلَبَتْ غضبي». متفق عليه .

الحديث الثامن والتاسع عن أبى ذر رضى الله عنه قوله: «لايعدل به» يحتمل معنيين، أحدهما أنه لا يوازى ولا يساوى بالله شيئًا، وثانيهما أنه لايتجاوز إلى غيره، فعلى هذا «شيئًا» نصب على نزع الخافض.

الحديث العاشر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: قوله: «كمن لاذنب له» هذا من باب إلحاق الناقص بالكامل مبالغة، كما تقول زيد كالأسد، وإلا أنى يكون المشرك التائب معادلا بالنبى المعصوم؟.

بـــاب [سعة رحمة الله]

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لما قضى الله الخلق» «قض»: القضاء فصل الأمر، سواء كان بقول أو فعل، والمراد به هاهنا الخلق كما فى قوله تعالى : ﴿فقضاهن﴾[1] أى لما خلق الله الخلق، حكم حكمًا جازمًا، ووعد وعدًا لازما لا خلف فيه،

[٢٣٦١] رواه احمد فى مسنده (٥/ ١٧٤).

[٢٣٦٣] شعب الإيمان (ح.٤ ,٧) ٥/ ٣٨٨ وقال تفرد به النهرانى وهو مجهول .

قال الشيخ : أما طرفه الأول «الندم توبة» فقد صح عنه مرفوعًا.

(*) زيادة من مخطوطة الحاكم. (١) فصلت :١٢

٢٣٦٥- * وعنه، قال : قال رسولُ الله ﷺ : «إنَّ لله مائةَ رحمةٍ، أنزلَ منها

بـ«إن رحمتي سبقت غضبي»، شبه حكمه الجازم الذى لايعتريه نسخ، ولا يتطرق إليه تغيير بحكم الحاكم، إذا قضى أمرًا وأراد إحكامه، عقد عليه سجلا، وحفظ عنده ليكون ذلك حجة باقية، محفوظة عن التبديل والتحريف. وقوله: «فوق العرش» تنبيه على تعظيم الأمر، وجلالة القدر، فإن اللوح المحفوظ [تحت]* العرش، والكتاب المشتمل على هذا الحكم فوق العرش، ولعل السبب فى ذلك - والعلم عند الله تعالى - أن ما تحت العرش عالم الأسباب والمسببات، واللوح يشتمل على تفاصيل ذلك، وقضية هذا العالم- وهو عالم العدل، وإليه أشار بقوله: «بالعدل قامت السماوات والأرض» - إثابة المطيع وعقاب العاصى حسب ما يقتضيه العمل، من خير أو شر، وذلك يستدعى غلبة الغضب على الرحمة، لكثرة موجبه ومقتضيه، كما قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة﴾(١) فتكون سعة الرحمة وشمولها على البرية، وقبول إنابة التائب والعفو عن المشتغل بذنبه المنهمك فيه، كما قال تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾(٢) أمرًا خارجًا عنه، مترقيًا منه إلى عالم الفضل الذى هو فوق العرش. وفى أمثال هذا الحديث أسرار، إفشاؤها بدعة، فكن من الواصلين إلى العين دون السامعين للخبر.

فإن قلت: ما المناسبة بين قضاء الخلق، وسبق الرحمة على الغضب؟ قلت: لم يكن قضاء الخلق إلا للعبادة، قضاءً لشكر تلك النعمة، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٣) فمن الخلق من قام بالشكر على قدر استطاعته لا بموجبه؛ لأن أحدًا لم يقدر على أن يشكره حق شكره، ومنهم من قصر فيه، فسبقت رحمة الله تعالى فى حق الشاكر، بأن وفى جزاءَه، وزاد عليه بسعة رحمته ما لا يدخل تحت الحصر، وفى حق المقصر إذا تاب ورجع أن يغفره، ويتجاوز، ويبدلها حسنات، ولم يغضب عليه، نحو قوله تعالى: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾(٤) ثم تعليله بقوله: ﴿أنه من عمل منكم سوءً بجهالة ثم تاب من بعده﴾(٥) الآية. وعلى هذا «قضى» بمعنى فصل، أى فصل أمر الخلق، فمن منعم عليهم بالرحمة، ومغضوب عليهم بالسخط. ومعنى «سبقت رحمتى» تمثيل لكثرتها وغلبتها على الغضب بفرسى رهان تسابقتا، فسبقت إحداهما على الأخرى، وهذا التوجيه أنسب بالباب.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إن لله مائة رحمة» الحديث «تو»: رحمة الله تعالى غير متناهية، فلا تعتورها التجزئة والتقسيم، وإنما أراد النبى ﷺ أن يضرب

(١) النحل : ٦١ (٢) الرعد: ٦
(٣) الذاريات : ٥٦ (٤) الأنعام: ١٢
(٥) الأنعام: ٥٤

* فى «ك» «فوق»، وهو خطأ، وما فى «ط» هو الصواب، والله أعلم.

رحمةً واحدةً بين الجنِّ والإنسِ والبهائمِ والهوَامِّ، فبها يتعاطفونَ، وبها يَتراحَمونَ، وبها تَعطِفُ الوحْشُ على ولدِها، وأخَّرَ اللهُ تِسعًا وتسعينَ رحمةً يرَحمُ بها عبادَهُ يومَ القيامةِ» متفق عليه.

٢٣٦٦- * وفي رواية لمسلم عن سلمانَ نحوه. وفي آخره قال: «فإذا كانَ يومُ القيامةِ أكملها بهذه الرحمة».

٢٣٦٧- * وعن أبي هريرةَ، قال: قالَ رسول الله ﷺ: «لو يَعْلَم المؤمنُ ما عندَ الله من العقوبةِ؛ما طَمِعَ بجنَّتِهِ أحَدٌ. ولو يَعْلَمُ الكافرُ ما عندَ اللهِ من الرحمةِ؛ ما قَنَطَ من جنَّتِهِ أحدٌ». متفق عليه.

٢٣٦٨- * وعن ابنِ مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الجنةُ أقربُ إلى أحدِكُم من شِراكِ نعْلِهِ، والنَّارُ مثلُ ذلكَ». رواه البخاري.

للأمة مثلا، فيعرفوا التناسب الذى بين الجزئين، ويجعل لهم مثالا فيفهموا به التفاوت بين القسطين، قسط أهل الإيمان منها في الآخرة، وقسط كافة المربوبين فى الأولى، فجعل مقدار حظ الفئتين من الرحمتين فى الدارين على الأقسام المذكورة، تنبيهًا على المستعجم، وتوفيقًا على المستبهَم، ولم يرد به تحديد ما قد جل عن الحد، أو تعديد ما تجاوز العد. قوله: «وأخر الله» عطف على «أنزل منها رحمة»، وأظهر المستكن بيانًا لشدة العناية برحمة الله الأخروية.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لو يعلم المؤمن» سياق الحديث فى بيان صفتي القهر والرحمة لله تعالى، فكما أن صفات الله تعالى غير متناهية، لايبلغ كنه معرفتها أحد، كذلك عقوبته ورحمته، فلو فرض أن المؤمن وقف على كنه صفة القهارية، أظهر منها ما يقنط من ذلك الخلق طرًا، فلا يطمع بجنته أحد، هذا معنى وضع «أحد» موضع ضمير «المؤمن». ويجوز أن يراد بالمؤمن الجنس على سبيل الاستغراق، فالتقدير: أحد منه. ويجوز أن يكون المعنى على وجه آخر، وهو أن المؤمن قد اختص بأن يطمع بالجنة، فإذا انتفى الطمع منه، فقد انتفى عن الكل وكذلك الكافر مختص بالقنوط، فإذا انتفى القنوط عنه فقد انتفى عن الكل. «مظ»: ورد الحديث فى بيان كثرة عقوبته ورحمته، كيلا يغتر مؤمن برحمته فيأمن عذابه، ولا ييأس كافر من رحمته.

الحديث الرابع عن ابن مسعود رضى الله عنه : قوله: «من شراك نعله» «نه»: الشراك أحد سيور النعل التى يكون على وجهها. أقول: ضرب القرب مثلا بالشراك؛ لأن سبب حصول الثواب والعقاب، إنما هو بسعى العبد، وتحري السعى بالأقدام، وكل من عمل خيرًا استحق

٢٣٦٩- * وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قالَ رجلٌ لم يعملْ خيراً قَطُّ لأهله - وفي رواية - أسرفَ رجلٌ على نفسه، فلمَّا حَضَرَهُ الموتُ أوصى بنيه: إذا ماتَ فحَرِّقوه، ثمَّ اذرُوا نِصْفَهُ في البَرِّ ونِصْفَهُ في البحرِ، فو اللهِ لئن قَدَرَ اللهُ عليهِ لَيُعذِّبَنَّهُ عذابًا لايُعذِّبُه أحدًا من العالمين، فلما ماتَ فعلوا ما أمرهم، فأَمرَ اللهُ البحرَ، فجمَعَ ما فيه، وأمرَ البَرَّ فجمعَ مافيه، ثمَّ قال له: لم فعلتَ هذا؟ قال: مِنْ خَشْيَتِكَ ياربِّ! وأنتَ أعلمُ؛ فَغَفَرَ له». متفق عليه.

الجنة بوعده، ومن عمل شرًا استحق النار بوعيده، وما وعد وأوعد منجزان، فكأنهما حاصلان. وقوله: «ذلك» إشارة إلى المذكور، أي النار مثل الجنة في كونها أقرب من شراك النعل.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «لم يعمل خيرًا قط» صفة رجل، والمقول قوله: «إذا مات» إلى آخره، وقد تنازع فيه «قال وأوصى» في الروايتين. قوله: «أسرف» «مح»: أي بالغ وغلا في المعاصي، والسرف مجاوزة الحد في الشيء. قوله: «ثم اذروا» «نه»: يقال: ذرته الريح، وأذرته، تذروه، وتذريه إذا أطارته، ومنه تذرية الطعام. قوله: «إذا مات فحرقوه» لو حكى ما تلفظ به الرجل، لكان ينبغي أن يقال: إذا مت فحرقوني، ثم اذروا نصفي، ولو نقل معنى ما تلفظ به، لينبغى أن يقال: إذا مات فليحرقه قومه، ثم ليذروه، **فعدل** عن ضمير المتكلم إلى الغائب تحاشيًا عن وصمة نسبة التحريق، وتوهم الشك في قدرة الله تعالى إلى نفسه.

قوله: «فو الله لئن قدر الله» «اللام» موطئة للقسم، وقوله: «ليعذبنه» جواب القسم. سدت مسد جواب الشرط. «مح»: اختلفوا في تأويله على وجوه، أولها قيل: لايصلح حمله على أنه أراد به نفي قدرة الله تعالى، فإن الشك فيها كفر، وقد قال في آخر الحديث: إنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى، فغفر له، والكافر لا يخشاه ولايغفر له، فله تأويلان: أحدهما: لئن قدر على العذاب، أي قضاه، يقال منه: قدر - بالتخفيف والتشديد- بمعنى واحد، والثاني: أن «قدر» بمعنى ضيق، قال تعالى: ﴿**فقدر عليه رزقه**﴾[1] وقال: ﴿**فظن أن لن نقدر عليه**﴾[2].

وثانيها: قيل: هو على ظاهره، ولكن قاله وهو غير ضابط لكلامه، ولا قاصد حقيقة معناه، بل قاله في حالة غلب فيها الدهش، والخوفُ، والجزع، ولم يتدبر ما قاله، كالغافل والناسي، فلا يؤاخذ فيما قال. ونحوه قول مَنْ قال حين وجد راحلته فرحًا: «أنت عبدي وأنا ربك» ولم يكفر بذلك، وقد جاء في هذا الحديث من غير رواية مسلم «فلعلى أضل الله» أي أغيب عنه، وهذا يدل على أن قوله: «لئن قدر عليَّ» محمول على ظاهره.

---

(١) الفجر: ١٦. (٢) الأنبياء: ٨٧.

وثالثها: قيل: هذا من جملة كلام العرب، وبديع استعمالها، يسمونه **مزج الشك باليقين**، كقوله تعالى: **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾**(١) صورته صورة الشك، والمراد به اليقين.

ورابعها: قيل: إنه جهل صفة من صفات الله تعالى، وقد اختلفوا فى تكفير جاهل صفة من صفات الله تعالى، قال القاضي عياض: وممن كفره ابن جرير الطبرى، وقال به أبو الحسن الأشعرى أولا، وقال آخرون: لا يكفر به، بخلاف جحدها، وإليه رجع أبو الحسن، وعليه استقر مذهبه. قال: لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع بصوابه ويراه ديناً شرعاً، وإنما يكفر من اعتقد أن مقالته حق. وقالوا: لوسئل الناس عن الصفات، لوجد العارف بها قليلا.

وخامسها: قيل: هذا الرجل كان فى زمان فترة حين ينفع مجرد التوحيد، ولا تكليف قبل ورود الشرع على المذهب الصحيح؛ لقوله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**(٢).

وسادسها: قيل: إنما وصى بذلك تحقيراً لنفسه، وعقوبة لها بعصيانها وإسرافها، رجاء أن يرحمه الله تعالى.

«قض»: يحتمل أن يكون قوله: «لئن قدر الله عليه» من قول الرسول ﷺ، فيكون معناه: أنه تعالى لو وجده على ما كان عليه، ولم يفعل به ما فعل، فترحم عليه بسببه، ورفع عنه أعباء ذنبه، لعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، أو لو ضيق عليه، وناقشه فى الحساب، لعذبه أشد العذاب ويحتمل أن يكون من تتمة كلام الموصي على غير لفظه.

أقول: وفي صحيح مسلم على ما رواه الشيخ محيي الدين، وبنى عليه الشرح لفظة «عليّ» فلا يكون محتملا للوجه الأول، وعلى ما هو فى أكثر السنه، وهو لفظة «عليه» إما الراوى حكى معنى لفظه لا ما تلفظه، أو قاله الرجل دهشاً. والشيخ التوربشتى استشهد للوجه الثالث، وهو مزج الشك باليقين بقوله تعالى: **﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب﴾**(٣) وسماه بتجاهل العارف.

وتحريره: أن الله تعالى أراد أن يحقق ما أنزل عليه من أمر أهل الكتاب، ويقرره عنده، وعلم أنه ﷺ لم يشك فيه قطعاً، وإنما قاله تهييجاً وإلهاباً له، ليحصل له مزيد ثبات، ورسوخ قدم فيه، كذلك هذا الرجل علم أن الله تعالى قادر أن ينشره، ويبعثه، ويعذبه بعد ذلك، ويؤيده ما ورد فى رواية أخرى « وإن الله يقدر على أن يعذبنى» فأراد أن يحرض القوم على إنفاذ وصيته، فأخرج الكلام فى معرض التشكيك لهم لئلا يتهاونوا فى وصيته، فيقوموا بها حق القيام.

---

(١) سبأ: ٢٤ (٢) الإسراء: ١٥

(٣) يونس: ٩٤.

٢٣٧٠- * وعن عمرَ بنِ الخطابِ، قال: قدمَ على النبي ﷺ سَبْيٌ فإذا امرأةٌ من السَّبْي قد تَحلَّبَ ثديُها تسعى، إذا وجَدَتْ صبيًا في السبي أخذَتْهُ فألصقَتْهُ ببطْنها وأرْضَعَتْهُ، فقالَ لنا النبيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هذه طارحةً ولدَها في النَّارِ؟» فقلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تَطْرحهُ. فقال: «للهُ أرحَمُ بِعبَادهِ من هذه بِولَدِها». متفق عليه.

وأما تنزيله على ما استشهد به الشيخ محيى الدين بقوله: **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾**[1] فهو أن هذا من الكلام المنصف، وإرخاء العنان، فإن قوله ﷺ هذا وارد على التنزل، وبعث الخصم على التفكر لينظر في حال نفسه من الزيغ والضلال، وحاله ﷺ من الهدى والصلاح، فيقف على ما هو عليه وما عليه رسول الله، فيذعن للحق ولا يغضب، وكذلكم هذا الرجل أوصى أهله فيما أوصى، ثم عقبه بهذا الكلام، فيتفكروا فى ذلك، وما كانوا عليه من الفساد، وعرفوا أن ما قاله حق، فينفذوا وصيته، ويبذلوا جهدهم فيها.

وينصر الوجه الرابع - وهو أن الجاهل بصفة من صفات الله تعالى لايكفر - قول الحواريين لعيسى عليه السلام - وهم خلصاؤه- : **﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾**؟ (٢).

الحديث السادس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: قوله: «سبى» «نه»: السبى النهب، وأخذ الناس عبيدًا وإماءًا، والسبية المرأة المنهوبة، فعيلة بمعنى مفعولة، وجمعها السبايا. قوله: «قد تحلب» «تو»: أى سال. وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما: رأيت عمرًا يتحلب فوه، أى يتهيأ رضابه* للسيلان. و«تسعى» أى تعدو، وروى فى كتاب مسلم «تبتغى» أى طالبة لابْنِهَا، وفى كتاب البخاري «تسقى» وليس بشيء. «مح»: قال القاضى: الصواب ما فى رواية البخارى «تسعى» بالسين من السعى.

أقول: قوله: «وفى كتاب البخاري تسقي كما فى بعض نسخ المصابيح» إن كان ردًا للرواية، فلا كلام فيه، وإن كان الرد من حيث الدراية، فغير مستقيم؛ لأن «تسقى» إذا جعل حالا مقدرة من ضمير المرأة بمعنى قد تحلب ثديها مقدرة السقيَ، ففاجأت صبيًا من الصبيان، فأى بعد فيه؟.

قوله: «وهى تقدر» «الواو» للحال، وصاحبها مقدر، أى لا تكون طارحة حال قدرتها على أن لا تطرح، وفائدة الحال أن هذه المرأة استطاعت أن تحفظ الولد، ولا اضطرت إلى طرحه، بذلت جهدها فيه، والله تعالى منزه عن الاضطرار، فلا يطرح عبده فى النار ألبتة.

---

(١) سبأ: ٢٤. (٢) المائدة: ١١٢.

* رضابه: لعابه. .

٢٣٧١- * وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَنْ يُنْجِيَ أحدًا منكم عمَلُه» قالوا: ولا أنتَ يارسول الله؟! قال: «ولا أنا إلا أنْ يتغمَّدَنِيَ الله منه برحمته؛ فسَدِّدوا، وقارِبُوا، واغدُوا، وروحوا، وشيءٌ من الدُّلْجَة، والقَصدَ القصدَ تبلغُوا». متفق عليه.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ولا أنت يا رسول الله؟» عدل عن مقتضى الظاهر، وهو «ولا إياك» انتقالا عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية، فيكون التقد ير «ولا أنت ممن ينجيه عمله» استبعاداً عن هذه النسبة إليه ﷺ، وأما قوله ﷺ: «ولا أنا» فليكون مطابقًا لقولهم: «ولا أنت». قوله: «إلا أن يتغمدنى الله» الاستثناء منقطع. «نه»: يلبسنيها، ويسترنى بها، مأخوذ من غمد السيف وهى غلافه يقال: غمدت السيف وأغمدته. والغدو سير أول النهار، نقيض الرواح، يقال: غدا يغدو غدواً.

قوله: «فسددوا» «نه»*: سدد الرجل إذا صار ذا سداد، وسدد فى رميته، إذا بالغ فى تصويبها وإصابتها. وقارب الإبل، أى جمعها حتى لاتتبدد، والمقاربة أيضًا القصد فى الأمور التى لا غلو فيها، ولا تقصير. و«الدلجة» سير الليل. وقوله: «وشىء من الدلجة» مجرور بالعطف على قوله: [«بالغدوة والروحة»]** «مظ»: تقديره: وليكن فى مشيتكم شىء من الدلجة، «شف»: وارتفع «شىءٌ» على الابتداء، وخبره محذوف، أى شىء من الدلجة اعملوا فيه على تقدير مطلوب فيه عملكم. قوله: «والقصد والقصد» «نه»: أى عليكم بالقصد من الأمور فى القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين من الإفراط والتفريط.

«قض»: النجاة من العذاب والفوز بالثواب بفضل الله ورحمته، والعمل غير مؤثر فيهما على سبيل الإيجاب، بل غايته أنه يعد العامل لأن يتفضل عليه وتقرب إليه الرحمة. ومعنى قوله: «إلا أن يتغمدنى الله برحمته» يحفظنى بها كما يحفظ السيف فى غمده، ويجعل رحمته محيطة بى إحاطة الغلاف بما يحفظ فيه. وقوله: «فسددوا» بالغوا فى التصويب، واقربوا إلى الله بكثرة القربات، والمواظبة على الطاعات، واعبدوا الله طرفى النهار وزلفًا من الليل. شبه العبادة فى هذه الأوقات من حيث أنها توجه إلى مقصد وسعى للوصول إليه، بالسلوك والسير، وقطع المسافة فى هذه الأوقات، أو معنى «قاربوا» اقتصدوا فى الأمور، واجتنبوا طرفى الإفراط والتفريط، فلا تترهبوا فتسأم نفوسكم، ويختل معاشكم، ولا تنهمكوا فى أمر الدنيا، فتعرضوا عن الطاعة رأسًا.

«تو»: ليس المراد بهذا الحديث نفى العمل، وتوهين أمره، بل توقيف العباد على أن العمل إنما يتم بفضل الله ورحمته، لئلا يتكلوا اغتراراً بها، فإن الإنسان ذو السهو والنسيان، وعرضة

---

* فى «ك» «تو».

** فى المتن «واغدوا وروحوا» والذى فى الشرح بعض روايات الحديث عند البخارى كما فى الفتح (١/١١٦ح٣٩).

٢٣٧٢- * وعن جَابرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُدْخِلُ أحدًا منكم عملُهُ الجنَّةَ ولايُجيرهُ من النَّارِ، ولا أنا إلا برحمةِ الله». رواه مسلم.

٢٣٧٣- * وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أسْلَمَ العبدُ فحسُنَ إسلامُهُ، يكفِّر اللهُ عنهُ كلَّ سيِّئةٍ كان زلَّفها، وكانَ بعدُ القِصاصُ: الحسنةُ بعشْرِ أمثالها إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، والسيِّئةُ بمثلها إلا أن يتجاوزَ اللهُ عنها». رواه البخاري.

للآفات، قلما يخلص له عمل من شائبة رياء، أو فساد نية، ثم إن سلم له العمل عن ذلك، فلا يسلم إلا برحمة من الله، ثم إن أرجى عملٍ من أعماله لايفى بشكر أدنى نعمة من نعم الله، فأنى له أن يستظهر بعمل لم يهتد إليه إلا برحمة من الله وفضل منه! «شف»: لما بنى النبى ﷺ أول الكلام على أن العمل لا ينجي، ولا يوجب الخلاص، لئلا يتكلوا على أعمالهم، عقبه بفاء التعقيب للحث على الأعمال، والأمر بالمواظبة على وظائف الطاعات، والاقتصاد فى الأمور، لئلا يتوهموا أن العمل ملغى، وجودُه وعدمه سواء، بل العمل أدعى إلى الخلاص، وأقرب إلى النجاة، فقال: «فسددوا وقاربوا».

أقول: الفاء فى قوله: «فسددوا» جزاء شرط محذوف، يدل عليه الكلام السابق، فقوله: «لن يُنجيَ أحدًا منكم» أى من بنى آدم يقتضى رد المخاطبين فيما اعتقدوه من أن النجاة فى العمل، فيجب الاتكال عليه، والاستقصاء فيه، والمواظبة عليه ليلا ونهارًا فردهم ﷺ بقوله: «لن ينجي أحدًا منكم»، وأجاب عن سؤالهم بما أجاب، وقد علم من شرعه ﷺ، أن الأعمال غير مرفوعة أيضًا، فعقبه بقوله: «فسددوا». وإنما قلنا: إن «لن» تقتضى رد المخاطبين فيما اعتقدوه؛ لأن «لن» فى تأكيد النفى مقابلة للسين فى الإثبات. - الكشاف-: لا ولن أختان في نفى المستقبل إلا أن فى «لن» تأكيدًا وتشديدًا، تقول لصاحبك: لا أقيم غدًا، فإن أنكر عليك، قلت: لن أقيم غدًا، كما تفعل فى أنا مقيم وإنى مقيم.

الحديث الثامن والتاسع عن أبى سيعد رضى الله عنه: قوله: «زلفها» «نه»: زلفها أى قدمها وأسلفها، والأصل فيه القرب والتقديم، قوله: «القصاص» «تو»: القصاص هاهنا المجازاة، واتباع كل عمل بمثله، وأخذ من القصص الذى هو تتبع الأثر، وهو رجوع الرجل من حيث جاء، وجاء قوله: «الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها» مجىء التفسير للقصاص. أقول: الفاء فى قوله: «فحسن» وقع موقع «ثم» في قوله: «قل آمنت بالله ثم استقم» أى أسلم واستقام على الإسلام، بأن أدى حقه، وأخلص فى عمله، ولم يرغ روغان الثعلب، ومضاف إليه بعدُ ما يعلم من المجموع، أى كان بعد حكم محو السيئات وتكفيرها بالإسلام والإخلاص فيه القصاص، أى المجازاة بمثله، فيكون قوله: «السيئة بمثلها» هو المراد

٢٣٧٤- * وعن ابنِ عبَّاسٍ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ كتبَ الحسنات والسيِّئاتِ: فمن همَّ بحَسَنَةٍ فلَمْ يعمَلْها؛ كتبَها الله لهُ عندَهُ حَسَنَةً كاملةً. فإنْ همَّ بها فعملها؛ كتبها اللهُ له عندَه عَشْرَ حسَناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ، كثيرةٍ. ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعمَلْها؛ كتبها الله لهُ عنده حسنَةً كاملةً. فإنْ هو همَّ بها فعملِها؛ كتبها الله له سيئةً واحدةً». متفق عليه .

الفصل الثاني

٢٣٧٥- * عن عقبةَ بنِ عامرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مثلَ الذي يعملُ

بالقصاص؛ لأن المثلية معتبرة فيه، وإن السيئة هي التى تقص لا الحسنة، فيكون قوله: «الحسنة بعشر أمثالها» مستطردًا. وكالتوطئة لذكر السيئة. وهذا التاويل أنسب؛ لأن القصاص فى الشرع مجازاة بمثل ما فعله من الجرح والقتل. فيؤخذ الجانى فى سبيل الذى جاء منه من غير زيادة، فيجرح مثل جرحه، ويقتل كقتله صاحبه. والمراد بـ«ضعف» فى قوله: «سبعمائة ضعف» المثل، وعليه قوله تعالى: ﴿**يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾[1].

«المغرب»: قال أبو عبيدة: معناه جعل الواحد ثلاثة، أى يعذب ثلاثة أعذبة، وأنكره الأزهرى، وقال: هذا الذى يستعمله الناس فى كلامهم، وإنما الذى قال الحذاق: إنها تعذب مثليْ عذاب غيرها؛ لأن الضعف فى كلام العرب المثل.

الحديث العاشر عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «فمن همَّ» «الفاء» فيه تفصيلية؛ لأن قوله: «كتب الحسنات والسيِّئات» مجمل لم يفهم منه كيفية الكتابة، ففصله بقوله: «فمن هم» إلى آخره. وإنما جوزيَ من هم بسيئة ولم يعملها بحسنة كاملة؛ لأنه خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، و«حسنة كاملة» مفعول ثان لـ «كتبها» بمعنى صيرها. «مح»: ذكر فى الأربعين: فانظر يا أخى - وفقنى الله وإياك- إلى عظم لطفه، وتأمل هذه الألفاظ. وقوله: «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله: «كاملة» للتوكيد، وشدة الاعتناء فى السيئة التي هم بها ثم تركها، كتبها الله حسنةكاملة، فأكدها الله بـ «كاملة»، وإن عملها كتبها سيئة واحدة، فأكد تقليلا لها بـ«واحدة» ولم يؤكدها بـ«كاملة» ولله الحمد والمنة سبحانه لا نحصى ثناء عليه، وبالله التوفيق.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن عقبة بن عامر رضى الله عنه: قوله: «إن مثل الذى» الحديث «مظ»:

---

(١) الأحزاب : ٣٣.

السيِّئاتِ ثمَّ يعملُ الحسَنَات، كمثلِ رجلٍ كانتْ عليه دِرعٌ ضَيِّقَةٌ، قد خنَقَتْهُ ثمَّ عمِلَ حسنةً فانفكتْ حَلْقَةٌ ثمَّ عمِلَ أُخرى فانْفكَّتْ أُخرى، حتى تخْرُجَ إِلى الأرضِ» رواه في «شرح السنة»[٢٣٧٥].

٢٣٧٦- * وعن أبي الدرداء: أنَّهُ سمعَ النبيَّ ﷺ يَقُصُّ على المنبرِ وهو يقول: ﴿ولمنْ خافَ مقامَ ربِّه جنَّتان﴾[1] قلتُ: وإِنْ زنى وإِنْ سَرقَ؟ يارسول الله! فقال الثانية: ﴿ولمن خاف مقامَ ربِّه جنَّتان﴾ فقلتُ الثانيةَ: وإِنْ زنى وإِنْ سرقَ؟ يارسول الله! فقال الثالثة: ﴿ولمن خاف مقام ربِّه جنَّتان﴾ فقلتُ الثالثة: وإِنْ زنى وإِنْ سَرقَ؟ يارسولَ الله! قال «وإِنْ رَغِمَ أنفُ أبي الدرداء». رواه أحمد.[٢٣٧٦]

٢٣٧٧- * وعن عامرٍ الرَّامِ، قال: بينا نحنُ عِنْدَه، يعنى عندَ النبيِّ ﷺ، إِذْ أقبلَ رجلٌ عليهِ كساءٌ وفي يده شيءٌ قد التفَّ عليه، فقال: يارسول الله! مَرَرْتُ بِغَيْضَةِ

يعنى عمل السيِّئات يضيق صدر عامله ورزقه، ويحيره فى أمره، فلا تتيسر له أموره، ويبغضه عند الناس، فإذا عمل الحسنات تزيل حسناته سيئاته، فإذا زالت انشرح صدره، وتوسع رزقه، وتيسر له أموره، وصار محبوبًا فى قلوب الناس. و«خنقته» أى عصر حلقه وترقوته من ضيق تلك الدرع، ومعنى قوله: «حتى تخرج إلى الأرض» انحلت وانفكت حتى تسقط تلك الدرع، ويخرج صاحبها من ضيقها، فقوله: «تخرج إلى الأرض» كناية عن سقوطها.

الحديث الثانى عن أبى الدرداء رضى الله عنه: قوله: «مقام ربه» موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[2] ويجوز أن يراد به أن الله قائم عليه، أى حافظ مهيمن، من قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾[3] فهو يراقب ذلك، ولا يجسر على معصية. ومعنى التثنية فى «جنتان» أن له جنة لفعل الطاعات، وجنه لترك المعاصي، أو جنة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضيل.

الحديث الثالث عن عامر : قوله: «بغيضة شجر» الغيضة هى الشجر الملتف، وإضافتها إلى

[٢٣٧٥] البغوى فى شرح السنة ١٤/ ٣٣٩، ح/ ٤١٤٩ ورواه أيضًا أحمد ٤/ ١٤٥ بإسناد صحيح لأنه وإن كان فى إسناده ابن لهيعة فإن الراوى عن ابن لهيعة ابن المبارك، «قال نعيم بن حمَّاد: سمعت ابن مهدى، يقول: ما أعتدُّ بشيء سمعته من حديث ابن لهيعة إلاسماع ابن المبارك ونحو». تهذيب الكمال ١٥/ ٤٩١.

[٢٣٧٦] أحمد فى مسنده (٥/ ١٥٢) بنحوه ولكن من رواية أبى ذر.

(١) الرحمن: ٤٦. (٢) المطففين: ٦. (٣) الرعد: ٣٣.

شجر، فسَمِعْتُ فيها أصواتَ فِراخ طائرٍ، فأخذتُهنَّ، فوضعتُهنَّ في كسائي، فجاءت أُمُّهُنَّ، فاستدارَتْ على رأسي، فكشفتُ لها عنهنَّ، فوقَعَتْ عليهنَّ فلففْتُهنَّ بكسائي، فهُنَّ أولاءِ معي. قال: «ضَعْهنَّ». فوضعتُهنَّ وأبَتْ أُمُّهُنَّ إلا لزومَهنَّ. فقال رسول الله ﷺ : «أتعجَبونَ لرُحْمِ أمِّ الأفراخِ فِراخَها؟ فو الذي بعثني بالحق: للهُ أرحمُ بعبادهِ من أمِّ الأفراخِ بفِراخها. ارجعْ بهنَّ حتى تضَعَهنَّ من حيث أخَذْتَهُنَّ وأُمُّهُنَّ معهنَّ» فرجعَ بهنَّ. رواه أبو داود. [٢٣٧٧]

الفصل الثالث

٢٣٧٨- * عن عبدِ اللهِ بن عُمرَ، قال: كنَّا مع النبيِّ ﷺ في بعضِ غَزَواته، فمرَّ بقومٍ، فقال: «مَنِ القومُ؟». قالوا. نحن المسلمونَ وامرأةٌ تحضبُ بقِدْرِها، ومعها ابنٌ لها، فإذا ارتفعَ وَهَجٌ تنحَّتْ به، فأتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: أنْتَ رسولُ الله؟ قال: «نعم» قالت: بأبي أنتَ وأُمِّي، أليسَ اللهُ أرحمَ الراحمينَ؟ قال: «بلى» قالتْ: أليسَ اللهُ أرحمَ بعبادهِ من الأمِّ بولدها؟ قال: «بلى» قالت: إنَّ الأُمَّ لا تُلْقي ولدَها في

الشجر إما لمزيد البيان، أو يراد بالشجر المرعى، كما جاء فى الحديث «ونأى بيَ الشجر» أى بَعُدَ بيَ المرعى فى الشجر. و«الفرخ» ولد الطير، وجمع القلة أفراخ، والكثرة فراخ، وجمع بينهما فى الحديث إما اتساعًا واستعمالا لكل من الجمعين مكان الآخر؛ لاشتراكهما فى الجمعيَّة، كقوله تعالى: «**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**»(١)، وإما إشعارًا بأن تلك القلة كانت خارجة عن العادة، وبالغة إلى حد الكثرة، ويشهد له الضمائر المتعاقبة فى «أخذتهن، فوضعتهن، فجاءت أمهن». و«أمهن معهن» مبتدأ وخبر، و«الواو» للحال، و«من» فى «من حيث أخذتهن» إما ابتدائية، أى حتى تجعل ابتداء وضعهنَّ مكانًا أخذتهن منه، بأن لاتضعهن مكانًا آخر، أو زائدة على مذهب الأخفش. و«إلا لزومهن» استثناء مفرغ لما فى «أبت» من معنى النفى، و«الرحم» بالضم مصدر كالرحمة، ويجوز تحريكه مثل عسُر وعسِر.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عبدالله: قوله: «نحن المسلمون» كان من الظاهر أن يقال فى الجواب: نحن مضريون، أو قرشيون، أو طائيون، فعدلوا من الظاهر وعرفوا الخبر حصرًا، أى نحن قوم

[٢٣٧٧] سنن أبى داود ح ٣٠٨٩ (٣/ ١٨٢).

(١) البقرة: ٢٢٨

النَّارِ، فأكَبَّ رسولُ الله ﷺ يبكي، ثمَّ رفعَ رأسَهُ إليها، فقال: «إنَّ اللهَ لايعذبُ من عباده إلا الماردَ المتمرِّدَ الذي يتمرَّدُ على اللهِ، وأبى أن يقولَ: لا إله إلا الله». رواه ابن ماجه. [٢٣٧٨]

٢٣٧٩- * وعن ثوبانَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ العبدَ ليلتمسُ مرضاةَ اللهِ، فلا يزالُ بذلك؛ فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لجبريل: إن فلانًا عبدي يلتمسُ أن يُرضيَني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقولُ جبريلُ: رحمةُ اللهِ على فلان، ويقولُها حملةُ العرشِ، ويقولُها مَن حولهم، حتى يقولها أهلُ السماواتِ السبعِ، ثمَّ تَهبِطُ له إلى الأرض». رواه أحمد. [٢٣٧٩]

٢٣٨٠- * وعن أسامةَ بن زيدٍ، عن النبيِّ ﷺ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: **﴿فمنهم ظالمٌ لنفسِه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيراتِ﴾**[1] قال: كلهم في الجنَّةِ». رواه البيهقي في كتاب «البعث والنشور».

لا نتجاوز الإسلام، توهمًا أن رسول الله ﷺ ظن أنهم غير مسلمين. و«تحضب» بالحاء المهملة والضاد المعجمة، أى توقد، الجوهرى: الحضب فى لغة أهل اليمن الحطب، وكل ما هيجت به النار، وأوقدتها به، والوهج- بالتحريك- حر النار، وبالسكون مصدر. قوله: «إلا المارد» «غب»: المارد والمريد من شياطين الجن والإنس المتعري من الخيرات، من قولهم: شجر أمرد، إذا تعرى من الورق، وتعقيب المارد بالمتمرد وتكريره للمبالغة، وبلوغه غاية المرودة. وقوله: «وأبى أن يقول» عطف تفسيرى على قوله: «إلا المارد المتمرد» والكلام فى هذا الحديث وأمثاله سبق مستوفىً فى باب الإيمان.

الحديث الثانى عن ثوبان: قوله: «يلتمس» أى يطلب، واللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس، ويعبر به عن الطلب، والمراد به هاهنا التقرب إلى الله تعالى بأصناف الطاعات. وقوله: «بذلك» خبر «لايزال» أى ملتبسًا بالالتماس. قوله: «ثم تهبط له» أى الرحمة لأجله «إلى الأرض»، يعنى محبة الله إياه، ثم يضع له القبول فيها، فمعنى هذا الحديث، ومعنى الحديث المشهور فى المحبة متقاربان.

الحديث الثالث عن أسامة رضى الله عنه: قوله: **﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾**[2] «الفاء» تفصيلية، فصلت قوله تعالى: **﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾**[3] بالأصناف الثلاثة على سبيل الحصر، فالظالم لنفسه، هو المجرم المرجئ لأمر الله، والمقتصد هو الذى خلط عملا صالحًا وآخر سيئًا، والسابق

[٢٣٧٨] موضوع انظر ضعيف الجامع ح (١٦٧٦) - الأحاديث الضعيفة ٣١٠٩.

[٢٣٧٩] رواه احمد فى مسنده (٥/ ٢٧٩).

(١) فاطر: ٣٢. (٢) فاطر: ٣٢. (٣) فاطر: ٣٢.

(٦) باب ما يقول عند الصباح والمساء والمنام

الفصل الأول

٢٣٨١ ـ * عن عبد الله ، قال: كانَ رسولُ الله إذا أمسى قال: «أمسَينا وأمسى الملكُ لله، والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، لهُ الملكُ ، ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ إني أسألكَ من خيرِ هذه الليلةِ وخيرِ ما فيها، وأعوذُ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها، اللهمَّ إنى أعوذ بك من الكَسَلِ، والهَرم، ، وسوءِ الكِبَرِ،

من السابقين المقربين، وقوله: «كلهم في الجنة» إيذان بأن قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾[1] استئناف على تقدير سؤال سائل: ما لهؤلاء المصطفين الحائزين للفضل الكثير من الثواب؟ فأجيب: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾. ويطابق هذا التفسير قولهم: «إن ربنا لغفور شكور»[2] أى كثير الغفران للظالم لنفسه، وكثير الشكر أى الإثابة للسابق، وليس ببدل من ﴿الفضل الكبير﴾ المعنيٍّ به السبق بالخيرات، كما زعم صاحب الكشاف، وأخرج الظالم والمقتصد من هذا العام، ومن «الفضل الكبير والجنات»، وقد استقصينا القول فيه فى فتوح الغيب.

باب مايقول عند الصباح والمساء والمنام

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبد الله: قوله: «والحمد لله» «مظ»: عطف على «أمسينا وأمسى الملك» وأمسى إذا دخل في المساء، وأمسى إذا صار، يعنى دخلنا في المساء، وصرنا نحن، وجميع الملك، وجميع الحمد لله. أقول: الظاهر أنه عطف على قوله: «الملك لله» ويدل عليه قوله بعد: «له الملك وله الحمد»، وقوله: «وأمسى الملك لله» حال من «أمسينا» إذا قلنا: إنه فعل تام، ومعطوف على «أمسينا» إذا قلنا: إنه ناقص، والخبر محذوف لدلالة الثانى عليه، والواو فيه كما في قول الحماسي: فأمسى وهو عريان. قال أبو البقاء: «أمسى» هاهنا ناقصة، والجملة بعدها خبر لها. فإن قلت: خبر كان مثل خبر المبتدأ لا يجوز أن تدخل عليه الواو، قيل: الواو إنما دخلت في خبر كان؛ لأن اسم كان يشبه الفاعل، وخبرها يشبه الحال. وقوله: «ولا إله إلا الله» عطف على «الحمد لله» على تأويل ، و«أمسى» الفردانية والوحدانية مختصتين بالله.

فإن قلت: ما معنى «أمسى الملك لله» والملك له أبداً، وكذلك الحمد؟ قلت هو بيان حال القائل، أي عرفنا أن الملك والحمد لله لا لغيره، فالتجأنا إليه، واستعنا به، وخصصناه بالعبادة

---

(١) فاطر : ٣٣ (٢) فاطر: ٣٤

وفتنةِ الدنيا، وعذابِ القبرِ». وإذا أصبحَ قال ذلك أيضًا. «أصبحنا، وأصبحَ الملكُ للهِ»، وفي روايةٍ: «ربِّ إني أعوذُ بك من عذابٍ في النَّارِ وعذابٍ في القبرِ». رواه مسلم.

٢٣٨٢ ـ * وعن حذيفةَ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا أخذَ مَضْجَعَهُ من الليلِ وضعَ يدهُ تحتَ خدِّه، ثم يقول: «اللهمَّ باسمِكَ أموتُ وأحيا». وإذا استيقظَ قال: «الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعد ما أماتَنا وإليهِ النشور». رواه البخاري.

٢٣٨٣ ـ * ومسلم عن البراء.

والثناء عليه، والشكر له، ثم طلب استمرار ذلك بدخوله فى الليل، واستعاذ مما يمنعه مما كان فيه فى اليوم قائلا: «أسألك من خير هذه الليلة» إلى آخره. قوله: «من خير هذه الليلة» أى من خير ما ينشأ فيها، و«خير ما فيها»، أي خير ما سكن فيها، قال الله تعالى: ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾(١).

قوله: «من الكسل» «تو»: الكسل التثاقل عما لا ينبغى التثاقل عنه، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة. و«الهرم» كبر السن الذى يؤدى إلى تماذق الأعضاء، وتساقط القوى، وإنما استعاذ منه؛ لكونه من الأدواء التى لا دواء لها، والمراد بسوء الكبر مايورثه كبر السن من ذهاب العقل، والتخابط فى الرأى، وغير ذلك مما يسوء به الحال. أقول: يمكن أن يراد بالفقرات كلها معنى الترقى، استعاذ أولا من الكسل، أى أعوذ أن أتثاقل فى الطاعة مع استطاعتى، ثم من الهرم الذى فيه سقوط بعض الاستطاعة، فيقوم ببعض وظائف العبادات، ثم من سوء الكبر الذى يصير فيه كالحلس الملقى على الأرض، لا يصدر منه شيء من الخيرات، فيطابق هذا تفسيرنا قوله: «أمسينا وأمسى الملك لله».

قوله: «وسوء الكبر» «نه»: «الكبر» يروى بسكون الباء وفتحها، فالسكون بمعنى البطر، والفتح بمعنى الهرم. «خط»: والفتح أصح. أقول: والدراية أيضًا تساعد الرواية؛ لأن الجمع بين البطر والهرم بالعطف، كالجمع بين الضبِّ والنون، والتنكير في «عذاب» للتهويل والتفخيم. قوله: «ذلك» المشار ما سبق بإبدال «أمسينا» ، و«أمسى» بـ «أصبحنا»، و«أصبح».

الحديث الثانى عن حذيفة رضي الله عنه: قوله: «من الليل» صلة لـ «أخذ» على طريق الاستعارة، فإن لكل أحد حظًا منه، وهو السكون والنوم فيه، فكأنه يأخذ منه حظه ونصيبه، قال الله تعالى: ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾(٢) فالمضجع على هذا يكون مصدرًا.

---

(١) الأنعام: ١٣ (٢) القصص: ٧٣.

٢٣٨٤ ـ* وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلْيَنْفُضْ فِراشَه بداخلة إزاره؛ فإنَّهُ لايدري ما خَلَفَهُ عليه، ثمَّ يقول: باسمكَ ربِّي وضعتُ جنبي وبكَ أرفعُهُ، إنْ أمسكتَ نفسي فارحَمْها، وإنْ أرسلتَها فاحفظْها بما تحفَظُ به عبادَك الصالحينَ» وفي رواية: «ثمَّ ليضْطَجِعْ على شِقهِ الأيمنِ ثمَّ ليَقُلْ: باسمك» متفق عليه.

قوله: «أحيانا بعدما أماتنا» «مظ»*: سمى النوم موتًا؛ لأنه يزول معه العقل والحركة، تمثيلا وتشبيهًا، وقيل: الموت فى كلام العرب يطلق على السكون، يقال: ماتت الريح إذا سكنت، ويستعمل فى زوال القوة العاقلة، وهى الجهالة كقوله تعالى: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾[2]، وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة، كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية، وغير ذلك.

أقول: ولا ارتياب أن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو بتحري رضى الله وتوخي طاعته، والاجتناب عن سخطه وعقابه، فمن نام زال عنه هذا الانتفاع، ولم يأخذ نصيب حياته، فكان كالميت، وكان قوله: «الحمد لله» شكرًا لنيل هذه النعمة، وزوال ذلك المانع. وهذا التأويل موافق للحديث السابق واللاحق من قوله: «أمسينا وأمسى الملك لله»، ومن قوله: «وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» وينتظم معه قوله: «وإليه النشور» أى وإليه المرجع في نيل الثواب مما نكتسبه فى حياتنا هذه.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بداخلة إزاره» «قض»: هى الحاشية التى تلى الجسد وتماسه، وإنما أمر بالنفض بها؛ لأن المتحول إلى فراشه يحل بيمينه خارجة الإزار، وتبقي الداخلة معلقة فينفض بها. قوله: «ما خلفه» «فا»: «ما» مبتدأ و«يدرى» معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام. «مظ»: «خلفه» أى أقام مقامه بعده على الفراش، يعنى لا يدرى ما وقع في فراشه بعد ما خرج هو منه من تراب، أو قذاة، أو هوام.

قوله: «إن أمسكت نفسى» هو من قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾[3] جمع النفسين في حكم التوفي، ثم فرق بين جهتى التوفى بالحكم بالإمساك وهو قبض الروح، والإرسال وهو رد الحياة، أى الله يتوفى الأنفس، النفس التى تقبض، والنفس التى لم تقبض فيمسك الأولى ويرسل الأخرى. قوله: «بما تحفظ به» «الباء» مثلها في كتبت بالقلم، و«ما» موصولة مبهمة،

---

(١) الأنعام: ١٢٢. (٢) النمل: ٨٠.

(٣) الزمر: ٤٢.

* فى «ك» «نه».

وفي رواية: «فلْيَنفُضْه بصِنفَةِ ثوبه ثلاثَ مرَّاتٍ، وإن أمسكتَ نفسي فاغفرْ لها».

٢٣٨٥ ـ * وعن البراءِ بنِ عازبٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أوى إلى فراشهِ نامَ علي شقّه الأيمنِ ثمَّ قال: «اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضتُ أمري إليكَ، وألجأتُ ظهري إليكَ، رَغبةً ورهبةً إليكَ، لاملجأَ ولا منجا منكَ إلا إليكَ. آمنتُ بكتابكَ الذي أنزلتَ، ونبيِّكَ الذي أرسلتَ». وقال رسولُ الله ﷺ: «من قالَهن ثمَّ ماتَ تحتَ ليلتهِ ماتَ على الفطرةِ».

وبيانها ما دل عليه صلتها؛ لأن الله تعالى إنما يحفظ عباده الصالحين من المعاصي، ومن أن لايهِنُوا في طاعته وعبادته، بتوفيقه ولطفه. قوله: «بصنفة ثوبه» «فا»: هى حاشية الإزار التى تلي جسده.

الحديث الرابع عن البراء: قوله: «أسلمت نفسى إليك» فى هذا النظم غرائب وعجائب ، لا يعرفها إلا الثقات من أهل البيان؛ فقوله: «أسلمت نفسي» إشارة إلى أن جوارحه منقادة لله تعالى فى أوامره ونواهيه، وقوله: «وجهت وجهي» إلى أن ذاته وحقيقته مخلصة له بريئة من النفاق، وقوله: «فوضت» إلى أن أموره الخارجة والداخلة مفوضة إليه، لا مدبر لها غيره، وقوله: «ألجأت ظهري إليك» بعد قوله: «وفوضت أمري» إلى أنه بعد تفويض أموره ـ التى هو مفتقر إليها وبها معاشه، وعليها مدار أمره ـ يلتجىء إليه مما يضره، ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة، ثم قوله: «رغبة ورهبة» منصوبان على المفعول له على طريقة اللف والنشر، أى فوضت أمورى إليك رغبة، وألجأت ظهري من المكاره والشدائد إليك رهبة منك؛ لأنه لاملجأ ولا منجأ منك إلا إليك. «ملجأ» مهموز، «ومنجا» مقصور همز للازدواج . وقوله: «ونبيك الذى أرسلت» تخصيص بعد تعميم في قوله: «أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك» ثم قوله: «ونبيك الذى أرسلت» تخصيص من التخصيص، فعلى هذا قوله: «رغبة ورهبة إليك» من باب قوله: متقلدًا سيفًا ورمحًا. ومعنى قوله: «تحت ليلته» أنه لم يتجاوز عنه إلى النهار؛ لأن الليل يسلخ منه النهار، فهو تحته، أو يكون المعنى: إن مت تحت نازلة تنزل عليك فى ليلتك، وكذا معنى«من» في الرواية الأخرى«مت من ليلتك» أي من أجل ما يحدث فى ليلتك. وقوله: «مات على الفطرة» أى مات على الدين القويم ملة إبراهيم، فإنه عليه السلام أسلم واستسلم، وقال: أسلمت لرب العالمين. وجاء بقلب سليم.

قوله: «ونبيك الذي أرسلت» «تو»: في بعض طرق هذا الحديث عن البراء قال: قلت: «وبرسولك الذى أرسلت» قال: «ونبيك»، قيل: إنما رد عليه قوله؛ لأن البيان صار مكررًا من غير إفادة زيادة في المعنى، وذلك مما يأباه البليغ، ثم لأنه كان نبيًا قبل أن كان رسولا،

وفي روايةٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ لرجلٍ: «يافلانُ! إذا أويتَ إلى فراشكَ فتوضَّأ وُضُوءَكَ للصلاةِ، ثمَّ اضطجعْ على شقكَ الأيمنِ، ثمَّ قل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، إلى قوله: أرسلت» وقال: «فإن متَّ من ليلتَك متَّ على الفطرة، وإن أصبحتَ أصبتَ خيراً». متفق عليه.

٢٣٨٦ ـ * وعن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمدُ لله الذي أطعمنَا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممَّن لا كافيَ له ولامُؤْوِيَ». رواه مسلم.

ولأنه اختار أن يثني عليه بالجمع بين الاسمين، ويعُدَّ نعمة الله في الحالين تعظيما لما عظم موقعه عنده من منة الله عليه وإحسانه إليه.

«نه»: النبي فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى، أى أخبر، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه، وقيل: إن النبي مشتق من النباوة وهو الشيء المرتفع. ورد النبيﷺ على البراء حين قال: «ورسولك الذى أرسلت» بما رد عليه ليختلف اللفظان، ويجمع الثنائين معنى الارتفاع والإرسال، ويكون تعديداً للنعمة فى الحالين، وتعظيما للمنة على الوجهين. قوله: «لرجل يافلان» وهو أسيد بن حضير. وقوله: «إذا أويت إلى فراشك فتوضأ» مثل قوله تعالى: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾[1] أى إذا أردت أن تجعل فراشك مكان نومك فتوضأ.

الحديث الخامس عن أنس رضي الله عنه: قوله: «فكم ممن لا كافيَ» «مظ»: الكافي والمؤوي، هو الله تعالى، يكفي شر بعض الخلق عن بعض، ويهيء لهم المأوى والمسكن، فالحمد لله الذى جعلنا منهم، فكم من خلق لا يكفيهم الله شر الأشرار، بل تركهم وشرهم، وكم من خلق لم يجعل الله لهم مأوى، بل تركهم يهيمون فى البوادي.

أقول: «كم» تقتضي الكثرة، ولا يرى ممن حاله هذا إلا قليلا نادراً، على أنه افتتح بقوله: «أطعمنا وسقانا». ويمكن أن ينزل هذا على معنى قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾[2]. فالمعنى إنا نحمد الله تعالى على أن عرفنا نعمته، ووفقنا لأداء شكرها، فكم من منعم عليه لم يعرفها فكفر بها، وكذلك الله مولى الخلق كلهم بمعنى أنه ربهم ومالكهم، لكنه ناصر للمؤمنين ومحب لهم، فالفاء فى«فكم» لتعليل الحمد. «مح»: قيل معنى «آوانا» هنا رحمنا، فقوله: «كم ممن لا مؤوي له» أى لاراحم ولا عاطف عليه.

---

(١) المائدة: ٦ (٢) محمد: ١١

٢٣٨٧ ـ * وعن علي: أن فاطمةَ أتت النبيَّ ﷺ تشكو إليه ما تَلقى في يدها منَ الرَّحى، وبلغَها أنَّهُ جاءَه رقيقٌ، فلم تصادفْه ، فذكرَتْ ذلكَ لعائشةَ، فلمَّا جاءَ أخبرَتْهُ عائشةُ. قال: فجاءَنا وقد أخذنا مضاجعَنا، فذَهبنا نقومُ، فقال: على مكانكُما، فجاءَ فقعدَ بيني وبينَها، حتى وجدتُ بردَ قدمه على بطني. فقال: «ألا أدُلُّكما على خيرٍ ممَّا سألتُما؟ إذا أخذْتُما مضجعَكما؛ فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحْمَدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين؛ فهو خيرٌ لكما من خادمٍ». متفق عليه.

٢٣٨٨ ـ * وعن أبي هريرة، قال: جاءَتْ فاطمةُ إلى النبيِّ ﷺ تسألُهُ خادمًا. فقال: «ألا أدُلُّكِ على ما هو خيرٌ من خادمٍ؟ تسبِّحينَ اللهَ ثلاثًا وثلاثين، وتحمَدينَ اللهَ ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّرينَ اللهَ أربعًا وثلاثينَ عندَ كلِّ صلاةٍ ، وعندَ منامكِ». رواه مسلم.

الحديث السادس عن علي رضي الله عنه: قوله: «تشكو» يجوز أن يكون مفعولا له، أي أتت إليه إرادة أن تشكو، فحذف«أن»، ويجوز أن يكون حالا مقدرة، أي مقدرة الشكوى، وقوله: «فلم تصادفه» عطف على قوله: «أتت النبي» أى بيته، حتى يصح هذا العطف. وقوله: «من الرحى» أى من أثر إدارة الرحى. وقوله: «وبلغها» حال من الضمير فى«أتت». «نه»: الرقيق المملوك، فعيل بمعنى مفعول، وقد يطلق على الجماعة كالرفيق، يقال: أرق العبد وأرقه واسترقه.

قوله: «قال» من كلام الراوي وهو علي رضي الله عنه، و«ذهبنا» أي طفقنا و«نقوم» خبره. وقوله: «على مكانكما» أى دوما واثبتا على ما أنتما عليه، وفى الحديث دلالة على مكان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الرسول ﷺ، ومحبته إياها حيث خصتها فاطمة رضي الله عنها بالسفارة بينها وبين أبيها، دون سائر الأزواج. وفيه أيضًا بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على ابنته وصهره، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب، حيث لم يزعجهما عن مكانهما، وتركهما على ما هما عليه من الاضطجاع، بل أدخل رجله بينهما ومكث حتى وجدا برد قدمه على بطنهما، ثم علمها ما هو الأهم بحالها من التسبيح والتحميد والتكبير من طلبها الرقيق، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يتطلب، إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد، والتجافي من دار الغرور، والصبر على مشاقها ومتاعبها.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «خادمًا» «نه»: الخادم واحد الخدم، ويقع على الذكر والأنثى لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال، كحائض وعانق.

الفصل الثاني

٢٣٨٩ - * عن أبي هريرة، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أصبحَ قال: «اللهمَّ بك أصبحنا، وبكَ أمسينَا، وبكَ نحيا، وبكَ نموتُ، وإليكَ المصير». وإذا أمسَى قال: «اللهمَّ بكَ أمسينا، وبكَ أصبحنا، وبكَ نحيا، وبكَ نموتُ، وإليكَ النشورُ» رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه. [٢٣٨٩]

٢٣٩٠ - * وعنه، قال: قال أبوبكرٍ: قلتُ يارسولَ الله! مُرني بشيءٍ أقولُهُ إذا أصبحتُ وإذا أمسيت. قال: «قل: اللهمَّ عالمَ الغيبِ والشهادة، فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أعوذُ بكَ من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطانِ وشِرْكِه. قُلْهُ إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجعَكَ» رواه الترمذي، وأبو داود، والدارمي. [٢٣٩٠]

٢٣٩١ - * وعن أبان بن عثمانَ، قال: سمعتُ أبي يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «بك أصبحنا» الباء متعلق بمحذوف، وهو خبر«أصبح» ولابد من تقدير مضاف، أى أصبحنا متلبسين بنعمتك، أو بحياطتك وكلاءتك، أو بذكرك واسمك، وهو قوله: «بك نحيا وبك نموت» حكاية عن الحال الآتية يعنى يستمر حالنا على هذا فى جميع الأوقات وسائر الأحوال ومثله حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «اللهم باسمك أموت وأحيا» أى لا أنفك عنه، ولا أهجر. «مح»: «باسمك أحيا وبك أموت» معناه أنت تحييني، وأنت تميتني، فالاسم هنا المسمى.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «ومليكه» فعيل بمعنى فاعل للمبالغة، كالقدير بمعنى القادر. قوله: «وشركه» «نه»: يروى بكسر الشين وسكون الراء، وهوما يدعو إليه من الإشراك بالله عز وجل، ويوسوس، وبفتح الشين والراء أي ما يفتن به الناس من حبائله، والشرك حبالة الصائد، الواحد شركه. أقول: فالإضافة على الثاني محضة، وعلى الأول إضافة المصدر إلى فاعله.

الحديث الثالث عن أَبَان «مح»: في «أبان» وجهان الصرف وعدمه، والصحيح الأشهر

[٢٣٨٩] صحيح.

[٢٣٩٠] صحيح.

«ما مِنْ عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ: بسمِ الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، وهوَ السميعُ العليمُ، ثلاثَ مرَّاتٍ فيضرَّهُ شيءٌ».

فكانَ أَبان قد أصابَهُ طرَفُ فالجٍ ، فجعلَ الرَّجل ينظُرُ إليه، فقال له أبان: ماتنظُرُ إليَّ؟ أما إنَّ الحديث كما حدَّثْتُكَ، ولكني لم أقُلْهُ يومئذٍ ليُمضيَ اللهُ عَلَيَّ قَدَرَه. رواه الترمذي، وابن ماجه، وأبو داود وفي روايته: «لم تُصِبْه فُجاءَةُ بلاء حتى يصبحَ، ومن قالها حينَ يُصبحُ لم تُصِبْه فُجاءَةُ بلاءٍ حتى يُمسيَ». [٢٣٩١]

٢٣٩٢ - * وعن عبدالله، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يقولُ إذا أمسى: «أمسينا وأمسى الملكُ لله، والحمدُلله، لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له، لهُ الملكُ، ولهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ربِّ أسألكَ خيرَ مافي هذه الليلةِ، وخيرَ مابعدَها، وأعوذُ بكَ منْ شرِّ ما في هذِه الليلةِ، وشرِّ ما بعدَها، ربِّ! أعوذُ بكَ من الكسلِ، ومن سوءِ الكِبَرِ أو الكفر». وفي روايةٍ: «من سوءِ الكِبَرِ والكِبْرِ، ربِّ! أعوذُ بكَ من عذابٍ في النَّارِ، وعذابٍ في القبر». وإذا أصبحَ قال ذلك أيضًا: «أصبحنا وأصبحَ المُلكُ لله». رواه أبو داود، والترمذي وفي روايته لم يذكر: «من سوءِ الكفرِ»[٢٣٩٢]

٢٣٩٣ - * وعن بعضِ بناتِ النبيِّ ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ، كانَ يُعلِّمها فيقول:

الصرف؛ لأن وزنه فعال، ومن لم يصرفه قال: وزنه أفعل. قوله:«فيضره» الفاء مثلها فى قوله «لايموت لمؤمن ثلاثة أولاد فتمسه النار» المعنى لا يجتمع هذا القول مع المضرة واللام فى قوله «ليمضي الله» علة لعدم القول، وليس بفرض له، كقولهم: قعدت من الحرب جبنًا. «مح» قوله: «ما تنظر إليَّ»«ما» هى الاستفهامية، وصلتها محذوفة، و«تنظر إليَّ» حال، أى مالك تنظر إلي.

قوله: «ليمضي الله» «اللام» للعاقبة، كما في قوله: لدوا للموت . قوله:«فجاءة بلاء» «نه»: فجئه الأمر وفجأه فجاءة وفجأة بالضم والمد، فاجأه ومفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب، وقيده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم من غيرمد على المرة.

الحديث الرابع والخامس عن بعض بنات النبيِّ ﷺ:قوله:«كان يعلمها فيقول»«الفاء» مثلها

[٢٣٩١] صحيح .

[٢٣٩٢] صحيح .

(١) البقرة: ٥٤.

«قولي حينَ تُصبحينَ: سبحانَ اللهِ وبحمدِه، ولاقوةَّ إلا بالله، ماشاءَ اللهُ كانَ، وما لم يشأْ لم يكُنْ، أعلُم أنَّ اللهَ على كل شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، فإنَّهُ من قَالها حينَ يُصبِحُ حُفِظَ حتى يُمسي، ومن قَالها حين يُمسي حُفِظَ حتى يُصبحَ» رواه أبو داود. [٢٣٩٣]

٢٣٩٤ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قال حينَ يُصبحُ: ﴿فسبحانَ الله حينَ تُمسونَ وحينَ تُصبحونَ ولهُ الحمدُ في السموات والأرضِ وعشيا وحينَ تُظهرونَ﴾(١) إلى قوله: ﴿وكذلك تُخرَجونَ﴾ أدركَ مافاتَهَ في يومِهِ ذلك. ومن قَالهنَّ حينَ يُمسي أدركَ ما فاتَهُ في ليلتِهِ» رواه أبوداود. [٢٣٩٤]

في قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا﴾ على وجه؛ لأن القول عين التعليم.
قوله: «أعلم» فائدة تخصيص ذكره في هذا المقام الإيذان بأن هذين الوصفين أعني القدرة الكاملة والعلم الشامل، هما أساس أصول الدين، وبهما يتم إثبات الحشر والنشر، ورد الملاحدة في إنكارهم البعث وحشر الأجساد؛ لأن الله تعالى إذا علم الجزئيات والكليات على الإحاطة يعلم الأجزاء المتفرقة المتلاشية في أقطار الأرض، وإذا قدر على كل المقدورات قدر على جمعها وإحيائها لامحالة.

الحديث السادس عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿فسبحان الله﴾ الآية سئل ابن عباس: هل نجد ذكر الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية، «تمسون» صلاتا المغرب والعشاء، و«تصبحون» صلاة الفجر، و«عشيًا» صلاة العصر، و«تظهرون» صلاة الظهر.
- الكشاف -: قوله: «وعشيًا» متصل بقوله: «حين تمسون»، وقوله: «وله الحمد في السموات والأرض» اعتراض بينهما، والمعنى أن على المميزين كلهم من أهل السموات والأرضين أن يحمدوه، تم كلامه.

فإن قلت: كان من مقتضى الظاهر أن يعقب قوله: «وله الحمد» بقوله: «فسبحان الله» كما جاء «سبحان الله، والحمد لله»، وقوله: «وعشيًا» بقوله: «وحين تصبحون» فما فائدة الفصل؟ ولِمَ خص والتسبيح بظرف الزمان، والتحميد بالمكان؟ قلت - والله أعلم -: قد مر أن الحمد

[٢٣٩٣] أبو داود ك الأدب، باب مايقول إذا أصبح (٥٠٧٥). وفي إسناده أم عبدالحميد الهاشمية، قال الحافظ في التقريب: مقبولة، وهذا يعني ضعف الإسناد. إلا عند المتابعة، ولم أتتبع باقي رجال الإسناد.

[٢٣٩٤] ضعيف جدًا

(١) الروم: ١٧: ١٨: ١٩ .

٢٣٩٥ - * وعن أبي عيَّاشٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من قال إذا أصبَحَ: لا إله إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ له، له الملكُ، ولهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ كانَ له عدْلُ رَقَبَةٍ مِن ولدِ إسماعيلَ، وكُتِبَ له عَشْرُ حسنات، وحُطَّ عنه عشْرُ سيِّئات، ورُفِعَ لهُ عشْرُ دَرَجاتٍ، وكانَ في حرزٍ منَ الشيطانِ حتى يُمسيَ. وإن قالها إذا أمسى؛ كان لهُ مثل ذلك حتى يُصبحَ» [قال حماد بن سلمة]: فرأى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فيما يرى النائمُ. فقال: يارسولَ الله! إنَّ أبا عيَّاشٍ يحدِّثُ عنكَ بكذا وكذا. قال: «صدقَ أبوعيَّاشٍ». رواه أبوداود، وابن ماجه. [٢٣٩٥]

٢٣٩٦ - * وعن الحارثِ بن مسلمٍ التميميِّ. عن أبيهِ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه أسرَّ إليهِ فقال: «إذا انصرفتَ مِن صلاةِ المغربِ فقلْ قبلَ أن تُكلِّم أحدًا: اللهمَّ أجِرْني

أشمل من التسبيح، فقدمَ التسبيح، وعلق به الإمساء والإصباح، وأخر التحميد وعلق به «في السموات والأرض»، وإنما أدخله بين المعطوف والمعطوف عليه، ليجمع في الحمد بين ظرفي الزمان والمكان، إذ لاقتران الشيء بالشيء تعلق معنوي وإن لم يكن لفظيًا، ولو قدم الحمد لاشتركا في الظرفين، ولو أخر لخص الحمد بالمكان، ونظير هذا ما ذكره صاحب الكشاف(١) في عطف قوله: ﴿وأرجلكم﴾(٢) على قوله: ﴿برءوسكم﴾ قوله: «أدرك» «مظ»: أي حصل له ثواب ما فات منه من ورد وخير.

الحديث السابع عن أبي عياش: عياش بالعين والياء تحته نقطتان، والشين المعجمة، كذا في سنن أبي داود وابن ماجه وجامع الأصول، ووقع في بعض نسخ المصابيح: ابن عباس، وهو سهو من الناسخ. قوله: «عدل رقبة» «نه»: العدل بالكسر والفتح، في الحديث هما بمعنى المثل، وقيل: بالفتح ما عدله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس. والحرز الحفظ والصون، والضم إلى الشيء.

قوله: «من ولد إسماعيل» صفة «رقبة» المعنى حصل له من الثواب مثل ما لو اشترى ولدًا من أولاد إسماعيل عليه السلام، وأعتقه. وإنما خصه، لأنه أشرف الناس.

قوله: «فيما يرى النائم» وضع موضع «النوم» ليؤذن باعتبار هذه الرؤيا وتحققها، فإنها جزء من أجزاء النبوة، والتعريف في «النائم» للعهد، أي النائم الصادق الرؤيا. ولو قيل: «في النوم» لاحتمل أن يكون من أضغاث الأحلام.

الحديث الثامن عن الحارث: قوله: «فقال» عطف على «أسر» كما سبق في قوله: «يعلمها

[٢٣٩٥] صحيح.

(١) الكشاف: ج ١/٣٢٤-٣٢٥. (٢) المائدة: ٦.

من النَّار سبعَ مرَّات؛ فإنَّكَ إذا قلتَ ذلك، ثمَّ متَّ في ليلتكَ كُتبَ لك جواز منها. وإذا صلَّيتَ الصُّبح فقل كذلك؛ فإنَّكَ إذا متَّ في يومك كُتبَ لك جَوازٌ منها» رواه أبوداود. [٢٣٩٦]

٢٣٩٧ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: لم يكنْ رسولُ الله ﷺ يَدَعُ هؤلاءِ الكلماتِ حينَ يمسي وحينَ يُصبحُ: «اللهمَّ إني أسألكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرة. اللهمَّ إني أسألكَ العفوَ والعافيةَ في ديني، ودُنيايَ، وأهلي، ومالي. اللهُمَّ استُرْ عوراتي، وآمِنْ رَوعاتي. اللهُمَّ احفَظْني من بين يَدَيَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شِمالي، ومن فَوقي. وأعوذُ بعظمتِكَ أن أُغتالَ من تحتي» [قال وكيع]: يعني الخسف. رواه أبوداود. [٢٣٩٧]

فيقول»، وإنما أسر إليه؛ ليتلقاه بشراشره، ويتمكن في قلبه تمكن السر المكنون، لا أنه ﷺ ضن به عن الغير، قوله: «كتب له» أي قدر له خلاص من النار.

الحديث التاسع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء» أي لا يتأتى منه ذلك، ولا يليق بحاله أن يدعها ـ الكشاف ـ (١) في قوله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾(٢): فإن قلت: ما الفرق بين قوله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾(٢) وبينه لو قيل: فلم ينفعهم إيمانهم؟ [قلت: هو من كان في نحو قوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾(٣) والمعنى فلم يصح ولم يستقم وارد من جهة تسليط النفي على الكون المتضمن للفعل المنفي كأنه قيل: «إن ينفعهم إيمان»]*. أقول: تفسيره بـ«لايصح، ولا يستقيم» وارد من جهة تسليط النفي على الكون المتضمن للفعل المنفي، كأنه قيل: هذا الفعل من الشئون التي عدمها راجح على الوجود، وأنها من قبيل المحال.

قوله: «العفو والعافية» «تو»: العفو هو التجاوز عن الذنب ومحوه، والعافية هي دفاع الله عن العبد الأسقام والبلايا، ويندرج تحت قوله: ﴿في الدنيا والآخرة﴾(٤) كل مشنوء ومكروه. و«عورات» ساكنة الواو، جمع عورة، وأراد كل ما يستحيى منه، ويسوء صاحبه أن يرى ذلك منه، والروعات جمع الروعة، وهي الفزعة.

قوله: «من بين يدي ومن خلفي» استوعب الجهات الست بحذافيرها؛ لأن ما يلحق الإنسان

[٢٣٩٦] ضعيف.

[٢٣٩٧] صحيح.

(١) الكشاف: ج٣/٣٨١. (٢) غافر: ٨٥. (٣) مريم: ٣٥. (٤) البقرة: ٢٢٠.

* هذه الفقرة سقطت من «ط» وأثبتناها من (ك).

٢٣٩٨ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قالَ حين يُصبِحُ: اللهُمَّ أصبحنا نُشْهِدُكَ، ونُشهِدُ حمَلَةَ عرشكَ وملائكتكَ، وجميعَ خلقكَ، أنَّكَ أنتَ اللهُ لا إله إلا أنتَ، وحدكَ لاشريكَ لك، وأنَّ محمداً عبدُكَ ورسولُكَ، إلا غفرَ اللهُ لهُ ما أصابَهُ في يومِهِ ذلك من ذَنْبٍ. وإنْ قالها حينَ يُمسي غفرَ اللهُ لهُ ما أصابَهُ في تلكَ الليلةِ من ذنبٍ» رواه الترمذي، وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب. [٢٣٩٨]

٢٣٩٩ - * وعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ عبدٍ مسلمٍ يقولُ إذا أمسى وإذا أصبحَ ثلاثًا: رضيتُ باللهِ ربًا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًا؛ إلا كانَ حقًا على الله أن يُرضيَه يومَ القيامةِ» رواه أحمد، والترمذي. [٢٣٩٨]

من نكبة وفتنة، فإنما يحيق به، ويصل إليه من إحدى هذه الجهات، والفرق بين استعمال «من» مع قوله: «من بين يدي ومن خلفي» وحروف المجاوزة مع «عن يميني وعن شمالي» قد مضى. وأما تخصيص جهة السفل بقوله: «وأعوذ بعظمتك أن أغتال» فليدمج معنى قوله تعالى: **﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾**(١) وما أحسن موقع قوله: «بعظمتك» في هذا المقام! فليتدبر. قوله: «أن أغتال» «غب»: الغول إهلاك الشيء من حيث لا يحس به، يقال: غاله يغوله غولا، واغتاله اغتيالا، ومنه سمي السِّعْلاة غولا.

الحديث العاشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «نشهدك» أداء الشهادة يوم أشهدهم بها على أنفسهم، وتجديد لها في كل صباح ومساء، وعرض من أنفسهم أنهم ليسوا عنها غافلين، والاستثناء في قوله: «إلا غفر الله» مفرغ، وقد سبق أن المستثنى منه هو جواب الشرط المحذوف.

الحديث الحادي عشر عن ثوبان: قوله: «ما من عبدمسلم» **التنكير** فيه للتعظيم، أي كامل في إسلامه، راض بقضاء ربه، وبنبوة حبيبه، وبدين الإسلام، وأظهر هذا الاعتقاد من نفسه قولا وفعلا، كان حقا على الله أن يرضيه. ولعلو شأن هذه المرتبة التي هي الرضى من الجانبين، خص الله عزوجل كرام الصحابة بها حيث قال عز من قائل: **«رضي الله عنهم ورضوا عنه»**(٢). والحق بمعنى الواجب، إما بحسب الوعد أو الإخبار، وهو خبر «كان» واسمه «أن يرضيه»، وهذه الجملة خبر «ما»، والاستثناء مفرغ.

[٢٣٩٨] ضعيف.

[٢٣٩٩] رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٧)، وشرح السنة ح (١٣٢٤) ٥/ ١١ وقال. حديث حسن.

(١) الأعراف: ١٧٦. (٢) البينة: ٨.

٢٤٠٠ - * وعن حذيفةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا أرادَ أن ينامَ، وضعَ يدَهُ تحتَ رأسِهِ ثمَّ قال: «اللهُمَّ قِني عذابكَ يومَ تجمَعُ عبادكَ - أو تبعثُ عبادَكَ» رواه الترمذي. [٢٤٠٠]

٢٤٠١ - * ورواه أحمد عن البراء. [٢٤٠١]

٢٤٠٢ - * وعن حَفصةَ [رضي الله عنها] أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا أرادَ أن يرقُدَ وضعَ يدهُ اليُمنى تحتَ خدِّه، ثمَّ يقول: «اللهُمَّ قني عذابكَ يومَ تبعَثُ عبادكَ». ثلاث مرَّات. رواه أبو داود. [٢٤٠٢]

٢٤٠٣ - * وعن عليّ [رضي اللهُ عنه]، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقولُ عند مضجَعه: «اللهُمَّ إني أعوذُ بوجهكَ الكريمِ، وكلماتكَ التامَّات من شرِّ ماأنتَ آخذٌ بناصيته، اللهُمَّ أنتَ تكشفُ المغرمَ والمأثمَ، اللهُمَّ لا يُهزَمُ جُنْدُكَ، ولا يُخلَفُ وعدُكَ، ولا يَنفَعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ، سبحانك وبحمدكَ» رواه أبو داود. [٢٤٠٣]

الحديث الثاني عشر إلى الرابع عشر عن على رضى الله عنه: قوله: «بوجهك الكريم» «قض»: وجه الله مجاز عن ذاته عز وجل، تقول العرب: أكرم الله وجهك، بمعنى أكرمك، وقال تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾(١) أى ذاته. والكريم يطلق على الشريف النافع الذى يدوم نفعه، ويسهل تناوله. و«الكلمات التامات» مر تفسيرها، والاستعاذة بها بعد الاستعاذة بذاته تعالى إشارة إلى أنها لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون من خير أو شر إلا بأمره التابع لمشيئته، قال تعالى: ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾(٢). «ما أنت آخذ بناصيته» أى ما هو فى ملكك، وتحت سلطانك، وأنت متمكن من التصرف فيه على ما تشاء، والأخذ بالناصية كناية عن الاستيلاء، والتمكن من التصرف فى الشيء. وإنما عدل إلى هذه العبارة، ولم يقل: من شر كل شيء، إشعارًا بأنه المسبب لكل ما يضر وينفع، والمرسل له لا أحد يقدر على منعه، ولا شيء ينفع فى دفعه، وإليه أشار بقوله: «لايهزم جندك»، فإذن لا مفر منه إلا إليه. أقول: وكنى بالأخذ بالناصية عن فظاعة شأن ما تعوذ من شره.

قوله: «المغرم والمأثم» «نه»: المغرم مصدر وضع موضع الاسم، ويريد به مغرم الذنوب والمعاصي، وقيل: المغرم كالغرم، وهو الدَّين، ويريد به ما استدين فيما يكرهه الله تعالى، أو

[٢٤٠٠] صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٢٧٠٥).

[٢٤٠١] وهو صحيح أيضًا.

[٢٤٠٢] صحيح انظر صحيح أبى داود ح (٤٢١٨)، صحيح الجامع ٤٦٥٦ وفيه ذكر «ثلاث مرات» غلطًا.

[٢٤٠٣] سنن أبى داود ح (٥٠٥٢) ٤/٣١٢.

(١) القصص: ٨٨. (٢) النحل: ٤٠.

٢٤٠٤ - * وعن أبي سعيد، قال، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفرُ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو الحيَّ القيومَ، وأتوبُ إليه ثلاثَ مرَّات؛ غَفَرَ اللهُ لهُ ذنُوبَهُ وإنْ كانتْ مثلَ زبَدِ البحرِ، أو عددَ رملٍ عالجٍ، أو عددَ ورقِ الشَّجرِ، أو عدَدَ أيام الدنيا». رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب. [٢٤٠٤]

٢٤٠٥ - * وعن شدَّادِ بنِ أوسٍ، قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ مسلمٍ يأخذُ مضجَعَهُ بقراءةِ سورةٍ من كتابِ الله؛ إلا وكَّلَ اللهُ بهِ ملكًا فلا يقربُهُ شيءٌ يُؤذِيه، حتى يَهُبَّ متى هَبَ» رواه الترمذي. [٢٤٠٥]

فيما يجور، ثم عجز عن أدائه، فأما دين احتاج إليه وهو قادر على أدائه فلا يستعاذ منه. و«المأثم» الأمر الذى يأثم به الإنسان، أو هو الإثم نفسه وضعًا للمصدر موضع الاسم.

قوله: «ذا الجد» «تو»: قد فسر الجد بالغنى، وهو أكثر الأقاويل، وهو فى المعنى بمعنى قوله سبحانه: ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**﴾(١). وقيل: المراد منه الحظ والبخت، وروي أن جمعًا من المسلمين تذاكروا فيما بينهم الجدود، فقال بعضهم: جدي فى النخل، وقال آخر: جدي فى الإبل، وقال آخر: جدي فى كذا، فدعا رسول الله ﷺ يومئذ بدعائه هذا. فإن صح فهو الوجه لا معدل عنه. ورواه بعضهم بكسر الجيم، ورد عليهم أبو عبيد فقال: الجد الانكماش، والله تعالى دعا الناس إلى طاعته، ومدحهم بالإسراع فيها، فكيف يدعوهم إليه، ثم يقول: «لاينفعهم»؟ وقال ابن الأنبارى: ما أظن القوم ذهبوا إلى الذى قاله أبو عبيد، بل ذهبوا إلى أن صاحب الجد إلى حيازة الدنيا الحريص عليها، لا ينفعه ذلك، وإنما ينفعه عمل الآخرة.

الحديث الخامس عشر عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «عالج» «نه». وهو ما تراكم من الرمل. ودخل بعضه في بعض، والعوالج جمعه وفي حديث الدعاء وما تحويه عوالج الرمال» أقول: فعلى هذا لايضاف الرمل إلى عالج؛ لأنه وصف له. وذهب المظهر إلى أن «عالج» موضع، فأضاف.

الحديث السادس عشر عن شداد قوله: «بقراءة سورة» حال، أى مفتتحًا بقراءة سورة. قوله: «هب» «نه»: هب النائم هبًا وهبوبًا استيقظ.

[٢٤٠٤] ضعيف الإسناد لأن فيه عطية العوفي، وهو مشهور بالضعف.

[٢٤٠٥] إسناده ضعيف.

(١) سبأ: ٣٧

٢٤٠٦ - * وعن عبدِالله بن عمرِو بن العاصِ [رضي الله عنهما]، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خلَّتان لا يُحصيهما رجلٌ مسلمٌ إلا دخلَ الجنَّةَ، ألا وهما يسيرٌ، ومن يعمَلُ بهما قليلٌ: يسبِّح اللهَ في دُبرِ كلِّ صلاةٍ عَشْرًا، ويحمده عَشْرًا، ويكبِّرهُ عَشرًا». قال: فأنا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يعقدها بيده. قال: «فتلكَ خمسونَ ومائةٌ في اللسانِ وألفٌ وخمسُمائة في الميزان. وإذا أخذَ مضجعَه يُسبِّحهُ، ويكبِّرهُ، ويَحمَدُهُ مائةً، فتلكَ مائةٌ باللسانِ، وألفٌ في الميزانِ، فأيُّكُمْ يعملُ في اليومِ والليلة ألفين وخمسَمائة سيِّئة»؟. قالوا: وكيفَ لانحصيها؟ قال: «يأتي أحدكَم الشيطانُ وهو في صلاتِه فيقولُ: اذكرْ كذا اذكرْ كذا، حتى ينفتِلَ فلعلَّه أن لا يفعلَ، ويأتيهِ في مضجَعِه فلا يزالُ ينوِّمُه حتى ينامَ». رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي. [٢٤٠٦]

الحديث السابع عشر عن عبدالله: قوله: «خلتان» «قض»: الخلة الخصلة، «لايحصيهما» لا يأتي بهما، ولا يحافظ عليهما، لما كان المأتيُّ به من جنس المعدودات، عبر عن الإتيان بها بالإحصاء. و«ألا» حرف تنبيه، وهي بالجملة المصدرة بها اعتراض أكد بها التحضيض والتحريض عليهما. وقوله: «يسبح الله ـ إلى قوله ـ ويكبره عشرًا» بيان إحدى الخلتين، وقوله: «فتلك خمسون ومائة» فذلكة الكلمات المذكورة دبر الصلوات، وجملة تعدادها في اليوم والليلة، المحصيات خلف كل صلاة ثلاثون، وعدد الصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس*. قوله: «وألف وخمسمائة من الميزان» لأن الحسنة بعشر أمثالها. وقوله: «وإذا أخذ مضجعه» إلى آخره بيان للخلة الأخرى.

قوله: «فأياكم» «مظ»: يعني إذا أتى بهؤلاء الكلمات خلف الصلوات، وعند الاضطجاع يحصل له ألفا حسنة وخمسمائة حسنة، فيعفى عنه بعدد كل حسنة سيئة، فأيكم يأتي في كل يوم وليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟ يعني يصير مغفورًا. أقول: ويمكن أن يقال: إن «الفاء» في «فأيكم» جواب شرط محذوف، وفي الاستفهام نوع إنكار، يعني إذا تقرر ما ذكرت، فأيكم يأتي بألفين وخمسمائة سيئة، حتى تكون مكفرة بها، فما لكم لا تأتون بها، وأيُّ مانع يمنعكم؟ فينطبق على هذا إنكار قولهم: «كيف لانحصيها»، إذ لا يصرفنا عن ذلك شيء؟ فأجيبوا بقوله: «يأتي أحدكم الشيطان» يعني يوقع الشيطان في قلوبكم الوساوس والنسيان، حتى ينصرف عن الصلاة، وينام وقد نسي الذكر. و«الفاء» في «فلعل» جزاء شرط محذوف، أي إذا كان الشيطان يفعل ذلك، فعسى الرجل أن لايحصيها. وهذا الكلام رد لإنكارهم المستفاد من الاستفهام، وجزمهم على وجوب الإحصاء، والدليل على أن «لعل» بمعنى «عسى» إدخال «أنْ» في خبره.

[٢٤٠٦] إسناده صحيح.

* في (ط) و(ك) (وذلك لأن عدد الكلمات) فحذفناها لأنها لا تؤدي للسياق معنى.

وفي رواية أبي داود قال: «خَصلَتان أو خَلَّتانِ لا يُحافظُ عليهما عبدٌ مسلم». وكذا في روايته بعد قوله: «وألفٌ وخمسُمائة في الميزان» قال: «ويكبِّرُ أربعًا وثلاثين إذا أَخذَ مضجَعه «ويَحمَدُ ثلاثًا وثلاثينَ، ويُسبِّح ثلاثًا وثلاثين».

وفي أكثر نسخ «المصابيح» عن: عبدالله بن عُمَر.

٢٤٠٧ - * وعن عبدِالله بنِ غنَّامٍ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «منْ قالَ حينَ يُصبح: اللهُمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقكَ، فمنكَ وحدَكَ لاشريكَ لك، فلكَ الحمدُ، ولكَ الشكرُ، فقد أدَّى شكرَ يومه، ومنْ قال مثلَ ذلكَ حينَ يُمسي فقدْ أدَّى شكرَ ليلتهِ». رواه أبو داود. [٢٤٠٧]

٢٤٠٨ - * وعن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ أنه كانَ يقولُ إذا أوى إلى فراشه: «اللهُمَّ ربَّ السماوات، وربَّ الأرضِ، وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنوى، مُنزِلَ

الحديث الثامن عشر عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «فمنك» الفاء جواب الشرط كما في قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾(١). ومن شرط الجزاء أن يكون مسبباً عن الشرط، ولايستقيم هذا فى الآية إلا بتقدير الإخبار، والتنبيه على الخطأ، وهو أنهم كانوا لايقومون بشكر نعم الله تعالى بل يكفرونها بالمعاصي، فقيل لهم: إني أخبركم أنما التبس بكم من نعم الله، وأنتم لا تشكرونها سبب لأن أخبركم بأنها من الله، حتى تقوموا بشكرها، والحديث بعكسها، أي أني أقر وأعترف بأن كل النعم الحاصلة من ابتداء خلق العالم إلى انتهاء دخول الجنة، فمنك وحدك، فأورعني أن أقوم بشكرها، ولا أشكر غيرك. وقوله: «وحدك» حال من المتصل في قوله: «فمنك» أي فحاصل منك منفرداً، وقوله: «فلك الحمد» تقرير للمطلوب، ولذلك قدم الخبر على المبتدأ ليفيد الحصر، يعني إذا كانت النعمة مختصة بك، فها أنا أتقدم إليك، وأخص الحمد والشكر بك قائلا: لك الحمد لا لغيرك، ولك الشكر لا لأحد سواك.

الحديث التاسع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «اللهم رب السموات والأرض» الحديث. فإن قلت: ما وجه النظم بين هذه القرائن؟ قلت: وجهه أنه ﷺ لما ذكر أنه تعالى: «رب السموات والأرض» أي مالكهما ومدبر أمرهما، عقبه بقوله: «فالق الحب والنوى» ليضم معنى الخالقية مع المالكية؛ لأن قوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي﴾(٢) بيان لـ«فالق الحب والنوى»، ومعناه يخرج الحيوان والنامي من النطفة، والحب

[٢٤٠٧] ضعيف.

(١) النحل: ٥٣.   (٢) الأنعام: ٩٥.

التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذُ بكَ منْ شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، أنتَ آخذٌ بناصيته، أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلكَ شيءٌ، وأنتَ الآخرُ فليس بعدكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليسَ دونكَ شيءٌ، اقضِ عني الدينَ، وأغْنِني من الفقرِ» رواه أبوداود، والترمذي، وابن ماجه، ورواه مسلمٌ مع اختلافٍ يسيرٍ.[٢٤٠٨]

٢٤٠٩ - * وعن أبي الأزهرِ الأنماريِّ، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ إذا أخذَ مضجَعَهُ من الليلِ قال: «بسمِ اللهِ، وضعْتُ جنبي للهِ، اللهُمَّ اغفرْ لي ذنبي، واخْسَأْ شيطاني، وفُكَّ رهاني، واجعلني في النَّديِّ الأعلى» رواه أبو داود.[٢٤٠٩]

والنوى، ويخرج الميت من الحي، أي يخرج هذه الأشياء من الحيوان والنامي، ثم عقب ذلك كله بقوله: «منزل التوراة»؛ ليؤذن بأن لم يكن إخراج الأشياء من كتم العدم إلي فضاء الوجود إلا بتعلم وتعبد، ولا يحصل ذلك إلا بكتاب ينزله، ورسول يبعثه، كأنه قيل: يا مالك، يامدبر، ياخالق، ياهادي.

قوله: «فليس قبلك شيء» تقرير للمعني السابق، وذلك أن قوله: «أنت الأول» مفيد للحصر لتعريف الخبر باللام، فكأنه قيل: أنت مختص بالأولية، فليس قبلك شيء، وعلي هذا قوله: «فليس فوقك شيء». وقوله: «فليس دونك شيء» بمعنى الإحاطة بالكائنات، فينبغي أن يحمل الظاهر والباطن علي معني تقرر الإحاطة. نعم! الظاهر والباطن لهما معان لاتنحصر لكن باقتضاء المقام. «مح»: قال الباقلانيُّ: تمسكت المعتزلة بقوله: «ليس بعدك شيء» علي أن الأجسام تفني بعد الموت، وتذهب بالكلية، ومذهب أهل السنة بخلافه، والمراد أن الفاني هو الصفات، والأجزاء المتلاشية باقية، ولهذا يقال: آخر من بقي من بني فلان، يراد حياته، ولايراد فناء أحيا ئهم وموتاهم.

الحديث العشرون عن أبي الأزهر: قوله: «واخسأ» وهو زجر الكلب. «نه»: يقال: خسأته فخسئ، وخسأ وانخسأ، والخاسئ المبعد. «تو»: معني قوله: «واخسأ شيطاني» اجعله مطروداً عني كالكلب المهين، وأضافه إلي نفسه؛ لأنه أراد قرينه من الجن، أو الذي يبغي غوايته. وفك الرهن تخليص ما يوضع وثيقة للدين، وأراد بالرهان هاهنا نفس الإنسان؛ لأنها مرهونة بعملها، قال الله تعالي: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾(١). و«النديُّ» أصله المجلس؛ لأن القوم يجتمعون فيه، فإذا تفرقوا لم يكن نديًّا، ويقال أيضًا للقوم، تقول: ندوت القوم أندوهم، أي

[٢٤٠٨] صحيح انظر صحيح أبى داود ح (٤٢٢٤).
[٢٤٠٩] صحيح انظر صحيح أبى داود ح (٤٢٢٦).
(١) المدثر: ٣٨.

٢٤١٠ - * وعن ابنِ عـمر: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا أخذَ مـضجَعه منَ الـليلِ قال: «الـحمدُ لله الـذي كفانـي، وآواني، وأطعَـمَنـي، وسَقانـي، والذي منَّ عـليَّ فأفـضلَ، والذي أعطـاني فأجـزلَ، الحمدُ لله عـلى كلِّ حـال، اللهُمَّ ربَّ كـلِّ شيءٍ ومليكَهُ، وإلهَ كلِّ شيء، أعوذُ بك من النَّارِ» رواه أبو داود.[٢٤١٠]

٢٤١١ - * وعن بُـريدةَ، قـال: شكا خـالدُ بنُ الـوليـد إلى النـبيِّ ﷺ، فـقال: يارسولَ الله! ما أنامُ الليلَ من الأرَق فقال نبيُّ الله ﷺ: «إذا أويتَ إلى فراشك فقلْ: اللهُمَّ ربَّ الـسماواتِ السبع وما أظلَّـتْ، وربَّ الأرضينَ وما أقلَّتْ، وربَّ الشـياطينِ وما أضلَّتْ، كنْ لي جارًا من شرِّ خلقكَ كلِّهـم جميعًا، أن يَفْرُط عليَّ أحدٌ منهم، أو أن يبغيَ، عزَّ جارُكَ، وجلَّ ثناؤُكَ، ولا إلهَ غيرُكَ، لا إله إلا أنتَ».

جمعتهم، والمعنى اجعلني من القوم المجتمعين، ويريد بـ«الأعلي» الملأ الأعلى وهم الملائكة، ومن أهل الـنديِّ إذا أريد به الـمجلس، ويـقال: لايكون الـنديُّ إلا الجمـاعة من أهل الـندى والكرم، ويـروى «في النداء الأعلـى» وهو الأكثر، والنـداء مصدر ناديـته، ومعناه أن يـنادى به للتنـويه، والرفع منه، ويحـتمل أن يراد به نداء أهل الجـنة - وهم الأعلون رتبة ومـكانًا - أهل النار، كما في القرآن ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾(١).

أقول: قوله: «اللهم اغفـر لي» دعاء بمنزلة الحكم الذى رتب على الـوصف المناسب، فإنه لما جعل النوم والاستراحة لله تعالى، ليستعين بـها على طاعته ويجتنب عن معاصيه، طلب أن يعينه تعالى علـى طلبته من فك الرهان، وخذلان من يحجره عنه مـن الشيطان والنفس الأمارة، ثم طلب ما هو الـمنحة الأسنى، والمقامة الـزلفى، والنديُّ الأعلى، فأعجب بـقوم هذا نومهم، فكيف يقظتهم؟

الحديث الحادي والعشرون عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «من عليَّ فأفضل» أى أنعم فزاد، «الفاء» فيه لترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل، فالإعطـاء حسن، وكونه جزيلا أحسن، وهكذا الممنـون. وقدم الامتنان على الإعطاء؛ لأنه غير مسبوق بعمل للعبد، كالإعطاء فإنه قد يكون بإزاء عمل من العبد.

الحديـث الثاني والعـشرون عن بريدة: قولـه: «من الأرق» «نه»: الأرق هو السـهر، ورجل أرق، إذا سهر لـعلة، فإن كان السـهر من عادته، قيـل: أرق - بضم الهمزة والـراء -، فـ«من» ابتدائـية للتعلـيل، أى لأجل هذه العلـة، و«ما أقلت» أى ما رفعـته الأرضون من المخـلوقات،

[٢٤١٠] صحيح الإسناد انظر صحيح أبى داود ح (٤٢٢٩).

(١) الأعراف: ٤٤.

رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ ليس إسنادهُ بالقويِّ، والحكَمُ بن ظُهيرٍ الراوي قد تركَ حديثَهُ بعضُ أهل الحديث. [٢٤١١]

الفصل الثالث

٢٤١٢ - * وعن أبي مالك، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أصبحَ أحدُكم فَلْيقُلْ: أصبحْنا وأصبَحَ الملكُ لله ربِّ العالمينَ، اللهُمَّ إني أسألُكَ خيرَ هذا اليومِ: فتْحَه، ونصْرَه، ونورَه، وبركتَه، وهُداه. وأعوذُ بكَ منْ شرِّ ما فيه، ومنْ شرِّ ما بعدَه. ثمَّ إذا أمسى فلْيقُلْ مثلَ ذلكَ». رواه أبو داود. [٢٤١٢]

٢٤١٣ - * وعن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكرةَ، قال: قلتُ لأبي: يا أبتِ! أسمعُكَ تقولُ كلَّ غداة: «اللهُمَّ عافِني في بدَني، اللهُمَّ عافِني في سمْعي، اللهُمَّ عافني في بصَري، لا إلهَ إلا أنتَ» تكرِّرُها ثلاثًا حينَ تُصبِحُ، وثلاثًا حينَ تُمسى. فقال: يابُنيَّ! سمعتُ رسولَ الله ﷺ يدعُو بهِنَّ، فأنا أحبُّ أنْ أستَنَّ بسُنَّته. رواه أبو داود. [٢٤١٣]

و«العزة» في الأصل القوة والشدة والغلبة، يقول: عز يعز - بالكسر - إذا صار عزيزاً، وعز يعز - بالفتح - إذا اشتد. قوله: «جارك» الجار هو المستجير، كقول الشاعر:

هم المانعون الجار حتى كأنما لجارهم فوق السماكين منزل

والجار الأول بمعنى المجير. «غب»: يقال: استجرت فلانًا، فأجارني، قال تعالى: ﴿إني جار لكم﴾[1] ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾[2]. أقول: فقوله: «عز جارك» كالتعليل لقوله: «كن لي جاراً» فإذا حمل على الغلبة يكون معناه: اجعلني غالبًا على من يريد شرى من خلقك حتى أدفعهم عنى، وإذا حمل على الشدة يكون معناه اجعل لي شدة لا أكون بها مغلوباً لهم.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبى مالك: قوله: «فتحه ونصره» وما بعده بيان لقوله: «خير هذا اليوم» والفتح الظفر بالبلد قهرًا أو صلحًا؛ لأنه متعلق مالم يظفر به، والنصرة الإعانة والإظهار على العدو. وهذا أصل لمعناهما، ويمكن التعميم فيهما.

الحديث الثانى عن عبدالرحمن رضي الله عنه: قوله: «اللهم عافني فى سمعي» خصهما بالذكر بعد ذكر البدن؛ لأن العين تجلو آيات الله المثبتة فى الآفاق، والسمع هي الآيات المنزلة، فهما جامعان لدرك الآيات العقلية والنقلية، وإليه ينظر قوله ﷺ: «اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا».

[٢٤١١] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (٥٠٧).

[٢٤١٢] سنن أبي داود ح (٥٠٨٤) ٤/ ٣٢٢.

[٢٤١٣] ضعيف بنحوه، ضعيف الجامع ح (١٣٠٨).

(١) الأنفال : ٤٨. (٢) المؤمنون : ٨٨.

٢٤١٤ - * وعن عبدالله بنِ أبي أوْفى، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أصبحَ قال: «أصبَحْنا وأصبحَ المُلكُ لله، والحمدُ لله، والكبرياء والعظَمةُ لله، والخَلْقُ والأمرُ والليلُ والنَّهارُ وما سكنَ فيهما لله، اللهُمَّ اجعَلْ أوَّلَ هذا النَّهارِ صلاحًا، وأوْسطَه نجاحًا، وآخرَه فلاحًا، يا أرحمَ الرَّاحمينَ». ذكره النَّوويُّ في كتاب «الأذكار» برواية ابنِ السنِّي. [٢٤١٤]

٢٤١٥ - * وعن عبدالرَّحمنِ بنِ أبْزى، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ إذا أصبحَ: «أصبَحْنا على فِطرةِ الإسلامِ، وكلمةِ الإخلاصِ، وعلي دينِ نبيِّنا محمَّد ﷺ، وعلي ملَّةِ أبينا إبراهيمَ حنيفًا وما كانَ منَ المشرِكينَ». رواه أحمدُ، والدارميُّ. [٢٤١٥]

(٧) باب الدعوات في الأوقات

الفصل الأول

٢٤١٦ - * عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو أنَّ أحدَكم إذا أرادَ أنْ

الحديث الثالث عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «أول هذا النهار صلاحًا» أى صلاحًا فى ديننا بأن يصدر منا ما ننخرط به فى زمرة الصالحين من عبادك، ثم إذا اشتغلنا بقضاء أربنا فى دنيانا لما هو صلاح فى ديننا، فأنجحها، واجعل خاتمة أمرنا بالفوز بمباغينا ونيل مطالبنا، مما هو سبب لدخول الجنة، فتتدرج فى سلك من قيل فيهم: ﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾(١).

الحديث الرابع عن عبدالرحمن رضى الله عنه: قوله: «وما كان من المشركين» من الأحوال المتداخلة، أتى بها تقريرًا وصيانة للمعنى المراد، وتحقيقًا عما يتوهم من أنه يجوز أن يكون حالا منتقلة، فرد ذلك التوهم بأنه لم يزل موحدًا، ومثبتة؛ لأنها حال مؤكدة.

باب الدعوات فى الأوقات

الوقت الزمان المفروض للعمل، ولهذا لايكاد يقلل إلاَّ مقدَّرا، نحو قولهم: وقت كذا، جعلت وقتًا، له قال الله تعالى: ﴿**إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا**﴾(٢).

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «لو أن أحدكم» «لو» هذه يجوز أن

[٢٤١٤] ذكره النووى فى كتاب الأذكار بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط ص١٢٥، وإسناده ضعيف كما قال محققه.

[٢٤١٥] إسناده صحيح .

(١) البقرة: ٥ . (٢) النساء: ١٠٣ .

يأتيَ أهلَه قال: بسمِ اللهِ، اللهُمَّ جنِّبْنا الشَّيطانَ، وجنِّبِ الشَّيطانَ مارزَقتَنا، فإنَّه إنْ يُقدَّرْ بينَهما ولَدٌ في ذلك لمْ يَضُرَّهُ شيطانٌ أبدًا». متفق عليه.

٢٤١٧ - * وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ عندَ الكَرْبِ: «لا إلهَ إلا اللهُ العَظيمُ الحَليمُ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ ربُّ العرشِ العَظيمِ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ ربُّ السَّماواتِ وربُّ الأرضِ ربُّ العرشِ الكريمِ». متفق عليه.

٢٤١٨ - * وعن سُليمانَ بنِ صُرَدٍ، قال: استَبَّ رجُلانِ عندَ النبيِّ ﷺ ونحنُ عندَه جُلوسٌ وأحدهُما يسبُّ صاحبَه مُغضبًا، قد احمرَّ وجهُهُ. فقال النبيُّ ﷺ «إني لأعلمُ كلمةً لوْ قالَها لذَهبَ عنه مايجِدُ: أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطان الرَّجيمِ». فقالوا للرَّجلِ: ألا تسمعُ ما يقولُ النبيُّ ﷺ؟ قال: إني لستُ بمجنونٍ. متفق عليه[٢٤١٨].

تكون شرطية، وجوابها محذوفًا، وأن تكون للتمني. وقوله: «إذا أراد» يجوز أن يكون «إذا» ظرفًا، و«قال» خبر «أن» أى قال ذلك حين أراد، وأن تكون شرطية، وجزاؤها «قال»، والجملة خبر «أن». وقوله: «فى ذلك» أى فى ذلك الوقت، وإنما نكر «شيطان» آخرًا بعد تعريفه أولا؛ لأنه أراد فى الأول الجنس، وفى الآخر أفراده على سبيل الاستغراق والعموم.

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «يقول عند الكرب» «مح»: فإن قيل: هذا ذكر، وليس فيه دعاء يزيل الكرب. فجوابه من وجهين: أحدهما أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء، ثم يدعو بما شاء، والثانى هو كما ورد «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».

الحديث الثالث عن سليمان: قوله: «لو قال: أعوذ بالله» «لو قال» ليس فى نسخ المصابيح، ووجدناه فى البخارى وشرح السنة هكذا، فيكون جوابه محذوفًا، وهو مع جوابه بدل من قوله: «قالها» مع جوابه، وعليه رواية الجمع بين الصحيحين، وهى «لو قالها، لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد».

قوله: «إنى لست بمجنون» وفى رواية أخرى «فانطلق إليه رجل، فقال له: تعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال: أترى بى بأس؟ أمجنون أنا؟ أذهب» وفى رواية أبى داود ذلك الرجل

[٢٤١٨] الحديث رواه البخارى/ ك الأدب/ باب الحذر من الغضب ح/ ٦١١٥، ورواه مسلم بنحوه ك الأدب/ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ح/ ٢٦١٠. وقد وقع فى المشكاة، وشرح الطيبى المطبوع بلفظ (لا تسمع ما يقول النبىّ) والتصحيح من صحيح البخارىّ.

٢٤١٩ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا سمِعتمْ صِياحَ الدِّيكةِ فسَلُوا اللهَ منْ فضلِه؛ فإنَّها رأَتْ مَلَكًا. وإذا سمِعتمْ نهيقَ الحِمارِ فتعوَّذُوا باللهِ منَ الشيطان الرَّجيم؛ فإنه رأى شيطانًا». متفق عليه.

٢٤٢٠ - * وعن ابنِ عمرَ: أنَّ رسولَ ﷺ، كانَ إذا استَوى علي بعيره خارجًا إلي السَّفرِ كبَّرَ ثلاثًا، ثمَّ قال: «(سُبْحانَ الذي سَخَّرَ لَنا هذا وما كُنَّا لهُ مُقْرنينَ، وإنَّا إلي ربِّنا لمُنْقَلِبونَ)، اللهُمَّ إنَّ نسألُكَ في سفرِنا هذا البِرَّ والتَّقوى، ومنَ العَمَلِ ما ترْضى،

هو معاذ. هذا أيضًا نشأ من غضب، وقلة احتمال منه، وسوء أدب. والحديث من قوله تعالى: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾**[1] وذلك فى حق من يتق الله، ولايسئ الأدب، لقوله تعالى: **﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**[2] أى تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه، فأبصروا السداد، ودفعوا ما وسوس به إليهم.

«مح»: قول الرجل هذا، قول من لم يتفقه فى دين الله تعالى، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله، ويتكلم بالباطل، ويفعل المذموم، ومن ثمة قال النبى ﷺ للذى قال: أوصنى، قال: «لا تغضب»، فردد مرارًا، قال: «لاتغضب»، ولم يزد عليه فى الوصية على «لاتغضب»، وفيه دليل على عظم مفسدة الغضب، وما ينشأ منه، ويحتمل أن يكون هذا القائل من المنافقين، أو جفاة الأعراب.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إذا سمعتم» الحديث، لعل المعنى أن الديك أقرب الحيوانات صوتًا إلى الذاكرين الله؛ لأنها تحفظ غالبًا أوقات الصلوات، وأنكر الأصوات صوت الحمير، فهو أقربها صوتًا إلى من هو أبعد من رحمة الله تعالى.

الحديث الخامس عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «استوى على بعيره» أى استقر على ظهره. قوله: «مقرنين» «قض»: مقرنين مطيقين مقتدرين، من أقرن له إذا أطاقه وقوى عليه، وهو اعتراف بعجزه، وأن تمكنه من الركوب عليه بإقدار الله تعالى وتسخيره إياه. و«منقلبون» راجعون إليه. وفيه تنبيه على أن السفر الأعظم الذى الإنسان بصدده، وهو الرجوع إلى الله تعالى، فهو أهم بأن يهتم به، ويشغل بالاستعداد له قبل نزوله. قوله: «واطو لنا بعده» عبارة عن تيسير السير بمنح القوة له ولمركوبه، وأن لايرى ما يزعجه ويوقعه فى التعب والمشقة.

---

(١) الأعراف: ٢٠٠. (٢) الأعراف: ٢٠١.

اللهُمَّ هَوِّنْ علَينا سفَرنا هذا، واطْو لَنا بُعده، اللهُمَّ أنتَ الصَّاحبُ في السَّفَر، والخَليفةُ في الأهلِ [والمالِ]، اللهُمَّ إِني أعوذُ بكَ مِنْ وَعْثاء السَّفَر، وكآبَة المَنظر، وسُوء المُنقلَبِ في المالِ والأهلِ». وإِذا رجع قالَهنَّ وزادَ فيهِنَّ: «آيِبُونَ، تائبُونَ، عابِدُونَ، لربِّنا حامِدونَ». رواه مسلم.

٢٤٢١ - * وعن عبدِالله بنِ سرجِسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سافرَ يتعوَّذُ مِنْ وَعْثاءِ السَّفرِ، وكآبَةِ المنقَلَبِ، والحَوْرِ بعدَ الكَوْرِ، ودعْوَةِ المَظْلومِ، وسُوءِ المَنظرِ في الأهلِ والمالِ. رواه مسلم.

قوله: «أنت الصاحب» «تو»*: الصاحب هو الملازم، وأراد ذلك مصاحبة الله إياه بالعناية والحفظ، والاستئناس بذكره، والدفاع لما ينوبه من النوائب. و«الخليفة» هو الذي ينوب عن المستخلف، يعني أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في سفري وفي غيبتي عن أهلي، بأن يكون معيني وحافظي، وأن يلم شعثهم ويداوي سقمهم، ويحفظ عليهم دينهم وأمانتهم. قوله: «وعثاء السفر» «نه»: أي شدته ومشقته. «فا»: يقال: رمل وعث، ورملة وعثاء، لما يشتد فيه السير للينه، ثم قيل للشدة والمشقة: وعثاء علي التمثيل.

قوله: «وكآبة المنظر» «نه»: الكآبة تغير النفس بالانكسار من شدة الوهم والحزن، وقيل المراد منه الاستعاذة من كل منظر تعقبه الكآبة عند النظر إليه. قوله: «وسوء المنقلب» «فا»: أي ينقلب إلي وطنه فيلقى ما يكتب منه من أمر أصابه في سفره، أو ما تقدم عليه، مثل أن يعود غير مقضي الحاجة، أو أصابت ماله آفة، أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى، أو قد فقد بعضهم.

قوله: «لربنا حامدون» «لربنا» يجوز أن يعلق بقوله: «عابدون»؛ لأن عمل اسم الفاعل ضعيف فيقوي به، أو بـ«حامدون»؛ ليفيد التخصيص، أي بحمد ربنا لابحمد غيره، وهذا أولي؛ لأنه كالخاتمة للدعاء، ومثله في التعليق قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه هدى﴾[1] يجوز أن يقف على «لاريب» فيكون «فيه هدى» مبتدأ وخبر، فيقدر خبر «لاريب» مثله، ويجوز أن يعلق بـ«لاريب» ويقدر مبتدأ لـ«هدى».

الحديث السادس عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «الحور بعد الكور» «نه»: أى من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها. «فا»: «ومن الحور بعد الكون» بالنون، وقال فيه:

---

(١) البقرة: ٠٢.

* في (ط) (نه) والتصويب من (ك).

٢٤٢٢ - * وعن خَوْلَةَ بنتِ حكيمٍ، قالتْ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ نزل منزلاً فقال: أعوذُ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ منْ شرِّ ما خلَقَ، لمْ يضرهُ شيءٌ حتى يرتحلَ منْ منزلِه ذلكَ». رواه مسلم.

٢٤٢٣ - * وعن أبي هريرةَ، قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يارسولَ الله! مالَقيتُ منْ عقْرَبٍ لدَغَتْني البارحةَ. قال: «أمَا لو قلتَ حينَ أمسَيْتَ: أعوذُ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ منْ شرِّ ما خلَقَ، لمْ تضرَّكَ». رواه مسلم.

٢٤٢٤ - * وعنه، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا كانَ في سفَرٍ وأسْحرَ يقولُ: «سمعَ سامعٌ بحمْدِ الله وحُسْنِ بلائه علَينا، ربَّنا صاحِبْنا، وأفضِلْ علَينا عائذًا بالله من النَّارِ». رواه مسلم.

الحور الرجوع، والكون الحصول على حالة جميلة، يريد التراجع بعد الإقبال، وهو فى غير هذا لحديث بالراء من كور العمامة بعد لفها.

«تو»: وقيل: نعوذ بالله من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا فى جماعة. وفيه نظر؛ لأن استعمال «الكور» فى جماعة الإبل خاصة، وربما استعمل فى البقر، والجواب: [أن باب الاستعارة غير مسدود، فإن العطن مختص بالإبل]*، فيكنون عن ضيق الخلق بضيق العطن، على أنهم يستعملون ألفاظًا مقيدة بقيد فيما لاقيد له، كالمرسن لأنف الإنسان، والمشفر للشفة.

فإن قلت: دعوة المظلوم محترز عنها سواء كانت فى السفر أو فى الحضر، قلت: كذلك الحور بعد الكور، لكن السفر مظنة البلايا والمصائب، والمشقة فيه أكثر، فخصت به.

الحديث السابع عن أبى هريرة** رضى الله عنه: قوله: «التامات» «مح»: قيل: معناها الكاملات التى لايدخلها نقص ولاعيب، وقيل: النافعة الشافية، وقيل: القرآن. «مظ»: الكلمات التامات أسماؤه وصفاته؛ لأن كل واحدة منهما تامة لانقص فيها؛ لأنها قديمة، والنقصان إنما يكون فى المحدثات، وقيل: إنما يتعوذ بالقديم لا بالمحدث.

الحديث الثامن عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «مالقيت» «ما» يحتمل أن تكون ستفهامية، ومعناه أى شىء لقيت، أى لقيت وجعًا شديدًا، ويجوز أن تكون للتعجب، أى أمرًا عظيما، وأن تكون موصولة، والخبر محذوف، أى الذى لقيت لم أصفه لشدته.

الحديث التاسع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «وأسحر» «تو»: أى دخل فى وقت السحر، وقيل: إذا سار إلى وقت السحر، وعلى الأول معنى الحديث؛ لأنه أعم، ثم إنه كان

---

* كذا فى ط، وفى (ك) [أنه الاستعارة غير مختص بالإبل].

** كذا في (ط) و(ك) والصواب عن خولة بنت حكيم كما في المتن.

يقصد بذلك الشكر على انقضاء ليلته بالسلامة ويراقب فضيلة الوقت، فإنه من ساعات الذكر. «قض»: كان الأولى عرفًا مواظبته على هذا القول فى أسحار أسفاره.

قوله:«سمع» «مح»: روى بوجهين - فتح الميم وتشديدها، وكسرها مع تخفيفها - واختار القاضى عياض هنا وفى المشارق، وصاحب المطالع التشديد، وأشار إلى أنه رواية أكثر رواة مسلم، ومعناه بلغ سامع قولى هذا لغيره، وقال مثله تنبيهًا على الذكر والدعاء فى هذا الوقت، وضبطه الخطابى وآخرون بالكسر والتخفيف.

قال الخطابى: معناه وشهد شاهد، وهو أمر بلفظ الخبر، وحقيقته ليسمع السامع، وليشهد الشاهد على حمدنا لله تعالى على نعمه، وحسن بلائه. «تو»: الذهاب فيه إلى الخبر أقوى لظاهر اللفظ، والمعنى أن من كان له سمع، فقط سمع بحمدنا لله وإفضاله علينا، وإن كلا الأمرين قد اشتهر واستفاض، حتى لايكاد يخفى على ذى سمع، وأنه لاانقطاع لأحد الأمرين.

قوله: «حسن بلائه» «نه»: البلاء النقمة أو الاختبار بالخير؛ ليتبين الشكر، وبالشر؛ ليظهر الصبر. أقول: إذا روى «سمع» بالتشديد فالواو فى «وحسن بلائه» للعطف، وإذا روى بالتخفيف، يكون بمعنى مع؛ لأن حسن البلاء غير مسمع، بل هو مبلغ، وكلاهما قريب من خطاب العام، كقوله ﷺ: «بشر المشائين». يعنى بلغ الأمر من فخامته وعظمة شأنه بحيث لايختص سامع دون سامع أن يكون ماموراً بتبليغ هذه البشارة إلى صاحبه، وبتبليغ هاتين الخلتين، وهما حمدنا لله تعالى، وحسن بلائه علينا. وذلك أنه تعالى أنعم علينا فشكرناه، وابتلانا بالمحن فصبرنا؛ لأن كما ل الإيمان فى الإنسان أن يكون صباراً شكوراً، كما قال تعالى: ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾[1] فيتوجه الثناء والشكر إلى الله تعالى على حصول كمال الإيمان فيه. فظهر من هذا التقدير أن معنى الأمر أبلغ وأفخم من معنى الخبر؛ لأنه بشارة، والمطلوب بها التبليغ.

قوله: «ربنا صاحبنا» «قض»: أى أعنا وحافظنا، وأفضل علينا بإدامة تلك النعمة ومزيدها، والتوفيق للقيام بحقوقها. قوله: «عائذًا» «قض»: هو نصب على المصدر أى أعوذ عياذًا، أقيم اسم الفاعل مقام المصدر، كما فى قولهم: قم قائمًا، وقول الشاعر:

ولا خارجًا من فى زور كلام

أو على الحال من الضمير المرفوع فى «يقول» أو «أسحر» ويكون من كلام الراوى.

أقول: يريد أن «عائذًا» إذا كان مصدراً كان من كلام الرسول ﷺ، وإذا كان حالاً كان من كلام الراوى. وجوز الشيخ محيى الدين أن يكون حالا، ويكون من كلام الرسول، حيث قال:

---

(١) لقمان: ٣١

٢٤٢٥ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا قَفَلَ منْ غزْوٍ أوْ حجٍّ أوْ عُمرةٍ، يكبِّرُ على كلِّ شَرَفٍ منَ الأرضِ ثلاثَ تكبيرات، ثمَّ يقولُ: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وحْدَه لاشريكَ لهُ، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، آيبونَ، تائبونَ، عابدونَ، ساجدونَ، لربِّنا حامدونَ، صدقَ اللهُ وعْدَه، ونصرَ عبْدَه، وهزَمَ الأحزابَ وحدَه». متفق عليه.

٢٤٢٦ - * وعن عبدالله بنِ أبي أوْفى، قال: دَعا رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزابِ على المشركينَ، فقال: «اللهُمَّ مُنْزِلَ الكتابِ، سريعَ الحسابِ، اللهُمَّ اهزِمِ الأحزابَ، اللهُمَّ اهزِمْهمْ وزَلْزِلْهم». متفق عليه.

إني أقول هذا في حال استعاذتي، واستجارتي من النار. أقول: والأرجح هذا؛ لئلا ينخرم النظم، وأنه ﷺ لما حمد الله تعالى على تلك النعمة الخطيرة، وأمر بإسماعها إلى كل من يتأتى منه السماع لفخامته، وطلب الثبات والمزيد عليه، قاله هضمًا لنفسه وتواضعًا لله تعالى، وليضم الخوف مع الرجاء تعليمًا للأمة.

الحديث العاشر عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «على كل شرف» «تو»: أي على المكان العالي، ووجه التكبيرات على الأماكن العالية، هو استحباب الذكر عند تجديد الأحوال، والتقلب في التارات، وكان ﷺ يراعي ذلك في الزمان والمكان؛ لأن ذكر الله تعالى ينبغي أن لاينسى في كل الأحوال.

قوله: «الأحزاب» «نه»: وهي الطوائف من الناس جمع حزب بالكسر، ومنه الحديث ذكر يوم الأحزاب، وهو غزوة الخندق، وحديث الأحزاب مشهور في التفاسير والمغازي. قوله: «وحده» أي كفى الله تعالى المؤمنين يوم الخندق قتال تلك الأحزاب المجتمعة من قبائل شتى، بأن أرسل عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها، فهزمهم.

الحديث الحادي عشر عن عبدالله: قوله: «منزل الكتاب» لعل تخصيص هذا الوصف بهذا المقام تلويح إلى معنى الاستنصار في قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[1] و﴿الله متم نوره﴾[1] وأمثال ذلك. قوله: «وزلزلهم» «نه»: الزلزلة في الأصل الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض، وهو هاهنا كناية عن التخويف والتحذير، أي اجعل أمرهم مضطربًا متقلقلا غير ثابت.

---

(١) الصف: ٨:٩

٢٤٢٧ - * وعن عبدالله بنِ بُسْرٍ، قال: نزلَ رسولُ الله ﷺ علي أبي، فقرَّبنا إليهِ طعامًا ووَطْبَةً، فأكلَ منها، ثمَّ أتي بتمرٍ، فكانَ يأكلُه ويُلقي النَّوى بينَ أصبَعيه، ويجمعُ السبابةَ والوسطي. وفي روايةٍ: فجعلَ يُلقي النَّوي علي ظهرِ أصبعيهِ السبابةِ والوسطى، ثمَّ أتي بشرابٍ، فشربه، فقال أبي وأخذَ بلجامِ دابَّتِه: ادعُ اللهَ لنا. فقال: «اللهُمَّ باركْ لَهم فيما رزقتَهم، واغفرْ لهم وارحَمْهُم». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٢٤٢٨ - * عن طلحةَ بنِ عبيدِ اللهِ، أنَّ النبيَّ ﷺ، كانَ إذا رأى الهلالَ، قال: «اللهمَّ أهلَّهُ علينا بالأمنِ والإيمانِ، والسلامةِ والإسلامِ، ربي وربُّك اللهُ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.[٢٤٢٨]

الحديث الثاني عشر عن عبدالله بن بسر: قوله: «على أبى» أى نزل ضيفًا عليه.

قوله: «ووطبة» «مح»: رواية الأكثرين بالواو وإسكان الطاء وبعدها باء موحدة، وهكذا روى النضر بن شميل هذا الحديث عن شعيب، والنضر إمام من أئمة اللغة، وفسره بأنها الحيس يجمع التمر البرنى والإقط المدقوق والسمن، وكذا ضبطه أبو مسعود الدمشقى وأبو بكر البرقانى وآخرون، وهو كذا عندنا فى معظم النسخ، وفى بعضها براء مضمومة وفتح الطاء، وكذا ذكره الحميدي، وقال: هكذا جاء فيما رأيناه من نسخ مسلم قال: وه تصجيف من الراوي وإنما هو بالواو هكذا، وهذا الذي ادعاه على نسخ مسلم هو فيما رواه هو، وإلا فأكثرها بالواو، وكذا نقله أبو مسعود والبرقانى والأكثرون على نسخ مسلم، ونقل القاضى عياض عن رواية بعضهم من مسلم «ووطئة» بفتح الواو وكسر الطاء وبعدها همزة، وادعى أنه الصواب، وهكذا ادعاه آخرون و«الوطئة» بالهمزة عند أهل اللغة طعام يتخذ من التمر كالحيس، هذا ما ذكروه، ولا منافاة بين هذا كله، فتقبل ما صحت به الروايات، وهو صحيح فى اللغة.

«تو»: قيل: الوطب سقاء اللبن خاصة، وهو تصحيف، والصواب وطئ، وهى طعامٌ كالحيس، ويدل على صحتها قوله: «فأكل منها» والوطبة لاتؤكل، وإنما يشرب منها، ويدل عليه أيضًا قوله: «فأتى بشراب فشرب منه». أقول: ويمكن أن يقال: إن الوطبة كانت للبن فغلب الأكل على الشرب، ويراد بالشرب الماء، ولكن التعويل على النقل.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن طلحة رضى الله عنه: قوله: «أهله» روى بالفك والإدغام، «قض»: الإهلال فى الأصل رفع الصوت، نقل منه إلى رؤية الهلال؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم إذا

[٢٤٢٨] صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٢٧٤٥).

٢٤٢٩ - * وعن عُمرَ بنِ الخطاب، وأبي هريرةَ، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ رجلٍ رأى مبتلى، فقال: الحمدُ لله الذي عافاني ممَّا ابتلاكَ به، وفَضَّلَني على كثيرٍ ممَّنْ خَلَق تفضيلاً، إلا لمْ يُصِبْهُ ذلك البلاءُ كائنًا ماكانَ». رواه الترمذي. [٢٤٢٩]

٢٤٣٠ - * ورواه ابن ماجه عن ابنِ عمر.

وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب، وعَمْرُو بنُ دينارٍ الراوي ليسَ بالقويِّ. [٢٤٣٠]

رأوه بالإخبار عنه ولذلك سمى الهلال هلالا، ثم نقل منه إلى طلوعه، لأنه سبب لرؤيته، ومنه إلى اطلاعه، وفى الحديث بهذا المعنى، أى أطلعه علينا، وأرنا إياه مقترنا بالأمن والإيمان.

قوله: «ربى وربك الله» «تو»: وهو تنزيه للخالق أن يشاركه فى تدبير ماخلق شيء، وفيه رد للأقاويل الداحضة فى الآثار العلوية بأوجز ما يمكن، وفيه تنبيه على أن الدعاء مستحب، لاسيما عند ظهور الآيات، وتقلب أحوال النيرات، وعلى أن التوجه فيه إلى الرب لا إلى المربوب، والالتفات فى ذلك إلى صنع الصانع لا إلى المصنوع.

أقول: لما قدم فى الدعاء قوله: «الأمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام» طلب فى كل من الفقرتين دفع ما يؤذيه من المضار، وجلب ما يرفقه من المنافع، وعبر بـ«الإيمان والإسلام» عنها دلالة على أن نعمة الإيمان والإسلام شاملة للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها، فدل هذا على عظم شأن الهلال حيث جعله وسيلة لهذا المطلوب، فالتفت إليه قائلا: «ربى وربك الله» مقتديًا بأبيه إبراهيم حيث قال: ﴿لا أحب الآفلين﴾(١) بعد قوله: ﴿هذا ربى هذا أكبر﴾(١)، واللطف فيه أنه ﷺ جمع بين طلب دفع المضار وجلب المنافع فى ألفاظ يجمعها معنى الاشتقاق.

الحديث الثانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: قوله: «مما ابتلاك به» هذا الخطاب فيه إشعار بأن المبتلى لم يكن مريضًا، أو ناقصًا فى خلقه، بل كان عاصيًا متخلعًا خليع العذار، ولذلك خاطبه بقوله: «مما ابتلاك»، ولو كان المراد به المريض لم يحسن الخطاب، وينصره تعقيبه بقوله: «وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا». قوله: «كائنًا ما كان» هو حال من الفاعل، والعامل «لم يصبه» هذا هو الوجه، وذهب المظهر إلى أنه حال من المفعول، وقال: إن فى حال ثباته وبقائه ما كان، أى ما دام باقيًا فى الدنيا، قال المرزوقي: الحال قد يكون فيها معنى الشرط، كما أن الشرط فيه معنى الحال، فالأول لأفعلنه كائنًا ما كان، أى إن كان هذا وإن كان هذا. والثاني كقول عمرو بن معد يكرب:

[٢٤٢٩] حسن لطرقه انظر شرح السنة ح (١٣٣٧) ٥/ ١٣١.

[٢٤٣٠] لكن أخرجه من حديث أبى هريرة، وحسنه وهو كما قال، فإن له طرقًا وشواهد. (نفس المصدر).

(١) الأنعام: ٧٦.

٢٤٣١ - * وعن عُمَرَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من دَخلَ السوقَ فقال: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لهُ، له الملكُ، وله الحمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِه الخيرُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ كتبَ اللهُ له ألفَ ألفِ حسنة، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيِّئة، ورَفَعَ لهُ ألفَ ألفَ درجة، وبني لهُ بيتًا في الجنَّة». رواه الترمذي، وابنُ ماجه. وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب. وفي «شرح السنة»: «من قال في سوق جامع يباعُ فيه» بدل «من دخل السوق». [٢٤٣١]

ليس الجمـــال بمئزر فاعـــلم وإن رديت بردا

أى ليس جمالك بمئزر يردى معه (بردا)*. وهذا المعنى لايستقيم على تأويل المظهر؛ لأن المعنى لم يصبه البلاء إن كان البلاء هذا وإن كان هذا.

الحديث الثالث عن عمر رضى الله عنه: قوله: «من دخل السوق» الحديث، إنما خص السوق بالذكر؛ لأنه مكان الاشتغال عن الله وعن ذكره بالتجارة والبيع والشراء، فمن ذكر الله تعالى فيه دخل فى زمرة من قيل فى حقه: ﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾(١). قال الشيخ العارف أو عبدالله الحكيم الترمذى: إن أهل الأسواق قد افترض العدو منهم حرصهم، وشحهم، فنصب كرسيه وركز رايته، وبث جنوده، ورغبهم فى هذا الفانى، فصيرها عدة وسلاحًا لفتنته بين مطفف فى كيل، وطايش فى ميزان، ومنفق السلعة بالحلف الكاذب، وحمل عليهم حمله، فهزمهم الى المكاسب الردية، وإضاعة الصلاة، ومنع الحقوق؛ فما داموا فى هذه الغفلة، فهم على خطر من نزول العذاب، فالذاكر فيما بينهم يرد غضب الله، ويهزم جند الشيطان، ويتدارك بدفع ما حث عليهم من تلك الأفعال، قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾(٢) فيدفع بالذاكرين عن أهل الغفلة. وفى تلك الكلمات نسخ لأفعال أهل السوق، فبقوله: «لا إله إلا الله» ينسخ وله قلوبهم، لأن القلوب منهم ولهت بالهوى، قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾(٣)، وبقوله: «وحده لاشريك له» ينسخ ما تعلقت . . . الخ [وبقوله: «له الملك» ينسخ ما**] يرون من تداول أيدى المالكين، وبقوله: «وله الحمد» تنسخ ما ترون من صنع أيديهم وتصرفهم فى الأمور، وبقوله: «يحيى ويميت» ينسخ حركاتهم وما يدخرون فى أسواقهم للتبايع، فإن تلك حركات بملك واقتدار، وبقوله: «وهو حى لايموت» ينفى عن الله تعالى ما ينسب إلى المخلوقين، ثم قال: «بيده الخير» أى إن هذه الأشياء التى يطلبونها من الخير فى يده، وهو على كل شئ قدير.

[٢٤٣١] صححه الشيخ فى صحيح الكلم الطيب وغيره.

(١) النور: ٣٧. (٢) الحج: ٤٠. (٣) الجاثية: ٢٣.

* زيادة من (ط).

** ما بين المعكوفتين سقط من (ط).

٢٤٣٢ - * وعن معاذ بنِ جبلٍ، قال: سمعَ النبيُّ ﷺ رجُلاً يدعو يقولُ: اللهُمَّ إني أسألكَ تمامَ النعمة. فقال: «أيُّ شيءٍ تمامُ النعمة»؟ قال: دعوةٌ أرجو بها خيرًا. فقال: «إنَّ من تمامِ النعمةِ دخولَ الجنة، والفوزَ من النَّارِ». وسَمِعَ رجلاً يقولُ: ياذا الجلالِ والإكرامِ! فقال: «قد استُجيبَ لك فسَلْ». وسمعَ النبيُّ ﷺ رجلاً وهو يقول: اللهمَّ إني أسألُك الصبرَ. فقال: «سألت اللهَ البلاءَ، فاسألْهُ العافيةَ». رواه الترمذي. [٢٤٣٢]

٢٤٣٣ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من جَلسَ مجلسًا فكَثُرَ فيه لغطُه، فقال قبل أن يقوم: سبُحانَك اللهُمَّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ،

فمثل أهل الغفلة فى السوق كمثل الهمج والذبان يجتمعون على مزبلة يتطايرون فيها على الأقذار، فعمد هذا الذاكر إلى مكنسة عظيمة ذات شعوب وقوة، فكنس هذه المزبلة ونظفها من الأقذار، ورمى بها وجه العدو وهزمهم، وطهر الأسواق منهم، قال تعالى: ﴿**وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده**﴾(١) أى بالوحدانية ﴿**ولّوا على أدبارهم نفورًا**﴾(٢) فجدير لهذا الناطق بأن يكتب له الحسنات، ويمحى عنه السيآت، ويرفع له الدرجات. والله أعلم.

«مح»: روى الحاكم أبو عبدالله فى المستدرك على الصحيحين، وفيه من الزيادة قال الراوى: قدمت خرسان، فأتيت قتيبة بن مسلم، فقلت: أتيتك بهدية، فحدثته بالحديث، فكان قتيبة يركب فى مركبه حتى يأتى السوق، فيقولها ثم ينصرف، ذكره فى كتاب الأذكار.

الحديث الرابع عن معاذ رضى الله عنه: قوله: «دعوة أرجو بها خيرًا» فإن قلت: كيف طابق جوابًا عن قوله ﷺ: «أى شئ تمام النعمة»، وأيضًا كيف طابق جوابه قوله ﷺ: «إن من تمام النعمة دخول الجنة» جواب الرجل؟ قلت: جواب الرجل من باب **الكناية**، أى أسأله دعوة مستجابة فيحصل مطلوبى منها، ولما صرح بقوله: «خيرًا» وكان غرض الرجل المال الكثير، كما فى قوله تعالى: «**إن ترك خيرًا**»(٣) فرده ﷺ بقوله: «إن من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار» وأشار إلى قوله تعالى: ﴿**فمن زحزح عن النار، وأدخل الجنة فقد فاز**﴾(٤). ويلمح إلى هذا المعنى قول الشاعر:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لغطه» «تو»: اللغط بالتحريك

[٢٤٣٢] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (٥٣٠١)، الضعيفة (١٢٨٨).

(١، ٢) الإسراء: ٤٦. (٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) آل عمران: ١٨٥.

أستغفِرُكَ وأتوبُ إِليك؛ إِلا غفر لهُ ما كانَ في مجلسِهِ ذلك». رواه الترمذي، والبيهقي في «الدعوات الكبير». [٢٤٣٣]

٢٤٣٤ - * وعن عليٍّ: أنه أُتيَ بدابَّةٍ ليركبَها، فلما وَضعَ رِجْلَه في الركابِ قال: بسمِ الله، فلما استوى على ظهرِها، قال: الحمدُ لله، ثمَّ قال: (سبحانَ الذي سخَّرَ لنا هذا وما كنَّا له مقرنين، وإنا إلى ربِّنا لمُنقلبون). ثمَّ قال: الحمدُ لله ثلاثًا، واللهُ أكبرُ ثلاثًا، سُبحانَك إِني ظلمتُ نفسي فاغفِرْ لي، فإِنَّه لايَغْفِرُ الذنوبَ إِلا أنتَ، ثمَّ ضَحِكَ. فقيل: من أيِّ شيءٍ ضحكتَ يا أميرَ المؤمنينَ؟! قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ صَنَعَ كما صنعتُ، ثمَّ ضَحِكَ فقلتُ: من أيِّ شيءٍ ضحكتَ يارسولَ الله؟ قال: «إِنَّ ربَّكَ ليَعْجَبُ من عَبْدِه إِذا قالَ: ربِّ اغفِرْ لي ذنوبي يقولُ: يعلم أنَّهُ لايغْفِرُ الذنوبَ غيري». رواه أحمد والترمذي، وأبو داود. [٢٤٣٤]

٢٤٣٥ - * وعن ابنِ عُمَر، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا ودَّعَ رجلاً، أخَذَ بيده فلا يَدَعُهَا حتى يكونَ الرجلُ هو يدعُ يدَ النبيِّ ﷺ، ويقول: «أستودعُ اللهَ دينَك وأمانَتَك وآخر عَمَلِك». وفي رواية: «وخواتيم عَمَلِك». رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، وفي روايتهما لم يُذكَرْ: «وآخرَ عملك». [٢٤٣٥]

الصوت، وأراد به الهراء من القول، وما لا طائل تحته من الكلام، فأحل ذلك محل الصوت العرى عن المعنى.

الحديث السادس عن على رضى الله عنه: «قوله: «ليعجب من عبده» قد سبق أن التعجب من الله تعالى عبارة عن استعظام الشىء، ومن ضحك من أمر إنما يضحك منه إذا استعظمه، فكأن أمير المؤمنين وافق رسول الله ﷺ، وهو ﷺ وافق الرب تعالى فيه.

الحديث السابع عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «أستودع الله » هو طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع، جعل دينه وأمانته من الودائع؛ لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف، فيكون ذلك سببًا لإهمال بعض الدين، فدعا له النبى ﷺ بالمعونة والتوفيق، ولا يخلو الرجل فى سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى الأخذ والإعطاء

[٢٤٣٣] إسناده صحيح .
[٢٤٣٤] صحيح انظر صحيح أبى داود ح (٢٢٦٧).
[٢٤٣٥] إسناده صحيح .

٢٤٣٦ - * وعن عبدالله الخطْميِّ، قالَ: كان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أن يَستَودع الجيش قال: «أستودعُ اللهَ دينَكُم، وأمانتكم، وخواتيم أعمالِكم». رواه أبوداود. [٢٤٣٦]

٢٤٣٧ - * وعن أنس، قال: جاءَ رجلُ إلي النبيِّ ﷺ، قال: يارسولَ الله! إني أُريد سفراً فزوِّدْني. فقال: «زوَّدَكَ اللهُ التقوى». قال زدني. قال: «وغفَرَ ذنبَكَ». قال: زدْني بأبي أنتَ وأمِّي. قال: «ويسَّرَ لكَ الخير حيثُما كنتَ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب. [٢٤٣٧]

٢٤٣٨ - * وعن أبي هريرة، قال: إنَّ رجلاً قال: يارسولَ الله! إني أُريدُ أن أسافرَ فأوصِني. قال: «عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شرَفٍ». قال: فلمَّا ولَّى الرجلُ. قال: «اللهم اطوِ لهَ البُعْدَ، وهوِّنْ عليه السفَرَ». رواه الترمذي. [٢٤٣٨]

٢٤٣٩ - * وعن ابنِ عُمَر، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سافَرَ فأقبلَ الليلُ. قال: «يا أرضُ! ربى وربُّكِ اللهُ، أعوذُ باللهِ من شرِّكِ وشرِّ مافيكِ، وشر ما خلق فيك وشرِّ

والمعاشرة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة، ثم إذا انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوؤه فى الدين والدنيا.

الحديث الثامن والتاسع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «فزودنى» «غب»: الزاد المدخر الزايد عما يحتاج إليه فى الوقت، والتزود أخذ الزاد، قال تعالى: ﴿**وتزودوا فإن خيرالزاد التقوى**﴾(١) أقول: يحتمل أن الرجل طلب الزاد المتعارف، فأجابه صلوات الله عليه بما أجاب على الأسلوب الحكيم، أى زادك أن تتقى محارم الله، وتجتنب معاصيه، ومن ثم لما طلب الزيادة قيل: «وغفر ذنبك» فإن الزيادة إنما تكون من جنس المزيد عليه، وربما زعم الرجل أنه يتقى الله، وفى الحقيقة لا تكون تقوى يترتب عليها المغفرة، فأشار بقوله: «وغفر ذنبك» أن يكون ذلك الاتقاء بحيث يترتب عليه المغفرة، ثم ترقى منه إلى قوله: «ويسر لك الخير» فإن التعريف فى «الخير» للجنس، فيتناول خير الدنيا والآخرة.

الحديث العاشر والحادى عشر عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «يا أرض» «قض»: خاطب الأرض وناداها على الاتساع وإرادة الاختصاص، وشر الأرض الخسف، والسقوط عن الطريق، والتحير فى المهامة والفيافى، وما فيها من أحناش الأرض وحشراتها، وما يعيش فى

[٢٤٣٦] إسناده صحيح.

[٢٤٣٧] حسن صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٢٧٣٩).

[٢٤٣٨] حسن أنظر صحيح الترمذى ح (٢٧٤٠).

(١) البقرة: ١٩٧.

مايَدِبُّ عليكَ، وأعوذُ باللهِ من أسدٍ وأسودَ ●ومن الحيَّةِ والعقربِ، ومن شرِّ ساكنِ البلدِ، ومِن والدٍ وما ولد». رواه أبوداود.[٢٤٣٩]

٢٤٤٠ - * وعن أنس [رضي الله عنه] قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا غزا قال: «اللَّهمَّ أنتَ عضُدي ونَصيري، بكَ أحول وبكَ أصول، وبك أقاتل». رواه الترمذي، وأبو داود.[٢٤٤٠]

الثقب وأجوافها. قوله: «من شرك» أى من شر حصل من ذاتك، «ومن شر ما فيك»، أى ما استقر فيك من الأوصاف والأحوال الخاصة بطباعك، «وشر ما خلق فيك» من الحيوانات وغيرها، «وشر ما يدب عليك» من الحيوانات. وهذا الأسلوب من عطف الكلام بعضها على بعض إلى قوله: «من أسد وأسود» من باب الترقى فى البيان، وفيه دليل لمن يذهب إلى التخصيص بالعطف.

قوله: «من أسد وأسود» «تو»: الأسود الحية العظيمة التى فيها سواد، وهى أخبث الحيات، وذكر أن من شأنها أن تعارض الركب، وتتبع الصوت، فلهذا خصها بالذكر، وجعلها جنسًا آخر برأسها، ثم عطف عليها «الحية»، و«أسود» هاهنا منصرف؛ لأنه اسم جنس، وليس بصفة، ولهذا يجمع على أساود. وعن بعضهم: الوجه أن لايصرف؛ لأن وصفيته أصلية وإن غلب فى الاسمية، وفى - الغريبين -: قال ابن الأعرابى فى تفسيره: يعنى جماعات، وهى جمع سواد [أى جماعة، ثم أسودة، ثم أساود. و«من» فى قوله: «من الحية» بيانية على تغليب «أسود»]*.

قوله: «ومن ساكن البلد» «قض»: هم الإنس، سماهم بذلك؛ لأنهم يسكنون البلاد غالبًا، أو لأنهم بنوا البلدان واستوطنوها، وقيل: الجن، والمراد بـ«البلد» الأرض، يقال: هذا بلدتنا، أى أرضنا. وقالى تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾(١).

قوله: « والد وما ولد» «خط»: «والد» إبليس، «وما» ولد نسله وذريته. «تو»: حمله على العموم أمثل، لشموله لأصناف ما ولد ووُلد، وما يتولد منهما، تخصيصًا للعياذ والالتجاء بمن لم يلد ولم يولد، وله الخلق والأمر، واعترافًا بأن لا استحقاق لغيره فى ذلك، تبارك الله رب العالمين.

الحديث الثانى عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «عضدى» «قض»: العضد كناية عما يعتمد عليه، ويثق المرء به فى الخيرات وغيره من القوة. «وأحول» من حال يحول حيله،

[٢٤٣٩] إسناده ضعيف انظر صحيح ابن خزيمة (٢٥٧٢) وقال:فيه الزبير بن الوليد كما أفاده الذهبى.

[٢٤٤٠] صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٢٨٣٦).

(١) الأعراف:٥٨

*ما بين المعكوفتين زيادة لا توجد فى ك.

● قال الطِّيبى فى شرح:

أسود هاهنا منصرف، لأنه اسم جنس، وليس بصفة، وعن بعضهم الوجه أن لا يصرف.

٢٤٤١ - * وعن أبي موسى: أنَّ النبيَّ ﷺ، كانَ إذا خافَ قومًا. قال: «اللهُمَّ إنَّا نجعلُكَ في نحورِهم، ونعوذُ بكَ من شرورِهم». رواه أحمد، وأبو داود. [٢٤٤١]

٢٤٤٢ - * وعن أم سلمة [رضي الله عنها] أنَّ النبيَّ ﷺ، كانَ إذا خرجَ من بيتِه. قال: «بسمِ اللهِ، توكَّلتُ على اللهِ، اللهُمَّ إنَّا نعوذُ بكَ من أنْ نزلَّ أو نَضِلَّ، أو نَظلِمَ أو نُظلمَ، أو نجْهَلَ أو يُجْهل علينا». رواه أحمد، والترمذي، والنسائي. وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. وفي رواية أبي داود، وابنِ ماجه، قالت أم سلمة: ما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ من بيتي قطُّ إلا رفَعَ طَرْفهُ إلى السّماءِ، فقال: «اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أظلمَ أو أُظلَم أو أَجهلَ أو يُجهلَ علَيّ». [٢٤٤٢]

والمراد كيد العدو، وقيل: أكر وأتحرك. من حال إذا تحرك، والصول الحمل على العدو، ومنه الصائل.

الحديث الثالث عشر عن أبى موسى رضى الله عنه: قوله: «فى نحورهم» «تو»: يقال: جعلت فلانًا فى نحر العدو، أى قبالته وحذاءه، ليقاتل عنك ويحول بينك وبينه، وخص النحر بالذكر؛ لأن العدو به يستقبل عند المناهضة للقتال، أو للتفاؤل بنحرهم، أى قتلهم، والمعنى نسألك أن تصد صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمورهم، وتحول بيننا وبينهم.

الحديث الرابع عشر عن أم سلمة رضى الله عنها: قوله: «من أن نزل» «غب»: الزلة فى الأصل استرسال الرجل من غير قصد، يقال: زلت رجله تزل، والمزلة المكان الزلق، وقيل للذنب من غير قصد له: زلة تشبيهًا بزلة الرجل. أقول: والمناسب هنا أن يحمل على الاسترسال إلى الذنب؛ ليزدوج مع قوله: «أو نضل» وتوافق الرواية الأخرى «ضل وأضل». قوله: «أو نجهل» «مظ»: أى نفعل بالناس فعل الجهال من الإيذاء، وإيصال الضرر إليهم، أو يفعل الناس بنا فعل الجهال من إيصال الضرر إلينا.

أقول: إن الإنسان إذا خرج من منزله، لابد أن يعاشر الناس ويزاول الأمور، فيخاف أن يعدل عن الطريق المستقيم، فإما أن يكون فى أمر الدين، فلايخلو من أن يَضل أو يُضل، وإما أن يكون فى أمر الدنيا، فإما بسبب جريان المعاملة، بأنَ يظلم أو يُظلم، وإما بسبب الاختلاط والمصاحبة، فإما أن يَجهل أو يُجهل عليه؛ فاستعيذ من هذه الأحوال كلها بلفظ سلس موجز، وروعى المطابقة المعنوية والمشاكلة اللفظية، كقول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

[٢٤٤١] سنن أبى داود ح (١٥٣٧) ٢/ ٨٩، أحمد فى المسند (٤/ ٤١٥).

[٢٤٤٢] إسناده صحيح.

٢٤٤٣ - *وعن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا خرجَ الرجلُ من بيته، فقال: بسمِ الله، توكلتُ على الله، لاحولَ ولا قوَّةَ إلا بالله؛ يُقَالُ له حينئذ: هُدِيتَ، وكُفيتَ، ووُقيتَ، فيَتنحَّى لهُ الشيطانُ. ويقولُ شيطانٌ آخرَ: كيفَ لكَ برجلٍ قد هُدِيَ، وكُفِيَ، ووُقِيَ». رواه أبو داود. وروى الترمذي إلي قوله: «له الشيطان». [٢٤٤٣]

٢٤٤٤ - * وعن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا ولجَ الرجلُ بيتَه، فلْيقلْ: اللهمَّ إني أسألكَ خيرَ المَوْلِجِ وخيرَ المخرَجِ، بسمِ اللهِ ولَجْنا وعلى الله ربِّنا توكَّلْنا. ثمَّ ليسلِّمَ عَلَى أهله». رواه أبو داود. [٢٤٤٤]

ويعضد هذا التأويل الحديث الآتي. فقوله: «هديت» مطابق لقوله: «أن أضل أو أُضل» وقوله: «كفيت» لقوله: «أظلم أو أُظلم» وقوله: «ووقيت» لقوله: «أو نجهل أو يُجهل علينا».

الحديث الخامس عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «بسم الله» الحديث، فيه لف ونشر، فإن قوله: «بسم الله توكلت على الله، لاحول ولا قوة إلا بالله» لف، وقوله: «هديت وكفيت ووقيت» نشره، فإنه إذا استعان العبد بالله، وباسمه المبارك، فإن الله تعالى يهديه، ويرشده، ويعينه في الأمور الدينية والدنياوية، وإذا توكل على الله وفوض أمره إليه، كفاه الله فيكون هو حسبه، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(١)، ومن قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وقاه الله شر الشيطان، ولا يسلط عليه.

فإن قلت: ما معنى قوله: «كيف لك برجل» وما موقعه من قوله: «فيتنحى له الشيطان»؟ قلت: معناه كيف يتيسر لك إغواء رجل قد هدى وكفى ووقى؟ قاله معزيًا مسليًا للشيطان الذى تنحى لأجل القائل عن طريق إضلاله متحسراً آيسًا، فقوله: «لك» متعلق بقوله: «يتيسر» و«برجل» حال من فاعله.

الحديث السادس عشر عن أبى مالك: قوله: «خير المولج» «تو»: يقال ولج يلج ولوجًا ولجة، قال سيبويه: إنما مصدره ولوجًا، وهو من مصادر غير المتعدى على معنى ولجت فيه. و«المولج» بكسر اللام، ومن الرواة من فتحها ولم يصب؛ لأن ما كان فاء الفعل منه واواً أو ياءً، ثم سقطتا فى المستقبل، نحو يعد ويزن ويهب، فإن الفعل مكسور فى الاسم والمصدر جميعًا، ولا يقال منصوبًا كان بفعل منه، أو مكسوراً بعد أن يكون الواو منه ذاهبة إلا أحرفًا جاءت نوادر، فـ« المولج» مكسور اللام على أى وجه قدر، ولعل المصدر منه جاء أيضًا على المفعل، أو أخذ به مأخذ القياس، أو روعى فيه طريق الازدواج فى المخرج، وإن أريد به

[٢٤٤٣] صحيح انظر صحيح أبى داود ح (٤٢٤٩).

[٢٤٤٤] صحيح انظر صحيح الجامع ح (٨٣٩).

(١) الطلاق: ٣

٢٤٤٥ - * وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذا رَفَّأَ الإنسانَ، إِذا تزوَّجَ، قال: «باركَ اللهُ لكَ، وباركَ عليكُما، وجمعَ بينكُما في خيرٍ». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه. [٢٤٤٥]

٢٤٤٦ - * وعن عمرو بنِ شعيبٍ، عن أبيه ، عن جده، عن النبي ﷺ، قال: «إِذا تزوَّجَ أحدُكم امرأةً، أو اشترى خادمًا، فليقلْ: اللهُمَّ إِني أسألُكَ خيرَها، وخيرَ ماجبلتَها عليه، وأعوذُ بكَ من شرِّها، وشرِّ ما جبلتَها عليه. وإِذا اشترى بعيرًا، فليأخُذْ بذروةِ سَنامِه، وليَقُلْ مثلَ ذلك». [٢٤٤٦]

في روايةٍ في المرأةِ والخادمِ: «ثمَّ ليأخُذ بناصيتِها وليَدْعُ بالبركةِ». رواه أبوداود، وابن ماجه.

الاسم، فإنه يريد خير الموضع الذى يلج فيه، وعلى هذا يراد أيضًا بـ«المخرج» موضع الخروج، يقال: خرج مخرجًا حسنًا، وهذا مخرجه.

الحديث السابع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إذا رفأ» «إذا» الأولى شرطية، والثانية ظرفية، وقوله: «قال: بارك الله» جواب الشرط. وإنما أتى بقوله: «رفأ» وقيده بالظرف؛ ليؤذن بأن الترفية محترز عنها، وأنها منسوخة بما قاله الرسول ﷺ. «قض»: الترفية أن يقال للمتزوج: بالرفاء والبنين، و«الرفاء» بالكسر والمد الالتئام والاتفاق، من رفأت الثوب إذا أصلحته، وقيل: السكون والطمأنينة من قولهم: رفوت الرجل، إذا أسكنته، ثم استعير للدعاء للمتزوج وإن لم يكن بهذا اللفظ، والمعنى أنه إذا أراد الدعاء للمتزوج دعا له بالبركة، وبدل قولهم فى جاهليتهم: «بالرفاء والبنين» بقوله هذا؛ لأنه أتم نفعًا وأكثر عائدة، ولما فى الأول من التنفير عن البنات، والباعث على وأدها.

أقول: قال: أولاً: «بارك الله لك»؛ لأنه المدعو أصالة، أى بارك لك فى هذا الأمر، ثم ترقى منه، ودعا لهما، وعداه بـ«على» لمعنى الدرور عليه بالذرارى والنسل؛ لأنه المطلوب بالتزوج، وأخر حسن المعاشرة والموافقة والاستمتاع، تنبيهًا على أن المطلوب الأولى هو النسل، وهذا تـابع له.

الحديث الثامن عشر والتاسع عشر عن أبى بكرة: قوله: «فلا تكلنى» الفاء فيه مرتب على قوله: «ورحمتك أرجو» فقدم المفعول ليفيد الاختصاص، والرحمة عامة فيلزم تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى، كأنه قيل: فإذا فوضت أمرى إليك، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين؛

[٢٤٤٥] إسناده صحيح.

[٢٤٤٦] إسناده صحيح.

٢٤٤٧ - * وعن أبي بكرةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «دعَواتُ المكروبِ: اللهمَّ رحمتَكَ أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنتَ». رواه أبو داود.[٢٤٤٧]

٢٤٤٨ - * وعن أبي سعيد الخدريِّ، قال: قال رجل: همومٌ لزَمتني ودُيونٌ يارسول الله! قال: «أفلا أعلِّمُكَ كلامًا إذا قُلْتَهُ أذهبَ اللهُ همَّكَ، وقضَى عنكَ دَيْنَك؟». قال: قلتُ: بلى. قال: «قُلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسَيتَ: اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحزَنِ، وأعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، وأعوذُ بكَ من البخلِ والجبنِ، وأعوذُ بكَ من غَلَبَةِ الدَّين وقهرِ الرِّجال». قال: ففعلتُ ذلك، فأذهبَ اللهُ همّي، وقضى عني ديني. رواه أبو داود.[٢٤٤٨]

لأنى لا أدرى ما صلاح أمرى وما فساده، فربما زاولت أمراً واعتقدت أن فيه صلاح أمرى، فانقلب فساداً وبالعكس، ولما فرغ من خاصة نفسه، وأراد أن ينفى تفويض أمره إلى الغير، ويثبته لله تعالى، قال: «وأصلح لى شأنى» وأكده بقوله: «كله» وعقبه بقوله: «لا إله إلا أنت». ولما اشتمل هذا الدعاء على المعانى الجمة سماه بالدعوات.

الحديث العشرون عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «هموم لزمتنى» «شف»: «هموم» مبتدأ وخصص بـ«لزمتنى» و«ديون» عطف عليه، والخبر محذوف تقديره عليٍّ هموم وديون، وحذف الخبر لدلالة «لزمتنى» عليه. «قض»: فرق بين الهم والحزن فإن الهم إنما يكون فى الأمر المتوقع، والحزن فيما قد وقع، أو الهم هو الحزن الذى يذيب الإنسان، يقال: همنى المرض بمعنى أذابنى، وانهم الشحم والبرد، إذا ذابا، وسمى به ما يعترى الإنسان من شدائد الغم؛ لأنه يذيبه أبلغ وأشد من الحزن، الذى أصله الخشونة.

والعجز أصله التأخر عن الشئ، مأخوذ من العجز، وهو مؤخر الشئ، وللزومه الضعف والقصور عن الإتيان بالشئ استعمل فى مقابلة القدرة، واشتهر فيها. والكسل التثاقل عن الشئ مع وجود القدرة والداعية عليه.

قوله: «غلبة الدين، وقهر الرجال» «تو»: غلبة الدين أن يقدحه ويثقله، وفى معناه حديث أنس «ضلع الدين» يعنى ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله. و«قهر الرجال» هو الغلبة، فإن القهر يراد به السلطان، ويراد به الغلبة، وأريد به ههنا الغلبة لما فى غير هذه الرواية: «وغلبة الرجال» كأنه يريد به هيجان النفس من شدة الشبق، وإضافته إلى المفعول أى يغلبهم

[٢٤٤٧] حسن انظر صحيح أبى داود ح (٤٢٤٦).

[٢٤٤٨] صحيح انظر صحيح الترمذى بروايات متفرقة (٢٨٢٥)، (٢٨٢٦) (٢٧٧٠).

٢٤٤٩ - * وعن عليٍّ: أنَّهُ جاءَهُ مُكاتبٌ فقال: إني عَجزْتُ عن كتابتي فأعِنِّي. قال: ألا أُعلِّمُك كلمات علَّمنيهنَّ رسولُ الله ﷺ، لو كانَ عليك مثلُ جبلٍ كبيرٍ دينًا أدَّاهُ اللهُ عنك. قل: «اللهمَّ اكفِني بحلالِكَ عنْ حرامِك، وأغنني بفضلِك عمَّن سواك». رواه الترمذي، والبيهقي في «الدعوات الكبير». [٢٤٤٩]

وسنذكر حديثَ جابرٍ: «إذا سمعتم نُباحَ الكلابِ» في باب «تغطيةِ الأواني» إن شاءَ الله تعالى.

ذلك، إلى هذا المعنى يسبق فهمى، ولم أجد فى تفسيره نقلا، وعن بعضهم: «قهر الرجال» هو جور السلطان.

أقول: قوله: «هموم لزمتنى» مبتدأ وخبر، كما فى قولهم: شر أهر ذا ناب، أى هموم عظيمة، لايقدر قدرها، وعلى هذا «ديون» أى ديون جمة نهضتنى وأثقلتنى، والتنبيه على التعظيم الاستغاثة بقوله: «يا رسول الله». و«الفاء» فى «أفلا أعلمك» عطف على محذوف، أى أفلا أرشدك أفلا أعلمك، فأعاد به صلوات الله عليه قوله: «أذهب الله همك، وقضى عنك دينك» لابتناء الدعاء على مطلوبه من زوال الهم وقضاء الدين، فمن مستهل الدعاء إلى قوله: «والجبن» يتعلق بإزالة الهم، والآخر بقضاء الدين، فعلى هذا قوله: «قهر الرجال» إما أن يكون إضافته إلى الفاعل، أى قهر الداين إياه، وغلبتهم عليه بالتقاضى، وليس له ما يقضى دينه، أو إلى المفعول بأن لا يكون له أحد يعاونه على قضاء ديونه من رجاله وأصحابه، ومن المسلمين من يزكى عليه.

وقوله: «قال: قلت» الظاهر يقتضى أن يقال: «قال: قال: بلى»؛ لأن الراوى لم يرو عن ذلك الرجل، بل كان مشاهداً لتلك الحالة، اللهم إلا أن يتعسف، ويقول: إن أبا سعيد رضى الله عنه يروى عن ذلك الرجل، وليس بمشاهد لتلك الحالة، فيحتاج أول الحديث إلى تأويل أن نقول: تقديره: قال أبو سعيد: قال لى رجل: قلت لرسول الله كذا، هذا ما سبق إلى فهمنا مع قلة البضاعة.

الحديث الحادى والعشرون عن على رضى الله عنه: قوله: «دينًا» يحتمل أن يكون تمييزًا عن اسم «كان»؛ لما فيه من الإبهام، و«عليك» خبره مقدمًا عليه، وأن يكون «دينًا» خبر «كان» و«عليك» حالا من المستتر فى الخبر، والعامل هو معنى الفعل المقدر فى الخبر. ومن جوز إعمال «كان» فى الحال، فظاهر على مذهبه. قوله: «عجزت عن كتابتى» «مظ»: الكتابة المال الذى كاتب به السيد عبده، يعنى بلغ وقت أداء مال الكتابة، وليس لى مال. أقول: طلب المكاتب المال، فعلمه رضى الله عنه الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده شئ من المال ليعينه، فرده

[٢٤٤٩] حسن انظر صحيح الترمذى ح (٢٨٢٢).

الفصل الثالث

٢٤٥٠ - * عن عائشةَ، قالت: إنَّ رسولَ الله ﷺ، كانَ إذا جلسَ مجلسًا أو صلَّى تكلَّمَ بكلمات، فسألَتْهُ عن الكلمات فقال: «إنْ تكلَّمَ بخير كان طابعًا عليهنَّ إلى يومِ القيامةِ، وإنْ تكلَّمَ بشرٍّ كانَ كفَّارةٌ له: سبحانَك اللهمَّ وبحمدِكَ، لا إله إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ». رواه النسائي. [٢٤٥٠]

٢٤٥١ - * وعن قتادة: بلغهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ، كانَ إذا رأى الهلالَ قال: «هلالُ خيرٍ ورُشد، هلالُ خيرٍ ورشد، هلالُ خيرٍ ورُشدٍ، آمنتُ بالذي خلَقَك» ثلاث مرَّاتٍ، ثمَّ يقول: «الحمدُلله الذي ذهبَ بشهرِ كذا، وجاء بشهرِ كذا». رواه أبوداود. [٢٤٥١]

أحسن رد، عملا بقوله تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير﴾[١]، أو أرشده إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل على الغير، وينصر هذا الوجه قوله: «وأغننى بفضلك عمن سواك».

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «عن الكلمات» التعريف للعهد، والمعهود قوله: «كلمات» وهو يحتمل وجهين، إما أن لايضمر شئ فتكون الكلمات هى الجملتان الشرطيتان، واسم «كان» فيهما مبهم، يفسره قوله: «سبحانك اللهم»، وإما أن يقدر: فما فائدة الكلمات؟ فعلى هذا «الكلمات» هى قوله: «سبحانك اللهم» والمضمر فى «كان» راجع إليه، ففى الكلام تقديم وتأخير، وهذا الوجه أحسن بحسب المعنى وإن كان اللفظ يساعد الأول. وقوله: «اللهم» معترض؛ لأن قوله: «وبحمدك» متصل بقوله: «سبحانك» إما بالعطف، أى أسبح وأحمد، أو بالحال أى أسبح حامداً لك.

الحديث الثانى عن قتادة رضى الله عنه: قوله: «الحمد لله» إما أن يراد بـ«الحمد» الثناء على قدرته فإن مثل هذا الإذهاب العجيب وهذا المجئ لايقدر عليه أحد إلا الله، أو يراد به الشكر، فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية والدنيوية ما لايحصى. وينصر هذا التأويل قوله: «هلال خير» أى بركة ورشد، أى هاد إلى القيام بعبادة الله تعالى من ميقات الحج والصوم وغيرهما، قال تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾[٢].

[٢٤٥٠] إسناده صحيح.

[٢٤٥١] شرح السنة ح (١٣٣٦) ٥/ ١٢٩، وقال وأخرجه أبو داود (٥٠٩٢) فى الأدب: باب ما يقول إذا رأى الهلال، ورجاله ثقات، لكنه مرسل.

(١) البقرة: ٢٦٣. (٢) البقرة: (١٨٩).

٢٤٥٢ - * وعن ابنِ مسعودٍ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «من كَثُرَ هَمُّه، فليقلْ: اللهمَّ إني عبدُكَ، وابنُ عبدِكَ، وابنُ أَمتِكَ، وفي قبضتِكَ، ناصيتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حكمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بكلِّ اسمٍ هُوَ لك، سمَّيْتَ به نَفْسَك، أو أنزلتَهُ في كتابِكَ، أو علَّمْتَهُ أحدًا من خلقِكَ، أو ألهمتَ عبادَكَ، أو استأثرتَ بهِ في مكنونِ الغيبِ عندَكَ، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، وجلاءَ هَمِّي وغَمِّي. ما قالها عبدٌ قطُّ إلا أذهبَ اللهُ غَمَّه، وأبدلَهُ فَرحا». رواه رزين. [٢٤٥٢]

٢٤٥٣ - *وعن جابرٍ، قال: كنَّا إذا صَعِدْنا كبَّرنا، وإذا نزلنَا سبَّحنا. رواه البخاري.

٢٤٥٤ - * وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا كربَهُ أمرٌ يقول: «ياحيُّ ياقيومُ! برحمتِكَ أستغيثُ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، وليس بمحفوظٍ. [٢٤٥٤]

الحديث الثالث عن ابن مسعود رضى الله عنه، ورواه الشيخ محيى الدين عن ابن السنى عن أبى موسى الأشعرى، وزاد فيه زيادات وتغييرات، وفى آخره: «قال رجل: يا رسول الله! إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات، فقال: أجل، فقولوهن وعلموهن، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه، وأطال فرحه».

قوله: «هو لك» مجمل، ويفصله ما يعقبه منسوقًا بـ«أو» التنويعية على سبيل التقسيم الحاصر، فينبغى أن يحمل قوله: «سميت به نفسك» على أنك وضعت ألفاظًا مخصوصة، وسميت بها نفسك، وألهمت عبادك بغير واسطة، فيكون من سماه من الأمم المختلفة الفائتة للحصر بلغات مختلفة من هذا النوع. وقوله: «أو أنزلته فى كتابك» على جميع ما سمى به فى الكتب المنزلة، وأفرد الكتاب، وأراد به الجنس، وقد تقرر فى موضعه أنه أشمل من الجمع. وقوله: «أو استأثرت» به أى انفردت، محمول على أنه انفرد به نفسه، ولا ألهم أحدًا ولا أنزل فى كتاب.

قوله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبى» هذا هو المطلوب، والسابق وسائل إليه، فأظهر أولا غاية ذلته وصغاره، ونهاية افتقاره وعجزه، وثانيًا بين عظمة شأنه وجلالة اسمه سبحانه وتعالى بحيث لم يبق فيه بقية، وألطف فى المطلوب حيث جعل المطلوب وسيلة إلى إزالة الهم المطلوب أولا. قوله: «ربيع قلبى» «نه»: جعل القرآن ربيعًا له؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه فى الربيع من الأزمان، ويميل إليه. أقول: كما أن الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله تعالى، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم.

[٢٤٥٢] رواه الحاكم فى مستدركه (١/ ٥٠٩) وقال صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه فإنه مختلف فى سماعه عن أبيه.

[٢٤٥٤] رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٩) من رواية عبدالله بن مسعود وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وانظر شرح السنة (٥/ ١٢٣) وقال فيه يزيد الرقاشى وهو ضعيف، لكن له شاهد يتقوى به.

٢٤٥٥ - * وعن أبي سعيدٍ الخدري، قال: قلْنا يومَ الخندق: يارسولَ الله! هل من شيءٍ نقولُه؟ فقد بلغتِ القلوبُ الحناجرَ. قال: «نعم، اللهُمَّ استرْ عوراتِنا، وآمِنْ رَوْعاتنا». قال: فَضَرَبَ اللهُ وجوهَ أعدائِه بالريح، [و] هزَمَ اللهُ بالريح. رواه أحمد. [٢٤٥٥]

٢٤٥٦ - * وعن بُريدة، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا دخلَ السوقَ قال: «بسمِ اللهِ، اللهُمَّ إِني أسأَلُكَ خيرَ هذه السوقِ، وخيرَ مافيها، وأعوذُ بكَ من شرِّها وشرِّ مافيها، اللهُمَّ إِني أعوذُ بكَ أنْ أُصيبَ فيها صَفقةً خاسرةً». رواه البيهقي في «الدعوات الكبير». [٢٤٥٦]

(٨) باب الاستعاذة

الفصل الأول

٢٤٥٧- * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَعوَّذوا باللهِ منْ جَهدِ البَلاءِ، ودركِ الشَّقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشَماتة الأعداء». متفق عليه.

الحديث الرابع إلى السادس عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «فقد بلغت القلوب الحناجر» كناية عن شدة الأمر وبلوغه غايته. وقوله: «فهزم الله بالريح» الظاهر يقتضى أن يقال: فانهزموا بها، فوضع المظهر موضع المضمر؛ ليدل به على أن الريح كانت سببًا مستقلا لهزمهم، كقوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا﴾(١) بدل «عليهم» ليشعر بأن ظلمهم كان سببًا لإنزال الرجز، وأقحم لفظة «الله»؛ ليدل به على قوة ذلك السبب.

الحديث السابع عن بريدة رضى الله عنه: قوله: «هذه السوق» الجوهرى: السوق يذكر ويؤنث. قوله: «صفقة» «نه»: الصفق فى الأسواق التبايع، فإن المتبايعين يضع أحدهما يده فى يد الآخر، وهى المرة من التصفيق باليدين، ووصف الصفقة بالخاسرة من الإسناد المجازى؛ لأن صاحبها خاسر بالحقيقة.

باب الاستعاذة

العوذ الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان، ومنه قوله﴿أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ (٢).

[٢٤٥٥] رواه البزار بسند ضعيف عن ابن عباس وصححه الحاكم وله شاهد عند أبي داود عن ابن عمر ورواه الطبرانى فى الكبير عن ضباب الخزاعى، انظر كشف الخفاء (١/ ١٨٢) وهو عند أحمد فى المسند (٣/٣).

[٢٤٥٦] انظر مجمع الزوائد (٤/ ٧٧)، (١٠/ ١٢٩) وبنحوه عند الطبرانى (٢/ ٦)، (٤/ ٣٢٩).

(١) البقرة: ٥٩.　　(٢) البقرة: ٦٧.

٢٤٥٨- * وعن أنسٍ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ منَ الهَمِّ والحزَنِ، والعَجْزِ والكسَلِ، والجُبنِ والبُخْلِ، وضلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ». متفق عليه.

٢٤٥٩- * وعن عائشةَ، قالتْ: كانَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ منَ الكسَلِ والهَرَمِ، والمَغرَمِ والمأثمِ، اللهُمَّ إني أعوذُ منْ عذابِ النَّارِ، وفتنَةِ النَّارِ، وفتنَةِ القَبرِ، وعذابِ القبرِ، ومنْ شرِّ فِتْنةِ الغنِى، و[منْ] شرِّ فتْنَةِ الفَقْرِ، ومنْ شرِّ فتنَةِ

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «من جهد البلاء» «حس»: جهد البلاء هى الحالة التي يمتحن بها الإنسان، ويشق عليه بحيث يتمنى فيها الموت، ويختاره عليها. قوله: «ودرك الشقاء» «نه»: الدرك اللحاق والوصول إلى الشئ، يقال: أدركته إدراكاً ودركاً، ومنه الحديث «لو قال: إن شاء الله، لم يحنث وكان دركاً له فى حاجته». والشماتة فرح العدو تنزل ببلية بمن يعاديه، يقال: شمت به يشمت فهو شامت، وأشمته غيره.

قوله: «وسوء القضاء» عن بعضهم: هو ما يسوء الإنسان، ويوقعه فى المكروه، على أن لفظ السوء منصرف إلى المقضي عليه دون القضاء. «مح»: يدخل فى سوء القضاء السوء فى الدين والدنيا، والبدن والمال والأهل، وقد يكون ذلك فى الخاتمة. وأما «درك الشقاء» فكذلك. وأما «جهد البلاء» فروي عن ابن عمر أنه فسره بقلة المال وكثرة العيال.

الحديث الثاني عن أنس رضى الله عنه: قوله: «وضلع الدين» فى الغريبين: يعنى ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال، والضلع الاعوجاج، وزاد فى النهاية: يقال: ضلع ضلعاً - بالتحريك- وضلع - بالفتح - يضلع ضلعاً- بالتسكين- أي مال، وسبق شرح الحديث فى الباب السابق.

الحديث الثالث عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «وفتنة النار» أى فتنة تؤدى إلى عذاب النار وإلى عذاب القبر؛ لئلا يتكرر إذا فسرنا بالعذاب. قوله: « ومن شر فتنة الغنى» «قض»: فتنة الغنى البطر والطغيان، والتفاخر به، وصرف المال فى المعاصي، وما أشبه ذلك، و«فتنة الفقر» الحسد على الأغنياء، والطمع فى أموالهم، والتذلل لهم بما يتدنس به عرضه، وينثلم به دينه، وعدم الرضى على ما قسم الله، إلى غير ذلك مما لاتحمد عاقبته. أقول: الفتنة إن فسرت بالمحنة والمصيبة، فشرها أن لايصبر الرجل على لأوائها، ويجزع منها، وإن فسرت بالامتحان

المَسيحِ الدَّجّالِ، اللهُمَّ اغسلْ خَطايايَ بماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّ قَلْبي كما يُنَقَّ الثَّوْبُ الأبيَضُ من الدَّنَسِ، وباعِدْ بَيْني وبينَ خطَايايَ كما باعَدْتَ بينَ المشرِقِ والمَغرِبِ». متفق عليه.

٢٤٦٠- * وعن زيَدِ بنِ أرْقمَ، قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ من العَجْزَ والكسَلِ، والجُبنِ والبُخلِ، والهَرَمِ وعذابِ القَبرِ، اللهُمَّ آتِ نَفسي تَقواها، وزَكِّها، أنتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنتَ وليُّها ومَوْلاها، اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لاينفَعُ، ومنْ قلبٍ لايَخْشعُ، و[منْ] نفْسٍ لا تشبَعُ، ومنْ دعوةٍ لا يُستَجابُ لها». رواه مسلم.

والاختبار، فشرها أن لا يحمد فى السراء، ولايصبر فى الضراء، وبقية الحديث قد انقضى تفسيره فى باب أدعية الصلاة، لاسيما قوله: «اغسل خطاياى بماء الثلج».

الحديث الرابع عن زيد رضى الله عنه : قوله: «اللهم آت نفسى تقواها» ينبغى أن تفسر التقوى بما يقابل الفجور فى قوله تعالى: «فألهمها فجورها وتقواها»[1] وهى الاحتراز عن متابعة الهوى، وارتكاب الفجور والفواحش؛ لأن الحديث كالتفسير والبيان للآية، فدل قوله: «آت» على أن الإلهام فى الآية هو خلق الداعية الباعثة على الاجتناب عن المذكورات، وقوله: «زكها أنت خير من زكَّاها» على أن إسناد التزكية إلى النفس فى الآية، هو نسبة الكسب إلى العبد لا خلق الفعل، كما زعمت المعتزلة؛ لأن الخيرية تقتضى المشاركة بين كسب العبد، وخلق القدرة فيه.

وقوله: «أنت وليها مولاها» استئناف على بيان الموجب، وأن إيتاء التقوى وتحصيل التزكية فيها إنما كان؛ لأنه هو متولي أمرها وربها ومالكها، فالتزكية إن حملت على تطهير النفس عن الأفعال والأقوال والأخلاق الذميمة، كانت بالنسبة إلى التقوى مظاهر ما كان ممكناً فى الباطن، وإن حملت على الإنماء والإعلاء بالتقوى، كانت تحلية بعد التخلية؛ لأن المتقى شرعاً من اجتنب النواهى، وأتى بالأوامر. وعن بعض العارفين: تقوى البدن الكف عما لايتيقن حله، وتقوى القلب عما سوى الله تعالى فى الدارين، وعدم الالتفات إلى غيره.

قوله: «من علم لاينفع» «مظ»: أى علم لا أعمل به ولا أعلمه، ولايبدل أخلاقى وأقوالى وأفعالى، أو علم لايحتاج إليه فى الدين، ولا فى تعلمه إذن شرعى. قوله: «ومن نفس

---

(١) الشمس : ٨.

٢٤٦١- * وعن عبدِ الله بنِ عمرَ، قال: كانَ منْ دُعاءِ رسولِ اللهﷺ: «اللهُمَّ إِني أعوذُ بكَ منْ زَوالِ نِعمتِكَ، وتحوُّلِ عافيتِكَ، وفُجاءَةِ نِقمتِكَ، وجميعِ سَخَطِكَ». رواه مسلم.

٢٤٦٢- * وعن عائشةَ، قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ إِني أعوذُ بكَ منْ شرِّ ما عملتُ، ومنْ شرِّ مالمْ أعمَلْ». رواه مسلم.

٢٤٦٣- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ: «اللهُمَّ لكَ أسْلمتُ، وبِكَ آمنتُ، وعليكَ توكَّلتُ، وإِليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، اللهُمَّ إِني أعوذُ بعِزَّتِكَ لا إِلهَ إِلاَّ أنتَ أنْ تُضِلَّني، أنتَ الحيُّ الذي لايموتُ، والجِنُّ والإِنسُ يموتونَ». متفق عليه.

لاتشبع» «تو»: فيه وجهان: أحدهما أنها لاتقنع بما آتاها الله ولا تفتر عن الجمع حرصاً، والآخر أن يراد به النهمة وكثرة المال. قوله: «لها» الضمير عائد إلى الدعوة، و«اللام» زيادة، وفي جامع الأصول «ودعوة لا تستجاب» وليس فيه «لها».

الحديث الخامس عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: قوله: «وتحول عافيتك» «مظ»: أى من تبدل ما رزقتنى من العافية إلى البلاء. فإن قلت: **ما الفرق بين الزوال والتحويل؟** قلت: الزوال يقال في شئ كان ثابتاً فى شئ ثم فارقه. والتحويل تغيير الشئ وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير: قيل: حال الشئ يحول حولا، وباعتبار الانفصال: قيل: حال بينى وبين كذا، وحولت الشئ فتحول: غيرته إما بالذات وأما بالحكم فمعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل، وتحويل العافية إبدال الصحة بالمرض، والسلام بالبلاء. [الحديث السادس عن عائشة رضى الله عنها] قوله: «وشر ما لم أعمل» «شف»: قيل: استعاذ من أن يعمل فى مستقبل الزمان ما لايرضاه الله، فإنه لا مأمن لأحد من مكر الله، **«فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون»**[(١)]. وقيل: من أن يصير معجباً بنفسه في ترك القبائح، وسأله أن يرى ذلك من فضل ربه.

الحديث السابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «أن تضلنى» متعلق بـ«أعوذ» أى من أن تضلنى، وكلمة التوحيد معترضة لتأكيد العزة.

---

(١) الأعراف: ٩٩.

الفصل الثاني

٢٤٦٤- * عن أبي هريرةَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ منَ الأربعِ: منْ علمٍ لاينفَعُ، ومنْ قلبٍ لايَخشَعُ، ومنْ نفْسٍ لا تَشبَعُ، ومن دُعاءٍ لايُسمَعُ». رواه أحمدُ، وأبو داود، وابنُ ماجه. [٢٤٦٤]

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «وعلم لا ينفع» أى علم لايهذب أخلاقه الباطنة، فيسري منها إلى الأفعال الظاهرة، ويفوز بها إلى الثواب الآجل. وأنشد:

يا من تقاعد عن مكارم* خلقه ... ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة

من لم يهذب علمه أخلاقه ... لم ينتفع بعلومه فى الآخرة

قال أبو طالب المكي رحمه الله: وقد استعاذ ﷺ من نوع من العلوم، كما استعاذ من الشرك والنفاق، ومساوىء الأخلاق**، والعلم الذى لم يقرن بالتقوى، فهو باب من الدنيا والهوى.

وقال الشيخ أبو حامد: إن العلم من صفات الله تعالى، فكيف يكون مذموماً؟ اعلم أن العلم لايذم لعينه، وإنما يذم لأحد أسباب ثلاثة: الأول أن يكون مؤدياً إلى ضرر إما بصاحبه، وإما بغيره، كعلم السحر والطلسمات، فإنهما لايصلحان إلا للإضرار بالخلق، والوسيلة إلى الشر شر، والثانى أن يكون مضراً بصاحبه فى ظاهر الأمر، كعلم النجوم فإن كله مضرة وأقل المضرة فهي أنه خوض فى فضول لايعنى، وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة غاية الخسران، الثالث الخائض فى علم لايستقل به الخائض فيه، فإنه مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليها، وكالبحث عن الأسرار الإلهية، إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون عليها، ولم يستقلوا بها، ولايستقل بها ولا بالوقوف على طرف بعضها إلا الأنبياء والأولياء، فيجب كف الناس عنها، وردهم إلى ما نطق الشرع به.

قوله: «ومن دعاء لايسمع»«نه»: أى لايستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع، يقال: اسمع دعائى، أى أجب؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول. اعلم أن فى كل من القرائن ما يشعر بأن وجوده مبنى على غايته، وأن الغرض منه تلك الغاية، وذلك أن تحصيل العلم إنما هو للانتفاع بها، فإذا لم ينتفع لا يخلص منه كفافاً، بل يكون وبالا، ولذلك استعاذ منه، وأن القلب إنما خلق لأن يتخشع لبارئه، وينشرح لذلك الصدر، ويقذف النور فيه، فإذا لم يكن

[٢٤٦٤] صحيح انظر صحيح ابن ماجه ح (٣٠٩٤).

* فى (ط) مكان وهو خطأ والتصويب من (ك).

** فى (ط) (الإخلاص) والتصويب من (ك).

٢٤٦٥- * ورواه الترمذيُّ عـنْ عبدِ الله بنِ عمْرٍو . والنّسائيُّ عنهُما . [٢٤٦٥]

٢٤٦٦- * وعن عُمَرَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يتعَوَّذُ منْ خمسٍ: منَ الجُبنِ، والبُخلِ، وسوءِ العُمُرِ، وفِتنةِ الصَّدْرِ، وعذابِ القَبرِ. رواه أبو داود، والنسائي. [٢٤٦٦]

٢٤٦٧- * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ: «اللهُمَّ إِني أعوذُ بكَ منَ الفقرِ، والقلَّةِ والذِلةِ، وأعوذُ بكَ منْ أنْ أَظلِمَ أوْ أُظلَمَ». رواه أبو داود، والنسائي[٢٤٦٧].

كذلك كان قاسياً، فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: **«فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله»**، وأن النفس إنما يعتد بها إذا تجافت عن دار الغرور، وأنابت إلى دار الخلود، والنفس إذا كانت منهومة لاتشبع، حريصة على الدنيا، كانت أعدى عدو المرء، فأول شئ يستعاذ منه هى، وعدم استجابة الدعاء دليل على أن الداعى لم ينتفع بعلمه، ولم يخشع قلبه، ولم تشبع نفسه.

الحديث الثانى عن عمر رضى الله عنه: قوله: « وفتنة الصدر» «شف»: قيل: هى موته وفساده، وقيل: ما ينطوى عليه الصدر من حسد، وغل، وخلق سئ، وعقيدة غير مرضية. أقول: فتنة الصدر هى الضيق المشار إليه فى قوله تعالى: **«ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كأنما يصعد فى السماء»**(١) وهى الإنابة إلى دار الغرور التى هى سجن المؤمن، والتجافى عن دار الخلود، التى عرضها كعرض السماء.

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «أعوذ بك من الفقر» «غب»: أصل الفقر كسر فقار الظهر، والفقر يستعمل على أربعة أوجه: الأول: وجود الحاجة الضرورية، وذلك عام للإنسان ما دام فى دار الدنيا، بل عام للموجودات كلها، وعليه قوله تعالى: **«يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله»**(٢). والثاني: عدم المقتنيات، وهو المذكور فى قوله تعالى: **«للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله»**(٣) و**«إنما الصدقات للفقراء»**(٤). الثالث: فقر النفس وهو الشره، وهو المقابل بقوله: «الغنى غنى النفس» والمعني بقولهم: من عدم القناعة لم يفده المال غنى. الرابع: الفقر إلى الله تعالى المشار إليه بقوله: «اللهم اغننى بالافتقار إليك، ولاتفقرنى

[٢٤٦٦] صحيح بنحوه انظر صحيح الترمذى ح (٢٨٢٥).

[٢٤٦٥] صحيح انظر صحيح النسائى ح (٥٠٥٥)، وصحيح النسائى بنحوه ايضًا ح (٥٠٨٢).

[٢٤٦٧] قال الشيخ إسناده جيد.

(١) الإنعام: ١٢٥. (٢) فاطر: ١٥.

(٣) البقرة: ٢٧٣. (٤) التوبة: ٦٠.

٢٤٦٨- * وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ: «اللهُمَّ إِني أعوذُ بكَ منَ الشِّقاقِ، والنِّفاقِ، وسوءِ الأخلاقِ». رواه أبو داود، والنسائي [٢٤٦٨].

٢٤٦٩- * وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ: «اللهُمَّ إِني أعوذُ بكَ منَ الجوعِ فإِنَّه بئسَ الضَّجيعُ، وأعوذُ بكَ منَ الخِيانةِ فإِنَّها بئسَتِ البِطانَةُ». رواه أبو داود، والنسائي، وابنُ ماجه [٢٤٦٩].

بالاستغناء عنك» وإياه عني تعالى بقوله: «رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير»، ويقال: افتقر فهو مفتقر وفقير، ولايكاد يقال: فقر وإن كان القياس يقتضيه. أقول: والمستعاذ منه في الحديث هو القسم الثالث.

«خط» : إنما استعاذ ﷺ من الفقر الذى هو فقر النفس لاقلة المال. قال القاضي عياض: وقد تكون استعاذته من فقر المال، والمراد الفتنة من احتماله، وقلة الرضى به، ولهذا قال: «فتنة الفقر» ولم يقل: الفقر، وقد جاءت أحاديث كثيرة فى الصحيح فى فضل الفقر. قوله: «والقلة» «تو»: القلة تحمل على قلة الصبر أو قلة العدد، ولا خفاء أن المراد منها القلة فى أبواب البر وخصال الخير؛ لأنه كان يؤثر الإقلال فى الدنيا، ويكره الاستكثار من الأغراض الفانية.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «من الشقاق» - فى الغريبين- : أراد بـ«الشقاق» الخلاف؛ لأن كل واحد منهما يكون فى شق أى ناحية، والشقاق العداوة، ومنه قوله تعالى : «فى عزَّة وشقاق»(1). والنفاق أن تظهر لصاحبك خلاف ما تستره وتضمره. وقوله: «وسوء الأخلاق» من عطف العام على الخاص. وفيه إشعار بأن الشقاق والنفاق أعظمهما؛ لأن سريان ضررهما إلى الغير.

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «من الجوع» «قض»: الجوع الألم الذى يجده الإنسان من خلو المعدة. و«الضجيع» المضاجع، استعاذ منه؛ لأنه يمنع استراحة البدن، ويحلل المواد المحمودة بلا بدل، ويشوش الدماغ، ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة، ويضعف البدن عن القيام بوظائف الطاعات. و«الخيانة» نقيض الأمانة، و«البطانة» ضد الظهارة، وأصلها فى الثوب، فاتسع فيما يستبطن الرجل من أمره، فيجعله بطانة حاله. أقول: خص «الضجيع» بـ«الجوع»؛ لينبه على أن المراد بالجوع الذى يلازمه ليلا ونهاراً، ومن ثم حرم الوصال، ومثله يضعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات، لاسيما بقيام التهجد، و«البطانة»

[٢٤٦٨] رواه أحمد فى المسند ٥/ ٢٣٢ -٢٤٧، وضعف الشيخ إسناده فى المشكاة.

[٢٤٦٩] قال الشيخ: ورواه أحمد وسنده صحيح.

(1) ص: ٢.

٢٤٧٠- * وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقـولُ: «اللهُمَّ إني أعـوذُ بكَ منَ البَرصِ، والجُذامِ، والجُنونِ، ومنْ سَيِّءِ الأَسْقامِ». رواه أبو داود، والنَّسائيُّ. [٢٤٧٠]

٢٤٧١- * وعن قُطْبَةَ بنِ مالكٍ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ منْ مُنكَراتِ الأخلاقِ، والأعمالِ والأهواءِ». رواه الترمذي. [٢٤٧١]

٢٤٧٢- * وعن شُتَيْر بن شكَلِ بنِ حُميدٍ، عن أبيه، قال: قلت: يانبيَّ الله!. علِّمني تعويذاً أتعوَّذُ به. قال: «قل: اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من شرِّ سمعي، وشرِّ بصري وشرِّ لساني، وشرِّ قلبي، وشرِّ منيِّي». رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي. [٢٤٧٢]

٢٤٧٣- * وعن أبي اليَسَر، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَدْعو: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ

بـ«الخيانة*»؛ لأنها ليست كالجوع الذى يتضرر به صاحبه فحسب، بل هى سارية إلى الغير، فهى وإن كانت بطانة لحاله، لكن يجرى سريانه إلى الغير مجرى الظهارة.

الحديث السادس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «سيىء الأسقام» الإضافة ليست بمعنى «من»، كما فى قولك: خاتم فضة، بل هى من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى الأسقام السيئة. «تو»: لم يستعذ بالله من سائر الأسقام؛ لأن منها ما إذا تحامل الإنسان فيه على نفسه بالصبر خفت مئونته وعظمت مثوبته، كالحمى والصداع والرمد، وإنما استعاذ من السقم المزمن، فينتهى بصاحبه إلى حالة يفر منها الحميم ويقل دونها المؤانس والمداوى، مع ما يورث من الشين، فمنها الجنون الذى يزيل العقل فلا يأمن صاحبه القتل، ومنها البرص والجذام، وهما العلتان المزمنتان مع ما فيهما من القذارة والبشاعة، وتغيير الصورة، وقد اتفقوا على أنهما معديان إلى الغير.

الحديث السابع عن قطبة: قوله: «من منكرات الأخلاق» «غب»: الإنكار ضد العرفان، والمنكر كل فعل تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول، وتحكم بقبحه الشريعة. أقول: الإضافة فى القرينتين الأوليين إضافة الصفة إلى الموصوف، والثالثة بمعنى «من»؛ لأن الأهواء كلها منكرة.

الحديث الثامن عن شتير: قوله: «تعويذاً» أى ما تعوذ به، - الجوهرى-: العوذة والمعاذة والتعويذ كلها بمعنى. قوله: «من منيي» «مظ»: أى من شر غلبة منيي، حتى لا أقع فى الزنى والنظر إلى المحارم.

الحديث التاسع عن أبى اليسر: قوله: «أعوذ بك من الهدم» «قض»: الهدم - بالسكون-

---

[٢٤٧٠] صحيح انظر صحيح الجامع ح (١٢٨١).

[٢٤٧١] صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٢٨٤٠)، وصحيح الجامع (١٢٩٨) بزيادة (والأدواء).

[٢٤٧٢] صحيح انظر صحيح الجامع ح (١٢٩٢).

* أى خصّ البطانة بالخيانة.

منَ الهدم وأعوذُ بكَ مِنَ التردي، ومن الغَرَق، والحَرَق، والهَرَمِ، وأعوذُ بكَ من أن يتخبَّطني الشيطانُ عِنْدَ الموتِ، وأعوذُ بكَ منْ أنْ أموتَ في سبيلك مُدْبراً، وأعوذُ بكَ مِنْ أنْ أموتَ لديغاً»رواه أبو داود، والنسائي وزاد في رواية أخرى: «والغم». [٢٤٧٣]

٢٤٧٤- * وعن معاذٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «أستعيذُ باللهِ من طَمَعٍ يَهْدي إلى طَبَع». رواه أحمد، والبيهقي في «الدعوات الكبير». [٢٤٧٤]

٢٤٧٥- * وعن عائشةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ نظَر إلى القمر، فقال: «ياعائشةُ! استعيذي بالله من شرِّ هذا، فإن هذا هو الغاسقُ إذا وقب». رواه الترمذي. [٢٤٧٥]

٢٤٧٦- * وعنِ عمرانَ بنِ حُصينٍ، قال: قال النبي ﷺ لأبي: «ياحصين! كمْ تعبدُ اليومَ إلهاً؟» قال أبي: سبعةً: ستّاً في الأرضِ، وواحداً في السَّماء. قال: «فأيُّهُم تُعِدُّ لرغبتكَ ورهبتِكَ؟» قال: الذي في السَّماء. قال: « ياحصينُ! أما إنَّكَ لو أسلمتَ علمتُكَ كلمَتَيْن تنفعانكَ» قال: فلمَّا أسلمَ حُصينٌ قال: يارسولَ الله! علِّمنى الكلمتين اللَّتينِ وعدتني فقال: «قل: اللهُمَّ ألهمني رُشْدي، وأعذْني من شرِّ نفسي». رواه الترمذي. [٢٤٧٦]

سقوط البناء ووقوعه على الشئ، وروى بالفتح وهو اسم ما انهدم منه. و«التردى» السقوط من عال، كالتدهده من شاهق جبل، والسقوط فى بئر. و«الغرق» .بالتحريك مصدر غرق فى الماء، «والحرق» بالتحريك «النار» وإنما استعاذ من الهلاك بهذه الأسباب مع ما فيه من نيل الشهادة؛ لأنها مجهدة مقلقة لا يكاد الإنسان يصبر عليها ويثبت عندها، فلعل الشيطان ينتهز منه فرصة فيحمله على ما يخل بدينه، ولأنه بعد فجأة، وهو أخذة الأسف على ما مرّ فى كتاب الجنائز. أقول: ولعله ﷺ استعاذ منها لأنها فى الظاهر مصائب ومحن وبلاء كالأمراض السابقة المستعاذ منها، وأما ترتب الثواب -ثواب الشهادة- عليها، فللتنبيه على أن الله تعالى يثيب المؤمن على المصائب كلها حتى الشوكة التى يشاكها، ولأن الفرق بين الشهادة الحقيقية وبين هذه أنها متمنى كل مؤمن ومطلوبه، وقد يجب عليه توخي الشهادة والتحري فيها بخلاف التردي والغرق والحرق ونحوها فإنها يجب الاحتراز عنها ولو سعى فيها عصى. قوله (من أن يتخبطني) «تو» الأصل فى التخبط أن يضرب البعير الشىء بخف يده فيسقط، والمعنى : أعوذ بك أن يمسني الشيطان عند الموت بنزغاته التى تزل الأقدام وتصارع العقول والأحلام. قوله

[٢٤٧٣] صحيح انظر صحيح الجامع ح (١٢٨٢).

[٢٤٧٤] ضعيف بنحوه انظر ضعيف الجامع ح (٩١٥).

[٢٤٧٥] صحيح الجامع ح (٧٩١٦).

[٢٤٧٦] أخرجه الترمذي فى الدعوات ح (٣٤٧٩) وقال هذا حديث حسن غريب، مع أن فيه عنعنة الحسن البصري و انظر شرح السنة (٥/ ١٧١).

«لديغًا» فعيل بمعنى مفعول، واللدغ يستعمل فى ذوات السموم من حية وعقرب وغير ذلك.
قوله (أن أموت فى سبيلك مدبرًا) عبارة عن الفرار عن الزحف حيث لا يجوز الزحف هذا وما أشبه ذلك تعليم للأمة، وإلا فرسول الله ﷺ لا يجوز له الفرار وكذا تخبط الشيطان وغير ذلك من الأمراض المزمنة المشوهة للخلق.

الحديث العاشر: عن معاذ رضي الله عنه. قوله (من طمع يهدى) «قض» : الهداية: الإرشاد إلى لشىء والدلالة إليه، ثم اتسع فيه فاستعمل بمعنى الإدناء من الشىء والإيصال إليه.
والطبع بالتحريك: العيب، وأصله الدنس الذى بعرض السيف، والمعنى: أعوذ بالله من طمع يسوقنى إلى شين فى الدين وإزراء بالمروءة. قوله: الهداية هنا بمعنى الدلالة الموصلة إلى البغية واردة على سبيل التمثيل لأن الطبع الذى هو بمعنى الرين سبب عن كسب الآثام. قال تعالى: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[1] فلما جعل متسببا عن الطمع الذى هو نزوع النفس إلى الشىء شهوة له جعل كالمرشد والهادى إلى مكان سحيق، فيتخذ إلهه هواه، وهو المعنى بالرين، فاستعمل الهدى فيه على سبيل الاستعارة تهكمًا.

الحديث الحادى عشر عن عائشة رضى الله عنها قوله: «الغاسق إذا وقب» «قض» الغاسق: الليل إذا غاب الشفق واعتكر ظلامه من غسق يغسق إذا أظلم، وأطلق هاهنا على القمر لأنه يظلم إذا كسف، ووقوبه: دخوله فى الكسوف واسوداده، وإنما استعاذ من كسوفه لأنه من آيات الله الدالة على حدوث بلية، ونزول نازلة*.

أقول: يؤيد هذا التأويل حديث أبى موسى فى الكسوف قال: فقام النبى فزعاً يخشى أن تكون الساعة، ثم قال: «هذه الآيات التى يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم من ذلك شيئاً فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره»، ولأن اسم الإشارة فى الحديث كوضع اليد فى التعيين، وتوسيط ضمير الفعل بينه وبين الخبر المعرف يدل على أن المشار إليه هو القمر لا غير وتفسير الغاسق بالليل يأباه سياق الحديث كل الإباء؛ ولأن دخول الليل نعمة من نعم الله تعالى، ومن الله بها على عباده في كثير من الآيات، قال تعالى: «**وجعل لكم الليل لتسكنوا فيه**»[2] «**فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى**»[3] وقال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

الحديث الثانى عشر عن عمران: قوله: «إلهاً» تمييز لـ«كم» الاستفهامية، وقد فصل بينهما ظاهراً، وأما من حيث المعنى فلا فصل؛ إذ رتبة المفعول هو التأخر عن الفعل.

---

* ما بين المعكوفتين سقط من المطبوع، وهو أكثر من صفحة كاملة، وأثبتناه من نسختنا نسخة دار الكتب المصرية. .

(١) المطففين: ١٤. (٢) يونس: ٦٧. (٣) الأنعام: ٧٦.

٢٤٧٧- * وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا فَزِعَ أحدُكم في النومِ، فلْيقُلْ: أعوذُ بكلماتِ الله التامَّاتِ من غضبه وعقابه، وشرِّ عباده، ومِنْ هَمَزاتِ الشياطينِ وأن يحضرُونِ، فإنَّها لن تَضُرَّهُ» وكان عبدُ الله بنُ عمرو يعلِّمُها من بلغَ مِنْ وَلَدِه، ومَنْ لمْ يبلُغْ منهم كتَبَها في صكٍّ ثمَّ علَّقَها في عُنُقِه. رواه أبو داود، والترمذي، وهذا لفظُه. [٢٤٧٧]

٢٤٧٨- * وعن أنسٍ، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الجنَّةَ ثلاثَ مرَّاتٍ، قالت الجنَّةُ: اللهمَّ أدخلْهُ الجنَّةَ. ومن استَجارَ مِنَ النَّارِ ثلاثَ مرَّاتٍ؛ قالتِ النارُ: اللهُمَّ أجِرْهُ مِنَ النَّارِ». رواه الترمذي، والنسائي. [٢٤٧٨]

قوله: «ستاً في الأرض» المذكور في التنزيل «يغوث، ويعوق، ونسراً، واللات، والمناة، والعزى» والله أعلم بالمراد، ومن ثم قال: «ستاً» لأن المميزات كلها مؤنثة، وإنما ألحق التاء بـ«سبعة» لاشتماله علي الإله الذي في السماء على زعمه، فغلب جانب التذكير ؛ ولهذا لم يقل: واحدة في السماء.

قوله: «فأيهم تعد» «الفاء» جزاء شرط محذوف، أي إذا كان كذلك، فإذا حزبك أمر فأيهم تخصه وتلتجئ إليه إذا نابتك نائبة، وحدثت حادثة؟ قال تعالى: «وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين»(١) وهذا الأسلوب يسمى في علم البديع بالمذهب الكلامي، فلما أكرمه وأقر قال: «الذي في السماء» أتبعه بقوله: «أما إنك لو أسلمت» وهذا من باب إرخاء العنان والكلام المنصف؛ لأن من حق الظاهر بعد إقراره أن يقال له: أسلم ولا تعاند. وأما الإشارة إلى الاستعاذة من شر النفس، فإيذان بأن اتخاذ تلك الآلهة ليس إلا هوى النفس الأمارة بالسوء، وأن المرشد إلى الطريق الحق والدين القويم هو الله تعالى.

الحديث الثالث عشر والرابع عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «قالت الجنة» قول الجنة والنار يجوز أن يكون حقيقة ولا بعد فيه، كما في قوله تعالى: «وتقول هل من مزيد»(٢)، ويجوز أن تكون استعارة، شبه استحقاق العبد بوعد الله ووعيده الجنة والنار في تحققهما وثبوتهما بنطق الناطق، كأن الجنة مشتاقة إلى السائل داعية دخوله، والنار نافرة عنه داعية له بالبعد عنها، فأطلق القول وأراد التحقيق والثبوت، وفي وضع «الجنة والنار» موضع ضمير المتكلم تجريد ونوع من الالتفات. ويجوز أن يقدر مضاف، أي قالت خزنة الجنة وخزنة النار، فالقول إذن حقيقي.

[٢٤٧٧] حسن دون قوله «فكان عبدالله ...» انظر صحيح الترمذي ح (٢٧٩٣)، وصحيح الجامع ح (٧٠١).
[٢٤٧٨] صحيح انظر صحيح الترمذي ح (٢٠٧٩)، وصحيح النسائي ح (٥٠٩٤).
(١) العنكبوت: ٦٥ (٢) ق: ٣٠

الفصل الثالث

٢٤٧٩ - * عن القعقاع: أنَّ كعبَ الأحبارِ قال: لو لا كلماتٌ أقولُهنَّ لجعلتني يهودُ حماراً. فقيل له: ما هنَّ؟ قال: أعوذُ بوجهِ الله العظيمِ الذي ليسَ شَيءٌ أعظمَ منْه، وبكلماتِ الله التامَّاتِ التي لايُجاوزُهنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ، وبأسماءِ الله الحُسنى ما علمتُ منها وما لمْ أعْلَمْ، من شرِّ ما خَلَق وذَرأ وبَرَأ. رواه مالك.[٢٤٧٩]

الفصل الثالث

الحديث الأول عن القعقاع: قوله: «حماراً» لعله أراد أن اليهود سحرته، ولولا استعاذتي بهذه الكلمات لتمكنوا من أن يقلبوا حقيقتي لبغضهم إياي حيث إني أسلمت، أو لتمكنوا من إذلالي وتوهيني كالحمار، فإنه مثل في الذلة، قال:

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلاّن عير الحي والوتد

قوله: «لايجاوزهن بر ولا فاجر» يشعر بأن المراد بـ«كلمات» علم الله الذي ينفد البحر قبل نفاده في قوله: «قل لو كان البحر مداداً»(١) الآية، لأن معنى التكرير في قوله: «برو لا فاجر» وتكرير حرف التأكيد للاستيعاب، كما في قوله تعالى: «ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين»(٢). ولو أريد بـ«كلمات الله التامات» القرآن يؤوَّل بأن البر والفاجر من المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، لايتجاوزان ما لهما وما عليهما من الوعد والوعيد، والثواب والعقاب. وغير ذلك، يؤيده قوله تعالى: «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً»(٣) لأن الصدق ملائم للوعد والوعيد، والخبر من القصص، وبناء الأولين والآخرين مما سبق ومما سيأتي. والعدل موافق للأمر والنهي، والثواب والعقاب، وما أشبه ذلك.

«حس»: وفي أمثال هذا الحديث مما جاء فيه الاستعاذة بكلمات الله، دليل على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن النبي ﷺ استعاذ بها، كما استعاذ بالله في قوله: «أعوذ بالله» وبصفاته في قوله: «برب الناس ملك الناس»(٤) وبعزة الله وقدرته، ولم يكن يستعيذ بمخلوق عن مخلوق. وبلغني عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه استدل بها على أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه ما من مخلوق إلا وفيه نقص. قوله: «خلق» أي قدر أو أنشأ، و«برأ» أي جعل الخلقة مبرأة من التفاوت، فخلق كل عضو على ما ينبغي كونه، و«ذرأ» أي بث الذراري في الأرض.

[٢٤٧٩] رواه مالك في «الموطأ» (٣/ ١٢٧).

(١) الكهف: ١٠٩   (٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) الأنعام: ١١٥.   (٤) الناس: ١.

٢٤٨٠- * وعن مسلم بنِ أبي بكْرَةَ، قال: كانَ أبي يقولُ في دُبُرِ الصلاةِ: اللهمَّ إني أعوذُ بك من الكفرِ والفَقْرِ، وعذابِ القبرِ. فكنت أقولهُنَّ. فقال: أيْ بنيّ! عمَّنْ أخذتَ هذا؟ قُلتُ: عنكَ. قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولهُنَّ في دُبرِ الصَّلاةِ. رواه النسائي، والترمذي، إلا أنَّهُ لم يذكر : في دُبرِ الصلاة.[٢٤٨٠]

وروى أحمد لفظ الحديث، وعنده: في دُبرِ كلِّ صلاةٍ.

٢٤٨١- * وعن أبي سعيدٍ، قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أعوذُ باللهِ منَ الكفرِ والدَّيْنِ» فقال رجلٌ: يارسولَ الله! أتعْدِلُ الكفرَ بالدَّين؟ قال: «نعم». وفي رواية «اللهُمَّ إنِي أعوذُ بكَ من الكُفْرِ والفقْرِ». قال رجل: ويعدلان؟ قال: «نعم». رواه النسائي .[٢٤٨١]

(٩) باب جامع الدعاء

الفصل الأول

٢٤٨٢- * عن أبي موسى الأشعري، عن النبيِّ ﷺ : أنَّه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهُمَّ اغفرِ ليَ خطيئَتي، وجَهْلي، وإسْرَافي في أمري، وما أنتَ أعْلَمُ بهِ مني. اللَّهُمَّ

الحديث الثانى والثالث عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «قال: نعم» أى أساوى الدائن بالمنافق؛ لأن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف كما ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها «والفقير الذى لم يصبر على فقره أسوء حالا من الدائن» وقد يروى «كاد الفقر أن يكون كفراً» والله أعلم.

باب جامع الدعاء

إضافة الجامع إلى الدعاء إضافة الصفة إلى الموصوف، أى الدعاء الجامع لمعان كثيرة فى ألفاظ قليلة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى موسى رضي الله عنه: قوله: «كل ذلك عندى» كالتذييل للسابق. «مح»: أى متصف بهذه الأشياء فاغفرها لى، قالها تواضعاً وهضما لنفسه. عن على رضى الله عنه: عد فوات الكمال، وترك الأولى ذنوباً. وقيل: أراد ما كان عن سهو وقيل: ما كان قبل

[٢٤٨٠] صحيح الإسناد، انظر صحيح النسائى، ح (٥٠٤٨).

[٢٤٨١] صحيح الإسناد، انظر صحيح النسائى بنحوه ح (١٢٧٦).

اغفِر لي جِدِّي، وهزلي، وخطَئي، وعَمْدي، وكلُّ ذلكَ عندي. اللهمَّ اغفِرْ لي ما قَدَّمتُ، وما أخَّرتُ، وما أسررتُ، وما أَعلنتُ، وما أنتَ أعلمُ بهِ مني. أنتَ المقدِّمُ، وأنتَ المؤخِرُ، وأنتَ على كلِّ شيءٍ قدير». متفق عليه.

٢٤٨٣- * وعن أبي هريرة، قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «اللهُمَّ أصلِح لي ديني الذي هوَ عصْمةُ أمري. وأصلِح لي دُنيايَ التي فيها مَعَاشي، وأَصلِحْ لي آخرَتي التي فيها مَعادي، واجْعل الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعَل الموتَ راحةً لي منْ كلِّ شرّ». رواه مسلم.

٢٤٨٤- * وعن عبدِالله بنِ مَسْعُودٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول: «اللهُمَّ إِني أَسأَلكَ الهُدي، والتُّقى، والعفافَ والغنى». رواه مسلم.

٢٤٨٥- * وعن عليّ، قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «قل: اللهُمَّ اهدِني، وسدِّدني، واذكُرْ بالهُدى هدَايَتَكَ الطَّريقَ، وبالسَّدَادِ سَدادَ السَّهمِ». رواه مسلم.

النبوة. وقوله: «أنت المقدم» أى تقدم من تشاء من خلقك بتوفيقك إلى رحمتك، وتؤخر من تشاء عن ذلك.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «عصمة أمرى» هو من قوله تعالى: **«واعتصموا بحبل الله جميعاً»**(١) أى بعهد الله، وهو الدين، وإصلاح الدنيا عبارة عن الكفاف فيما يحتاج إليه، وأن يكون حلالاً ومعيناً على الطاعة، وإصلاح المعاد اللطف والتوفيق على طاعة الله وعبادته. وطلب الراحة بالموت إشارة إلى قوله ﷺ ،: «إذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون» هذا هو الذى يقابله الزيادة فى القرينة السابقة، وهذا الدعاء من الجوامع.

الحديث الثالث عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: قوله: «أسألك الهدى» أطلق «الهدى والتقى»؛ ليتناول كل ما ينبغى أن يهتدي إليه من أمر المعاش والمعاد، ومكارم الأخلاق، وكل ما يجب أن يتقى منه من الشرك والمعاصي، ورذائل الأخلاق. وطلب العفاف والغنى تخصيص بعد التعميم، وهذا أيضاً من الجوامع.

الحديث الرابع عن على رضي الله عنه: قوله: «اللهم اهدنى» «قض» : أمره بأن يسأل الله تعالى الهداية والسداد، وأن يكون فى ذكره مخطراً بباله أن المطلوب هداية، كهداية من ركب

---

(١) آل عمران: ١٠٣

٢٤٨٦- * وعن أبي مالك الأشجعيِّ، عنْ أبيهِ، قال: كانَ الرَّجلُ إذا أسلَمَ، علَّمَه النبيُّ ﷺ الصَّلاةَ، ثمَّ أمرَه أنْ يدعُوَ بهؤُلاء الكلماتِ: «اللهُمَّ اغفِرْ لي وارْحمني، واهدِني وعافِني، وارزُقْني». رواه مسلم.

٢٤٨٧- * وعن أنسٍ، قال: كانَ أكثرُ دعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «اللهُمَّ آتِنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنَةً، وقِنا عذابَ النَّارِ» متفق عليه.

الفصل الثاني

٢٤٨٨- * عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ يدْعُو يقول: «ربِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عَلَيَّ، وانصرْني ولا تنصرْ عَلَيَّ، وامكُرْلي ولا تمكُرْ عليَّ، واهْدِني ويسِّر الهُدى لي،

متن الطريق، وأخذ فى المنهج المستقيم، وسداد يشبه سداد السهم نحو الغرض، والمعنى أن يكون فى سؤاله طالبا غاية الهدى، ونهاية السداد. أقول: وفيه معنى قوله تعالى: «**فاستقم كما أمرت**»(١) «**إهدنا الصراط المستقيم**»(٢) أى هداية لا أميل بها إلى أحد طرفى الإفراط والتفريط.

الحديث الخامس والسادس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «**أكثر دعاء النبى ﷺ**» لعله صلوات الله عليه إنما كان يكثر هذا الدعاء؛ لأنه من الجوامع التى تحوز جميع الخيرات الدنيوية والأخروية. وبيانه أنه ﷺ **كرر الحسنة ونكرها تنويعاً، وقد تقرر فى علم المعانى أن النكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأول**، فالمطلوب فى الأولى الحسنات الدنيوية، من الاستغاثة والتوفيق والوسائل إلى اكتساب الطاعات والمبرات، بحيث تكون مقبولة عند الله تعالى، وفى الثانية ما يترتب عليها من الثواب والرضوان فى العقبى. وقوله: «**وقنا عذاب النار**» **تتمة**، أى إن صدر منا ما يوجبها من التقصير والعصيان، فاعف عنا وقنا عذاب النار، فحق لذلك أن يكثر من هذا الدعاء.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «**وامكر لى**» قيل: المكر الخداع، وهو من الله تعالى إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لايشعرون، وقيل: هو استدراج العبد

---

(١) هود: ١١٢.

(٢) الفاتحة: ٦

وانصُرْني على مَنْ بَغى عليَّ، ربِّ اجعَلْني لكَ شاكراً، لكَ ذاكراً، لكَ راهباً، لكَ مطْواعاً، لكَ مُخْبتاً، إليكَ أوَّاهاً مُنيباً، ربِّ تقَبَّلْ توبتي، واغسِلْ حَوبَتي، وأجِبْ دَعْوَتي، وثبِّتْ حُجَّتي، وسَدِّدْ لِساني، واهْدِ قَلبي، واسلُلْ سَخيمَةَ صَدْري». رواه الترمذيُّ، وأبو داود، وابنُ ماجه [٢٤٨٨].

٢٤٨٩- * وعن أبي بكرٍ، قال: قامَ رسولُ الله ﷺ على المِنبرِ، ثمَّ بكى، فقالَ: «سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعافيَةَ، فإنَّ أحداً لمْ يُعطَ بعدَ اليَقينِ خيراً منَ العافيَةِ». رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه. وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ إسناداً [٢٤٨٩].

بالطاعات، فيتوهم أنها مقبولة، وهي مردودة. قوله: «لك شاكراً» «قض»: **قدم الصلاة على متعلقاتها تقديماً للأهم، وإرادة للاختصاص.** «**والمخبت**» الخاشع المتواضع من الخبت وهو المطمئن إلى ذكر ربه الواثق به، قال تعالى: «**وأخبتوا إلى ربهم**»(١) أى اطمأنوا، وسكنت نفوسهم إلى أمره، وأقيمت «اللام» مقام «إلى» ليفيد معنى الاختصاص. «**والأواه» فعال بنى للمبالغة من أوه،** يقال: أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال: آه، وهو صوت الحزين المتفجع، والمعنى اجعلنى لك أواها متفجعاً على التفريط، منيباً راجعاً إليك، تائباً عما اقترفت من الذنوب. والحوبة الإثم، وكذا الحُوب والحوبُ. وغسله كناية عن إزالته بالكلية بحيث لايبقى منه أثر. وسداد اللسان أن لايتحرك إلا بالحق، ولا ينطق إلا بالصدق. وسخيمة الصدر الضغينة، من السخمة وهى السواد، ومنه سخام القدر. وإضافتها إلى الصدر؛ لأن مبدأها القوة الغضبية المنبعثة من القلب الذى هو فى الصدر، وسلها إخراجها، وتنقية الصدر منها، من سل السيف إذا أخرجه من الغمد. «نه»: «ثبت حجتى» أى قولى **وتصديقي** فى الدنيا، وعند جواب الملكين فى القبر.

أقول: فإن قلت: **ما الفائدة فى ترك العاطف** فى القرائن السابقة من قوله: «رب اجعلنى» إلى قوله: «منيباً» وفى الإتيان به فى القرائن اللاحقة؟ قلت: أما الترك فللتعداد والإحصاء؛ ليدل على أن ما كان لله غير معدود، ولا داخل تحت الضبط، فينعطف بعضها على بعض، ولهذا قدم الصلاة على متعلقاتها. وأما الإتيان بالعاطف فيما كان للعبد، فلانضباطه وإنما اكتفى فى قوله إليك «أواها منيب»بصلَةَ واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورديفًا له»، فكأنهما شئ واحد، ومنه قوله تعالى: «**إن إبراهيم لحليم أوَّاه منيب**»(٢).

[٢٤٨٨] صحيح انظر صحيح ابن ماجه ح(٣٠٨٨). [٢٤٨٩] صحيح انظر صحيح الترمذى (٢٨٢١).

(١) هود: ٢٣ (٢) هود: ٧٥.

٢٤٩٠- * وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً جاءَ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يارسولَ الله! أيُّ الدُّعاء أفضلُ؟ قال: «سَلْ ربَّكَ العافيَةَ والمُعافاةَ في الدُّنيا والآخرَةِ». ثمَّ أتاهُ في اليومِ الثَّاني، فقالَ : يارسولَ الله! أيُّ الدُّعاء أفضلُ؟ فقالَ له مثلَ ذلك. ثمَّ أتاهُ في اليومِ الثالث، فقالَ له مثلَ ذلكَ، قال: «فإذا أُعطيتَ العافيَةَ والمُعافاةَ في الدُّنيا والآخرة فقدْ أفلحْتَ». رواه الترمذي، وابنُ ماجه وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ إسنادًا. [٢٤٩٠]

٢٤٩١ - * وعن عبدالله بنِ يزيد الخَطْميِّ، عنْ رسولِ الله ﷺ أنَّه كانَ يقولُ في دُعائه: «اللهُمَّ ارزُقْني حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ ينفَعُني حُبُّه عندَكَ، اللهُمَّ مارَزَقتَني ممَّا أُحبُّ فاجْعَلْهُ قوَّةً لي فيما تُحبُّ، اللهُمَّ ما زوَيْتَ عني ممَّا أُحبُّ فاجْعلْهُ فراغًا لي فيما تُحبُّ». رواه الترمذي. [٢٤٩١]

٢٤٩٢ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: قلَّما كانَ رسولُ الله ﷺ يقومُ منْ مجلسٍ حتى يدعوَ بهؤُلاءِ الدَّعَواتِ لأصحابه: «اللهُمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِكَ ما تحولُ به بينَنا وبينَ

الحديث الثاني والثالث عن أبى بكر رضي الله عنه: قوله: «خيرًا من العافية» فإن قلت: **كيف أفرد العافية بعد جمعها؟** قلت: لأن معنى «العفو» محو الذنب، ومعى «العافية» السلامة عن الأسقام والبلايا، فاستغنى عن ذكر العفو بها؛ لشمولها، يؤيده قوله فى الحديث الثالث: «فإذا أعطيت العافية فقد أفلحت». «مظ»: وبكاؤه ﷺ لما علم وقوع أمته فى الفتن، وغلبة الشهوة عليهم، وحرصهم على جمع المال والجاه، أمرهم أن يلتجئوا إلى الله، ويسألوا العفو والعافية من الله تعالى.

قوله: «والمعافاة» هى أن يعافيك الله تعالى من الناس، ويعافيهم منك، أى يغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف آذاهم عنك وآذاك عنهم. وقيل: هى مفاعلة من العفو وهو أن يعفو عن الناس ويعفو هم عنه. وقوله: «إسنادًا» تمييز عن «الحسن والغريب» معًا، كما سبق بيانه.

الحديث الرابع عن عبدالله رضى الله عنه: «قوله: «ما زويت عني» «قض»: أصل الزوى الجمع والقبض، يقال: زوى فلان المال عن وارثه زيًا، وفى الحديث قال عمر رضى الله عنه: «عجبت لما زوى الله عنك من الدنيا» أى لما نحى عنك، المعني اجعل ما نحيته عنى من محابى عونًا لى على شغلى بمحابك، وذلك أن الفراغ خلاف الشغل، فإذا زوى عنه الدنيا ليتفرغ لمحاب ربه، كان ذلك الفراغ عونًا له على الاشتغال بطاعة الله تعالى.

الحديث الخامس عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «اللهم اقسم لنا» «قض»: أى اجعل لنا

[٢٤٩٠] صحيح بنحوه من روايه العباس بن عبد المطلب، انظر صحيح الترمذى ح (٢٧٩٠) والصحيحة (١٥٢٣)، ورواه بعينه ابن ماجه فى سننه ح (٣٨٤٨).

[٢٤٩١] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (١٢٧٠).

معاصيكَ، ومنْ طاعتكَ ماتُبلغُنا به جنَّتكَ، ومنَ اليَقينِ ماتُهوِّنُ به علينَا مصيباتِ الدُّنيا، ومتِّعْنا بأسماعنا وأبصارِنا وقُوَّتنا ما أحييْتنا، واجعلْهُ الوارِثَ منَّا، واجْعلْ ثأرَنَا على مَنْ ظلمنَا، وانصُرْنا على مَنْ عادانا، ولاتجعلْ مصيبَتنا في دِيننا، ولاتجعلِ الدنيا أكبرَ همِّنا ولامَبلَغَ علمِنا، ولاتُسلِّطْ علينا مَنْ لايَرحمُنا». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب .[٢٤٩٢]

قسما ونصيبًا تحول به وتحجب وتمنع، من حال الشئ حيلولة، وارزقنا يقينًا بك، وبأن لامرد لقضائك وقدرك، وأن لايصيبنا إلا ما كتبته علينا، وأن ما قدرته لايخلو عن حكمة، ومصلحة، واستجلاب مثوبة تهون به مصيبات الدنيا. و«اجعله» الضمير فيه للمصدر، كما فى قولك: زيد أظنه منطلق، أى اجعل الجعل، و«الوارث» هو المفعول الأول و«منا» فى موضع المفعول الثانى على معنى واجعل الوارث من نسلنا، لا كلالة خارجة عنا، كما قال تعالى حكاية عن دعوة زكريا: «**فهب لى من لدنك وليًا يرثنى ويرث من آل يعقوب**» (١)، وقيل: الضمير للتمتع الذى دل عليه التمتيع، ومعناه اجعل تمتعنا بها باقيًا عنا، موروثًا فيمن بعدنا، أو محفوظًا لنا إلى يوم الحاجة، وهو المفعول الأول، و«الوارث» مفعول ثان، و«منا» صلة له، وقيل: الضمير لما سبق من الأسماع والأبصار والقوة، وإفراده وتذكيره على تأويل المذكور، كما فى قول رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق

والمعني بوراثتها لزومها له عند موته لزوم الوارث له. واجعل ثأرنا مقصوراً على من ظلمنا، ولاتجعلنا ممن تعدى فى طلب ثأره، فأخذ به غير الجاني، كما كان معهودًا فى الجاهلية، أو اجعل إدراك ثأرنا على من ظلمنا، فندرك منه ثأرنا، وأصل الثأر الحقد والغضب، من الثوران، يقال: ثار ثائره إذا هاج غضبه.

قوله: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا» [«نه»]*: ولاتصيبنا بما ينقص ديننا من أكل الحرام، واعتقاد سوء، أو فترة في العبادة. قوله: «أكبر همنا» فيه أن قليلا من الهم مما لابد منه فى أمر المعاش مرخص، بل مستحب. قوله: «لاتسلط علينا» يعني لاتجعلنا مغلوبين للكفار والظلمة، ويحتمل أن يراد لاتجعل الظالمين علينا حاكمين، فإن الظالم لايرحم الرعية.

فإن قلت: بين لى تأليف هذا النظم، وأى وجه من الوجوه المذكورة أولى، قلت: أن نجعل الضمير للتمتع، ومعنى اجعل ثأرنا مقصوراً على من ظلمنا، ولاتجعلنا ممن تعدى فى طلب ثأره، ويحمل «من لايرحمنا» على ملائكة العذاب فى القبر، وفى النار؛ لئلا يلزم التكرار،

[٢٤٩٢] حسن انظر صحيح الترمذى ح (٢٧٨٣).

(١) مريم: ٥:٦

* فى «ك» ، «مظ».

٢٤٩٣- * وعن أبي هريرةَ، قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ انفَعْني بما علَّمتَني، وعلِّمني ما يَنفعُني، وزِدْني علمًا، الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ، وأعوذُ باللهِ من حالِ أهلِ النَّارِ». رواه الترمذيّ، وابنُ ماجه. وقال الترمذيّ: هذا حديثٌ غريبٌ إسنادًا. [٢٤٩٣]

فنقول: وإنما خص السمع والبصر بالتمتع من الحواس؛لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله تعالى وتوحيده إنما تحصل من طريقهما؛ لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات المنزلة، وذلك بطريق السمع، أو من الآيات المنصوبة فى الآفاق والأنفس، وذلك بطريق البصر، فسأل التمتع بهما حذرًا من الانخراط فى سلك الذين **«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة»** (١) ولما حصلت المعرفة ترتب عليها العبادة، فسأل القوة ليتمكن بها من عبادة ربه، ثم إنه أراد أن لاينقطع هذا الفيض الإلهى عنه لكونه رحمة للعالمين، فسأل بقاءه ليستن بسنته بعده فقال: واجعل ذلك التمتع وارثًا باقيًا منا.

ولما كانت القرينتان أعنى «واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا» على وزان قوله: «أعوذ بك من أن أظلم وأظلم» وجب تأويل القرينة الأولى بما سبق، والثانية ظاهرة، ولما كان مفهوم «وانصرنا على من عادانا» لاتسلط علينا من ظلمنا، وجب أن يحمل «ولاتسلط علينا من لايرحمنا» على ما حملنا عليه. ويلوح من قوله: «ولاتجعل الدنيا مبلغ علمنا» معنى قوله تعالى: **«يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون»**(٢).

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «اللهم انفعنى» إلى هذا المعنى ينظر ما ورد «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» طلب أولا النفع بما رزق من العلم، وهو العمل بمقتضاه، ثم توخى علما زائدًا عليه ليترقى منه إلى عمل زائد على ذلك، ثم قال: **«رب زدنى علما»**(٣) ليشير إلى طلب الزيادة فى السير والسلوك إلى أن يوصله إلى مخدع الوصال، وظهر من هذا أن العلم وسيلة العمل، وهما متلازمان، ومن ثم قيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة فى شئ إلا فى العلم، وما أحسن موقع الحمد فى هذا المقام، ومعنى المزيد فيه **«لئن شكرتم لأزيدنكم»** (٤) وموقع الاستعاذة من الحال المضاف إلى النار تلميحًا إلى الفظيعة والبعد، وهذا من جامع الدعاء الذى لامطمح وراءه.

[٢٤٩٣] صحيح دون قوله: «والحمد لله...»، انظر صحيح الترمذى (٢٨٤٥).

(١) البقرة: ٧ (٢) الروم: ٧

(٣) طه: ١١٥ (٤) إبراهيم: ٧.

٢٤٩٤ - * وعن عمرَ بنِ الخطاب [رضي اللهُ عنه]، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا أُنزِلَ عليهِ الوَحيُ سُمِعَ عندَ وجهِه دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحلِ، فأُنزِلَ عليه يومًا، فمكثْنا ساعةً، فسُرِّيَ عنه، فاستَقبلَ القبلةَ، ورفَعَ يديه وقال: «اللهُمَّ زِدْنا ولا تَنْقُصْنا، وأكرِمْنا ولاتُهِنَّا، وأعطِنا ولاتحرِمْنا، وآثِرْنا ولاتُؤْثِرْ علينا، وأَرْضِنا وارضَ عنا» ثمَّ قال: أُنزِلَ عليَّ عشرُ آياتٍ مَنْ أقامهُنَّ دخلَ الجنَّةَ» ثمَّ قرأ: ﴿قدْ أفلَحَ المُؤْمنونَ﴾(١) حتى ختَم عشرَ آياتٍ. رواه أحمد، والترمذيُّ [٢٤٩٤].

الفصل الثالث

٢٤٩٥ - * عن عثمانَ بنِ حُنَيفٍ، قال: إنَّ رجلاً ضريرَ البصرِ أتى النبيَّ ﷺ،

الحديث السابع عن عمر رضى الله عنه: قوله: «سمع عند وجهه» «قض»: أى سمع من جانب وجهه، وجهته صوت خفى، كدوىٍّ النحل، كأن الوحى كان يؤثر فيهم وينكشف لهم انكشافًا غير تام، فصاروا كمن يسمع دوى صوت ولايفهمه، أو سمعوه من الرسول ﷺ من غطيطه، وشدة تنفسه عند نزول الوحى، وقوله: «فسرى عنه» أى كشف عنه، وزال ما اعتراه من برحاء الوحي.

قوله: «زدنا ولاتنقصنا» عطف النواهى على الأوامر للتأكيد، وقد حذف ثوانى المفعولات فى بعض الألفاظ إرادة لإجرائها مجرى فلان يعطى ويمنع، مبالغة وتعميما. ويلوح من صفحات هذا الدعاء تباشير البشارة والاستبشار، والفوز بالمباغى، ونيل الفلاح فى الدنيا والعقبى، ولعمرى إنه من مجازه ومواقعه، وذلك أن «أولئك» فى قوله تعالى **﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾** (٢) مشعر بأن وراثتهم الفردوس الأعلى إنما كان لاتصافهم بتلك الخصال الفاضلة من الخشوع فى الصلاة، والإعراض عما لايعنيهم فى الدين، وإنفاقهم فى سبيل الله إلى غير ذلك، قوله: **«ولاتهنا»** «مظ»: أصله ولاتهوننا فنقلت كسرة الواو إلى الهاء، وحذفت الواو لسكونها وسكون الأولى، ثم أدغمت النون الأولى فى الثانية. «ولاتؤثر علينا» أى ولاتختر غيرنا، فتعزه وتذللنا، يعنى لاتغلب علينا أعداءنا. قوله: «من أقامهن» أى حافظ وداوم عليهن.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عثمان رضى الله عنه: قوله: «فهو خير لي» يشير إلى ما ورد قال تعالى:

[٢٤٩٤] صحيح، انظر المستدرك (١/ ٥٣٥).

(١) المؤمنون: ١ (٢) المؤمنون: ١٠:١١

فقال: ادعُ اللهَ أنْ يُعافيَني. فقال: «إنْ شئتَ دعوتُ، وإنْ شئتَ صبرْتَ فهوَ خيرٌ لكَ». قال: فادْعُهْ. قالَ فأمرَه أنْ يتوضَّأ فيُحسنَ الوُضوءَ ويدعُوَ بهذا الدعاء: «اللهُمَّ إني أسألُكَ وأتوَجَّهُ إليك بنبيك محمدٍ نبيِّ الرَّحمةِ، إني توجَّهتُ بكَ إلى ربِّي ليَقضيَ لي في حاجتي هذه، اللهُمَّ فشفعْه فيَّ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب[٢٤٩٥].

«إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه ثم صبر، عوضته منهما الجنة». قوله: «ويدعو بهذا الدعاء» قال ﷺ: «إن شئت دعوت» فأسند الدعاء إلى نفسه، وكذا طلب الرجل أن يدعو هو له، ثم أمره ﷺ أن يدعو هو، كأنه لم يرض منه اختياره الدعاء لما قال: «الصبر خير لك» لكن فى جعله شفيعًا له ووسيلة فى استجابة الدعاء، ما يفهم أنه ﷺ شريك فيه. قوله: «إنى توجهت بك» بعد قوله: «أتوجه إليك» فيه معنى قوله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ (١) سأل أولا أن يأذن الله نبيه ليشفع له، ثم أقبل على النبي ملتمسًا لأن يشفع له، ثم كر مقبلا على الله أن يقبل شفاعته قائلاً: «فشفعه». «والباء» فى «بنبيك» للتعدية، وفى «بك» للاستعانة.

قوله: سليقضى لى فى حاجتى» فإن قلت: ما معنى «لى» و«فى»؟ قلت: معنى «لي» كما فى قوله: ﴿رب اشرح لى صدرى﴾ (٢) أجمل أولا، ثم فصل ليكون أوقع، ومعنى «فى» كما فى قول الشاعر.

يجـــرح فـــى عراقيبها نصلى

أى أوقع القضاء فى حاجتى، واجعلها مكانًا له. ونظير الحديث قوله تعالى: ﴿وأصلح لى فى ذريتى﴾(٣). وقوله: «فشفعه فيَّ» أى اقبل شفاعته في حقى، و«الفاء» عطف على قوله: «أتوجه إليك بنبيك» أى اجعله شفيعًا لى فشفعه، وقوله: «اللهم» معترضة. قوله: «حسن صحيح غريب» قد سبق أن الصحيح قد يكون غريبًا، وأن الحسن يكون فى طريق والصحيح فى طريق آخر.

[٢٤٩٥] قال الشيخ الألبانى فى المشكاة: «إسناده صحيح».

ومن ضعفه من المتأخرين فما أصاب كما لم يصب من استدل به على التوسل بالأشخاص، وإنما هو دليل على التوسل بدعاء الرجل الصالح، كما شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه (قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة) أهـ.

(١) البقرة: ٢٥٥ (٢) طه: ٢٥

(٣) الأحقاف: ١٥

٢٤٩٦ - وعن أبي الدَّرداء، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كانَ منْ دُعاء داودَ يقولُ: «اللهُمَّ إني أسألَ حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحبُّك، والعمَلَ الذي يبلّغني حبَّكَ، اللهُمَّ اجعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إليَّ منْ نفسي ومالي وأهْلي، ومنَ الماءِ البارِدِ». قال: وكانَ رسولُ الله ﷺ إذا ذُكرَ داودُ يُحدِّث عنه؛ يقول: «كانَ أعبد البَشرِ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

٢٤٩٧ - * وعن عطاء بنِ السَّائب، عنْ أبيه، قال: صلّى بنا عمَّارُ بنُ ياسرٍ صلاةً، فأوْجزَ فيها. فقال لهُ بعضُ القومِ: لقدْ خفَّفتَ وأوْجزْتَ الصَّلاةَ. فقالَ: أمَا على ذلكَ، لقدْ دعوْتُ فيها بدعَوات سمعتُهن منْ رسول الله ﷺ. فلمَّا قامَ تبعَه رجلٌ من القومِ - هوَ أبي - غيرَ أنَّه كَنى عن نفسه، فسألَه عنِ الدُّعاءِ ثم جاءَ فأخبرَ به القومَ «اللهُمَّ بعلمكَ الغَيبَ، وقُدرتك على الخَلقِ، أحْيني ما علمتَ الحَياةَ خيرًا لي، وتوَفني إذا

الحديث الثانى عن أبى الدرداء: قوله: «يقول: اللهم» اسم «كان» حذف «أن» كما فى قوله: احضر الوغى، وإنما قال: «اجعل حبك أحب إلى من نفسى» بدل اجعل نفسك، مراعاة للأدب حيث لم يرد أن يقابل بنفسه نفسه عز وجل، فإن قيل: لعله إنما عدل؛ لأن النفس لاتطلق على الله تعالى*، قلت: بل إطلاقه صحيح، وقد ورد فى التنزيل مشاكلة؛ قال تعالى: ﴿تعلم ما في نفسى ولا أعلم مافى نفسك﴾ (١). وقوله: «ومن الماء البارد» أعاد «من» هنا ليدل بذلك على استقلال الماء البارد فى كونه محبوبًا، وذلك فى بعض الأحيان، فإنه يعدل بالروح، وعن بعض الفضلاء: ليس للماء قيمة؛ لأنه لايباع إذا وجد، ولايباع إذا فقد.

قوله: «يحدث» يروى مرفوعًا جزاء للشرط؛ لأن الشرط إذا كان ماضيًا والجزاء مضارعًا، يسوغ فيه الوجهان، و«يقول» بدل من الجزاء. قوله: «كان أعبد البشر» يحتمل أن يراد به فى عصره وزمانه، وأن يراد أنه كان أشكر الناس، قال تعالى له: ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾ (٢) أى بالغ فى شكرى، وابذل وسعك فيه. قيل: إن داود جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم يكن تأتى ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي.

الحديث الثالث عن عطاء رضى الله عنه: قوله: «أما على ذلك» الهمزة فى «أما» يحتمل أن تكون للإنكار أى أنكر، وما على ضرر من ذلك، أو للنداء ؟ والمنادى بعض القوم، أى يا فلان ليس على من ذلك ضرر، ويحتمل التنبيه أى على بياز ذلك. قوله: «فلما قام تبعه رجل

---

(١) المائدة: ١١٦.　　(٢) سبأ: ١٣.

* قوله: إن النفس لا تطلق على الله تعالى تحكم يعارضه الدليل الصحيح الظاهر من كتاب الله تعالى، ودعوى المجاز والمشاكلة لا تثبت إلا إذا استحال الحمل على الحقيقة، وهو غير مستحيل مع انتفاء التشبيه والمماثلة.

علمتَ الوَفاةَ خيرًا لي، اللهُمَّ وأسألُكَ خَشيتَكَ في الغَيبِ والشَّهادة، وأسألُكَ كلمةَ الحَقِّ في الرِّضى والغضَب، وأسألُكَ القَصْدَ فى الفقر والغنى، وأسألُكَ نعيمًا لاينفَدُ، وأسألُكَ قُرَّةَ عَينٍ لاتنقَطِعُ، وأسألُكَ الرِّضى بعدَ القَضاء، وأسألُكَ بَرْدَ العَيشِ بعدَ المَوت، وأسألكَ لذَّةَ النَّظرِ إلى وجهكَ، والشَّوْقَ إلى لقائكَ في غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّة، ولافتنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهُمَّ زينَّا بزينَةِ الإيمانِ، واجعَلنا هُداةً مهدِيينَ». رواه النسائي. [٢٤٩٧]

من القوم» إلى هاهنا قول السائل، وقوله: «هو أى» إلى آخره قول عطاء، أى قال السائب: لما قام عمار تبعه رجل، والرجل هو السائب، كنى عن نفسه بالرجل ، وهذا الرجل هو المراد من قول عطاء «هو أبى» وتقدير الاستثناء أنه لم يصرح السائب باسمه إلا أنه كنى عن نفسه بالرجل. وقوله: «فسأله» أى فسأل عمارًا، ثم جاء الرجل وهو السائب، فأخبر بالدعاء القوم.

قوله: «بعلمك» الباء للاستعطاف، أى أنشدك بحق علمك. وقوله: «وأسألك خشيتك» عطف على هذا المحذوف، و«اللهم» معترضة. والمراد بـ «الخشية» فى الغيب والشهادة إظهارها فى السر والعلانية، وكذلك معنى الرضى، أى فى حالة رضى الخلق وغضبهم. قوله: «قرة عين لاتنقطع» يحتمل أنه طلب نسلا لا ينقطع بعده، قال تعالى: ﴿هب لنا من أزواجنا وذُرياتنا قرة أعين﴾ (١) أو طلب محافظة الصلوات والإدامة عليها، كما ورد «وجعلت قرة عينى فى الصلاة». قوله «لذة النظر» قيد «النظر» باللذة؛ لأن النظر إلى الله إما نظر هيبة وجلال فى عرصات القيامة، وإما نظر لطف وجمال فى الجنة؛ ليؤذن بأن المطلوب هذا. قوله «فى غير ضرّاء مضرة» متعلق الظرف مشكل، ولعله متصل بالقرينة الأخيرة، وهى قوله: «والشوق إلى لقائك» سأل شوقًا إلى الله تعالى فى الدنيا بحيث يكون ضراء غير مضرة أى شوقًا لايؤثر فى سيرى وسلوكى وإن ضرنى مضرة ما، قال:

إذا قلت: أهدى الهجر لى حلل البلاء	تقولين: لولا الهجر لم يطلب الحب
وإن قلت: كربى دائم، قلت: إنما	يعد محبًا من يدوم له كرب

ويجوز أن يتصل بقوله «أحينى ما علمت الحياة خيرًا لى». ومعنى «ضراء مضرة» الضر الذي لم يصبر عليه، كما ورد فى قوله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن – إلى قوله – إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له». قوله: «هداة مهديين» وصف الهداة بالمهديين؛ لأن الهادى إذا لم يكن مهتديًا فى نفسه لم يصلح أن يكون هاديًا لغيره؛ لأنه يوقع الخلق فى الضلال من حيث لايشعر.

[٢٤٩٧] إسناده جيد.

(١) الفرقان: ٧٤

٢٤٩٨ - * وعن أُمِّ سلَمةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يقولُ في دُبُرِ صلاةِ الفجرِ: «اللهُمَّ إني أسأَلُكَ علمًا نافعًا، وعمَلاً مُتقَبَّلاً، ورِزْقًا طيبًا». رواه أحمد، وابن ماجه، والبيهقي في «الدَّعوات الكبير».

٢٤٩٩ - * وعن أبي هريرةَ، قال: دُعاءٌ حفظتُه منْ رسولِ الله ﷺ لا أدَعُه: «اللهُمَّ اجعَلني أُعظِمُ شُكرَكَ، وأُكثِرُ ذِكركَ، وأَتَّبِعُ نُصحَكَ، وأحفَظُ وصيَّتَكَ». رواه الترمذيُّ. [٢٤٩٩]

٢٥٠٠ - * وعن عبدِالله بنِ عمرو، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ إني أسأَلُكَ الصحَّةَ، والعفَّةَ، والأَمانةَ، وحسْنَ الخُلُقِ، والرِّضى بالقَدَر». [٢٥٠٠]

٢٥٠١- * وعن أمِّ مَعْبد. قالتْ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «اللهُمَّ طهرْ قلبي من النفاقِ، وعمَلي من الرِّياء، ولساني منَ الكـذِبِ، وعيني منَ الخيانةِ، فإنَّكَ تَعلَمُ خائنةَ الأعيُنِ وما تُخْفي الصُّدورُ». رواهما البيهقي في «الدعواتِ الكبير». [٢٥٠١]

الحديث الرابع عن أم سلمة رضى الله عنها: قوله: «علما نافعًا» كان من الظاهر أن يقدم الرزق الحلال على العلم؛ لأن الرزق إذا لم يكن حلالا لم يكن العلم نافعًا، والعمل إذا لم يكن من علم نافع لم يكن متقبلا. قلت: أخره ليؤذن بأن العلم والعمل إنما يعتد بهما ويقعان موقعهما، إذا كانا مؤسسين على الرزق الحلال، وهي المرتبة العليا والمطلوب الأسنى، ولو قدم لم يكن بذلك، كما إذا سألت عن رجل قيل لك: هو عالم عامل، فقلت: من أين معاشه؟ فقيل لك: من إدرار السلطان، استنكفت منه، ولم تعتبر علمه وعمله، وجعلتهما هباء منثورًا.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «دعاء» مبتدأ موصوف، خبره «لا أدعه» وفي هذا التركيب من اللطف ما لايخفى على الذكى. قوله: «اجعلنى» بمعنى صيرنى، ولذلك أتى بالمفعول الثانى فعلا؛ لأنه صار من دواخل المبتدأ والخبر، نحوه قوله تعالى: ﴿وتركهم فى ظلمات﴾[1] إذا جعل «ترك» بمعى صار، و«النصح» يجرى فى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، قال تعالى: ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾[2] والنصح والوصية فى الحديث متقاربان.

الحديث السادس والسابع عن أم معبد: قوله: «خائنة الأعين» ـ الكشاف ـ: «الخائنة» صفة

[٢٤٩٩] انظر مسند أحمد (٢/ ٣١١).

[٢٥٠٠] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٢٨٩).

[٢٥٠١] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٣٠٧).

(١) البقرة: ١٧

(٢) الأعراف: : ٧٩.

٢٥٠٢ - * وعن أنسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ عادَ رجلاً منَ المسلمينَ قدْ خَفَتَ، فصارَ مثلَ الفَرْخِ. فقال له رسولُ الله ﷺ: «هلْ كنتَ تَدعُو الله بشيء أوْ تسألُه إيَّاه؟». قال نعمْ، كنتُ أقولُ: اللهُمَّ ما كنتَ مُعاقبي به في الآخرةِ فعجلْه لي في الدُّنيا. فقال رسولُ الله ﷺ: «سبحانَ الله! لاتُطيقُه ولاتستَطيعُه؛ أفَلا قُلتَ: اللهُمَّ آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً، وقِنا عذابَ النَّارِ؟» قال: فدَعا اللهَ به، فشفاهُ الله. رواه مسلم.

٢٥٠٣ - * وعن حُذيفةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاينبَغي للمُؤمنِ أنْ يُذلَّ نفسَه». قالوا: وكيفَ يُذِلُّ نفسَه؟ قال: «يتعرَّضُ منَ البَلاءِ لما لا يُطيقُ». رواه الترمذيُّ، وابن ماجه، والبيهقي في «شعب الإيمان». وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريب. [٢٥٠٣]

لـ«النظرة»، أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعى المعافاة، والمراد استراق النظر إلى ما لايحل كما يفعل أهل الريب، ولايحسن أن يراد الخائنة من الأعين؛ لأن قوله: «وما تخفى الصدور» لايساعد عليه. أقول: يريد أنه لايجوز أن يجعل الإضافة محضة، بل يكون إضافة العامل إلى معموله؛ ليناسب قرينته فى العمل، كأنه قيل: تعلم نظرة الأعين وخيانتها، وما تخفى الصدور. وفيه بحث؛ لأن تقلب القلب أكثر تجدداً واستمراراً من خيانة العين، فوجب الاختلاف، نحوه قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ [1] رداً لقولهم: ﴿إنما نحن مستهزؤن﴾ [2] حيث قوبلت الجملة الاسمية المحضة بما يشتمل على الفعل المضارع.

الحديث الثامن عن أنس رضى الله عنه: قوله: «قد خفت» أى ضعف، خفت الصوت إذا ضعف وسكن. قوله: «أو تسأله إياه» الظاهر أن «أو» ليس من شك الراوى، بل هو من قوله ﷺ، سأله أولا هل دعوت الله بشئ من الأدعية التى تسأل فيها مكروهاً؟ أو هل سألت الله البلاء الذى أنت فيه؟ وعلى هذا تعين عود الضمير المنصوب إلى البلاء المفهوم من قوله: «قد خفت» فيكون قد عم أولاً وخص ثانيًا. قوله: «ما كنت» «ما» يجوز أن تكون شرطية، و«فجعله» جزاؤه، أو موصولة. وقوله: «فعجله» خبره و«الفاء» لتضمنها معنى الشرط. وقوله: «لاتطيقه» بعد ما صار الرجل كالفرخ، وبعد قوله «كنت أقول» لحكاية الحال الماضية المستمرة إلى الحال والاستقبال.

الحديث التاسع عن حذيفة رضى الله عنه: قوله: «لما يطيق» متعلق بقوله: «يتعرض» و«من البلاء» بيان «ما».

[٢٥٠٣] صحيح، انظر صحيح الترمذى (١٨٣٨).

(١) البقرة: ١٥ (٢) البقرة: ١٤

٢٥٠٤ - * وعن عُمرَ رضي اللهُ عنه، قال: علَّمني رسولُ الله ﷺ قال: «قُلْ: اللهُمَّ اجعَلْ سريرَتي خيرًا منْ عَلانِيَتي، واجعَلْ علانيَتي صالحةً، اللهُمَّ إِني أسألُكَ منْ صالحِ ماتُؤْتي النَّاسَ منَ الأهلِ والمالِ والوَلَدِ غيرَ الضَّالِّ ولا المُضِلِّ». رواه الترمذيُّ. [٢٥٠٤]

كتاب المناسك

الفصل الأول

٢٥٠٥ - * عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ فقال: «يا أيُّها النَّاسُ! قد فُرِضَ عليكم الحَجُّ فحُجُّوا» فقال رجلٌ أكُلَّ عامٍ يارسول الله؟ فسكَتَ حتى قالَها

الحديث العاشر عن عمر رضى الله عنه قوله: «قل: اللهم» بيان لقوله: «علمنى». قوله: «سريرتى خيرًا» الجوهرى: السر الذى يكتم، والجمع الأسرار، والسريرة مثله، طلب أولا سريرة خيرًا من العلانية، ثم عقبه بطلب علانية صالحة؛ لدفع توهم أن السريرة ربما تكون خيرًا من علانية غير صالحة. قوله: «من صالح» «من» زائدة على مذهب الأخفش، و«من» الثانية بيان «ما» ويجوز أن يكون بمعنى البعض. وقوله: «غير الضال» مجرور بدل من كل واحد من الأهل، والمال، والولد على سبيل البدل، والضال ها هنا يحتمل أن يكون للنسبة، أى غير ذى ضلال. والله أعلم بالصواب.

كتاب المناسك

النسك العبادة، والناسك العابد، واختص بأعمال الحج والمناسك مواقف النسك وأعمالها، والنسيكة مختصة بالذبيحة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «عليكم الحج» «قض»: الحج فى اللغة القصد، وفى الشرع قصد البيت على الوجه المخصوص فى الزمان المخصوص، وهو شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة. «فقال رجل» يعنى الأقرع بن حابس: «أكل عام» أى أتأمرنا أن نحج كل عام؟ وهذا يدل على أن مجرد الأمر لا يفيد التكرار، ولا المرة، وإلا لما صح الاستفهام. وإنما سكت ﷺ حتى قالها ثلاثا زجرًا له عن السؤال، فإن التقدم بين يدى رسول الله ﷺ منهي عنه لقوله تعالى: ﴿لاتقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ (1)؛ لأنه ﷺ مبعوث لبيان

[٢٥٠٤] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٤١٠١).

(1) الحجرات: ١

ثلاثًا. فقال: «لو قلتُ: نعم لوَجبَتْ ولما استَطعتُم» ثمَّ قال: ذَروني ما تركتُكم، فإنما

الشرائع، وتبليغ الأحكام، فلو وجب الحج كل سنة لبينه الرسول صلوات الله عليه لامحالة، ولايقتصر على الأمر به مطلقا، سواء سئل عنه أو لم يسأل، فيكون السؤال استعجالا ضائعًا. ثم لما رأى أنه لاينزجر به ولا يقنع إلا بالجواب الصريح، أجاب عنه بقوله: «ولو قلت نعم لوجبت كل عام حجة» فأفاد به أنه لايجب كل عام، لما في «لو» من الدلالة على انتفاء الشئ لانتفاء غيره، وأنه إنما لم يتكرر؛ لما فيه من الحرج، والكلفة الشاقة. ونبه على أن العاقل ينبغي له أن لايستقبل الكلف الخارجة عن وسعه، وأن لايسأل عن شيء إن يبد له أساءه.

واحتج بهذا الحديث من جوز تفويض الحكم إلى رأي النبي ﷺ، فيقول الله له: احكم بما شئت، فإنك لاتحكم إلا بالصواب، فإن قوله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت» يدل على أنه كان إليه إيجاب ما شاء. وهو ضعيف؛ لأن قوله: «لو قلت» أعم من أن يكون قولا من تلقاء نفسه أو من وحي نازل ، أو رأي يراه إن جوزنا له الاجتهاد، والدال على الأعم لايدل على الأخص، لكنه يدل على أن الأمر للوجوب؛ لأن قوله: «لو قلت نعم لوجبت» تقديره: لو قلت: نعم حجوا كل سنة، لوجبت كل عام حجة. وذلك إنما يصح إذا كان الأمر مقتضيا للوجوب.

أقول: والاستدلال بسؤال الرجل على أن الأمر لايفيد التكرار ولا المرة ضعيف؛ لأن الإنكار وارد على السؤال الذى لم يقع موقعه، ولهذا زجره، وقال: «ذروني ما تركتكم» فعم الخطاب يعنى اقتصروا على ما أمرتكم، فأتوا به على قدر استطاعتكم. وكذا قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ (١) نازل فى هذا الشأن، فقد علم أن الرجل لو لم يسأل لم يفد الأمر غير المرة، وأن التكرار مفتقر إلى دليل خارجي. وفى قوله «لو قلت نعم»، أيضًا بحث؛ لأن القول إذا صرح به يجب أن يجرى على حقيقته إلا إذا منع مانع، فيجرى على المجاز. لنا قوله ﷺ: «أيحسب أحدكم أن يكون متكئا على أريكته، يظن أن الله تعالى لم يحرم شيئًا إلا ما فى هذا القرآن، الا إنى والله قد أمرت، ووعظت، ونهيت عن أشياء، إنها لمثل القرآن أو أكثر» رواه عرباض. وفى حديث مقدام «إنما حرم رسول الله كما حرم الله » **وفي تسميته ﷺ نفسه رسول الله إشعار باستقلاله فى الأمر والنهى**، وكذلك القسم فى الحديث الأول مؤذن بالغضب الشديد على المنكر ووصفه بالاتكاء على الأريكة شبعان من هذا القبيل. وفى قوله: «لما استطعتم» إشارة إلى أن بناء الأمر على اليسر والسهولة، لا العسر والصعوبة، كما ظن السائل.

قوله «ذروني ما تركتكم» «مح»: فيه دليل على أن الأصل عدم الوجوب، وأنه لا تكليف قبل ورود الشرع؛ لقوله تعالى: ﴿**وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾(٢).

---

(١) المائدة: ١٠١ (١) الإسراء: ١٥

هَلَكَ منْ كانَ قبلكم بكثرةِ سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منهُ ما استَطعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيء فدَعُوه». رواه مسلم.

٢٥٠٦ - * وعنه، قال: سُئِلَ رسولُ الله ، : أيّ العملِ أفضلُ؟ قال: «إيمانٌ بالله ورسوله» قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «الجهادُ في سبيل الله». قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «حَجٌّ مبرورٌ». متفق عليه.

٢٥٠٧- * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «منْ حَجَّ لله فلم يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رجعَ كيومَ ولدَتْهُ أُمُّه». متفق عليه.

وقوله: «فإذا أمرتكم بشيءفأتوا به ما استطعتم» من أجلّ قواعد الإسلام، ومن جوامع الكلم؛ لما يدخل فيه ما لايحصى من الأحكام، كالصلاة بأنواعها، فإنه إذا عجز عن بعض أركانها، أو شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن غسل بعض أعضاء الوضوء أو الغسل، غسل الممكن، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة، فعل ما يمكن، وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن، وأشباهها غير محصور.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «أى العمل أفضل» قد ورد كثير من أحاديث المفاضلة بين الأعمال على منوال يشكل التوفيق بينها، والوجه فى أول كتاب الصلاة. قوله: «حج مبرور» يقال: بره أحسن إليه، فهو مبرور، ثم قيل: بر الله عمله إذا قبله، كأنه أحسن إلى عمله بأن قبله ولم يرده، وعلامة كونه مقبولا الإتيان بجميع أركانه وواجباته، مع إخلاص النية واجتناب مانهى عنه.

قوله«إيمان بالله ، والجهاد، وحج مبرور» أخبار مبتدأ محذوف، نكر الإيمان؛ ليشعر بالتعظيم والتفخيم، أى التصديق المقارن بالإخلاص المستتبع للأعمال الصالحة. وعرف «الجهاد» ليدل على الكمال، لأن الخبر المعرف باللام يدل على الاختصاص، كما قال: «فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» ووصف «الحج» بـ «المبرور» ليدلى بما يدلى التنكير فى الإيمان، والتعريف فى الجهاد. فإن قلت: لم لايحملها على الابتداء محذوفة الأخبار؟ قلت؛يأبى التنكير فى الإيمان ذلك،على أن المقدر فى الكل أفضل الأعمال، وهو أعرف من «حج مبرور» ومن «إيمان بالله»، فأجرى الجهاد مجراهما مراعاة للتناسب.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «فلم يرفث» «نه» : الرفث التصريح بذكر الجماع، والإعراب به. وقال الأزهرى: هو كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة.

٢٥٠٨ - * - وعنه ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العمرةُ إلى العمرة كفَّارةٌ لِما بينَهما، والحجُّ المبرور ليس لهُ جزاءٌ إلا الجنَّةُ». متفق عليه.

٢٥٠٩ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ عُمرةً في رمضانَ تَعْدِلُ حَجَّةً». متفق عليه.

٢٥١٠ - * وعنه، قال: إنَّ النبيَّ ﷺ لقيَ رَكْبًا بالرَّوحاء، فقال: «من القومُ؟» قالوا: المسلمونَ. فقالوا: مَنْ أنتَ؟ قال: «رسولُ الله» فرَفَعَتْ إليهِ امرأةٌ صبيًّا فقالت: ألهذا حَجٌّ؟ قال: «نَعَمْ، ولكِ أجرٌ» رواه مسلم.

وقال سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ﴿فلارفث ولافسوق ولاجدال فى الحج﴾ (١): الرفث إتيان النساء، والفسوق السباب، والجدال المراء، يعنى مع الرفقاء والخدم والمكارين. وإنما لم يذكر الجدال فى الحديث اعتمادًا على الآية. «والفاء» فى «فلم يرفث» معطوف على الشرط، وجوابه «رجع» أى صار، والجار والمجرور خبر، ويجوز أن يكون حالاً، أى رجع مشابها لنفسه فى البراءة عن الذنوب فى يوم ولدته أمه.

الحديث الرابع والخامس عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «تعدل حجة» «مظ»: أى تقابل وتماثل فى الثواب؛ لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت. أقول: هذا من باب المبالغة*، وإلحاق الناقص بالكامل ترغيبا وبعثًا عليه، وإلا كيف يعدل ثواب العمرة ثواب الحج؟.

الحديث السادس عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله: «ركبا» «تو» هو جمع راكب، كصاحب وصحب، وهم العشرة فما فوقها من أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب، و«الروحاء» بفتح الراء من أعمال الفرع على نحو من أربعين ميلا من المدينة، وفى كتاب مسلم: أنها على ستة وثلاثين ميلا منها.

قوله: «ألهذا حج؟» «حج» فاعل الظرف لاعتماده على الهمزة، يعنى أيحصل لهذا ثواب حج؟ وما قالت: أعلى هذا؛ لأنه لايجب على الأطفال. «مظ»: هذا تصريح بصحة حج الصبى، وحصول الثواب له، ولمن حج به، فإذا بلغ ووجد الاستطاعة وجب عليه الحج، وكانت تلك الحجة نافلة.

الحديث السابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «شيخا» حال. وقوله: «لايثبت» يجوز أن يكون صفة بعد صفة، وأن يكون من الأحوال المتداخلة، ويجوز أن يكون «شيخًا»

---

(١) البقرة: ١٩٧.

* قوله: هذا من باب المبالغة فيه نظر، بل هو خلاف الظاهر، والأصل الحمل على الحقيقة إلا مع الاستحالة، ولا استحالة، فالله يضاعف الثواب لمن يشاء وقتما يشاء، لا سيما إذا ما التزم العبد بالعبادة موضوع الثواب فى الوقت الذى يحبه الله، فلا يبعد ذلك الأجر، مع ماورد فى فضيلة هذا الشهر المعظم.

٢٥١١ - وعنه، قال: إنَّ امرأةً من خَثعمَ قالت: يارسولَ الله! إنَّ فريضةَ الله على عبادِه في الحجِ أدركتْ أبي شيخًا كبيرًا لا يثْبُتُ على الرَّاحلةِ، أفأَحُجُّ عنه، قال: «نعم»وذلك في حَجَّةِ الوداعِ. متفق عليه.

٢٥١٢ - * وعنه قال: أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال: إنَّ أختي نذَرتْ أن تحُجَّ، وإنها ماتتْ. فقال النبيُّ ﷺ: «لو كانَ عليها دَينٌ أكنتَ قاضيَهُ؟» قال: نعم قال: «فاقضِ دَيْنَ اللهِ؛ فهو أحقُّ بالقضاءِ». متفق عليه.

٢٥١٣ -* وعنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لا يخلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تُسافرَنَّ

بدلا؛ لكونه موصوفا أى وجب عليه الحج بأن أسلم وهو شيخ كبير، أو حصل له المال فى هذه الحالة. والأول أوجه. قوله: «أفأحجعنه» الفاء الداخلة عليها الهمزة معطوفة على محذوف ، أى:أيصح منى أن أكون نائبة له فأحج عنه؟ «حس»: فيه دليل على أن حج المرأة عن الرجل يجوز، وزعم بعضهم أنه لايجوز؛ لأن المرأة تلبس فى الإحرام ما لا يلبسه الرجل، فلا يحج عنه إلا رجل مثله. وفيه دليل على أن من مات، وفى ذمتهحقالله تعالى من حج، أو كفارة، أو نذر صدقة، أو زكاة فإنه يجب* قضاؤها من رأس ماله مقدمًا على الوصايا والميراث، سواء أوصى به أو لم يوص، كما يقضى عنه ديون العباد.

قوله: «وذلك فى حجة الوداع» أى جرى فى حجة الوداع. «مح»: سميت بذلك، لأن النبى ﷺ ودع الناس فيها، ولم يحج بعد الهجرة غيرها، وكانت سنة عشرة من الهجرة. وفى صدر الحديث «كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يارسول الله ! إن فريضة الله» الحديث وفيه فوائد منها، جواز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة، وجواز سماع صوت الأجنبية عند الحاجة، ومنها تحريم النظر إلى الأجنبية. ومنها إزالة المنكر باليد لمن أمكنه.

الحديث الثامن عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «لو كان عليها دين» فى الحديث دليل على أن السائل ورث منها مالاً، فسأل ما سأل، فقاس رسول الله ﷺ حق الله تعالى على حق العباد، وأوجب الحج عليه، والجامع علة المالية.

الحديث التاسع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «اكتتبت» «تو» : أى أثبت اسمى

---

* فى «ك» «يصح».

امرأةٌ إلا ومعها محرمٌ». فقال رجلٌ: يارسولَ الله ! اكتُتِبتُ في غزوة كذا وكذا، وخرَجَتِ امرأتي حاجَّةً. قال: «اذهبْ فاحجُجْ مع امرأتكَ» متفق عليه.

٢٥١٤- * وعن عائشةَ، قال: استأذنتُ النبيَّ ﷺ في الجهادِ. فقال: «جهادُك الحجّ». متفق عليه.

٢٥١٥- * وعن أبي هريرةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لاتسافرُ امرأةٌ مسيرةَ يومٍ وليلةٍ إلا ومعها ذو محْرَمٍ» متفق عليه.

في جملة من يخرج فيها، من قولهم: اكتتب الرجل، إذا كتب نفسه فى ديوان السلطان، ويستعمل أيضًا فى موضع كتب. وهو فى الأكثر متعارف في المختلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها﴾*(١). وقيل: اكتتب أى أمر بان يكتب له، كقولهم: اصطنع خاتما، أى أمر بأن يصنع له، وفى الغريبين يقال: اكتتب فلان، أى سأل أن يكتب فى جملة الزمنى، ولاينتدب للجهاد، وإذا أخذ الرجل من أمير جنده خطًّا بزمانته ليتخلف عن الغزو، ولازمانة به، بل فعل ذلك اعتلالا، فقد اكتتبه.

أقول: الوجه هو الأول، فإن الصحابى جاء مستفتيًا سائلاً عن أحد الأمرين اللازمين عليه فأفتاه النبى ﷺ بما هو أولى. «مح»: فى الجواب تقديم الأهم من الأمور المتعارضة؛ لأنه لما عرض له الغزو والحج رجح ﷺ الحج معها؛ لأن الغزو يقوم غيره فيه مقامه، بخلاف الحج معها، وليس لها محرم غيره.

الحديث العاشر والحادى عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه قوله: «ذو محرم» «مح»: حقيقة المحرم من النساء التى يجوز النظر إليها والخلوة بها والمسافرة معها، كل من حرم نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها، فقولنا: «على التأبيد» احتراز من أخت المرأة ،وعمتها، وخالتها، ونحوهن. وقولنا: «بسبب مباح» احتراز من أم الموطوءة بشبهة وبنتها، فإنهما محرمتان على التأبيد وليستا محرمين؛ لأن وطء الشبهة لايوصف بالإباحة؛ لأنه ليس بفعل المكلف. وقولنا: «لحرمتها» احتراز من الملاعنة؛ فإنها محرمة على التأبيد بسبب مباح، وليست محرمة؛ لأن تحريمها ليس لحرمتها بل عقوبة وتغليظًا.

وليس المراد من قوله: «مسيرة يوم وليلة» التحديد؛ لأن كل ما يسمى سفرًا نهى المرأة أن تسافر فيه بغير محرم ؛ لرواية ابن عباس المطلقة: «لاتسافر امرأة إلا مع ذى محرم» وإنما كان ذلك عن أمر واقع، فلا يعمل بالمفهوم . وقال: لايشترط الأمن على نفسها، ويشترط* الأمن بزوج، أو محرم، أو نسوة ثقات، فلو وجدت امرأة واحدة ثقة لم تلزمها، لكن يجوز لها الحج

---

(١) الفرقان: ٥.

* فى (ط) (ويحصل) والتصويب من (ك).

٢٥١٦- * وعن ابن عبَّاسٍ، قال: وقَّتَ رسولُ الله ﷺ لأهلِ المدينة: ذا الحُليفة، ولأهل الشامِ: الجحفةَ ، ولأهل نجد: قَرْنَ المنازل، ولأهل اليمنِ: يَلَملَمَ؛ فهُنَّ لهُنَّ، ولمَنْ أتى عليهنَّ من غيرِ أهلِهنَّ لمنْ كانَ يريدُ الحجَّ والعمرةَ، فمنْ كانَ دونَهنَّ فَمُهلُّهُ من أهلِه، وكذاك وكذاكَ، حتى أهلُ مكةَ يُهِلُّونَ منها. متفق عليه.

معها، هذا هو الصحيح. قال القاضي عياض: اتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج فى غير الحج والعمرة إلا مع ذى محرم إلا الهجرة من دار الحرب؛ لأن إقامتها فى دار الكفر حرام إذا لم تستطع إظهار الدين، سواء فيما ذكرنا من الأحكام الشابة والكبيرة؛ لأن المرأة مظنة للشهوة، والطمع فيها؛ لأن لكل ساقطة لاقطة.

الحديث الثانى عشر عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «وقت» «قض»: الوقت فى الأصل حد الشيء والتأقيت التحديد والتعيين، غير أن التركيب شاع فى الزمان، وها هنا جاء على أصله. والمعنى حد رسول الله ﷺ وعين لأهل المدينة ذا الحليفة، وهو ماء من مياه بنى جشم، وحليفة تصغير حلفة كقصبة، وهى بيت فى الماء،وجمعها حلفاء. و«جحفة» موضع بين مكة والمدينة من الجانب الشامي، تحاذي ذي الحليفة، وكان اسمه مهيعة، فأجحف السيل بأهلها، فسميت جحفة، يقال: أجحف به إذا ذهب به. وسيل جُحاف - بالضم- إذا جرف الأرض وذهب به. و«قرن» - بسكون الراء - جبل مدور أملس، كأنه بيضة مطل على عرفات. و«يلملم» جبل من جبال تهامة على ليلتين من مكة. و«المهل» موضع الإهلال يريد به الموضع الذى يحرم منه؛ فيرفع فيه صوته بالتلبية للإحرام. وقوله: «حتى أهل مكة يهلون منها» يدل على أن المكى ميقاته نفس مكة، سواء أحرم بحج أوعمرة، والمذهب أن المعتمر يخرج إلى أدنى الحل، فيعتمر منه؛ لأن النبى ﷺ أمر عائشة لما أرادت أن تعتمر بعد التحلل من الحج بأن تخرج إلى الحل فتحرم، والحديث مخصوص بالحج.

قوله: «فهن لهن» أى هذه المواقيت لأهلهن على حذف المضاف، ويدل على خصوصية المضاف المحذوف، قوله بعده: «ولمن أتى عليهن من غير أهلهن». «مح»: وقع عند بعض رواة البخارى ومسلم «فهن لهم»، وكذا عندأبى داود وغيره. وقوله: «من أتى عليهن من غير أهلهن» معناه أن الشامى مثلا إذا مر بميقات أهل المدينة فى ذهابه، لزمه أن يحرم من ميقات المدينة، ولايجوز له التأخير إلى ميقات الشام. وفى قوله: «من أراد الحج والعمرة» دلالة على المذهب الصحيح أى من مرَّ بالميقات لايريد حجًّا ولاعمرة لايلزمه الإحرام لدخول مكة. وفيه دلالة على أن الحج على التراخى لا على الفور. وقال أصحابنا: يجوز للمكى ومن ورد من الآفاق أن يحرم من جميع نواحى مكة بحيث لايخرج عن نفس المدينة وسورها، وفى الأفضل قولان، أصحهما من باب داره، والثانى من المسجد الحرام تحت الميزاب.

٢٥١٧ - * وعن جابرٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «مُهَلُّ أهلِ المدينةِ مِنْ ذي الحُليفةِ، والطريقُ الآخرُ الجحفةُ، ومُهَلُّ أهلِ العراقِ منْ ذاتِ عِرْقٍ، ومُهلُّ أهلِ نجدٍ قَرْنٌ، ومُهَلُّ أهلِ اليمن يَلَمْلَمُ» رواه مسلم.

٢٥١٨ - * وعن أنسٍ، قال: اعتمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أربعَ عمرٍ كلُّهُنَّ في ذي القَعدةِ، إلا التي كانتْ مع حجَّتِه: عمرةً من الحديبية في ذي القَعْدَة، وعمرةً من العامِ المقبلِ في ذي القَعْدةِ، وعمْرةً من الجعِرَّانةِ حيثُ قَسَمَ غنائمَ حنينٍ في ذي القَعْدة، وُعمرةً مع حَجَّتِه» متفق عليه.

٢٥١٩- (١٥)وعن البراءِ بنِ عازبٍ، قال: اعتمر رسولُ الله ﷺ في ذي القَعدةِ قبل أنْ يَحُجَّ مرّتين. رواه البخاري.

الفصل الثاني

٢٥٢٠ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يا أيُّها الناسُ! إنَّ الله كتَبَ عليكم الحَجَّ». فقامَ الأقرعُ بنُ حابسٍ فقال: أفي كلِّ عامٍ يارسولَ الله؟ قال:

الحديث الثالث عشر عن جابر رضى الله عنه: قوله: «والطريق الآخر» مرفوع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أى مهل الطريق الآخر الجحفة. «تو»: «مهل» - بضم الميم وفتح الهاء - الموضع الذى وقت للإهلال منه، و«ذات عرق» موضع سمى بذلك؛ لأن هناك عرقًا، وهو الجبل الصغير، والعراق بلاد تذكر وتؤنث. قيل: إنما يقال لها:العراق؛ لوقوعها على شاطئ دجلة والفرات، والعراق شاطئ البحر والنهر. «مح»: اختلفوا فى أن ذات العرق هل صار ميقاتًا بتوقيت النبي ﷺ، أو باجتهاد عمر رضى الله عنه؟ والصحيح الثانى، نص الشافعى عليه فى الأم.

الحديث الرابع والخامس عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «اعتمر» «غب»: العمرة الزيارة التى فيها عمارة الود، وجعل فى الشريعة للقصد المخصوص. قوله: «من الحديبية» «مح» الحديبية: فيها لغتان، تخفيف الياء وتشديدها،والتخفيف هو الصحيح المختار، وهو قول الشافعى، وأهل اللغة، وبعض المحدثين، والتشديد قول الكسائى ، وابن وهب، وجماهير المحدثين.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما: قوله: «الحج مرة» «مرة» خبر المبتدأ أى واحدة، فإن زاد فهو تطوع.

«لو قلتُها: نعم لوَجَبَتْ، ولو وجَبَتْ لم تَعْملُوا بها، ولم تستطيعُوا، والحجُّ مرَّة، فمَنْ زادَ فتَطوَّعٌ». رواه أحمد، والنسائي، والدارمي.[٢٥٢٠]

٢٥٢١ - * وعن علي [رضي اللهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ ملَكَ زادًا وراحلَةً تُبلِّغُه إلى بيتِ الله ولمْ يَحُجَّ؛ فلا عليه أنْ يموتَ يَهوديًا أوْ نصرانيًا، وذلك أنَّ الله تباركَ وتعالى يقولُ: ﴿ولله على النَّاسِ حجُّ البيتِ منِ استَطاعَ إليه سبيلاً﴾». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، وفي إسناده مقالٌ، وهلالُ بنُ عبدِالله مجهولٌ، والحارثُ يضعَّفُ في الحديث.[٢٥٢١]

٢٥٢٢ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا صَرُورَةَ في الإسلامِ». رواه أبو داود.[٢٥٢٢]

الحديث الثاني عن على رضي الله عنه: قوله: «تبلغه» «قض»: إنما وحد الضمير الذى فى «تبلغه» والمرجع إليه شيئان؛ لأنهما فى معنى الاستطاعة، والمعتبر هو المجموع. ويجوز أن يكون الضمير للراحلة، ويكون تقييدها غنية عن تقييد الزاد. وقوله: «فلا عليه» أى لاتفاوت عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا. والمعنى: أن وفاته على هذه الحالة، ووفاته على اليهودية والنصرانية سواء فيما فعله من كفران نعم الله، وترك ما أمر به والانهماك في معصيته، وهو من باب المبالغة والتشديد، والإيذان بعظمة شأن الحج. ونظيره قوله تعالى: **﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾**(١) فإنه وضع فيه «ومن كفر» موضع «ومن لم يحج» تعظيمًا للحج، وتغليظًا على تاركه.

قوله: «وفى إسناده مقال» «تو» : وقد روى أيضًا معناه عن أبى أمامة، **والحديث إذا روي من غير وجه وإن كان ضعيفا غلب على الظنون كونه حقا**. والله أعلم. أقول: قوله: «على اليهودية والنصرانية» إشارة إلى أن «أو» فى قوله: «أو نصرانيًا» بمعنى الواو، كما فى قوله تعالى: **﴿عذرا أو نذرا﴾** (٢) فيكون التخيير واقعًا بين كونه مؤمنًا، وبين كونه كافرا، ليكون على وزان قوله تعالى **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** (٣) فى التهديد والتغليظ، لأن التخيير فى مثل هذا ينبغى أن يكون بين الضدين. وعلى هذا يكون أصل التركيب: فلا بأس عليه أن يموت مؤمنًا أو كافرًا.

الحديث الثالث عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «لاصرورة» -بالصاد المهملة- «نه»:

[٢٥٢٠] إسناده صحيح، انظر المستدرك- كتاب المناسك- (١/ ٤٤١) بنحوه.

[٢٥٢١] إسناده ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٨٧٢).

[٢٥٢٢] ضعيف ، انظر السلسلة الضعيفة (٦٨٥).

(١) آل عمران: ٧٩ . (٢) المرسلات : ٦٠. (٣) الكهف: ٢٩.

٢٥٢٣ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أرادَ الحجَّ فَلْيُعَجِّلْ» رواه أبو داود، والدارمي. [٢٥٢٣]

٢٥٢٤ - * وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تابِعوا بينَ الحجِ والعُمْرةِ، فإنَّهما ينفيان الفقرَ والذنوبَ كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد والذّهبِ والفضَّة، وليس للحَجَّةِ المَبرورَةِ ثوابٌ إلا الجنَّةَ» رواه الترمذي، والنسائي. [٢٥٢٤].

٢٥٢٥- * ورواه أحمد، وابن ماجه عنْ عمرَ إلى قوله: «خَبَثَ الحديدِ».

قال أبو عبيدة: هو فى الحديث التبتل وترك النكاح، أى ليس ينبغى لأحد أن يقول: لا أتزوج؛ لأنه ليس من أخلاق المؤمنين، وهو فعل الرهبان، والصرورة أيضًا الذى لم يحج قط، وأصله من الحبس والمنع. «قض»: وظاهر هذا الكلام أيضًا يدل على أن تارك الحج ليس بمسلم، والمراد منه أنه لاينبغى أن يكون فى الإسلام أحد يستطيع الحج ولايحج، فعبر عنه بهذه العبارة للتشديد والتغليظ.

الحديث الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «من أراد» أى قدر على أداء الحج؛ لأن الإرادة مبدأ الفعل، والفعل مسبوق بالقدرة، فأطلق أحد سببى الفعل، وأراد الآخر، والعلاقة هي الملابسة، لأن معنى «فليعجل» فليغتنم الفرصة إذا وجد الاستطاعة من القوت والزاد والراحلة، قبل أن يمنع مانع لم يقدر عليه. وروى: «حجوا قبل أن لاتحجوا، حجوا قبل أن يمنع البر جانبه». «مظ»: وهذا أمر استحباب، لأن تأخير الحج جائز من وقت وجوبه إلى آخر العمر.

الحديث الخامس عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «تابعوا» أى إذا حججتم فاعتمروا، أو إذا اعتمرتم فحجوا. وإزالته الفقر كزيادة الصدقة بالمال، **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل﴾** (١) الآية، مثل متابعة الحج والعمرة فى إزالة الذنوب بإزالة النار خبث الذهب الإبريز الذى استصحبه من معدنه؛ لأن الإنسان مركوز فى جبلته القوة الشهوانية والغضبية، يحتاج إلى رياضة تزيلها عنه، هذا إذا كان معصومًا، فكيف بمن تابع هوى النفس، خليع العذار، منهمكًا فى المعاصى؟ والحج جامع لأنواع الرياضات من إنفاق المال، وجهد النفس بالجوع والعطش والسهر، وقطع المهامه واقتحام المهالك، ومفارقة الأوطان، ومهاجرة الإخوان والأخدان.

[٢٥٢٣] حسن، انظر السلسلة الصحيحة (٦٠٠٣)، وصحيح أبي داود (١٥٢٤) بلفظ: «فَلْيتعجَّلْ».

[٢٥٢٤] قال الشيخ: إسناده حسن، والحديث صحيح.

(١) البقرة: ٢٦٥.

٢٥٢٦ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يارسولَ الله! ما يُوجِبُ الحجَّ؟ قال: «الزَّادُ والرَّاحلَةُ» رواه الترمذيّ، وابن ماجه. [٢٥٢٦]

٢٥٢٧ - * وعنه، قال: سألَ رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: ما الحاجُّ؟ فقال: «الشَّعثُ التَّفلُ». فقامَ آخرُ، فقـــال: يارسولَ الله! أيُّ الحـــجِّ أفضـلُ؟ قـــال: «العَجُّ والثَّجُّ». فقامَ آخرُ ، فقال: يارسول الله! ما السَّبيلُ؟ قال: «زادٌ وراحلَةٌ». رواه في «شرح السُّنَّةِ»، وروى ابن ماجه في «سننه» إلا أنه لم يذكر الفصل الأخير.[٢٥٢٧].

الحديث السادس والسابع عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «ما الحاج» «ما» **يسأل بها عن الجنس، أو عن الوصف**، والمراد الثانى لجوابه ﷺ: «الشعث التفل» الشعث: هو المغبر الرأس الذى لم يمتشط، و«التفل» أن لا يتطيب من تفل الشيء من فيه، إذا رمى به متكرها له. وإنما ذكر هذين الوصفين لما فيهما من المعنى البالغ فى سمت المحرم وهديه، ثم إنه ﷺ كان يجيب السائل على ما يعرفه من حاله، ويتوسم فيه من الأمارات الدالة على مقصده؛ فلعله أجاب بذلك بناءً على ماتبين له من مغزاه. «مظ»: إذا أحرم الرجل لايمتشط رأسه ولحيته، لئلا ينتف الشعر، فإن امتشط ولم ينتف الشعر فلا بأس، وإن نتف لزمه دم بثلاث شعرات أو أكثر. وفى شعره مد أو درهم على الخلاف، وكذا الشعرتان. وأما استعمال الطيب فحرام، ويجب فيه دم شاة.

قوله «أى الحج» «تو»: يعني أى أعمال الحج أفضل؟ حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وأراد بالحج رفع الصوت بالتلبية، وبالثج سيلان دم الهدي، ويحتمل أن يكون السؤال عن الحج نفسه، ويكون قوله: «العج والثج» أى الذى فيه العج والثج.

أقول : يمكن أن يراد بهما الاستيعاب، فابتدأ بالإحرام الذى هو الإهلال ، وانتهى بالتحليل الذى هو إهراق دم الهدى، فاختصر اقتصارا بالمبدأ والمنتهى عن سائر الأعمال، ونحوه قوله تعالى ﴿**كما أرسلنا إلى فرعون رسولا- إلى قوله - فأخذناه أخذاً وبيلا**﴾ (١) فينطبق على هذا الجواب على السؤال، أى أفضل الحج ما استوعب فيه جميع أعماله من الأركان، والمندوبات وغيرهما. والتعريف فى «السبيل» للعهد، والمعهود المنكر فى قوله تعالى: ﴿**من استطاع إليه سبيلاً**﴾(٢) والفصل الأخير قوله: «فقام آخر قائلاً: ما السبيل؟».

[٢٥٢٦] ضعيف، انظر «إرواء الغليل» (٤/ ١٦٠) (٩٨٨) بنحوه.

[٢٥٢٧] حسن بشواهده.

(١) المزمل : ١٥-١٦.　　(٢) آل عمران: ٩٧.

٢٥٢٨ - * وعن أبي رزينٍ العُقيلي ، أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يارسولَ الله ! إنَّ أبي شيخ كبيرٌ لايستطيعُ الحجَّ ولا العُمرةَ ولا الظَّعْنَ. قال: «حُجَّ عنْ أبيكَ واعتَمِرْ». رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي. وقال الترمذيّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. [٢٥٢٨]

٢٥٢٩ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: إنَّ رسول الله ﷺ سمعَ رجلاً يقولُ: لبَّيكَ عن شُبْرُمَةَ. قال: «مَنْ شبرُمَةُ؟» قال: أخٌ لي أو قريبٌ لي. قال: «أحَجَجْتَ عنْ نفسِك؟» قال: لا. قال: «حُجَّ عنْ نفسِكَ ثمَّ حُجَّ عنْ شبُرمةَ». رواه الشافعي، وأبو داود، وابنُ ماجه. [٢٥٢٩].

٢٥٣٠ - * وعنه، قال: وقَّتَ رسولُ الله ﷺ لأهلِ المشرقِ العقيقَ. رواه الترمذي، وأبو داود.

الحديث الثامن والتاسع عن أبي رزين: قوله: «ولا الظعن» «تو»: «الظعن» - بفتح الظاء وسكون العين - الرحلة، وكذلك بالتحريك. وذكر ذلك على وجه البيان للحال التي انتهى إليها من كبر السن، أي لا يقوى على السير، ولا على الركوب. أقول: يمكن أن يكنى به عن القوة، ويراد بنفي الاستطاعة عدم الزاد والراحلة، كأنه قال: ليس له زاد ولا راحلة ولا قوة، بعد أن وجب عليه الحج. «مظ»: يحتمل أن يريد بقوله: «لايستطيع الحج والعمرة» الذهاب إليهما راجلاً، وبالظعن ركوب الدابة. «شف»: فيه دليل على جواز النيابة في الحج، وفي الحديث الآتي دليل على أن النيابة إنما تجوز بعد فرض الحج.

«حس»: سئل عبدالله بن أبي أوفى عن الرجل لم يحج يستعرض الحج؟ فقال: لا. وهو قول الأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق؛ لأن إحرام الصرورة عن غيره ينقلب عن فرض نفسه. وذهب قوم إلى أنه يجوز، وهو قول الحسن، وعطاء، ومالك، والثوري، وأصحاب أبي حنيفة. ومن تطوع أو نذر وعليه فرض الحج، فحج، يقع عن فرضه عند الشافعي رضي الله عنه، ثم بعده لو أحرم عن التطوع يقع عن النذر، وقال مالك وأصحاب أبي حنيفة: يقع عن التطوع، والفرض في ذمته، فإن حجه على ما نوى.

[٢٥٢٨] صحيح، انظر صحيح الجامع (٣١٢٧).

[٢٥٢٩] قال الشيخ: صحيح مرفوع.

[٢٥٣٠] منكر، انظر «إرواء الغليل» (٤/ ١٨٠) (١٠٠٢).

٢٥٣١ - * وعن عائشةَ، أنَّ رسول اللهِ ﷺ وقَّتَ لأهلِ العراقِ ذاتَ عِرْقٍ. رواه أبو داود، والنسائي. [٢٥٣١]

٢٥٣٢ - * وعن أُمِّ سلَمةَ، قالتْ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ أَهَلَّ بحَجَّةٍ أو عُمرَةٍ منَ المسجدِ الأقصى إلى المسجدِ الحرام؛ غُفِرَ له ما تقدَّمَ منْ ذَنْبِه وما تأخَّرَ، أوْ وَجبَتْ له الجنَّةُ» رواه أبو داود، وابنُ ماجه. [٢٥٣٢]

الفصل الثالث

٢٥٣٣ - * عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كانَ أهلُ اليمَنِ يَحُجُّونَ فلا يتزَوَّدونَ ويقولونَ:

الحديث العاشر والحادي عشر عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «ذات عرق» «قض»: هي موضع من شرقي مكة بينهما مرحلتان، يوازي قرن نجد، سمي بذلك؛ لأن هناك عرقًا، وهو الجبل الصغير. و«العقيق» موضع يقال: إنه قبيل ذات عرق، ويقال: إنه في حد ذات عرق من الطرف الأقصى، ولا اختلاف بين الحديثين، وفي صحة الحديثين مقال، والأصح عند الجمهور أن النبي ﷺ ما بين لأهل المشرق ميقاتا، وإنما حد لهم عمر رضي الله عنه حين فتح العراق، وهي بلاد من المشرق، إذ المراد منه ما يكون من شرقي مكة إلى آخر العمارات، وكان الشافعي يستحب للمشرقى عراقيًا كان أو غيره أن يحرم من العقيق جمعًا بين الحديثين، وتفصيا عن الخلاف، فإن تحديد المواقيت وتعيينها للمنع عن مجاوزتها بلا إحرام لا عن الإحرام قبل ورودها.

الحديث الثاني عشر عن أم سلمة رضي الله عنها: قوله: «غفر له»؛ لأنه لا إهلال أفضل وأعلى من ذلك؛ لأنه أهل من أفضل البقاع ثم مر بالأفضل، ثم انتهى إلى الأفضل، فلا غرو أن يعامل معاملة أفضل البشر ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾(١).

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنما: قوله: «فلا يتزودون» كان من الظاهر أن يقال: «ولا يتزودون» على الحال، فجيء بالفاء إرادة يقصدون الحج، ويجوز أن يكون «الفاء» للسببية على التعكيس، لأن قصد الحج سبب للتزود، فعكسوا كقوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾(٢). قوله: ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾(٣) أي تزودوا واتقوا الاستطعام، وإبرام الناس، والتثقيل عليهم، فإن خير الزاد التقوى.

[٢٥٣١] إسناده ضعيف.

[٢٥٣٢] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٥٠٢) بدون لفظ: «أو وجبت له الجنة».

(١) الفتح: ٢. (٢) الواقعة: ٨٢. (٣) البقرة: ١٩٧.

نحنُ المتوكِّلونَ، فإذا قدموا مكةَ سألوا النّاسَ. فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وتزوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوى﴾. رواه البخاري.

٢٥٣٤ - * وعن عائشةَ، قالتْ: قلتُ: يارسولَ الله! على النساءِ جِهادٌ؟ قال: «نعمْ، عليهِنَّ جِهادٌ لاقِتالَ فيهِ: الحجُّ والعُمرةُ» رواه ابن ماجه. [٢٥٣٤]

٢٥٣٥ - * وعن أبي أُمامةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن لمْ يمنعْه منَ الحجِّ حاجَةٌ ظاهرةٌ أو سلطانٌ جائرٌ أوْ مرَضٌ حابسٌ، فماتَ ولمْ يحُجَّ، فليمُتْ إنْ شاءَ يهودِيًّا وإنْ شاءَ نصرانيًّا». رواه الدارمي. [٢٥٣٥]

٢٥٣٦ - * وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «الحاجُّ والعُمّارُ وَفْدُ الله؛ إنْ دَعَوْهُ أجابَهمْ، وإن استَغفروهُ غَفرَ لهمْ». رواه ابنُ ماجه. [٢٥٣٦]

٢٥٣٧ - * وعنه، قال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «وَفْدُ الله ثلاثةٌ: الغازي، والحاجُّ، والمعتَمرُ» رواه النسائي، والبيهقي في «شعب الإيمان». [٢٥٣٧]

الحديث الثاني عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «لا قتال فيه» صفة «جهاد» وهو من أسلوب الرجوع، قرر أولا ما سألت، وهو «الجهاد» ثم رجع عنه بقوله: «لاقتال فيه» نحو قوله تعالى: ﴿قل أذن خير لكم﴾(١) في جوابهم ﴿هو أذن﴾(١) أي نعم هو أذن، لكن أذن خير لكم، لا كما تزعمونه. و«الحج» يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أو بدلا من «جهاد».

الحديث الثالث عن أبي أمامة رضي الله عنه: قوله: «حاجة ظاهرة» وهي فقد الزاد والراحلة. وقوله: «فليمت» جواب الشرط، وبقية الحديث مضى شرحه مستقصى.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «الحاج» «نه»: **الحاج والحاجة واحد الحجاج، وربما أطلقت الحاج على الجماعة مجازًا**، وقوله: «عمارًا» أي معتمرين، قال الزمخشري: لم يجئ فيما أعلم عمر بمعنى اعتمر، ولكن عمر الله إذا عبده، فيحتمل أن يكون العمار جمع عامر من عمر بمعنى اعتمر، وإن لم نسمعه، ولعل غيرنا سمعه، وأن يكون مما استعمل منه بعض التصاريف دون بعض، كما قيل: يذر ويدع، و«الوفد» الذين يقصدون الأمراء لزيارة، واسترفاد، وانتجاع، وغير ذلك.

[٢٥٣٤] إسناده صحيح. [٢٥٣٥] إسناده ضعيف.
[٢٥٣٦] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٢٧٤٩)، (٢٧٥٠) بنحوه.
[٢٥٣٧] حسن الشيخ إسناده.
(١) التوبة: ٦٠.

٢٥٣٨ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا لَقيتَ الحاجَّ فسلِّمْ عليه، وصافحْهُ، ومُرْهُ أنْ يستغفرَ لكَ قبلَ أنْ يَدْخلَ بيتَه، فإنَّه مغفورٌ له» رواه أحمد. [٢٥٣٨]

٢٥٣٩ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خرَجَ حاجًا أو مُعتَمِرًا أو غازِيًا ثمَّ ماتَ في طريقِه؛ كَتَبَ اللهُ له أجْرَ الغازِي والحاجِّ والمعتمِرِ» رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٢٥٣٩]

(١) باب الإحرام والتلبية

الفصل الأول

٢٥٤٠ - * عن عائشةَ [رضي الله عنها]، قالتْ: كنتُ أُطيِّبُ رسولَ الله ﷺ لإحْرامِه قبلَ أنْ يُحرِمَ، ولحِلِّه قبلَ أنْ يَطوفَ بالبيت بطيبٍ فيه مِسْكٌ، كأني أنظرُ إلى وَبيصِ الطِّيبِ في مَفارِقِ رسولِ الله ﷺ وهوَ مُحرِمٌ. متفق عليه.

الحديث الخامس والسادس عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «قبل أن يدخل بيته» وذلك أنه وفد الله قدم إلى أهله، ولم يشتغل بخويصة نفسه. قال:

تضوع أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب* العهد بالدار

الحديث السابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «من خرج حاجا» الحديث من قوله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾(١). ومن قال: إن من أخر الحج بعد أن وجب عليه، ثم قصد الحج بعد زمان فمات في الطريق فقد عصى، خالف هذا النص. والله أعلم.

باب الإحرام والتلبية

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «ولحله» «نه»: وفي حديث آخر «لإحلاله، حين أحل» يقال: حل المحرم يحل به حلالا، وأحل يحل به إحلالا، إذا حل له ما حرم عليه من محظورات الحج، ورجل حل من الإحرام أي حلال، ورجل حلال، أي غير محرم.

[٢٥٣٨] ضعف الشيخ إسناده.

[٢٥٣٩] شعب الإيمان (٣/ ٤٧٤) (٤١٠٠)، وزاد في آخره: «إلى يوم القيامة».

(١) النساء: ١٠٠.

* في «ط» «البعد»، وهو خطأ.

٢٥٤١ - * وعن ابنِ عمرَ [رضي اللهُ عنهما]، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُهِلُّ مُلَبِّدًا يقول: «لبَّيْكَ اللهُمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لاشريكَ لكَ لبَّيكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلكَ، لا شريكَ لكَ» لايزيدُ على هؤلاءِ الكلماتِ. متفق عليه.

و«الوبيص»: - بالصاد المهملة - البريق، وقد وبص الشيءوبيصًا. «خط»: وفيه من الفقه أن المحرم إذا تطيب قبل إحرامه بطيب يبقى أثره عليه بعد الإحرام وإن بقى عليه بعد الإحرام لايضره، ولايوجب عليه فدية، وهو مذهب أكثر الصحابة. «قض»: «المفارق» جمع مفرق، وهو وسط الرأس. وإنما ذكرت بلفظ الجمع تعميما لجوانب الرأس التي يفرق فيها. والمراد بوبيص الطيب فيها وهو محرم، أن فتات الطيب كان يبقى عليها بعد الإحرام بحيث تلمح فيها. وفي هذا الحديث: أن التطيب للإحرام والإحلال سنة لمداومة الرسول ﷺ، وأن لا كراهية، ولا فدية في التطيب قبل الإحرام عند الشافعي، وكرهه مالك، وأوجب أبو حنيفة الفدية بما يبقى من أثره بعد الإحرام قياسًا على ما لو استدام لبس المخيط، وهو ضعيف؛ لأن استدامة اللبس لبس، واستدامة الطيب ليس بتطييب، ولذلك لو حلف أن لايلبس وعليه ثوب، فاستدام لبسه حنث، ولو حلف لا يتطيب وعليه طيب فاستدامه لم يحنث. ثم إنه إن سلم عن القدح فلا يعارض الحديث المتفق على صحته، وتأويل الحديث بأن المعنى بالطيب الدهن المطيب، أو الطيب الذي يبقى جرمه، ولا تبقى رائحته تعسف، لايخفى ضعفه. «مح»: ثبت في رواية مسلم أن ذلك الطيب كان ذريرة، وهي مما يذهبه الغسل، والمراد بالطواف طواف الإفاضة، ففيه دلالة لاستباحة الطيب بعد رمي جمرة العقبة، والحلق قبل الطواف.

الحديث الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «ملبدا» «مح»: التلبيد ضفر الرأس بالصمغ، والخطمي؛ ليضم الشعر ويلزق بعضه ببعض، لئلا يشعث، ولا يقع فيه الهوام. والتلبية مثناة للتكثير والمبالغة، أي إجابة بعد إجابة، ولزوما لطاعتك. قال سيبويه: ودليل قوله مثنى قلب الألف ياء مع المظهر، قال القاضي عياض: قيل: هذه الإجابة لقوله تعالى لإبراهيم: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾[1]. و«إن الحمد» يروى بكسر الهمزة وفتحها، وهما مشهوران عند أهل الحديث. قال الخطابي: الفتح رواية العامة. وقال: ثعلب: الكسر أجود؛ لأن معناه أن الحمد والنعمة لك على كل حال. ومعنى الفتح لبيك؛ لذلك السبب.

قال الشافعي: التلبية سنة، وليست بشرط لصحة الحج، ولا واجبة، ولو تركها لا دم، ولكن فاتته الفضيلة، وقال بعض أصحابنا: هي واجبة تجبر بالدم، وقال بعضهم: هي شرط لصحة الإحرام، وقال مالك: ليست بواجبة، ومن تركها لزمه دم. قال الشافعي ومالك: ينعقد

---

(١) الحج: ٢٧

٢٥٤٢ - * وعنه، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أدخلَ رجلَه في الغَرْزِ، واسْتوَتْ به ناقتُه قائمةً، أهَلَّ منْ عندِ مسجدِ ذي الحُليفةِ. متفق عليه.

٢٥٤٣ - * وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: خرجْنا معَ رسولِ الله ﷺ نصرُخُ بالحجِّ صُرَاخًا. رواه مسلم.

٢٥٤٤ - * وعن أنسٍ [رضي اللهُ عنه]، قال: كنتُ رَدِيفَ أبي طلحةَ وإنَّهمْ ليَصرُخُونَ بهما جميعًا: الحجِّ والعُمرةِ. رواه البخاريّ.

٢٥٤٥ - * وعن عائشةَ، قالتْ: خرجْنا معَ رسولِ الله ﷺ عامَ حَجَّةِ الوَداعِ، فمنَّا مَنْ أهَلَّ بعُمرةٍ، ومنَّا منْ أهلَّ بحجٍّ وعُمْرةٍ، ومنَّا منْ أهلَّ بالحجِّ، وأهلَّ رسولُ

الحج بالنية بالقلب من غير لفظ، وقال أبو حنيفة: لا ينعقد إلا بانضمام التلبية، أو سوق الهدي إلى النية وقال: ويجزئ عن التلبية ما في معناها.

وقال أصحابنا: يستحب رفع الصوت بالتلبية بحيث لا يشق عليه إلا المرة، والإكثار منها، لا سيما عند تغير الأحوال، كإقبال الليل والنهار، والصعود والهبوط، واجتماع الرفقاء، والقيام والقعود، والركوب والنزول، وأدبار الصلوات، والتوالي فيها، فلا يقطعها بكلام. وإن سلم عليه رد، ويكره السلام عليه في هذا الحال، والصلاة على النبي ﷺ بعدها، وسؤال الرضوان والجنة، والاستعاذة من النار لجميع المسلمين. ويلبي إلى أن يشرع في جمرة العقبة أو في طواف الإفاضة إن قدم عليها. ويستحب للمحرم مطلقا، سواء كان محدثًا أو جنبًا أو حائضًا، لقوله ﷺ: «اصنعي ما نصنع غير أن لا تطوفي».

الحديث الثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «في الغرز» «نه»: الغرز ركاب كور الحمل إذا كان من جلد أو خشب. وقيل: هو للكور مطلقًا مثل الركاب للسرج. قوله: «واستوت به ناقته» «تو»: أي استوت ناقته قائمة ملتبسة برسول الله ﷺ، نحوه قوله تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾(١) «الكشاف»: «بكم» في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسًا بكم، كقوله: تدوس بنا الجماجم والتريبا*. «مح»: فيه دليل لمالك والشافعي على أن الأفضل أن يهل إذا انبعث به راحلته، وأبو حنيفة: عقيب الصلاة وهو جالس، وهو قول ضعيف للشافعي. وفيه حديث ضعيف، وفيه أن التلبية لا تقدم على الإحرام.

الحديث الرابع إلى السادس عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «ومنا من أهل بالحج» فإن

---

(١) البقرة:٥٠.

* كذا في (ك) وفي الكشاف ١/٦٨ ط دار الكتب العلمية بيروت، أما في (ط) (الترسا) وهو خطأ.

الله ﷺ بالحجِّ؛ فأمَّا منْ أهلَّ بعمرةٍ فحلَّ، وأما مَنْ أهلَّ بالحجِّ أوْ جمعَ الحجَّ والعُمرةَ فلم يَحِلُّوا حتى كانَ يومُ النَّحرِ. متفق عليه.

قلت: مافائدة التعريف فيه والتنكير في قرينته؟ قلت: التعريف فيه للعهد، والمعهود هو الحج الواقع في عهد النبي ﷺ، والمتعارف فيما بين الصحابة من كونه مفردًا، وهو دليل قاطع للشافعي. «خط» و«تو»: في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان مفردا، وفي حديث أنس أنه كان قارنا، وذلك قوله: «وإنهم ليصرخون بهما جميعا الحج والعمرة» وأراد بذلك النبي ﷺ، ومن أهل معه بما أهل هو به، وقد بين ذلك في حديث آخر، وهو حديث صحيح قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لبيك عمرة وحجًّا معًا». وفي الصحاح أن بكر بن عبدالله المزني ـ وهو الراوي عن أنس ـ حدث بهذا الحديث ابن عمر فقال: «لبى بالحج وحده» قال: فلقيت أنسا، فحدثته بقول ابن عمر، فقال: ما يعدونا إلا صبيانا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لبيك عمرة وحجًّا معًا».

والتوفيق بين هذه الروايات مشكل، ولابد منه، فإن ترك هذه الروايات على حالها من الاختلاف من غير بيان جامع بينها مجلبة للشك في أخبار الصادق، وقد طعن فيها طائفة من الفئة الزائغة عن منهج الحق، فقالوا: اتفقتم أيتها الرواة على أن نبيكم لم يحج من المدينة غير حجة واحدة، ثم رويتم أنه كان مفردًا، ورويتم أنه كان قارنًا، ورويتم أنه كان متمتعًا، وصيغة هذه الأنساك متباينة، وأحكامها مختلفة، وتزعمون أن كل هذه الروايات مقبولة لصحة أسانيدها، وعدالة رواتها.

فأجاب بذلك جمع من العلماء ـ شكر الله سعيهم- وقد اخترنا من ذلك جوابًا نقل عن الشافعي - رحمة الله عليه - وزبدته: أن من المعلوم في لغة العرب جواز إضافة الفعل إلى الآمر كجواز إضافته إلى الفاعل له، كقولك: بنى فلان دارًا، إذا أمر ببنائها، وضرب الأمير فلانًا، إذا أمر بضربه. ومن هذا الباب رجم رسول الله ﷺ ماعزًا، وقطع يد سارق رداء صفوان ابن أمية. وكان أصحاب رسول الله ﷺ منهم المفرد، ومنهم القارن، ومنهم المتمتع، وكل منهم يصدر عن أمره وتعليمه، فجاز أن يضاف كل ذلك إليه. وقولا ذكره الخطابي، فقال بعضهم: يحتمل أن يكون بعضهم سمعه يقول: «لبيك بحجة»، وخفي عليه قوله: «وعمرة» فحكى أنه كان مفردًا، ولم يحك إلا ما سمع، وسمعه آخر يقول: «لبيك بحجة وعمرة» فقال: كان قارنًا، ولا ينكر الزيادات في الأخبار كما لا ينكر في الشهادات.

قال النواوي في شرح مسلم: اعلم أن أحاديث هذا الباب متظاهرة على جواز إفراد الحج عن العمرة، وجواز التمتع والقرآن، وقد أجمع العلماء على جواز الأنواع الثلاثة، فالإفراد: أن يحرم بالحج في أشهره، يفرغ منه، ثم يعتمر. والتمتع: أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، ويفرغ

منها، ثم يحج من عامه. والقران: أن يحرم بهما جميعًا، وكذا لو أحرم بالعمرة، ثم أحرم بالحج قبل طوافها صح قارنًا. فلو أحرم بالحج، ثم أحرم بالعمرة، فقولان للشافعي، أصحهما لايصح إحرامه بالعمرة، والثاني يصح ويصير قارنًا، بشرط أن يكون قبل الشروع في أسباب التحلل من الحج.

واختلف العلماء في هذه الأنواع الثلاثة أيها أفضل؟ فقال الشافعي، ومالك، وكثيرون: أفضلها الإفراد، ثم التمتع، ثم القران. وقال أحمد، وآخرون: أفضلها التمتع. وقال أبو حنيفة، وآخرون: أفضلها القران. وأما حجة النبي ﷺ فاختلفوا فيها، هل كان مفردًا، أو متمتعًا، أو قارنًا؟ وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة، فكل طائفة رجحت نوعًا، وادعت أن حجة النبي ﷺ كانت كذلك. والصحيح أنه كان أولاً مفردًا، ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك، وأدخلها على الحج، فصار قارنًا. وقد اختلفت روايات الصحابة في صفة حجة النبي ﷺ حجة الوداع، هل كان قارنًا، أو مفردًا، أو متمتعًا؟ وقد ذكر البخاري ومسلم روايتهم لذلك، وطريق الجمع بينها ما ذكرته أنه ﷺ كان أولاً مفردًا، ثم صار قارنًا. فمن روى القران اعتبر آخر الأمر، ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي، وهو الانتفاع والارتفاق، وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة، وهي الاقتصار على فعل واحد، وبهذا الجمع تنتظم الأحاديث فيها.

وقد جمع بينها أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب صنفه في حجة الوداع خاصة، وادعى أنه ﷺ كان قارنًا، وتأول باقي الأحاديث، والصحيح ما سبق، وقد أوضحت ذلك في شرح المهذب بأدلته ،وجمع طرق الأحاديث، وكلام العلماء المتعلق بها. واحتج الشافعي وأصحابه في ترجيح الإفراد بأنه صح ذلك من رواية جابر، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة، وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم؛ فأما جابر فإنه كان أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع، فإنه ذكرها من حين خروج النبي ﷺ من المدينة إلى آخرها، فهو أضبط لها من غيره. وأما ابن عمر رضى الله عنهما فصح عنه أنه كان آخذا بخطام ناقة رسول الله ﷺ، يمسني لعابها، أسمعه يلبي بالحج. وأما عائشة فقربها من رسول الله ﷺ معروف، وكذلك اطلاعها على باطن أمره، وظاهر فعله في خلوته وعلانيته مع كثرة فقهها وفطنتها؛ وأما ابن عباس فمحله في العلم، والفهم، والفقه في الدين معروف.

ومن دلائل ترجيح الإفراد، أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بعد النبي ﷺ أفردوا الحج، وواظبوا على إفراده، كذلك فعل أبو بكر، وعمر، وعثمان. واختلف فعل على رضي الله عنه، ولو لم يكن الإفراد أفضل، وعلموا أن النبي ﷺ حج مفردا، لم يواظبوا عليه مع أنهم الأئمة الأعلام، وقادة الإسلام، ويقتدى بهم في عصرهم وبعدهم، فكيف يظن بهم المواظبة على خلاف فعل رسول الله ﷺ؟ وأما الخلاف عن على رضي الله عنه وغيره، فإنما فعلوه لبيان

٢٥٤٦ - * وعن ابنِ عمرَ [رضي الله عنهما]، قال: تمتَّعَ رسولُ الله ﷺ في حَجَّةِ الوَداعِ بالعُمرةِ إلى الحجّ، بدأ فأهلَّ بالعمْرةِ ثمَّ أهلَّ بالحجّ. متفق عليه.

الفصل الثاني

٢٥٤٧ - * عن زيدِ بن ثابتٍ، أنَّه رأى النبيَّ ﷺ تجرَّدَ لإهْلالِه واغتسَلَ. رواه الترمذيّ، والدارميّ. [٢٥٤٧]

٢٥٤٨ - * وعن ابنِ عمرَ، أنَّ النبيَّ ﷺ لبَّدَ رأسَه بالغسلِ. رواه أبو داود.

٢٥٤٩ - * وعن خَلَّادِ بنِ السَّائبِ، عنْ أبيه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتاني جبريلُ فأمرَني أنْ آمُرَ أصحابي أنْ يرفَعوا أصواتَهم بالإهْلالِ أو التَّلبيَةِ» رواه مالكٌ، والترمذيّ، وأبوداودَ، والنسائيُّ، وابنُ ماجه، والدراميّ. [٢٥٤٩]

الجواز، وقد ثبت في الصحيحين ما يوضح ذلك. ومنها أن الإفراد لايجب فيه دم بالإجماع وذلك لكماله، ويجب الدم في التمتع والقران، فكان الإفراد أفضل. والله أعلم.

الحديث السابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «إلى الحج» حال من «العمرة»، أي استمتع بالعمرة منضمة إلى الحج فإن الاستمتاع بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج. وقيل: إذا حل من عمرته، انتفع باستباحة ما كان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج. «حس»: كان عمر وعثمان ينهيان عن التمتع نهي تنزيه، وإنما نهيا؛ لأن الإفراد أفضل، ولأن الأمير مأمور بصلاح رعيته، والأمر بالإفراد من جملة صلاحهم؛ لكونه أفضل. وقال علي رضي الله عنه: إنا قد تمتعنا مع رسول الله ﷺ، ولكن كنا خالفين.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن زيد رضي الله عنه: قوله: «تجرد لإهلاله» هكذا رواه الترمذي، والدارمي، وفي جميع نسخ المصابيح «لإحرامه»

الحديث الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «بالغسل» «نه» الغسل - بالكسر - ما يغسل به من خطمي وغيره.

الحديث الثالث عن خلاد: قوله: «بالإهلال» هكذا في السنن كلها. «تو»: قد وجدنا لفظا من هذا الحديث في كتاب المصابيح محرفا من وجهه، وهو «بالإحرم، والتلبية» ولفظ الحديث

[٢٥٤٧] رواه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في الاغتسال عند الإحرام، حديث رقم (٨٣٠) (٣/١٩٢- ١٩٣) ثم قال: «حسن غريب» ا.هـ. وفي إسناده عبدالله بن يعقوب، وهو مجهول الحال، كما قال الحافظ بن حجر في التقريب (٤٦٢/١).

[٢٥٤٩] إسناده صحيح كذا قال الشيخ.

٢٥٥٠ - * وعن سهلِ بن سعد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ مُسلمٍ يُلَبِّي إلاَّ لَبَّى مَنْ عَنْ يمينه وشِماله: مِنْ حجَرٍ، أو شجَرٍ، أو مَدَرٍ، حتى تنقطِعَ الأرضُ منْ ها هُنا وها هُنا» رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه [٢٥٥٠].

٢٥٥١ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَركعُ بذي الحُلَيفةِ ركعتَينِ، ثمَّ إذا استوَتْ به النَّاقةُ قائمةً عند مسجدِ ذي الحُلَيفةِ أهلَّ بهؤُلاء الكلماتِ ويقولُ: «لبَّيكَ اللهُمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ وسَعدَيْكَ، والخَيرُ في يَديكَ، لبَّيكَ والرَّغْباء إليكَ والعمَلُ» متفق عليه، ولفظه لمسلم.

٢٥٥٢ - * وعن عُمارةَ بنِ خُزَيْمةَ بنِ ثابتٍ، عنْ أبيه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه كانَ إذا فرَغَ منْ تلبِيَته سألَ اللهَ رِضوانَه والجنَّةَ، واستعْفاهُ برحمتِه منَ النَّارِ. رواه الشافعي.

«بالإهلال أو التلبية».

الحديث الرابع عن سهل رضي الله عنه: قوله: «من عن يمينه» «تو»: **لما أضاف التلبية إلى تلك الأعيان، والتلبية إنما توجد ممن يعقل، ذكرها بلفظ «من» دون «ما» ذهابًا بها من حيز المجاهدات إلى جملة ذوي العقول؛ ليكون أدل على المعنى الذي أراده.** قوله: «تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا» «مظ»: يعني إلى منتهى الأرض من جانب الشرق، وإلى منتهى الغرب، أي يوافقه في التلبية كل شئ في الأرض كلها.

الحديث الخامس عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «وسعديك» هو من الألفاظ المقرونة بلبيك، ومعناه: إسعادا بعد إسعاد، والمعنى ساعدت على طاعتك مساعدة بعد مساعدة، وهما منصوبان على المصدر. قوله: «والرغباء إليك» «مح»: قال القاضي عياض: قال المازري: يروى بفتح الراء والمد، وبضم الراء مع القصر، ونظيره العلى والعلياء، والنعمى والنعماء. وعن أبي على: الفتح مع القصر مثل سكرى. ومعناه هنا الطلب والمسألة إلى من بيده الخير، وهو المقصود بالعمل المستحق للعبادة. أقول: يريد أن «العمل» عطف على «الرغباء»، وخبره محذوف يدل عليه المذكور، معناه العمل منتهى إليك، وأنت المقصود في العمل. وفيه معنى قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾(١) كما أن «الرغباء إليك» معناه إياك نستعين.

الحديث السادس ظاهر.

[٢٥٥٠] قال الشيخ: ورواه غيرهما بسند صحيح، كما حققته في كتاب (حجة الوداع).

(١) الفاتحة: ٥.

الفصل الثالث

٢٥٥٣ - * عن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لما أرادَ الحجَّ، أذَّنَ في النَّاسِ، فاجتمَعوا، فلمَّا أتى البَيداءَ أحْرَمَ. رواه البخاري.

٢٥٥٤ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كانَ المشركونَ يقولونَ: لبَّيكَ لا شريكَ لكَ. فيقولُ رسولُ الله ﷺ: «وَيلَكم! قدِ قدِ» إلاَّ شريكًا هوَ لكَ تملكُه وماملَكَ. يقولونَ هذا وهم يطوفونَ بالبَيتِ. رواه مسلم.

(٢) باب قصة حجة الوداع

الفصل الأول

٢٥٥٥ - * عن جابرِ بن عبدِالله، أنَّ رسولَ الله ﷺ مكثَ بالمدينةِ تسعَ سنينَ لمْ

الفصل الثالث

الحديث الأول عن جابر: قوله: «البيداء» «نه»: البيداء المفازة التي لاشيء فيها، وهي هنا اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة، وأكثر ما ترد يراد بها هذه.

الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «قد قد» هو بإسكان الدال وكسرها مع التنوين، ومعناه كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه، يعني كان المشركون يقولون: لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، فإذا انتهى كلامهم إلى «لاشريك لك» قال رسول الله ﷺ: «قد قد» أي اقتصروا عليه، ولا تجاوزوا عنه إلى ما بعده. وقوله: «إلا شريكا» الظاهر فيه الرفع على البدلية من المحل، كما في كلمة التوحيد، فاختير في كلمة السفلى اللغة السافلة، كما اختير في الكلمة العليا اللغة العالية.

باب قصة حجة الوداع

«مح»: سميت بذلك؛ لأن النبي ﷺ ودع الناس فيها، وعلمهم في خطبة فيها أمر دينهم، وأوصاهم بتبليغ الشرع إلى من غاب.

الفصل الأول

الحديث الأول عن جابر رضي الله عنه: قوله: «مكث بالمدينة» «مح»: هو حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو من أفراد مسلم، قال القاضي عياض: قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه، وأكثروا فيه، وصنف أبو بكر بن المنذر كراسًا

يحُجَّ، ثمَّ أذَّنَ في النَّاسِ بالحجِّ في العاشرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ وسلم حاجٌّ، فقدِمَ المدينةَ بشرٌ كثيرٌ، فخرجْنا معَه، حتى إذا أتَيْنا ذا الحُليفة. فولَدَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ محمَّدَ بنَ أبي بكرٍ، فأرسلتْ إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنعُ؟ قال: «اغتسلي واستثفِري بثوبٍ، وأحْرِمي». فصلّى رسولُ الله ﷺ في المسجدِ، ثمَّ ركِبَ القَصْواءَ،

كبيرا، وخرج فيه من الفقه مائة ونيفا وخمسين نوعا، ولو تقصى لزيد على هذا العدد.

قوله: «مكث» «تو»: إنما ترك الحج في الأعوام التي قبل الفتح؛ لأن الحج لم يكن فرضا حينئذ؛ لأنه فرض سنة ست من الهجرة، ثم إنه كان معنيا بحرب أعداء الله، مأمورا بإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، فلم يكن ليتفرغ من هذا القصد الكلي، والأمر الجامع إلى الحج الذي لم يفرض. وأما اعتماره ﷺ في تلك السنين؛ فلأنه لم يكن له موسم معين فيتألب الأعداء لمناوأته وصده عن البيت، والإتيان على أفعال العمرة كان ممكنا في بعض يوم مع أنه كان عبدا مأمورا، يراقب الأمر في تصاريف أحواله، فأمر بها ولم يؤمر بالحج. وأما بعد الفتح، وهو في سنة ثمان، فإن هوازن وثقيفا وكثيرا من العرب، كانوا حربا لرسول الله ﷺ متأهبين لقتاله. وقد ذهب قوم إلى أن تأخير الحج بعد الفتح إنما كان للنسيء المذكور في كتاب الله، حتى عاد الحساب في الأشهر إلى أصله الموضوع الذي بدأ الله به في أمر الزمان يوم خلق السموات والأرض.

قوله: «ثم أذن» «مح»: إنما أعلمهم بذلك؛ ليتأهبوا للحج معه، فيتعلموا المناسك والأحكام، ويشاهدوا أفعاله وأقواله، وليوصيهم بأن يبلغ الشاهد الغائب، فتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد. وفيه أنه يستحب للإمام بأن يأذن للناس بالأمور المهمة ليتأهبوا لها. قوله: «أسماء بنت عميس»: «مح»: فيه استحباب غسل الإحرام للنفساء. والاستثفار: أن تشد في وسطها شيئًا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم، وتشد طرفها من قدامها ومن ورائها، في ذلك المشدود في وسطها، وهو شبيه بثفر الدابة - بفتح الفاء -. وفيه صحة إحرام النفساء، وهو مجمع عليه. «والقصواء» هي بفتح القاف وبالمد، قال ابن الأعرابي: القصواء التي قطع طرف أذنها، وكذا عن الأصمعي. وقال أبو عبيدة: هي المقطوعة الأذن عرضا. وقال محمد ابن إبراهيم التيمي التابعي: إن القصواء، والعضباء، والجذعاء اسم لناقة واحدة كانت لرسول الله ﷺ.

قوله: «أهل بالتوحيد لبيك» إلى آخره بيان «التوحيد»، وفيه تعريض لما كان يفعله الجاهلية من انضمام قولهم: «إلا شريكا هولك تملكه وما ملك». قوله: «لسنا نعرف العمرة» تأكيد وتقرير لمعنى الحصر في قوله: «لسنا ننوي إلا الحج»، أي لسنا ننوي شيئًا من النيات إلا نية الحج، وكان محتملا فأكده به. «قض»: أي لا نرى العمرة في أشهر الحج؛ استصحابا لما كان

حتى إذا استوَتْ به ناقتُه على البَيْداءِ، أهلَّ بالتوْحيد: «لبّيكَ اللهُمّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لاشريكَ لكَ لبَّيكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والملك، لاشريكَ لكَ». قال جابر: لسْنا نَنْوي إلاَّ الحجَّ، لسنا نعرِفُ العُمرةَ، حتى إذا أتَينا البيتَ معَهُ، استلَمَ الرُّكنَ، فطافَ سبعًا، فرَمَلَ ثلاثًا، ومشَى أربعًا، ثمَّ تقدَّمَ إلى مقامِ إبراهيمَ فقرأ: ﴿واتخذوا منْ مقامِ إبراهيمَ مُصَلى﴾[1]، فصلى ركعتَينِ فجعلَ المقامَ بينَه وبينَ البَيت. وفي رواية: أنَّه قرأَ في الركعتَينِ: ﴿قُلْ هوَ اللهُ أحَدٌ﴾[2] و﴿قلْ يأيُّها الكافرونَ﴾[3]، ثمَّ رجَعَ إلى الركنِ فاستلمَه، ثمَّ خرجَ منَ البابِ إلى الصَّفا، فلمَّا دَنا منَ الصَّفا قرأ: ﴿إنَّ الصفا والمرْوَةَ

من معتقد أهل الجاهلية؛ فإنهم كانوا يرون العمرة محظورة في أشهر الحج، ويعتمرون بعد مضيها. وقيل: معناه ما قصدناها ولم تكن في ذكرنا.

قوله: «استلم» «نه»: هو افتعل من السلام التحية، وأهل اليمن يسمون الركن الأسود «المحيا» أي الناس يحيونه بالسلام، قيل: هو افتعل من السلام، وهي الحجارة، واحدتها سلمة بكسر اللام، يقال: استلم الحجر إذا لمسه أو تناوله، ويقال: رمل يرمل رملا ورملانًا، إذا أسرع في المشي، وهز منكبه. قال: وأمر النبي ﷺ أصحابه في عمرة القضاء؛ ليري المشركين قوتهم، حيث قالوا: وهنتهم حمى يثرب، وهو مسنون في بعض الأطواف دون بعض. «مح»: فيه قولان للشافعي، أصحهما طواف يعقبه سعي، ويتصور ذلك في طواف القدوم وطواف الإفاضة، ولايتصور في طواف الوداع، والثاني أنه لايسرع إلا في طواف القدوم، سواء أراد السعي بعده أم لا، ويسرع في طواف العمرة؛ إذ ليس فيها إلا طواف واحد.

قوله: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي﴾ «مح»: هذا دليل لما أجمع عليه العلماء أنه ينبغي لكل طائف إذا فرغ من الطواف أن يصلي خلف المقام ركعتين للطواف، واختلفوا هل هما واجبتان أو سنتان؟ وفيه أقوال، أصحها أنها سنة، وثالثها إن وجب الطواف وجبتا، وإلا فستتان. وعلى التقادير لو تركهما لم يبطل طوافه. قوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ ﴿قل يا أيها الكفرون﴾ كذا في صحيح مسلم، وشرح السنة في إحدى الروايتين، وكان من الظاهر أن يقدم سورة الكافرين* على سورة الإخلاص ترتيبًا، كما في رواية المصابيح، ولأن البراءة عن الشرك مقدمة على إثبات التوحيد، كما في كلمة التوحيد. ولعل السر في ذلك أن سورة الإخلاص

---

(١) البقرة: ١٢٥ . (٢) الإخلاص : ١.

(٣) الكافرون: ١.

* كذا في (ك) معربة مجرورة على الإضافة.

مِنْ شعائرِ الله)(١) أبدَأ بما بدأ اللهُ به، فبدأ بالصَّفا، فرَقَى علَيه حتى رأى البيتَ، فاستَقْبلَ القبلَةَ، فوَحَّدَ اللهَ وكبره، وقال: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، لهُ الملكُ وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَه، أنجزَ وَعْدَهُ،

مقدمتها مسوقة لإثبات التوحيد، وساقتها لنفي الأنداد، والأضداد، والشركاء، فقدم الإثبات على النفي فيها للاهتمام بشأنه حينئذ، لاضمحلال الكفر واندراس آثاره يوم الفتح. والله أعلم.

قوله: «فاستلمه» «مح»: يستحب لمن طاف القدوم إذا فرغ من صلاته خلف المقام* أن يعود إلى الحجر فيستلمه ثم يخرج من باب الصفا، ولو خرج لم يلزمه دم، قوله: «من الصفا» «مح»: قال أصحابنا: يستحب أن يرقى على الصفا والمروة، حتى يرى البيت إن أمكنه، وأن يقف على الصفا مستقبل الكعبة، ويذكر الله تعالى بهذا الدعاء ثلاث مرات.

قوله: ﴿إن الصفا والمروة﴾ هما علمان للجبلين، و«الشعائر» جمع شعيرة، وهي العلامة، أي من أعلام مناسكه، ومتعبداته. ولما كان الصفا مقدمًا في التنزيل على المروة، قال: «أبدأ بما بدأ الله به». «مح»: الابتداء بالصفا شرط، وعليه الجمهور، وعن بعضهم: به احتج من أوجب الترتيب في الوضوء على أنه لو بدأ بالمروة لكان ذلك الشوط غير محسوب له. وفيه دليل على وجوب الطواف بين الصفا والمروة، كما يجب الطواف بالبيت. وقال بعضهم: ليس بواجب، بل هو تطوع؛ لقوله تعالى: **﴿فلاجناح عليه أن يطوف بهما﴾**(١) ورفع الجناح يدل على الإباحة، ويجب على تاركه الدم. ورد بأن الآية إنما أنزلت في الأنصار، كانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فقيل لهم: «فلا جناح عليه أن يطوف بهما»، ودلائل الوجوب موجودة.

قوله: «وقال: لا إله إلا الله» يحتمل أن يكون قولا آخر غير ما سبق من التوحيد والتكبير، وأن يكون كالتفسير له والبيان، والتكبير وإن لم يكن ملفوظًا، لكن معناه مستفاد من هذا القول، و«وحده» حال مؤكدة من «الله» لقوله تعالى: **﴿هو الحق مصدقا﴾**(٢) وقوله تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط﴾**(٣) في أحد الوجهين. ويجوز أن يكون مفعولا مطلقًا، و«لا شريك له» كذلك حال، أو مصدر. قوله: «وهزم الأحزاب وحده» «مح»: هم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ يوم الخندق، فهزمهم الله وحده من غير قتال المسلمين، ولاسبب منهم.

---

(١) البقرة: ١٥٨. (٢) البقرة: ٩١.

(٤) آل عمران: ١٨.

* في (ط) [الصفا] والتصويب من (ك).

ونصرَ عبْدَهُ، وهَزَمَ الأحزابَ وحْدَهُ». ثم دَعا بينَ ذلكَ قال مثلَ هذا ثلاثَ مرَّاتٍ، ثمَّ نزلَ ومشَى إلى المروةِ حتى انصبَّتْ قدَماه في بطْنِ الوادي، ثمَّ سَعَى، حتى إذا صعِدَتا مشى حتى أتى المروَةَ، ففعلَ على المروَةِ كما فعلَ على الصَّفا، حتى إذا كانَ

قوله: «ثم دعا بين ذلك» ثم» تقتضي التراخي، وأن يكون الدعاء بعد الذكر، و«بين» تقتضي التعدد، والتوسط بين الذكر بأن يدعو بعد قوله: «على كل شئ قدير» ثم الدعاء، فتمحل المظهر بأن قال: لما فرغ من قوله: «وهزم الأحزاب وحده» دعا بما شاء، ثم قال مرة أخرى هذا الذكر، حتى فعل ثلاث مرات. أقول: وهذا أنَّى يستتب على التقديم والتأخير، بأن يذكر قوله: «ثم دعا بين ذلك» بعد قوله: «قال مثل هذا ثلاث مرات» و«ثم» تكون للتراخي في الإخبار لا تأخر زمان الدعاء عن الذكر، ويلزم أن يكون الدعاء مرتين. «مح»: يستحب أن يذكر الله تعالى بهذا الذكر، ويدعو ثلاث مرات، هذا هو المشهور عند أصحابنا، [وقال: منهم]* تكرار الذكر ثلاثًا، والدعاء مرتين، والصواب الأول.

قوله: «انصبت قدماه» «نه» أي انحدرت في المسعى، وهذا مجاز من قولهم: صب الماء فانصب، «مح»: قال القاضي عياض: في هذا الحديث إسقاط لفظة لابد منها، وهي «رمل» بعد قوله: «في بطن الوادي» كما جاء في رواية مسلم، وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين، وفي الموطأ «حتى انصبت قدماه في بطن الوادي، سعى حتى خرج منه» وهو بمعنى «رمل». قال الشيخ: وجدت في بعض نسخ مسلم كما في الموطأ.

قوله: «إذا صعدنا» «تو»: الإصعاد الذهاب في الأرض، والإبعاد، سواء ذلك في صعود أو حدور، قال الله تعالى: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾(1) ومعناه في الحديث ارتفاع القدمين من بطن المسيل إلى المكان العالي؛ لأنه ذكر في مقابلة الانصباب. قوله: «إذا كان» «كان» هي التامة. وقوله: «فقال» جواب «إذا». قوله: «لو أني استقبلت» «نه»: أي لو عنَّ لي هذا الرأي الذي رأيته آخرًا، وأمرتكم به في أول أمري، لما سقت الهدي، أي لما جعلت على هديا، وأشعرته، وقلدته، وسقته بين يدي؛ فإنه إذا ساق الهدي لاينحل حتى ينحره، ولا ينحر إلا يوم النحر، فلا يصح له فسخ الحج بعمرة، فمن لم يكن معه هدي لا يلتزم هذا، ويجوز له فسخ الحج.

«خط»: إنما أراد رسول الله ﷺ بهذا القول لأصحابه تطييبًا لقلوبهم، وذلك أنه كان يشق عليهم أن يحلوا ورسول الله ﷺ محرم، ولم يعجبهم أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، يتركوا الاقتداء به، فقال عند ذلك القول؛ لئلا يجدوا في أنفسهم، وليعلموا أن الأفضل لهم ما دعاهم

---

(1) آل عمران: ١٥٣.

* كذا في «ط» ولعله سقط «جماعة» ونحوها.

آخرُ طَوافٍ على المروَةِ، نادى وهوَ على المروَةِ والنَّاسُ تَحتَه فقال: «لوْ أني استَقبَلتُ من أمري ما استَدْبرتُ، لم أَسُقِ الهَدْيَ، وجعلتُها عُمْرةً، فمنْ كانَ منكم ليسَ معَه هَدْيٌ، فلْيَحِلَّ ولْيجعَلَها عُمرةً». فقامَ سُراقةُ بنُ مالكِ بنُ جُعْشُمٍ، فقال: يارسولَ اللهِ! ألعامنا هذا أمْ لأبدٍ؟ فشبَّكَ رسولُ اللهِ ﷺ أصابعَه، واحدةً في

إليه. قال: وقد يستدل بهذا من يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج أفضل من الإفراد والقران. أقول: وعلهم إنما شق عليهم لإفضائهم إلى النساء قبل انقضاء المناسك، كما ورد في حديث جابر قالوا: «فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني» وأشاروا إلى مذاكيرهم. «قض»: إنما قال ذلك تأسيسًا للتمتع، وتقريرًا لجواز العمرة في أشهر الحج، وإماطة لما ألفوا من التحرج عنها. «مح»: فيه تصريح بأنه ﷺ لم يكن متمتعًا. قوله: «فمن كان منكم» «الفاء» فيه جواب شرط محذوف، يعني إذا تقرر ما ذكرت من أني أفردت الحج، وسقت الهدي، ولم أتمكن من الإحلال إلا بعد النحر، فمن كان منكم ليس معه إلى آخره، وفي هذا المقام كلام سيأتي في حديث عائشة، قال: «خرجنا» الحديث.

قوله: «ألعامنا هذا؟» «مح»: اختلف العلماء في معناه على أقوال، أصحها وبه قال جمهورهم، معناه: أن العمرة يجوز فعلها في أشهر الحج إلى يوم القيامة، والمقصود به بيان إبطال ما كانت الجاهلية تزعمه من امتناع العمرة في أشهر الحج. والثاني: معناه جواز القران، وتقدير الكلام: دخلت أفعال العمرة في أفعال الحج إلى يوم القيامة. والثالث: تأويل بعض القائلين بأن العمرة ليست واجبة، قالوا: معناه سقوط العمرة، قالوا: ودخولها في الخج سقوط وجوبها، وهذا ضعيف، أو باطل، وسياق الحديث يقتضي بطلانه. والرابع: تأويل بعض أهل الظاهر أن معناه: جواز فسخ الحج إلى العمرة، وهذا أيضًا ضعيف. أقول: الوجه الثاني هو الوجه وإن جاز: دخل وقت أحد النسكين في وقت الآخر على البعد؛ لأن إدخال الأصابع بعضها في بعض، وتكريرها مرتين إما بالقول أو بالفعل، يستدعي إدخال أحد النسكين في الآخر. ويؤيده حديث ابن عباس في آخر هذا الفصل، فإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة، فإن قوله: «ألعامنا هذا» وارد على قوله: «فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل» محتمل لأن يكون مفردًا ومعتمرًا وقارنًا، ولم يسق الهدي في كل ذلك، فالسؤال إذن ورد على القارن، فصح معنى التشبيك.

وقوله: «واحدة في الأخرى» «واحدة» منصوب بعامل مضمر، أي جاعلا واحدة منهما في الأخرى، والحال مؤكدة. وأما قوله: «لا» فهو جواب عن السؤال؛ وهو مشكل؛ لأن السؤال بـ«أم» المعادلة إنما يتلقى في الجواب بأحد المعتدلين المستويين على التعيين، فالوجه أن يحمل على التشديد، وأن يقدر: ليس لعامك هذا، بل لأبد أبد، وتكرير «أبد» ينصر ما ذكرنا من

الأخرى، وقال: «دخلَتِ العُمرةُ في الحجِّ مرتَّينِ، لا بلْ لأبَدِ أبَدٍ»، وقدِمَ عليٌّ منَ اليمَنِ ببُدْنِ النبيِّ ﷺ. فقالَ له: «ماذا قلتَ حينَ فرضْتَ الحجَّ؟»: قُلتُ: اللهُمَّ إنِّي أُهِلُّ بما أهلَّ بهِ رسولُكَ. قال: «فإنَّ معيَ الهَدْيَ، فلا تَحِلَّ». قال: فكانَ جماعةُ الهدْيِ الذي قدمَ بهِ عليٌّ منَ اليمَنِ، والذي أتى به النبيُّ ﷺ مائةً. قالَ: فحلَّ النَّاسُ كلُّهم، وقصَّروا، إلاَّ النبيَّ ﷺ ومَنْ كانَ معه هَدْيٌ، فلمَّا كانَ يومُ التَّرْوِيَةِ، توَجَّهوا إلى منى، فأهلوا بالحَجِّ، وركبَ النبيُّ ﷺ، فصلّى بها الظُّهرَ، والعصْرَ، والمغربَ، والعشاءَ، والفجْرَ، ثمَّ مكثَ قليلاً حتى طلعت الشَّمسُ، وأمرَ بقُبَّةٍ منْ شعَرٍ تُضرَبُ له بنَمِرَةَ، فسارَ رسولُ اللهِ ﷺ، ولا تَشكُّ قريشٌ إلاَّ أنَّه واقفٌ عندَ المشعرِ الحَرامِ، كما

التشديد، كما إذا سأل سائل عن الأمر الثابت بـ«أم» المتصلة، فيكون الرد بإيراد أم في غير موقعه، وقد سبق مثله في قوله ﷺ: «كل ذلك لم يكن» جوابًا عن سؤال ذي اليدين «أقصرت الصلاة أم نسيتها؟».

قوله: «ببدن» البدن جمع بدنة، سميت لعظم بدنها، وهي الإبل خاصة. قوله: «ماذا قلت حين فرضت الحج» «قض»: أي حين ألزمته نفسك بالإحرام، سأله عن كيفية إحرامه. وقوله: «قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك» يدل على جواز الإحرام بإحرام غيره. قوله: «فحل الناس كلهم» «مح»: هذا من العام الذي خص؛ لأن عائشة رضي الله عنها لم تحل، ولم تكن ممن ساق الهدي. والهدي بإسكان الدال وكسرها، وتشديد الياء مع الكسر، والتخفيف مع الإسكان. وأما تقصيرهم مع أن الحلق أفضل؛ فلإرادة أن يبقى لهم بقية من الشعر حتى تحلق في الحج. قوله: «يوم التروية» قيل: هو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمي بذلك؛ لأن إبراهيم عليه السلام تروى فيه، أي تفكر في ذبح ولده. وقيل: لأنهم يرتوون فيه من الماء لما بعده. «مح»: الأفضل عند الشافعي وأصحابه أن من كان بمكة، وأراد الإحرام بالحج أحرم يوم التروية. وفيه أن السنة أن لايتقدم أحد إلى منى قبل يوم التروية، وقد كرهه مالك، وقيل: لا بأس به.

قوله: «وركب النبي ﷺ فصلى بها» أي بمنى. «مح»: فيه أن الركوب في تلك المواطن أفضل من المشى، كما أنه في جملة الطريق، وهذا هو الصحيح. وقال بعض أصحابنا: الأفضل في جملة الحج الركوب إلا في مواطن المناسك، والسنة: أن يبيت الليلة التاسعة بمني، حتى تطلع الشمس، ولو تركه لادم عليه. قوله: «بنمرة» هي بفتح النون وكسر الميم، جبل عن يمين الخارج من مأزمي* عرفة، إذا أراد الموقف. وقوله: «تضرب» صفة لـ«قبة» أو حال، والتقدير: أمر بضرب قبة بنمرة قبل قدومه إليها، فحذف المضاف، وجعل الصفة دليلا عليه. «مح»: فيه دليل جواز استظلال المحرم، ولا خلاف من النازل، وإنما الخلاف في الراكب، فمذهبنا جوازه، وكره مالك وأحمد.

---

* المأزم: المضيق، أى مضيقى عرفة.

كانتْ قريشٌ تصنَعُ في الجاهلِيةِ، فأجازَ رسولُ الله ﷺ حتى أتى عرَفَةَ، فوجدَ القُبَّةَ قدْ ضُرِبتْ له بنَمِرةَ، فنزل بها، حتى إذا زاغتِ الشَّمسُ أمرَ بالقَصْواءِ، فرُحِلَتْ له، فأتى بطنَ الوادي، فخطبَ النَّاسَ، وقال: «إنَّ دماءَكم وأموالكم حرامٌ علَيكم، كحرمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا، ألا كلُّ شيءٍ منْ أمرِ الجاهليَّةِ

قوله: «إلا أنه واقف» أي أنه في وقوفه، وفي الاستثناء دقة، يعني أن قريشًا لم يشكوا في أنه ﷺ خالفهم في سائر مناسك الحج إلا الوقوف عند المشعر الحرام، فإنهم لم يشكوا في المخالفة، بل تحققوا أنه ﷺ يقف عند المشعر الحرام؛ لأنه من المواقف الخمس، وأهل حرم الله. «مح»: هو جبل في المزدلفة، يقال له: قزح، وقيل: هو كل المزدلفة، وكان سائر العرب يجاوزون المزدلفة، ويقفون بعرفات، وظنت قريش أن النبي ﷺ يقف في المشعر الحرام على عادتهم، ولايجاوز عنه، فتجاوز إلى عرفات، لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله تعالى: **﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾**(1) أي سائر العرب،و وكانت قريش يقولون: نحن أهل حرم الله، ولا نخرج منه. وقوله: «فأجاز» أي جاوز المزدلفة. وقوله: «أتي عرفة» أي قارب عرفات؛ لقوله: «فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها»: لأن نمرة ليست من عرفات.

قوله: «فرحلت له» أي أمر بوضع الرحل على القصواء، ففعل، تقول: رحَّلت البعير أرحله رحلا، إذا شددت على ظهره الرحل. قال الأعشى:

رحلت سمية غدوة أجمالُها غضبى عليك،فما تقول بدالها

قوله: «بطن الوادي» «مح»: هو عرنة - بضم العين وفتح الراء وبعدها نون - وليست من أرض عرفات عند الشافعي، ومنها عند مالك.

قوله: «إن دماءكم وأموالكم» «تو»: أراد أموال بعضكم على بعض، إنما ذكره مختصرا اكتفاء بعلم المخاطبين، حيث جعل «أموالكم» قرينة «دماءكم»، وإنما شبه ذلك في التحريم بيوم عرفة، وبذي الحجة، وبالبلد؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها محرمة أشد التحريم لايستباح منها شئ، وفي تشبيهه هذا مع بيان حرمة الدماء والأموال تأكيد لحرمة تلك الأشياء التي شبه بتحريمها الدماء والأموال.

أقول: هذا من تشبيه ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة، كما في قوله تعالى: **﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾**(2) كانوا يستبيحون دماءهم وأموالهم في الجاهلية في غير الأشهر الحرم، ويحرمونها فيها، كأنه قيل: إن دماءكم وأموالكم ،حرمة عليكم أبدًا كحرمة يومكم

---

(1) البقرة: ١٩٩ . (2) الأعراف: ١٧١.

تحتَ قدَميَّ موضوعٌ، ودماءُ الجاهليَّة موضوعةٌ، وإنَّ أوَّلَ دَمٍ أضعُ منْ دمائنا دمَ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ - وكانَ مُسترْضَعًا في بني سعْدٍ فقتله هُذَيلٌ - وربا الجاهليَّةِ موضوعٌ، وأوَّلُ رِبًا أضعُ منْ رِبانا،ربا عبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلب، فإنَّه موضوعٌ كلُّه، فاتقُوا اللهَ في النساءِ، فإنَّكم أخذْتموهُنَّ بأمانِ اللهِ، واستحللتُم فُروجَهُنَّ بكلمةِ اللهِ،

وشهركم وبلدكم. ثم أتبعه بما يؤكده تعميما من قوله: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع» «تو»: أي أبطلت ذلك وتجافيت عنه، حتى صار كالشيء الموضوع تحت قدمي، قوله: «دم ابن ربيعة» «مح»: الجمهور: اسمه إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، قالوا: وكان هذا الابن المقتول طفلا صغيرا يحبو بين البيوت، فأصابه حجر في حرب كانت بين بني سعد وبني ليث بن بكر.

«تو»: وربيعة بن الحارث صحب رسول الله ﷺ، وروى عنه، وكان أسن من العباس، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه. وإنما بدأ في وضع دماء الجاهلية ورباها بين أهل الإسلام بأهل بيته، ليكون أمكن في قلوب السامعين، وأسد لأبواب الطمع في الترخيص. وقوله: «من دمائنا» أراد به أهل الإسلام لا ذوي القرابة منه، أي أبدأ في وضع الدماء التي يستحق أهل الإسلام ولايتها بأهل بيتي. قوله: «فاتقوا الله في النساء» عطف من حيث المعنى على قوله: «إن دماءكم وأموالكم» يعني فاتقوا الله في استباحة الدماء، وفي نهب الأموال، وفي النساء، وهى من عطف الإنشائي على الإخباري بالتأويل، كما عطف **﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾**(١) على قوله: **﴿إن أصحاب الجنة اليوم﴾**(٢) وفي رواية المصابيح: «واتقوا» بالواو، وكلاهما جائزان. قوله: «بأمان الله» أي بعهده، وهو ما عهد إليهم من الرفق بهن، والشفقة عليهن.

قوله: «بكلمة الله» «مح»: قيل: هي قوله تعالى: **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾**(٣) وقيل: هي الإيجاب والقبول؛ لأن الله تعالى أمر بها، وقيل: هي قوله تعالى: **﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾**(٤) وهو قول الخطابي، وقيل: كلمة التوحيد؛ إذ لاتحل مسلمة لغير مسلم، والأول هو الوجه. «تو»: المعنى أن استحلالكم فروجهن وكونهن تحت أيديكم إنما كان بعهد الله وحكمه، فإن نقضتم عهده وأبطلتم حكمه انتقم منكم لهن. قوله: «أن لايوطئن فرشكم» «نه»: أي لا يأذنّ لأحد من الرجال أن يتحدث إليهن،وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب، لايرون ذلك عيبًا، ولا يعدونه ريبة، إلى أن نزلت آية

---

(١) يس: ٥٩ (٢) يس: ٥٥
(٣) النساء: ٣ (٤) البقرة: ٢٨٣

ولكم علَيهِنَّ أنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشكم أحدًا تكرَهونَه، فإنْ فعلْنَ ذلكَ فاضرِبوهنَّ ضربًا غيرَ مُبَرِّحٍ، ولهُنَّ علَيكم رزقُهنَّ وكِسوتُهنَّ بالمعروف، وقدْ تركْتُ فيكم ما لنْ تضلُّوا بعدَه إنِ اعتصَمتُمْ به كتابَ اللهِ، وأنتم تُسألونَ عَنِّي، فما أنتُمْ قائلونَ؟» قالوا: نشهَدُ

الحجاب. وليس المراد بوطء الفراش نفس الزنا؛ لأن ذلك محرم على الوجوه كلها، فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه، ولو كان ذلك لم يكن الضرب فيه ضربًا غير مبرح، وإنما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد.

(١): «مح» النهي يتناول الرجال والنساء جميعا، وهكذا المسألة عند الفقهاء؛ لأنها لايحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة، محرم وغيرها في دخول منزل الزوج، إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لايكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن، أو عرف رضاه بالظن، أو العرف، ومتى حصل الشك في الرضا لايحل الدخول ولا الإذن. أقول: ظاهر قوله: «أن لا يوطئن فرشكم أحدا» مشعر بالكناية عن الجماع، فعبر به عن عدم الإذن مطلقا تغليظا وتشديدا.

قوله: «غير مبرح» هو من برح به السوق تبريحا، إذا اشتد عليه بحيث جهده، وبرحاء الوحي شدته. «مح»: فيه إباحة ضربها للتأديب، فلو ضربها الضرب المأذون فيه فماتت منه، وجبت الدية على العاقلة والكفارة على الضارب.

قوله: «لن تضلوا بعده» أي بعد التمسك به، والعمل بما فيه، و«كتاب» بدل أو بيان لـ«ما» وفي التفسير بعد الإبهام تفخيم لشأن القرآن، وفي تعقيب هذا الكلام أعني «وقد تركت فيكم» الكلام السابق تعميم بعد التخصيص. قوله: «وأنتم تسألون عني» عطف على مقدر، أي قد بلغت ما أرسلت به إليكم جميعًا، غير تارك لشيء مما بعثني الله به، وأنتم تسألون عن ذلك يوم القيامة، هل بلغكم محمد جميع ما أمر به أن يبلغ إليكم؟ كما قال الله تعالى: ﴿**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل**﴾[٢] أي إن لم تبلغ الجميع ﴿**فما بلغت رسالته**﴾[٣]؛ لأنك كتمت شيئًا مما أنزل إليك، فما بلغت جميع ما أنزل إليك. و«الفاء» في قوله: «فما أنتم قائلون» يدل على هذا المحذوف، أي إذا كان الأمر على هذا، فبأي شيء تجيبونه؟ ومن ثم طبق جوابهم السؤال، فأتوا بالألفاظ الجامعة، أي بلغت ما أنزل إليك، وأديت ما كان عليك، وزدت على ذلك بما نصحتنا من السنن، والآداب، وغير ذلك.

---

(١) في نسخة بها ولبور، ونسخة الشيخ إدريس بياض قدر لفظ، وفي نسخة بيرجهندا مسطور «قوله» وفي المرقاة: قال الطيبي رحمه الله – . . والنهي يتناول الرجال والنساء مصحح (ط).

(٢) المائدة: ٦٧.

أنكَ قدْ بلَّغْتَ وأدَّيْتَ ونصَحتَ. فقالَ بأصبعه السبَّابَة يرفعُها إلى السَّماء وينكتُها إلى الناسِ: «اللهُمَّ اشهَدْ، اللهُمَّ اشهدْ» ثلاثَ مرَّات، ثمَّ أذَّنَ بلالٌ، ثمَّ أقامَ فصلَّى الظُّهرَ، ثمَّ أقامَ فصلَّى العصْرَ، ولمْ يُصلِّ بينهُما شيئًا، ثمَّ ركبَ حتى أتي الموقِفَ، فجعلَ بطنَ ناقته القَصْواءِ إلى الصَّخَراتِ، وجعلَ حَبْلَ المشاةِ بينَ يديْه، واستقْبلَ

قوله: «فقال» أي أشار. وقوله: «يرفعها إلى السماء» حال إما من فاعل «قال» أو من «السبابة» أي رافعًا إياها، أو مرفوعة. قوله: «وينكبها» «نه»: هي بالباء الموحدة من تحت، أي يميلها إليهم من نكبت الإناء نكبًا ونكبتها تنكيبًا، إذا أماله وكبه. «مح»: ضبطناه بالتاء المثناة من فوق. قال القاضي عياض: كذا الرواية، وقال: وهو بعيد المعنى، وقيل: صوابه بالباء الموحدة، وروينا في سنن أبي داود بالتاء المثناة من طريق ابن الأعرابي، وبالموحدة من طريق أبي بكر التمار، ومعناه يردها، ويقلبها إلى الناس مشيرًا إليهم.

أقول: أراد بقوله: «بعيد المعنى» أنه غير موافق للغة. «الجوهري»: نكت في الأرض بالقضيب، إذا ضرب في الأرض فيؤثر فيها. «المغرب»: في الحديث «نكتت خدرها بإصبعها» أي نقرت وضربت، هذا إذا استعمل بفي أو بالباء، وفي الحديث مستعمل بإلى، فيكون النكت مجازًا عن الإشارة بقرينة إلى، وتقديره ما ذكر من قوله: «يقلبها إلى الناس مشيرًا إليهم».

قوله: «ولم يصل بينهما شيئًا» «مح»: فيه أنه يشرع الجمع بين الظهر والعصر هناك حينئذ، وقد أجمعت الأمة عليه، واختلفوا في سببه، فقيل: بسبب النسك، وهو مذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي، وقال أكثر أصحابنا: بسبب السفر، فمن كان حاضرًا، أو مسافرًا دون مرحلتين لم يجز له الجمع، كما لايجوز القصر. وفيه أن الجامع بين الصلاتين يصلي الأولى أولا، وأنه يؤذن للأولى، ويقيم لكل واحدة، ولا يفرق بينهما.

قوله: «إلى الصخرات» أي جعل بطن ناقته منتهيًا إلى الصخرات بحيث يكون جبل المشاة قدامها. «نه»: الجبل المستطيل من الرمل، وقيل: الجبال في الرمل كالجبال في غير الرمل، فالمعنى جعل جبل المشاة أي طريقهم الذي يسلكون في الرمل، وقيل: أراد صفهم ومجتمعهم، ومشيهم بسببها بجبل الرمل.

«مح»: في هذا الفصل مسائل وآداب للوقوف: منها أنه إذا فرغ من الصلاتين عجل الذهاب إلى الموقف، ومنها أن الوقوف راكبًا أفضل وفيه خلاف، ومنها استحباب الوقوف عند الصخرات، وهن مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وأما ما اشتهر بين العوام من الاعتناء بصعود الجبل، وتوهمهم أنه لايصح الوقوف إلا به فغلط، بل الصواب جواز الوقوف في كل

القبلةَ، فلمْ يزلْ واقفًا حتى غربَت الشمسُ، وذهبت الصُّفْرةُ قليلاً، حتى غابَ القُرْصُ، وأردَفَ أُسامةَ، ودَفَعَ حتى أتى المزْدَلفةَ. فصلّى بها المغربَ والعشاءَ بأذانٍ واحدٍ وإقامتَينِ، ولمْ يُسبِّحْ بينَهما شيئًا، ثمَّ اضطَجعَ حتى طلعَ الفجرُ، فصلَّى الفجرَ حينَ تبين له الصُّبحُ بأذانٍ وإقامةٍ، ثمَّ ركبَ القصْواءَ حتى أتى المشعرَ الحَرام،

جزء من أرض عرفات، والفضيلة الوقوف على موقف رسول الله ﷺ، فإن عجز فالأقرب والأقرب، ومنها استحباب استقبال الكعبة، ومنها الوقوف عليها حتى الغروب الكامل، فلو أفاض قبل الغروب صح الوقوف، ويجبر بدم، والأصح أنه سنة. وأما وقت الوقوف فمن وقت الزوال في يوم عرفة، وطلوع الفجر الثاني من يوم النحر، ومن فاته فاته الحج.

قوله: «حتي غاب القرص» «مح»: قال القاضي عياض: لعل صوابه حين غاب القرص، قال: ويحتمل أن يكون الكلام على ظاهره، وقوله: «حتى غاب القرص» بيانًا لقوله: «غربت الشمس، وذهبت الصفرة» فإن ذلك قد يطلق مجازًا على مغيب معظم القرص، فأزال ذلك الاحتمال بقوله: «حتى غاب القرص».

قوله: «ودفع» «نه»: أي ابتدأ السير، ودفع نفسه ونحاها، أودفع ناقته وحملها على السير، و«المزدلفة» هي منزل بين عرفات ومنى، سمي مزدلفة؛ لأنه يتقرب فيها. «مح»: قيل: سميت بها؛ لمجئ الناس إليها في زلف من الليل، وسميت أيضًا بجمع، لاجتماع الناس فيها، والمزدلفة كلها من الحرم. وقال جمع من العلماء: حد المزدلفة ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر، وليس الحدان منها، ويدخل في المزدلفة جميع تلك الشعاب، والجبال الداخلة في الحد المذكور.

وفي هذا الفصل فوائد: منها أن السنة للداخل من عرفات أن يؤخر المغرب إلى وقت العشاء بنية الجمع، وقال أصحابنا: ولو جمع بينهما في وقت المغرب في أرض عرفات، أو في موضع آخر، أو صلى كل واحدة في وقتها جاز، لكنه خلاف الأفضل. وللأئمة في المسألة خلاف. وأما قوله: «فلم يسبح بينهما» فمعناه لم يصل بينهما النافلة والنافلة تسمى سبحة، واختلفوا في أن الموالاة بين الصلاتين شرط أم لا، لكن لم يختلفوا في اشتراطها إذا جمع بينهما في الوقت الأول.

قوله: «ثم اضطجع» «مح»: لم يختلفوا في أن المبيت بمزدلفة ليلة النحر نسك، لكن اختلفوا هل هو واجب أم ركن أم سنة؟ والصحيح من قول الشافعي رضي الله عنه: أنه واجب ولو تركه أثم ولزمه دم، وصح حجه. وقال جماعة من أصحابنا: إنه ركن لايصح الحج إلا به. قوله: «أسفر» ضمير الفاعل للفجر، و«جدًا» حال، أي مبالغًا، أو صفة مصدر محذوف أي إسفارًا بليغًا.

فاستقبَلَ القبلةَ، فدعاهُ، وكبَّره، وهلَّله، ووَحَّدَه، فلم يزلْ واقفًا حتى أسفرَ جدًا، فدَفعَ قبلَ أنْ تطلُعَ الشمسُ، وأردفَ الفضلَ بنَ عبَّاس، حتى أتى بطنَ مُحَسِّر، فحرَّكَ قليلاً، ثمَّ سلكَ الطريقَ الوُسْطى التي تخرُجُ على الجمرةِ الكبرى، حتى أتى الجمرةَ التي عندَ الشجرةِ، فرَماها بسبعِ حصَيَاتٍ يكبِّرُ معَ كلِّ حصاةٍ منها مثلَ حَصى الخَذْفِ رَمى منْ بطنِ الوادي، ثمَّ انصرفَ إلى المنحرِ، فنحرَ ثلاثًا وستِّينَ بَدَنَةً بيدِه، ثمَّ أعطى عليًا، فنحرَ ما غبَرَ، وأشرَكه في هدْيِه، ثمَّ أمرَ منْ كلِّ بدَنَةٍ ببَضعَةٍ، فجعلتْ في قدْرٍ، فطُبِختْ، فأكَلا منْ لحمِها وشرِبا منْ مرقِها. ثمَّ ركبَ

قوله: «بطن محسر» «مح»: هو بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة المهملتين، سمي بذلك؛ لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه، أي أعيى وكل. قوله: «الطريق الوسطى» «مح»: هو غير الطريق الذي ذهب فيه إلى عرفات، وهذا معنى قول أصحابنا: يذهب إلى عرفات في طريق ضب، ويرجع في طريق المأزمين. قوله: «حصى الخذف» بدل من «حصيات» وهو نحو حبة الباقلاء، ينبغي أن لاتكون أصغر ولا أكبر منها. أقول: يريد أن الإضافة فيه للبيان بمعنى من. «تو»: «الخذف» بالخاء والذال المعجمتين، الرمي بالأصابع، يريد أن كل حصاة كانت كالتي يجعلها الإنسان على إصبعه فرمى بها. «مح»: فيه أن يكون المرمي به حجرًا، وفيه أن التكبير بينها سنة، ويجب التفريق بينها، فإن رماها رمية واحدة حسبت واحدة، ومذهبنا أن الرمي واجب وليس بركن، فإن تركه حتى فاتت أيام الرمي عصى، ولزمه دم.

قوله: «ما غبر» أي ما بقي، والغبور البقاء والمضي، وهو من الأضداد. «مح»: فيه استحباب ذبح هديه بنفسه، وجواز الاستنابة فيه، واستحباب تعجيل ذبح الهدايا يوم النحر وإن كانت كثيرة. وأما قوله: «وأشركه في هديه» فظاهره أنه شاركه في نفس الهدي. وقال القاضي عياض: وعندي أنه لم يكن تشريكًا حقيقيًا، بل أعطاه قدرًا يذبحه. و«البضعة» بفتح الباء، القطعة من اللحم. وفيه استحباب الأكل من هدي التطوع وأضحيته. قوله: «فأكلا من لحمها وشربا من مرقها» «مظ»: الضمير المؤنث يعود إلى القدر؛ لأنها مؤنث سماعي. أقول: ويحتمل أن يعود الضمير إلى الهدايا. «مح»: قالوا: لما كان الأكل من كل واحدة سنة، وفي الجمع بينها كلفة، جعلت في قدر ليكون الشرب مع مرق الجميع الذي فيه جزء من كل واحدة، والأكل من اللحوم المجتمعة متيسر.

قوله: «فأفاض» أي أسرع إلى الكعبة للطواف الفرض، «وطاف فصلى» ففيه إضمار. «مح»: هو ركن من أركان الحج بالإجماع، ويجوز الطواف في جميع يوم النحر بلا كراهة، ويكره تأخيره عنه بلا عذر، وتأخيره عن أيام التشريق أشد كراهة، ولايحرم تأخيره سنين متطاولة، ولا

رسولُ الله ﷺ، فأفاضَ إلى البيتِ، فصلّى بمكةَ الظُّهرَ، فأتى على بني عبدالمطلب يسقونَ على زمزَمَ، فقالَ: «انزِعوا بني عبدِ المطَّلبِ! فلولا أنْ يغلبكُم النَّاسُ على سِقايتكم لنَزَعْتُ معكم» فناولوهُ دَلْوًا فشرِبَ منه. رواه مسلم.

٢٥٥٦ - * وعن عائشةَ [رضي الله عنها] قالت: خرجنَا معَ النبيِّ ﷺ في حَجَّة الوَداع، فمنَّا مَنْ أهلَّ بعُمرة، ومنَّا مَنْ أهلَّ بحجٍّ، فلمَّا قَدِمْنا مكةَ قال رسولُ الله ﷺ: «من أهلَّ بعُمرةٍ ولم يُهْدِ فليَحْلِلْ، ومنْ أحرمَ بعُمرة وأهدى فليُهِلَّ بالحجِّ معَ

آخر لوقته، بل يصح مادام الإنسان حيًا، وشرط أن يكون بعد الوقوف بعرفات، ولايشترط فيه الرمل، ولا الاضطباع، إذا كان قد رمل واضطبع فى طواف القدوم، ولو طاف للوداع أو التطوع، وعليه طواف الإفاضة، وضع عنه طواف الإفاضة بلا خلاف عندنا بنص الشافعى رضى الله عنه، وقال أبو حنيفة وأكثر العلماء: لايجزىء طواف الإفاضة بنية غيره.

قوله: «انزعوا» «مح»: أى استقوا بالدلاء، وانزعوها بالرشاء. لولا خوفى أن يعتقد الناس أن النزع والاستقاء مناسك من الحج، ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم، لاستقيت معكم لكثرة فضيلته، وفيه استحباب شرب ماء زمزم، وسميت به لكثرة مائها، يقال: ماء زمزم وزموم وزمام، إذا كان كثيرًا. وقيل: إنها غير مشتقة.

الحديث الثانى عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «ولا بين الصفا والمروة» عطف على النفى على تقدير «ولم أسع» وهو من باب «علفتها* تبنا وماء باردا»**، ويجوز أن يقدر «ولم أطف» على المنفى قبله على طريق المجاز، لما سيجئ فى الحديث الذى يتلوه «فطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف». وإنما ذهبنا إلى التقدير دون الانسحاب لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد حقيقة ومجازًا فى حالة واحدة. وقوله: «فلم أزل» عطف على «حضت» أى حضت فاستمر حيضى.

قوله: «ومن أحرم بعمرة وأهدى فلا يحل حتى يحل بنحر هديه» «مح»: هذا ظاهره الدلالة على مذهب أبى حنيفة وأحمد وموافقيهما، ومذهب مالك والشافعى وموافقيهما: أن المعتمر إذا طاف وسعى وحلق، حل وحل له كل شئ فى الحال، سواء ساق هديا أم لا، واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدى، وبأنه تحلل من نسكه فوجب أن يحل له كل شئ. . قالوا: إن هذه الرواية مختصرة من الرواية التى ذكرها مسلم بعدها، والتى قبلها عن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: من كان معه هدى فليهلل بالحج والعمر، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعًا، فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية التى احتج بها أبو حنيفة، وتقديرها: ومن أحرم بعمرة وأهدى، فليهلل بالحج، ولايحل حتى ينحر هديه. ولابد من هذا التأويل؛ لأن القضية واحدة، والراوى واحد، فيتعين الجمع بين الروايتين على ماذكرناه.

---

* فى (ط) علفته.

** هذا صدر بيت، وعجزه: حتى غدت همّالة عيناها والشاهد فيه أنه عطف الماء على التبن، فكأنه قال: علفتها تبناً وسقيتها ماءً، ونحوه فى قول عائشة «لم أطف بالبيت، ولا بين الصفا والمروة» اى ولم أسع.

العُمرةِ ثمَّ لا يَحلَّ حتى يحلَّ منهما». وفي رواية: «فلا يَحلَّ حتى يحلَّ بنحر هَدْيه، ومَنْ أهلَّ بحجّ فليُتمَّ حَجَّهُ» قالت: فحضْتُ، ولم أَطُفْ بالبَيْتِ، ولا بينَ الصَّفَا والمروةِ، فلم أزلْ حائضًا حتى كانَ يومُ عرفةَ، ولم أُهْلِلْ إلا بعُمرةٍ ، فأمرني النبيُّ ﷺ أن أنقُضَ رأسي وأمتشطَ وأهلَّ بالحجِّ، وأترُكَ العُمْرةَ، ففعلتُ، حتى قضيتُ حجِّي بعثَ معي عبدالرحمن بنَ أبي بكرٍ، وأمرني أنْ أعتمرَ مكان عُمرتي من التنعيم. قالت: فطافَ الذينَ كانوا أهلوا بالعُمرةِ بالبيت وبينَ الصَّفا والمروة، ثمَّ حَلُّوا، ثمَّ طَافُوا طوافًا بعدَ أنْ رَجعُوا من مِنى. وأما الذينَ جمعُوا الحجَّ والعُمرةَ فإنما طافُوا طوافًا واحدًا. متفق عليه.

٢٥٥٧ - * وعن عبدِ اللهِ بن عُمر رضي الله عنهما قال: تمتَّعَ رسولُ الله ﷺ في حجَّةِ الوداعِ بالعُمرةِ إلى الحجِّ، فساقَ معهُ الهدىَ من ذي الحُليفةِ، وبَدأ فأهلَّ

قوله : «وأترك العمرة» «مظ»: أى أخرج من إحرامى العمرة، وأستبيح محظورات الإحرام، وأحرم بعد ذلك بالحج، وأتم الحج، فإذا أفرغ منه أحرم بالعمرة. وبهذا قال أبو حنيفة. وقال الشافعى: ليس معناه أنه أمرها بترك العمرة، بل معناه أنه أمرها بترك أعمال العمرة، وأمرها أن تدخل الحج فى العمرة، لتكون قارنة، وأما عمرتها بعد فراغ الحج، فكانت تطوعا لتطيب نفسها، كيلا تظن لحوق نقصان عليها بتركها أعمال عمرتها الأولى. قوله: «بعث» جملة استئنافية على تقدير السؤال كأنها لما أخبرت عن الكلام السابق سئلت: ثم ماذا حدث بعد؟ فأجابت« بعث» إلى آخره، وقوله: «مكان عمرتى» أى بدلها، وهو نصب على المصدر. و«من التنعيم» متعلق بـ «اعتمر» وهو موضع قريب من مكة عند مسجد عائشة رضى الله عنها. قوله: «ثم طافوا طوافًا واحدا» «مظ»: يعنى طاف الذين أفردوا العمرة عن الحج طوافين، طوافا للعمرة وطوافا بعد أن رجعوا للحج فى يوم النحر بعد أن رجعوا من منى إلى مكة، وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة، فإنهم طافوا طوافًا واحدًا يوم النحر للحج والعمرة جميعًا.

الحديث الثالث عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: قوله: «تمتع رسول الله ﷺ » «مح»: قال القاضى عياض: هو محمول على التمتع اللغوى، وهو القران آخرًا، معناه أنه ﷺ أحرم أولا بالحج مفردًا، ثم أحرم بالعمرة، فصار قارنا فى آخر أمره، والقارن هو متمتع من حيث اللغة، ومن حيث المعنى؛ لأنه ترفه باتحاد الميقات والإحرام والفعل، ويتعين هذا التأويل هنا؛ لما قدمناه فى الأبواب السابقة من الجمع بين الأحاديث فى ذلك.

بالعُمرةِ، ثمَّ أهلَّ بالحجِّ، فتمتَّعَ الناسُ معَ النبيِّ ﷺ بالعُمرةِ إلى الحجِّ، فكانَ منَ النَّاسِ من أهدى، ومنهم مَنْ لم يُهدِ ، فلمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ مكةَ، قال للناس: «منْ كانَ منكم أهدى فإنَّه لايحلُّ من شيء حُرِم منه حتى يقضي حجَّهُ، ومَنْ لم يكنْ منكم أهدى فليَطُفْ بالبيت وبالصَّفا والمروةِ، وليْقصرْ وليَحلِلْ ثمَّ ليُهلَّ بالحجِّ وليُهد، فمنْ لم يجدْ هديًا فليصُمْ ثلاثة أيَّامٍ في الحجِّ وسبعةً إذا رجعَ إلى أهله» فطافَ حين قدمَ مكةَ واستلم الركنَ أوَّلَ شيء، ثم خب ثلاثةَ أطواف، ومشى أربعًا فركع حينَ قَضى طوافَهُ بالبيت عندَ المقامِ ركعتين، ثمَّ سلّم فانصرفَ، فأتى الصَّفَا فطاف بالصَّفا والمروةِ سبعةَ أطواف، ثمَّ لم يحلَّ مِنْ شيء حرُمَ منهُ حتى قضى حجَّهُ ونحرَ هديَه يومَ النحر وأفاضَ فطافَ بالبيت ثمَّ حلّ مِنْ كلِّ شيء حَرُمَ منه، وفعلَ مثلما فعلَ رسولُ الله ﷺ من ساق الهديَ مِنَ النَّاسِ. متفق عليه.

وأما قوله: «وبدأ رسول الله ﷺ، فأهل بالعمرة، ثم أهل بالحج» فهو محمول على التلبية فى أثناء الإحرام ، وليس المراد أنه أحرم فى أول أمره بعمرة، ثم أحرم بحج؛ لأنه يؤدى إلى مخالفة الأحاديث السابقة، فوجب تأويل هذا على موافقتها. ويؤيد هذا التأويل قوله: «فتمتع الناس مع النبى ﷺ بالعمرة إلى الحج» ومعلوم أن كثيراً منهم، أو أكثرهم أحرموا أولا بالحج مفردين، وإنما فسخوه إلى العمرة آخرا فصاروا متمتعين. فقوله: «فتمتع الناس» يعنى فى آخر الأمر. وأما قوله: «ثم ليهل بالحج» فمعناه يحرم فى وقت الخروج إلى عرفات، لا أنه يهل به عقيب تحلل العمرة، ولهذا قال: «ثم ليهل» فأتى بـ «ثم» التى هى لتراخى المهلة. وأما قوله: «وليهد» فالمراد به هدى التمتع وهو واجب.

أقول: على هذا التأويل معناه أن رسول الله ﷺ أراد أن يقارن العمرة بالحج مترفها بإيجاد الميقات والإحرام والفعل، فساق الهدى وبدأ فلبى لإحرام العمرة، ثم لبى فى أثناء الإحرام للحج، و«ثم» ها هنا لتراخى مرتبة الحج من العمرة، ولابد من تقدير الإرادة لئلا يلزم التكرار. ويجوز أن لايقدر الإرادة فتكون الفاء للتفصيل، فإن التفصيل يعقب الإجمال. وقوله: «إلى الحج» حال أى متوجها إلى الحج. و«أول شيء» حال من المفعول أى مبدوءا به. قوله: «ثم خب» الخب ضرب من العدو، وهو المعنى بالرمل، ووضع قوله: «فطاف بالصفا والمروة» موضع السعى بينهما.

قوله: «فليصم ثلاثة أيام» «مح» : يجب صومها قبل يوم النحر، ويجوز صوم يوم عرفة منها، لكن الأولى أن يصوم الثلاثة قبله، والأفضل أن لايصومها حتى يحرم بالحج بعد فراغه

٢٥٥٨ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «هذه عُمْرةٌ استمتعنا بها، فمنْ لم يكنْ عندهُ الهدْيُ فليحلَّ الحِلَّ كلَّه، فإنَّ العمرةَ قد دخلتْ في الحجِّ إلى يومِ القيامةِ» رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن **الفصل الثاني**

الفصل الثالث

٢٥٥٩ - * عن عطاء، قال: سمعتُ جابرَ بنَ عبدِالله في ناسٍ معي قال: أهلَلْنا - أصحابَ محمدٍ- بالحجِّ خالصًا وحده. قال عطاء: قال جابرٌ: فقدِمَ النبيُّ ﷺ صُبحَ

من العمرة، فإن صامها لذلك أجزأه على المذهب الصحيح، وإن صامها بعد الإحرام بالعمرة، وقبل فراغها لم يجزئه، فإن صامها فى أيام التشريق ففى صحته قولان، أشهرهما أنه لايجوز، وأصحهما من حيث الدليل جوازه، ولو ترك صيامها حتى مضى التشريق لزمه قضاؤها عندنا. وقال أبو حنيفة رضى الله عنه: يفوت صيامها، ويلزمه الهدى إذا استطاعه، وأما صوم السبعة فيجب إذا رجع، وفى المراد بالرجوع خلاف، والصحيح عندنا أنه إذا رجع إلى أهله، وقيل: إذا رجع إلى مكة من منى، ومذهب أبى حنيفة الثانى.

الحديث الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «استمتعنا بها» هذا ظاهر فى أن المراد بالاستمتاع هو الترفه باتحاد الميقات والإحرام. «مظ»: قد مر اختلاف الروايات فى أنه ﷺ كان متمتعا أو قارنا أو مفردا، فمن قال بالتمتع تمسك بظاهر هذا الحديث، ومن قال بالقران ذهب إلى أن معناه استمتع من امرأته بتقديم العمرة على الحج من أصحابى، فأضاف فعلهم إلى نفسه، لأن فعل من فعل شيئًا بأمره كفعله. أقول: هو نحو قوله تعالى: ﴿**يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن**﴾ (١) - الكشاف(٢) -: خص النبى ﷺ بالنداء وعم الخطاب؛ لأن النبى ﷺ إمام أمته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يافلان افعلوا كيت وكيت، إظهارًا لتقدمه، واعتبارًا لترؤسه. قوله: «الحل» نصب على المصدر و«كله» تأكيد له، أى الحل التام.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن جابر رضى الله عنه: قوله: «أهللنا أصحاب محمد» «مح»: اختلفوا فى هذا، هل هو خاص للصحابة تلك السنة، أم باق لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة، فقال أحمد

---

(١) الطلاق: ١

(٢) الكشاف: ٤/١٠٧.

رابعةٍ مَضَتْ منْ ذي الحجَّة ، فأمَرَنا أنْ نحلَّ. قال عطاء: قال: «حلُّوا وأصيبُوا النساءَ». قال عطاءٌ: ولم يعزمْ عليهم، ولكن أحلَّهُنَّ لهمْ، فقُلْنا: لما لم يكُنْ بينَنا وبينَ عرَفةَ إلا خمسٌ أمرنا أن نُفضيَ إلى نسائنا، فنأتي عرَفةَ تَقْطرُ مذاكيرنا المنيَّ. قال: يقولُ جابرٌ بيده كأني أنظر إلى قوله بيده يحركُها قال: فقامَ النبيُّ ﷺ فينا فقال: «قَدْ علمتُمْ أني أتقاكُمْ لله وأصدَقُكُم وأبرُّكم، ولولا هدْيي لحللْتُ كما تحلون، ولو استقبلْتُ من أمري ما استدبرْتُ لم أسُقِ الهَدْيَ فحلوا» فحللنا، وسمعْنا وأطعْنا. قال

وطائفة من أهل الظاهر: ليس خاصا، بل هو باق إلى يوم القيامة، فيجوز لكل من أحرم بحج وليس معه هدى أن يقلب إحرامه عمرة ويحلل بأعمالها، وقال مالك والشافعى وأبو حنيفة: هو مختص بهم فى تلك السنة، لايجوز بعدها. وإنما أمروا به؛ ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج. واستدل بحديث أبى ذر «كانت المتعة فى الحج لأصحاب محمد خاصة» يعنى فسخ الحج إلى العمرة ، وفى كتاب النسائى عن أبى بلال «قلت: يارسول الله ! فسخ الحج لنا خاصة أم للناس عامة؟ فقال: بل لنا خاصة»، وأما الذى فى حديث سراقة: «ألعامنا هذا أم لأبد؟ فقال: لأبد»، فمعناه يجوز الاعتمار فى أشهر الحج والقران. فالحاصل من مجموع طرق الأحاديث أن العمرة فى أشهر الحج جائزة إلى يوم القيامة، وكذلك القران، وأن فسخ الحج إلى العمرة مختص بتلك السنة.

أقول: فى هذا الحديث نفسه دليل على الاختصاص؛ لأن قول جابر: «أهللنا أصحاب محمد» معناه أنا معشر أصحاب محمد مخصوصون بالإهلال بالحج إلى آخره. قال فى المفصل: وفى كلامهم ماهو على طريقة النداء ويقصد به الاختصاص لا النداء، وذلك قولهم: نحن نفعل كذا أيها القوم، واللهم اغفر لنا أيتها العصابة، أى نحن نفعل متخصصين من بين الأقوام، واغفر لنا مخصوصين من بين العصائب. وقوله: «فى ناس معى» حال من المفعول، أى كائنًا فى جملة ناس معى. و«خالصًا» أيضا حال من الحج، و«وحده» صفة مؤكدة له، فـ «خالصا» حال موطئة، كقوله تعالى: ﴿قرآنًا عربيًّا﴾[1].

قوله: قال عطاء: «قال: حلوا» فسر جابر قوله: «فأمرنا أن نحل» بقوله: قال، أى رسول الله ﷺ: «حلوا»، ثم فسر عطاء تفسير جابر بقوله: «ولم يعزم عليهم» أى لم يوجب وطئهن، بدليل قوله: «ولكن أحلهن» أى أباح وطئهن. وقوله: «إلا خمس» أى خمس ليال.

قوله: «فنأتى عرفة» ليس من تمام أمر رسول الله ﷺ، بل هو عطف على مقدر، أي فتتنزهنا من ذلك، وقلنا: نأتى عرفة تقطر مذاكيرنا المنى، ومن ثمة أشاروا بمذاكيرهم استهجانا لذلك الفعل، ولذلك واجههم رسول الله ﷺ بقوله: «قد علمتم أنى أتقاكم لله». وكذا قوله: «سمعنا

---

(١) يوسف :٢ .

عطاء: قال جابر: فقدمَ عليٌّ من سعايته فقال: بم أهللْتَ؟ قال: بما أهلَّ به النبي ﷺ. فقال له رسولُ الله ﷺ: «فاهْد وامكثْ حرامًا» قال: وأهدى لهُ عليٌّ هديًا، فقال سراقةُ بنُ مالك بن جُعْشُم: يارسولَ الله! ألعامِنا هذا أم لأبد؟ قال: «لأبدٍ». رواه مسلم.

٢٥٦٠ - * وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالتْ: قدمَ رسولُ الله ﷺ لأربعٍ مضينَ من ذي الحجَّة. أو خمس، فدخلَ عَلَيَّ وهو غضبانُ فقلتُ: منْ أغضبكَ يارسول الله! أدخلهُ اللهُ النَّار. قال: «أو ماشعرتِ أني أمرتُ الناس بأمرٍ فإذا هم يتردَّدون، ولو أني استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ماسُقْتُ الهدي معي حتى أشتريه ثمَّ أحِلُّ كما حلّوا». رواه مسلم.

(٣) باب دخول مكة والطواف

الفصل الأول

٢٥٦١ - * عن نافعٍ، قال: إنَّ ابنَ عمرَ كانَ لايَقدمُ مكةَ إلا باتَ بذي طَوى حتى

وأطعنا» بعد التحليل، ويوضحه الحديث الذى بعده. قوله: «من سعايته» «نه»: أى توليه استخراج الصدقات من أربابها، وبه سمى عامل الصدقات الساعى.

الحديث الثانى عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «من أغضبك» «من» يجوز أن تكون شرطية، وجوابه «أدخله الله»، وأن تكون استفهامية على سبيل الإنكار. وقوله: «أدخله الله» على هذا لايكون إلا الدعاء بخلاف الأول، فإنه يحتمل الدعاء والإخبار. «مح»: وإنما غضب ﷺ لهتك حرمة الشرع، وترددهم فى قبول حكمه، وتوقفهم فى أمره، وقد قال الله تعالى: **﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾** (١). وفيه دلالة على استحباب الغضب عند هتك حرمة الدين، وجواز الدعاء على المخالف. «حتى أشتريه» هى بمعنى كى، و«أشتريه» منصوب به.

باب دخول مكة والطواف

الفصل الأول

الحديث الأول عن نافع: قوله: «بذى طوى» اسم بئر فى طريق المدينة. «مح»: هو بفتح

---

(١) النساء: ٦٥

يُصبحَ ويَغتسلَ ويُصلِّيَ، فيدخلَ مكةَ نهارًا، وإذا نفرَ منها مرَّ بذي طَوى وباتَ بها حتى يصبِحَ، ويذكرُ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يفعلُ ذلك، متفق عليه.

٢٥٦٢ - * وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالتْ: إنَّ النبيَّ ﷺ لما جاءَ إلى مكةَ دخلَها منْ أعْلاها، وخرجَ منْ أسفلِها متفق عليه.

٢٥٦٣- * وعن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ، قال: قد حجَّ النبيُّ ﷺ ، فأخبرَتْني عائشةُ أن أوَّلَ شيءٍ بدأ به حينَ قدِمَ مكةَ أنَّه توضَّأ، ثمَّ طافَ بالبيتِ، ثمَّ لم تكنْ عمْرةٌ ثمَّ حجَّ أبو بكرٍ، فكانَ أوَّلَ شيءٍ بدأ به الطَّواف بالبيتِ، ثمَّ لم تكنْ عمْرةٌ . ثمَّ عُمرُ. ثمَّ عثمانُ مثلُ ذلك. متفق عليه.

الطاء وضمها وكسرها والفتح أفصح وأشهر، وهى موضع بقرب مكة، وتصرف، وفيه استحباب دخول مكة نهارًا ليرى البيت ويدعو، والاغتسال بذى طوى لدخولها، أو يقدر بقدرها من لم يكن فى طريقها. قوله: «فيدخل» الرواية بالنصب، «والفاء» للتعقيب، «وحتى» بمعنى كى، أى بات بها ليجمع بين هذه الأشياء ، وإنما أتى بحرف التعقيب ليؤذن بالترتيب فى مدخوله. ويجوز فيه الرفع، «والفاء» للسببية، «وحتى» بمعنى إلى أن، وهذا الوجه وإن كان ظاهرا، ولكن الأول أدق معنًى لاستدعاء الحصر بـ«ما» و«إلا» تخصيص البيتوتة بذى طوى وأنه لم يكن إلا لتلك الأغراض. وفيه: أن الخصال الثلاث الأول كالمقدمات للأخيرة، ومستتبعات لها.

قوله: «ويذكر» عطف على خبر«كان» ، أى كان يذكر، أى كان ابن عمر يجمع بين هذه الأفعال، ويذكر أن النبى ﷺ فعلها.

الحديث الثانى عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «دخلها من آعلاها» «مح»: قيل: إنما فعل ﷺ هذه المخالفة فى طريقه داخلا وخارجًا، للفأل بتغير الحال إلى أكمل منه، كما فعل فى العيد، وليشهد له الطريقان، وليتبرك أهلها به. ويستحب عندنا دخول مكة من الثنية العليا، والخروج من السفلى ، ولافرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدنى، أولا تكون كاليمنى، [وهكذا]* يستحب أن يخرج من بلده من طريق ويرجع من أخرى.

الحديث الثالث عن عروة رضى الله عنه: قوله: «فأخبرتنى» الفاء فيه كالتفصيل للمجمل، فأخبر عروة أن النبى ﷺ قد حج، ثم فصله بإخبار عائشة رضى الله عنها، ونظيره قوله تعالى: ﴿إن فاءوا﴾[1] بعد قوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ [1] قوله: «إنه توضأ» «مح»: فيه

---

(١)، البقرة:٢٢٦.

* زيادة من «ك».

٢٥٦٤- * وعن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما، قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا طافَ في الحجِّ أو العمْرةِ أوَّلَ ما يقدمُ سعى ثلاثةَ أطوافٍ ومشى أربعةً ، ثمَّ سجدَ سجدتَينِ، ثمَّ يطوفُ بينَ الصَّفا والمروَة. متفق عليه.

٢٥٦٥ - وعنه، قال: رَمَلَ رسولُ اللهِ ﷺ منَ الحجَرِ إلى الحجَرِ ثلاثًا، ومشى أربعًا، وكانَ يسعى ببطْنِ المسيلِ إذا طافَ بينَ الصفا والمروةِ. رواه مسلم.

دليل إثبات الوضوء للطواف، وقد أجمعت الأمة على شرعيته، لكن اختلفوا فى أنه واجب وشرط لصحته أم لا؛ فقال الجمهور من الفقهاء: هو شرط لصحته، وقال أبو حنيفة: مستحب، وليس بشرط، واحتج الجمهور بهذا الحديث؛ لأن النبى ﷺ فعله، ثم قال ﷺ: «لتأخذوا عنى مناسككم»، وفي حديث ابن عباس فى الترمذى وغيره، أن النبى ﷺ قال: «الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام»* ، ولكن الحديث فى رفعه ضعف، ويحصل به الدلالة مع أنه موقوف؛ لأنه قول صحابى انتشر بلا مخالفة، فهو حجة على الصحيح. «مظ»: قال أبو حنيفة: إن طاف محدثًا، أو مكشوف العورة، أو متنجسًا لزمه الإعادة، فإن لم يعد حتى خرج من مكة لزمه دم، وصح طوافه.

قوله: «ثم لم تكن عمرة» «كان» تامة، أى ثم لم توجد بعد الطواف عمرة. «مح»: قال القاضى عياض: فى جميع النسخ «لم يكن غيره» بالغين المعجمة والياء، وهو تصحيف، وصوابه «لم تكن عمرة» ، كأن هذا رد لمن سأل عن فسخ الحج إلى العمرة، واحتج بأمر النبى ﷺ أصحابه فى حجة الوداع، فأعلمه أن النبى ﷺ لم يفعل ذلك بنفسه، ولا من جاء بعده. قلت: وفى قوله: «تصحيف» نظر، بل هو صحيح رواية ومعنى؛ لأن الكلام إذا كان ردًا، ورد العام بتناول الخاص، يعنى ثم لم يكن بعد الطواف غيره، أى لم يغير الحج ولم ينقله ويفسخه إلى غيره، لاعمرة ولا قران- انتهى كلامه. فظهر من هذا أن قوله: «ثم لم تكن عمرة» إلى آخره من كلام عروة بن الزبير.

الحديث الرابع عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «إذا طاف» «إذا» شرطية خبر «كان»، وجزاؤه «سعى» و«أول» ظرف سعى قدم عليه، و«ثلاثة» منصوب صفة لمصدر محذوف، وقوله: «ثم يطوف» أتى بالفعل المضارع استحضاراً لتلك الحالة، المعنى أنه ﷺ إذا طاف سعى أول قدومه ثلاثة أطواف. وقوله: «ثم سجد سجدتين» أى صلى ركعتين. «شف»: فيه دلالة على استحباب الرمل فى الأشواط الثلاثة الأول من طواف القدوم، والهينة فى الأربعة الأخيرة.

---

* صححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٥٤) بنحوه، وعزاه إلى الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس.

٢٥٦٦ - * وعن جابرٍ، قالَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما قدِمَ مكةَ أتى الحجَرَ فاستلَمه، ثم مشى عَلَى يمينه، فرملَ ثلاثًا، ومشى أربعًا. رواه مسلم.

٢٥٦٧- * وعن الزُّبير بن عرَبي ، قال: سألَ رجلٌ ابنَ عمرَ عنِ استِلامِ الحجَرِ. فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يستلِمُه ويقبّلُه. رواه البخاري.

٢٥٦٨ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: لمْ أرَ النبيَّ ﷺ يستلِمُ منَ البيتِ إلا الركنَين اليمانيَّين. متفق عليه.

٢٥٦٩ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: طافَ النبيُّ ﷺ في حَجَّةِ الوَداعِ على بعيرٍ، يستلمُ الركنَ بمحجن. متفق عليه.

٢٥٧٠ - * وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ طافَ بالبيتِ على بعيرٍ، كلما أتى على الركن أشارَ إليهِ بشيءٍ في يدِه وكبَّرَ. رواه البخاريّ.

الحديث الخامس إلى السابع عن الزبير رضى الله عنه: قوله: «يستلمه ويقبله» «فا»: هو افتعل من السلمة بكسر اللام، وهى الحجر، وهو أن يتناوله بلمس أو تقبيل، أو إدراك بعصا. أقول: فقوله: «يقبله» قرينة دالة على حصول هذا النوع من الاستلام، أو جمع بين النوعين منه.

الحديث الثامن عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «إلا الركنين اليمانيين» «مح»: واللغة الفصيحة المشهورة تخفيف الياء، وفيه لغة أخرى بالتشديد، فمن خفف قال: هذه نسبة إلى اليمن، والألف عوض من إحدى يائى النسب، فتبقى الياء الأخرى مخففة، ولو شددت لجمع بين العوض والمعوض، والركنان اليمانيان هما الركن الأسود والركن اليمانى ، وإنما قيل لهما: اليمانيان للتغليب، كما قيل: الأبوان، والعمران، والقمران، والركنان الآخران يقال لهما: الشاميان، والركنان الأسود واليمانى، فيهما فضيلتان، إحداهما:كونهما على بناء إبراهيم، والثانية:كون الحجر فى أحدهما، وليس فى الآخرين ذلك، فلا يقبَّلان ولا يستلمان. والقادر على تقبيل الحجر الأسود لايقتصر على تقبيل اليد، وإذا عجز جاز الاقتصار، ويستحب عندنا أن يستلمه ثم يقبله، ثم يضع جبهته عليه، وبه قال الجمهور من الصحابة والتابعين، وانفرد مالك، فقال: السجود عليه بدعة. «شف»: وإنما لم يستلم النبى ﷺ من الأركان الأربعة إلا الركنين اليمانيين؛ لأنهما قد بقيا إلى الآن على بناء إبراهيم عليه السلام، دون الشاميين، فإنهما مابقيا على بنائه عليه السلام، وكذا عن المظهر.

الحديث التاسع إلى الحادى عشر عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «بمحجن» «نه»:

٢٥٧١- وعن أبى الطُّفَيلِ، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يطوفُ بالبيت ويستلمُ الركنَ بمحجنٍ معه، ويقبلُ المحجنَ. رواه مسلم.

٢٥٧٢ - * وعن عائشةَ، قالتْ : خرجنا معَ النبيِّ ﷺ لانذكرُ إلا الحجَّ. فلمَّا كنَّا بسَرِف طَمِثْتُ، فدخلَ النبيُّ ﷺ وأنا أبكي، فقال: «لعلَّك نفَسْت؟» قلتُ: نعم. قال: «فإنَّ ذلكَ شيءٌ كتبَه اللهُ على بناتِ آدمَ، فافعَلي ما يَفعلُ الحاجُّ؛ غير أنْ لاتطوفي بالبيتِ حتى تطْهُري» متفق عليه.

هو عصا معقفة الرأس كالصولجان ، والميم زائدة. «قض» فيه دليل على جواز الطواف راكبًا، والمشى فيه أفضل، وإنما ركب رسول الله ﷺ فى حجة الوداع؛ لأن الناس غشوه، وازدحموا عليه، فركب ليشرف لهم ويراه القريب والبعيد، وأن الطائف إذا عسر عليه الاستلام باليد، فله الاستلام بسوط ونحوه.

«تو»: لما كان من حق الملوك على من ينتابهم من الوفود، أن يقبلوا أيمانهم، وكان الحجر للبيت بمثابة اليد اليمنى، شرع التقبيل للوافدين إليه إقامة لشرط التعظيم، فإن منع مانع فالسنة فيه أن يشير إليه بيده، ثم يقبل يده، والمعنى: أنى رمت التقبيل فحجزنى عنه حاجز، فها أنا أقبل اليد التي تشرفت بالإشارة إليك مكان ما قد فاتنى، وقد وجد فى تقبيل النبى ﷺ المحجن من التعظيم ما لايوجد فى تقبيل اليد نفسها؛ لأنه أبلغ فى بيان المقصد.

الحديث الثانى عشر عن عائشة: قوله: «لانذكر» أى لم يخطر ببالنا غير الحج.

وقوله: «غير أن لاتطوفى» استثناء من المفعول به، و«لا» زائدة لتأكيد النفى. قوله: «بسرف» «مح»: هو - بفتح السين المهملة وكسر الراء- ما بين مكة والمدينة بقرب مكة على أميال منها، قيل: ستة أميال أو أكثر إلى اثني عشر ميلا، وقوله: «طمثت» هو بفتح الطاء وكسر الميم، أى حضت و«نفست»، أى حضت- بفتح النون وضمها- والفتح أفصح، وأما الولادة فيقال فيه: نفست بالضم لاغير.

وقوله: «هذا شئ كتبه الله على بنات آدم» تسلية لها وتخفيف، أى لست مختصة به، بل كل بنات آدم مبتلاة به. وفى قوله: «فافعلى مايفعل الحاج» دليل على أن الحائض والنفساء والمحدث والجنب يصح منهم جميع أفعال الحج، وأقواله وهيئاته، إلا الطواف. واختلفوا فى علة المنع من الطواف، فمن شرط الطهارة للطواف، كمالك والشافعى وأحمد، قال: العلة فى بطلان طواف الحائض عدم الطهارة، ومن لم يشترطها كأبي حنيفة قال: العلّة فيه كونها ممنوعة من اللبث فى المسجد.

٢٥٧٣ - * وعن أبي هريرةَ ، قال: بعَثني أبو بكرٍ في الحجَّة التي أمَّرهُ النبيُّ ﷺ عليها قبلَ حجَّة الوَداعِ يومَ النحر في رَهْط، أمرهُ أنْ يؤذِّنَ في النَّاسِ: ألا لايحُجَّ بعدَ العامِ مشرِكٌ ، ولايطوفَنَّ بالبيتِ عُريانٌ. متفق عليه.

الفصل الثاني

٢٥٧٤ - * عن المهُاجرِ المكّي، قال: سُئِلَ جابرٌ عنِ الرَّجلِ يرى البيتَ يرفعُ يديْه. فقال: قد حجَجنا معَ النبيِّ ﷺ فلمْ نكنْ نفعلُه. رواه الترمذيّ، وأبو داود.

٢٥٧٥ - * وعن أبي هريرةَ، قال: أقبلَ رسولُ الله ﷺ، فدخلَ مكةَ، فأقبلَ إلى الحجرِ، فاستلمَه، ثمَّ طافَ بالبيتِ، ثمَّ أتى الصَّفا فعَلاهُ حتى ينظرَ إلى البيتِ، فرفعَ يديهِ، فجعلَ يذكر الله ما شاءَ ويدعُو. رواه أبو داود.[٢٥٧٥]

الحديث الثالث عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أمره أن يؤذن» الضمير راجع إلى الرهط باعتبار اللفظ، ويجوز أن يكون لأبى هريرة على الالتفات. قوله: «يوم النحر» فيه دليل على أن المراد بالحج الأكبر فى قوله تعالى: ﴿**وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر**﴾(١) يوم النحر؛ لأن فيه معظم المناسك.

قوله: «ألا لا يحج بعد العام مشرك» «مح»: هو من قوله تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾ والمراد بالمسجد الحرام حرم الله ، فلا يمكّن مشرك من دخوله ولو جاء فى رسالة، أو أمر مهم، بل يخرج إليه من يقضى الأمر المتعلق به، ولو دخل خفية ومات، نبش وأخرج من الحرم. وإنما منع طواف العريان لما كانت الجاهلية عليه، وعن طاوس: كان أحدهم يطوف بالبيت عريانًا، وإن طاف وهى عليه ضرب، وانتزعت منه؛ لأنهم قالوا: لانعبد الله فى ثياب أذنبنا فيها. وقيل: تفاؤلا ليتعروا من الذنوب، كما تعروا من الثياب.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن المهاجر: قوله: «عن الرجل» أى عن حال الرجل، و«يرى البيت» حال من «الرجل» «ويرفع» حال أخرى إما مترادفة، أو متداخلة. «مظ»: وذهب مالك والشافعى وأبو حنيفة إلى هذا، وقال أحمد وسفيان الثورى: يرفع اليدين من رأى البيت ويدعو.

[٢٥٧٥] صحيح، انظر صحيح أبى داود (١٦٤٨).

(١) التوبة: ٣.

(٢) التوبة: ٢٨.

٢٥٧٦ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الطَّوافُ حولَ البيتِ مثلُ الصَّلاةِ؛ إلا أنَّكم تتكلمونَ فيهِ. فمنْ تكلمَ فيه فلا يتكلمنَّ إلا بخيرٍ». رواه الترمذيّ، والنسائي، والدارميّ، وذكر الترمذي جماعةً وقفوهُ على ابنِ عباسٍ[٢٥٧٦].

٢٥٧٧ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نزلَ الحجَرُ الأسودُ منَ الجنَّةِ، وهوَ أشدُّ بياضًا منَ اللبنِ، فسوَّدَتْه خَطايا بنى آدمَ». رواه أحمد، والترمذيّ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.[٢٥٧٧]

الحديث الثانى والثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «إلا أنكم» يجوز أن يكون الاستثناء متصلا، أى الطواف كالصلاة، فى الشرائط من الطهارة وستر العورة ونحوهما إلا فى التكلم ويجوز أن يكون منقطعًا أى الطواف مثل الصلاة لكن رخص لكم التكلم فيه؛ لأن عادتكم التكلم. ودليل الترخص قوله ﷺ : «فلا يتكلمن إلا بخير» أى إذا كان لابد من الكلام، فلا يتكلمن إلا بخير.

الحديث الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «الحجر الأسود» «قض»: لعل هذا الحديث جار مجرى التمثيل، والمبالغة فى تعظيم شأن الحجر*، وتفظيع أمر الخطايا والذنوب، والمعنى أن الحجر لما فيه من الشرف والكرامة، وما فيه من اليمن والبركة، يشارك جواهر الجنة، فكأنه نزل منها ، وإن خطايا بنى آدم تكاد تؤثر فى الجماد، فتجعل المبيض منها مسودا، فكيف بقلوبهم؟ أو لأنه من حيث أنه مكفر للخطايا، محاء للذنوب، لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يزاحم على الركنين، وقال: سمعت النبى ﷺ يقول: «إن مسحهما كفارة للخطايا»، كأنه من الجنة، ومن كثرة تحمله أوزار بنى آدم، صار كأنه كان ذا بياض شديد، فسودته الخطايا. هذا، وإن احتمال إرادة الظاهر غير مدفوع عقلا، ولاسمعا. والله أعلم بالحقائق.

«مظ»: فى الحديث فوائد، منها امتحان إيمان الرجل، فإن كان كامل الإيمان يقبل هذا فلا يتردد، وضعيف الإيمان يتردد، والكافر ينكر، ومنها التخويف، فإن الرجل إذا علم أن الذنوب تسود مسح الحجر يحترز من الذنب، كيلا يسود بدنه بشؤمه . ومنها التحريض على التوبة، ومنها الترغيب فى مسح الحجر لينالوا بركته، فتنتقل ذنوبهم من أبدانهم إليه.

الحديث الخامس عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «ليبعثنه الله» «قض»: شبه خلق

[٢٥٧٦] قال الشيخ: الصواب أنه صحيح مرفوعًا وموقوفًا كما حققته في «إرواء الغليل».

[٢٥٧٧] صحيح، انظر صحيح الجامع (٦٧٥٦).

* سيأتى تضعيف الطيبى لهذا القول فى الحديث (٢٥٧٩) وترجيحه أن كون الحجر الأسود من الجنة على الحقيقة.

٢٥٧٨ - * وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ فى الحجر: «والله ليبعثَنَّهُ اللهُ يومَ القيامةِ، له عينان يبصرُ بهما ولسانٌ ينطِقُ به، يشهدُ على من استلمه بحقٍّ» رواه الترمذِي، وابنُ ماجه والدارمي[٢٥٧٨].

٢٥٧٩- * وعن ابنِ عمر، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الركنَ والمقامَ ياقوتتان من ياقوتِ الجنَّة، طمس اللهُ نورَهما، ولو لم يطمِس نورهما لأضاءا مابينَ المشرقِ والمغربِ» رواه الترمذى[٢٥٧٩].

الحياة والنطق فيه بعد أن كان جماداً لاحياة فيه، بنشر الموتى وبعثها، وذلك لا امتناع فيه، فإن الأجسام متساوية فى الجسمية، وقبول الأعراض التي منها الحياة والنطق، والله سبحانه قادر على جميع الممكنات، لكن الأغلب على الظن أن المراد منه تحقيق ثواب المستلم، وأن سعيه لايضيع، وأن أجره لايفوت عنه. ونظيره قوله ﷺ لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «أذن وارفع صوتك؛ فإنه لايسمع صوتك حجر ولامدر إلا شهد لك به يوم القيامة». والمراد من المستلم الحق، من استلم اقتفاء لأثره وامتثالا لأمره.

أقول: يشهد للوجه الأول شهادة لاترد تصدير الكلام بالقسم، وتأكيد الجواب بالنون ، لئلا يظن خلاف الظاهر. و«على» فى «يشهد على من استلمه» مثلها فى قوله تعالى: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [(١)] أى رقيبا حفيظا عليكم، يزكيكم فى شهادتكم على الناس؛ فالمعنى يحفظ على من استلم أحواله شاهدا ومزكيا له، ويجوز أن يتعلق بقوله: «يشهد» أى يشهد بحق على من استلمه بغير حق، كالكافر والمستهزئ، ويكون خصمه يوم القيامة، ويشهد بحق لمن استلمه بحق كالمؤمن المعظم حرمته.

الحديث السادس عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «ياقوتتان» «مظ»: لما كان الياقوت من أشرف الأحجار، ثم كان بعد مابين ياقوت هذه الدار الفانية وياقوت الجنة أكثر ما بين الياقوت وغيره من الأحجار، أعلمنا أنهما من ياقوت الجنة؛ لنعلم أن المناسبة الواقعة بينهما وبين الأجزاء الأرضية فى الشرف والكرامة، والخاصية المجعولة بينهما، كما بين ياقوت الجنة وسائر الأحجار. وذلك مما لايدرك بالقياس.

أقول: قد سبق مرارا أن هذا النوع من الكلام ليس بتشبيه، ولا استعارة، وإنما هو من وادى قولهم: القلم أحد اللسانين، فـ «من» فى «من ياقوت الجنة» بيانية، فإذن الياقوت نوعان:

[٢٥٧٨] إسناده صحيح.

[٢٥٧٩] قال الشيخ: ورواه غيره (أى غير الترمذى من طريق يتقوى الحديث بها).

(١) البقرة: ١٤٣.

٢٥٨٠- * وعن عُبيد بن عُمَير: أنَّ ابنَ عمرَ كانَ يُزاحمُ على الركنين زحامًا ما رأيتُ أحدًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُزاحم عليه. قال: إن أفعلْ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ مسحهما كفَّارةٌ للخطَايا» وسمعته يقول: «من طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه كان كعتق رقبة» وسمعتُه يقول: «لايضعُ قدمًا ولايرفعُ أخرى إلا حطَّ اللهُ عنهُ بها خطيئةً وكتب لهُ بها حسنةً». رواه الترمذي[٢٥٨٠].

٢٥٨١ - * وعن عبد الله بنِ السَّائب، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ«مابين الركنين: «ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النَّار)» رواه أبو داود. [٢٥٨١]

٢٥٨٢ - * وعن صفيةَ بنت شيبةَ، قالت: أخبرتْني بنتُ أبي تُجراة، قالت: دخلْتُ معَ نسوةٍ منْ قريشٍ دارَ آلَ أبي حسينٍ، ننظرُ إلى رسول الله ﷺ وهو يَسعى بين الصَّفا والمروة، فرأيتُه يَسْعى وإنَّ مئزرهُ ليدورُ من شدَّة السعي وسمعتهُ يقول: «اسعَوا، فإنَّ اللهَ كتب عليكم السَّعي» رواه في «شرح السنة»ورواه أحمد مع اختلاف.

متعارف وغير متعارف، وهذا من غير المتعارف، ولذلك أثبت له ما ليس للمتعارف، من إضاءة ما بين المشرق والمغرب. وبهذا ظهر أن قول من قال: إن الحجر الأسود ليس من الجنة ضعيف. قوله: «طمس الله نورهما» «مظ»: أى أذهب الله نورهما؛ ليكون إيمان الناس بكونهما حقا ومعظما عند الله إيمانا بالغيب، ولو لم يطمس نورهما، لكان الإيمان بهما إيمانا بالشهادة، والإيمان الموجب للثواب هو الإيمان بالغيب.

الحديث السابع عن عبيد بن عمير. قوله: «يزاحم على الركنين» عدى بـ «على» تضمينا لمعنى الغلبة، أى كان يغالب الناس على الركنين زحاما عظيما. قوله: «إن أفعل فإنى سمعت» قاله معتذرا، أى إنكاركم على سبب إخبارى إياكم أنى سمعت رسول الله ﷺ، ويدل على الإنكار قوله: «ما رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يزاحم عليه». قوله: «فأحصاه» أى من طاف بهذا البيت حق طوافه، بأن يوفى سننه، وآدابه، وواجباته من الطهارة، وستر العورة، والصلاة، ويستمر عليه أسبوعا، أى سبع مرات كان كذا.

الحديث الثامن والتاسع عن صفية: قوله: «كتب عليكم السعى» أى فرض عليكم السعى،

[٢٥٨٠] إسناده صحيح.

[٢٥٨١] انظر مسند أحمد (٣/ ٤١١).

٢٥٨٣ - * وعن قُدامةَ بنِ عبدِ الله بن عمَّارٍ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَسْعى بين الصَّفا والمروةِ على بعيرٍ، لاضَرْبَ ولاطردَ ولا إليك إليكَ. رواه في «شرح السنة». [٢٥٨٣]

٢٥٨٤ - * وعن يَعْلى بن أميَّةَ، قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ طافَ بالبيتِ مضطبعًا ببُردٍ أخضرَ. رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي. [٢٥٨٤]

٢٥٨٥ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه اعتمروا من الجعْرانة، فرمَلوا بالبيت ثلاثًا، وجعلُوا أرديتَهم تحت آباطِهم، ثمَّ قذفُوها على عواتِقِهم اليُسْرى. رواه أبو داود. [٢٥٨٥]

ومن لم يسع لم يصح حجه عند الشافعي ومالك وأحمد رضى الله عنهم، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه: هو تطوع. الكشاف: اختلف فى السعى، فمن قائل: هو تطوع بدليل رفع الجناح، ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير، وعن أبى حنيفة أنه واجب، وليس بركن، وعلى تاركه دم، وعند مالك والشافعى هو ركن لهذا الحديث.

الحديث العاشر عن قدامة: قوله: «لاضرب» أى لاضرب هناك، ولاطرد، ولاقول «إليك إليك»، وهى أحوال مترادفة. «شف»: أى لم يكونوا يضربون الناس، ولايطردونهم، ولايقولون: إليك إليك، كما هو من عادة الملوك والجبابرة، و«إليك» هنا من أسماء الأفعال، معناه تنح عنى.

أقول: فى هذا الكلام رائحة تعريض بمن كان يفعل بين يديه هذه الأفعال، وإلا كان الراوى مستغنيا عن هذا الإخبار، لأنه كان من المعلوم أن نبى الله ﷺ كان مبرأ من هذا.

الحديث الحادى عشر والثانى عشر عن يعلى: قوله: «مضطبعا» «نه»: الضبع بسكون الباء وسط العضد، وقيل: هو ماتحت الإبط ، والاضطباع أن يأخذ الإزار أو البرد، فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويلقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهتى صدره وظهره، وسمى بذلك، لإبداء الضبعين ويقال: للإبط الضبع للمجاورة. قيل: إنما فعل ذلك إظهارًا للتشجع كالرمل فى الطواف.

[٢٥٨٣] إسناده حسن، انظر شرح السنة (٧/ ١٤٢) (١٩٢٢).
[٢٥٨٤] حسن، انظر صحيح أبى داود (١٦٥٨).
[٢٥٨٥] صحيح، انظر صحيح أبى داود (١٦٥٩).

الفصل الثالث

٢٥٨٦- * عن ابنِ عمرَ،قال: ما تركنا استلامَ هذينِ الركنين: اليماني والحجرَ في شدَّة ولارخاء منذُ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَسْتلمُهما . متفق عليه.

٢٥٨٧ - * وفي روايةٍ لهما : قال نافعٌ : رأيتُ ابنَ عُمَرَ يستلم الحجرَ بيدِه ثمَّ قبلَ يدَهُ وقال: ماتركتُهُ منذُ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يفعلُه.

٢٥٨٨ - * وعن أمِّ سلمةَ، قالتْ: شكَوتُ إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي. فقال: «طُوفي من وراءِ النَّاسِ وأنت راكبَةٌ» فطُفْتُ ورسولُ اللهِ ﷺ يُصلي إلى جنْبِ البيت يقرأُ بـ ﴿والطُّور وكتابٍ مَسْطُور﴾[1] متفق عليه.

٢٥٨٩ - * وعن عابسِ بنِ ربيعةَ قال: رأيتُ عمرَ يقبلُ الحجرَ ويقولُ: إني لأعلمُ أنكَ حجرٌ ما تنفعُ ولاتضرُّ، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ماقبَّلتُكَ. متفق عليه.

الفصل الثالث

الحديث الأول والثانى عن أم سلمة رضى الله عنها: قوله: «إنى أشتكى» مفعول شكوت أى شكوت مرضى. «نه»: الشكو، والشكوى، والشكاة ، والشكاية المرض.

قوله: «يصلى إلى جنب البيت» أى مستقبلا إلى جنبه. «مح»: كانت هذه الصلاة صلاة الصبح.

الحديث الثالث عن عابس: قوله: «إنك حجر» اعلم أنهم ينزلون نوعا من أنواع الجنس بمنزلة جنس آخر باعتبار اتصافه بصفة مختصة به؛ لأن تغاير الصفات بمنزلة التغاير فى الذات، فقوله: «أعلم أنك حجر» شهادة له بأنه من هذا الجنس، وقوله: «ما تنفع ولاتضر» تقرير وتأكيد بأنه حجر كسائر الأحجار. وقوله: «لولا أنى رأيت» إلى آخره إخراج له من الجنس باعتبار تقبيله ﷺ.

«مح»: إنما قال ذلك؛ لئلا يغتر بعض قريبى العهد بالإسلام الذين قد ألفوا عبادة الأحجار وتعظيمها ، ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير فى تعظيمها، فخاف رضي الله عنه أن يراه بعضهم يقبله فيفتتن به، فبين أنه لايضر ولاينفع بذاته، وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع باعتبار الجزاء والثواب، وليشيع فى الموسم فيشتهر فى البلدان المختلفة. وفيه الحث على الاقتداء

---

(١) الطور : ٢،١.

٢٥٩٠ - * وعن أبي هريرةَ [رضي الله عنه]أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «وُكلَ به سبعونَ ملكًا» يعنى الركنَ اليماني «فمَنْ قال: اللهمَّ إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ، ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النارِ قالوا: آمينَ» رواه ابن ماجه[٢٥٩٠].

٢٥٩١ - * وعنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «منْ طافَ بالبيتِ سَبْعًا ولايتكلمُ إلا بـ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ، والله أكبر، ولاحولَ ولاقوَّةَ إلا بالله؛ مُحيتْ عنه عشرُ سَيئاتٍ وكُتب له عشْرُ حسناتٍ ورُفِع له عشْرُ درجاتٍ. ومن طافَ فتكلَّمَ وهو في تلك الحالِ؛ خاضَ في الرحمةِ برجليهِ كخائضِ الماءِ برجليه» رواه ابن ماجه. [٢٥٩١]

(٤) باب الوقوف بعرفة

الفصل الأول

٢٥٩٢ - * عن محمدِ بن أبى بكرٍ الثَّقفيِّ، أنهُ سألَ أنس بن مالكٍ وهما غاديانِ

برسول الله ﷺ فى تقبيله، ونبه أنه لولا الاقتداء لما فعله، وقد سبق سنن بيان الاستلام والتقبيل وآدابهما.

الحديث الرابع والخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ومن تكلم» أى بتلك الكلمات وهو فى حالة الطواف، وإنما كرر «طاف» ليناط به غير ما نيط به أولا، وليبرز المعنى المعقول فى صورة المشاهد المحسوس، فشبه الرحمة المعنيُّ بها الثواب بالماء، وسعيه فى حالة الذكر بالخائض فيه، فترك المشبه به وهو الماء، وجعل القرينة الدالة عليه كلمة «خاض»، ثم شبه هذا التمثيل بما يزيد التصوير من قوله: «كخائض الماء برجليه».

باب الوقوف بعرفة

«غب»: هو اسم لبقعة مخصوصة، وقيل: سميت بذلك لوقوع المعرفة فيها بين آدم وحواء، وقيل: بل لتعرف العباد إلى الله تعالى بالعبادات والأدعية.

[٢٥٩٠] إسناده ضعيف.

[٢٥٩١] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٦٩٥).

من منى إلى عرفةَ: كيفَ كنتم تصنعونَ في هذا اليوم معَ رسولِ الله ﷺ ؟ فقال: كانَ يُهلّ منا المهلُّ فلا يُنكرُ عليهِ، ويكبرُ المكبر منا فلا يُنكرُ عليه . متفق عليه.

٢٥٩٣ - * وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «نحرتُ هاهنا، ومنى كلُّها منحرٌ، فانحروا في رحالِكم. ووقفتُ هاهنا، وعرفةُ كلُّها موقفٌ. ووقفتُ هاهنا وجَمْعٌ كلُّها موقفٌ». رواه مسلم.

٢٥٩٤ - * وعن عائشة، قالت: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال:«مامِنْ يومٍ أكثرَ مِنْ أنْ يُعتِقَ اللهُ فيهِ عبداً من النار؛ من يومِ عرفةَ، وإنه ليدنو ثمَّ يباهي بهم الملائكة فيقولُ: ما أرادَ هؤلاء» رواه مسلم.

الفصل الأول

الحديث الأول عن محمد: قوله: «ويكبر منا المكبر فلا ينكر عليه» «مظ»: هذا رخصة يعنى لاحرج في التكبير، بل يجوز كسائر الأذكار، ولكن ليس التكبير فى يوم عرفة سنة للحاج، بل السنة التلبية إلى رمى جمرة العقبة يوم النحر؛ وأما لغير الحاج فى سائر البلاد، فالتكبير يوم عرفة سنة عقيب الصلوات من صبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق.

الحديث الثانى عن جابر رضى الله عنه: قوله: «ومنى كلها منحر» حال ، وبيان أن منحره ﷺ حينئذ غير مختص بالمنحر، بل منى كلها منحر، قوله:«نحرت هاهنا» أولا إشارة إلى منى، وثانيًا «ووقفت هاهنا» إشارة إلى عرفة. فإن قلت: إنما يشار بـ «هاهنا» إلى المكان القريب الذى يكون المشير حالة الإشارة فيه، فكيف تصح هاتان الإشارتان فى حالة واحدة، إذ لاشك أن النبى ﷺ لم يكن إذ ذاك فى ذينك المكانين؟ قلت: الجواب من وجهين، أحدهما: أنه يجوز أن يكون كل من الإشارتين صدرت عنه فى الموضع المشار إليه، والآخر: أن يكون مستحضراً لصورة المكان الذي لم يكن فيه فى خيال المخاطب، فأشار بذلك الاعتبار. قوله: «وجمع» «نه»: هو علم للمزدلفة، وسمى به لاجتماع آدم وحواء عليهما السلام فيه، كذا جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما.

الحديث الثالث عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «ما من يوم أكثر» «ما» بمعنى ليس، واسمه «يوم» و«من» زائدة و«أكثر» خبره و«من» الثانية أيضًا زائدة، و«من يوم عرفة» متعلق بـ «أكثر » أى ليس يوم أكثر إعتاقًا فيه من يوم عرفة . قوله: «ليدنو» «قض»: لما كان الحج عرفة، والحج يهدم ما قبله، كان ما فى يوم عرفة من الخلاص عن العذاب، والعتق من النار

الفصل الثاني

٢٥٩٥- * عن عمرو بنِ عبدِ الله بنِ صفوانَ، عن خالٍ له يقالُ لهُ يزيدُ بن شيبان، قال: كنا في موقفٍ لنا بعرفةَ يباعدُه عمرو مِنْ موقف الإمام جدًا، فأتانا ابن مربعٍ الأنصاريُّ فقال: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم يقول لكم: «قفُوا على مشاعركُم، فإنكُم على إرثٍ من إرثِ أبيكم إبراهيم عليه السلام» رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي ، وابن ماجه[٢٥٩٥].

أكثر ما يكون فى سائر الأيام، ولما كان الناس يتقربون إلى الله تعالى فى ذلك اليوم بأعظم القربات، والله سبحانه أبر بهم، وألطف منه فى سائر الأيام عبر عن هذا المعنى بالدنو منهم فى الموقف، أى ليدنوا منهم بفضله ورحمته. «ثم يباهى بهم» أى يفاخر، والمعنى أنه يحلهم من قربه وكرامته محل الشيء المباهى به.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن عمرو: قوله: «كنا فى موقف لنا» «تو» و«قض»: أى فى موقف كان لنا فى قديم الزمان يقف أسلافنا فيه قبل الإسلام. وقوله: «يباعده عمرو» أى يجعله بعيدا بوصفه إياه بالبعد، و«جدًا» نصب على المصدر، أى يجد فى التبعيد جدا، والتباعد يجيء فى كلامهم بمعنى التبعيد، وبه ورد التنزيل ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾ (١) وقوله: : «فأتانا ابن مربع» بكسر الميم، يريد زيد بن مربع الأنصارى من بنى حارثة، والمشاعر جمع مشعر، يريد بها مواضع النسك، سميت بذلك، لأنها معالم العبادات. وقوله: «فإنكم على إرث من إرث أبيكم» علة للأمر بالاستقرار والتثبيت على الوقوف فى مواقفهم القديمة، علل ذلك بأن موقفهم موقف إبراهيم عليه السلام ورثوه منه، ولم يتخطوا فى الوقوف فيه عن سنته، فإن عرفة كله موقف، والواقف بأيٍّ جزء منها آت بسنة إبراهيم، متبع لطريقته وإن بعد موقفه عن موقف النبى ﷺ . أراد بذلك إعلامهم أن عرفة كله موقف حتى لايتوهموا أن الموقف ما اختاره النبى ﷺ لاغير، ولايتنازعوا فى المواقف، ولايتشاجروا عليها.

أقول : إنما قيل: «على إرث من إرث أبيكم» وقطع من الإضافة ابتداء، ولم يقل: «على إرث أبيكم» فنكر ثم بين، ليفيد ضربا من التفخيم والتعظيم، كأنهم حقروا شأن موقفهم، لبعده من موقف نبى الله ﷺ فعظمه ﷺ ذلك التعظيم ، ونسبه إلى خليل الله عليه السلام تسلية لقلوبهم، واغتباطا بما كانوا عليه.

[٢٥٩٥] جوّد الشيخ إسناد ابن ماجه.

(١) سبأ:١٩ .

٢٥٩٦ - * وعن جابرٍ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كلُّ عرَفَةَ موْقفٌ وكلُّ منى منحَرٌ. وكلُّ المزْدَلفةِ موقفٌ. وكلُّ فجاجِ مكةَ طريقٌ ومنْحرٌ». رواه أبو داود، والدارمي. [٢٥٩٦]

٢٥٩٧ - * وعن خالدِ بن هوْذَةَ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يخطبُ الناسَ يومَ عرفةَ على بعيرٍ قائمًا في الركابَين. رواه أبو داود. [٢٥٩٧]

٢٥٩٨ - * وعن عمْرِو بن شُعيب، عنْ أبيه، عنْ جدِّه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خيرُ الدعاء دعاء يومِ عرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيُّونَ منْ قبْلي: لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لاشريكَ له، لهُ الملكُ، وله الحمْدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ» رواه الترمذيّ [٢٥٩٨].

الحديث الثاني عن جابر رضى الله عنه: قوله: «وكل فجاج مكة» «نه» الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع. «مظ»: يعنى من أى طريق مكة يدخل الرجل مكة جاز، وفي أى موضع من حوالى مكة ينحر الهدى جاز، لأنها من أرض الحرم. أقول: أراد به التوسعة، ونفى الحرج، وأنشد فى المعنى:

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنما ... كلا جانبيْ هرشى لهن طريق

الحديث الثالث والرابع عن عمرو: قوله: «دعاء يوم عرفة» الإضافة فيه يجوز أن تكون بمعنى اللام، أى دعاء خص بذلك اليوم. وقوله: «وخير ماقلت» بمعنى خير مادعوت،، بيان له، فالدعاء له قوله: «لا إله إلا الله» إلى آخره. فإن قيل: هو ذكر وليس بدعاء؟ أجيب بوجهين، أحدهما أنه على سبيل التعريض تجنبا عن التصريح مراعاة للأدب، وقد قيل لسفيان ابن سعيد الثوريّ: هذا هو الثناء، فأين الدعاء؟ فأنشد قول أمية بن الصلت فى ابن جدعان:

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك؟ إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

وثانيهما: الاشتغال بخدمة المولى، والإعراض عن الطلب اعتمادا على كرمه ، فإنه لايضيع أجر المحسنين. قال: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين». فالفرق

[٢٥٩٦] صحيح، انظر صحيح الجامع (٤٥٣٦).
[٢٥٩٧] صحيح، انظر صحيح أبى داود (١٦٨٧).
[٢٥٩٨] قال الشيخ: رواه الترمذى وحسنه في بعض الروايات عنه، وهو كما قال باعتبار شاهده الذى بعده، وهو مرسل صحيح الإسناد.

٢٥٩٩ - * وروى مالكٌ عن طلحةَ بنِ عُبيدِ الله إلى قولِه: «لاشريك له».

٢٦٠٠ - * وعن طلحةَ بنِ عُبيد الله بنِ كريز، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما رُئيَ الشيطانُ يومًا هوَ فيه أصغرُ ولا أدْحَرُ ولا أحقرُ ولا أغيظُ منه في يومِ عرفةَ؛ وما ذاك إلا لما يرى منْ تنزُّل الرَّحمةِ وتجاوُزِ اللهِ عنِ الذنوبِ العظامِ إلا ما رُئي يومَ بدرٍ» فقيل: ما رُئي يومَ بدرٍ؟ قال: «فإنّه قدْ رأى جبريل يزَعُ الملائكةَ» رواه مالكٌ مُرسلاً وفي «شرح السنة» بلفظ «المصابيح». [٢٦٠٠]

٢٦٠١ - * وعن جابر [رضي اللهُ عنه] ، قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا كانَ يومُ عرفةَ، إنَّ اللهَ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا فيُباهي بهمُ الملائكةَ، فيقولُ: انظروا إلى عبادي، أتوْني شعثًا غبرًا ضاجّينَ منْ كلّ فج عميقٍ، أشهدُكم أني قدْ غفَرتُ لهمْ،

بين الوجهين أن الذاكر فى الأول وإن لم يصرح بالطلبة فهو طالب بما هو أبلغ من التصريح بخلاف الثانى، قال:

وكلت إلى المحبوب أمرى كله   فإن شاء أحيانى وإن شاء أتلفا

وأن تكون بمعنى «فى» فعلى هذا يعم الدعاء بأى شيءٍ دعا، فيكون قوله: «وخير ما قلت» عطفا على قوله: «خير الدعاء» لا على البيان، بلى يجرى على المغايرة، والعموم فى القول، فيتناول الذكر والدعاء.

الحديث الخامس عن طلحة رضى الله عنه: قوله: «ولا أدحر» «فا» : الدحر الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال. و«يزع الملائكة» أى يتقدمهم فيكف ريعانهم من قوله تعالى: ﴿فهم يوزعون﴾ (١) «نه»: أى يرتبهم ويسويهم، ويصفهم للحرب، فكأنه يكفهم عن الانتشار. وأفعل التفضيل في «أدحر» كما فى أشهر وأجن من شهر وجن. قوله: «هو فيه أصغر» الجملة صفة «يوما» و«منه» متعلق بأفعل، والضمير للشيطان، أى الشيطان فى يوم عرفة أبعد من مراده من نفسه فى سائر الأيام. وقوله: «إلا ما رئى يوم بدر» مستثنى من هذه الجملة . وقوله: «إلا لما يرى» مستثنى من قوله: «وماذاك» وهذه الجملة معترضة بين المستثنى والمستثنى منه، مؤكدة لمضمون الجملة، وليست مختصة بالسابقة. و«كريز» بفتح وكسر الراء.

الحديث السادس عن جابر: قوله: «بهم» إما ضمير مبهم فسر بما بعده من قوله: «عبادى» أو راجع إلى المفهوم من قوله: «إذا كان يوم عرفة» لما يعرف منه اجتماع العباد فيها. قوله: «ضاجين» أى رافعين أصواتهم بالتلبية. قوله: «يرهق» «تو»: أى يتهم بسوء ، والهاء مشددة،

[٢٦٠٠] إسناده صحيح، لكنه مرسل، انظر شرح السنة (٧/ ١٥٨) (١٩٣٠).

(١) النمل: ١٧.

فيقولُ الملائكةُ: يارب! فلانٌ كانَ يُرهقُ، وفلانٌ، وفلانةٌ، قال: يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: قدْ غفَرتُ لهم». قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فما منْ يومٍ أكثرَ عتيقًا من النارِ منْ يومِ عرَفة» رواه في «شرح السنة».[٢٦٠١]

الفصل الثالث

٢٦٠٢ - * عن عائشةَ، قالتْ: كانَ قريشٌ ومَنْ دانَ دينَها يقفونَ بالمزْدَلفَة، وكانوا يُسمَّونَ الحُمْسَ، فكانَ سائرُ العربِ يقفونَ بعرَفةَ. فلمَّا جاءَ الإسلامُ أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ أنْ يأتيَ عرَفات، فيقفَ بها، ثمَّ يُفيض منها، فذلكَ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿ثمَّ أفيضُوا منْ حيْثُ أفاضَ النَّاس﴾(١) متفق عليه.

ويقال: فيه رهق أي غشيان للمحارم، ويقال للفاعل: المرهق بتشديد الهاء، وتخفيفها أيضًا، وهي مفتوحة في الصيغتين. وقول الملائكة هذا على سبيل الاستعلام،ليعلموا:هل دخل ذلك المرهق في جملتهم ببركة ذلك اليوم أم لا؟ وسألوه على طريق التعجب- انتهى كلامه-. قالوه تعجبًا منهم؛ لعظم الجريمة، ولم يعرفوا أن الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب.

«قض»: في تعبيرهم الفواحش بالترهيق أدب من آداب أرباب الكمال بأن لايصرحوا بمعايب أرباب العيوب، ولايثوا بفجور أصحاب الذنوب وإن كانوا واقفين مطلعين عليها. قوله: «فما من يوم» الفاء جواب شرط محذوف، و«أكثر» خبر «ما» ، والضمير المستتر عائد إلى «يوم»، و«عتيقا» تمييز ، إما بمعنى الفاعل أو المفعول على الإسناد المجازي؛ لأن العتق واقع فيه مبالغة في تعظيم اليوم كما في قوله تعالى: ﴿يوما يجعل الولدان شيبًا﴾(٢).

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «ومن دان دينها» «نه»: أي اتبعهم في دينهم، ووافقهم عليه، واتخذ دينهم له دينًا وعبادة. و«الحمس» جمع أحمس وهم قريش ، وأصلها الشجاعة والشدة. والإفاضة الزحف، والدفع في السير بكثرة، ولايكون إلا عن تفرق وجمع، وأصلها الصب، فاستعيرت للدفع في السير، وأصله أفاض نفسه وراحلته، فرفضوا ذكر المفعول حتى أشبه غير المتعدي . قوله: «فذلك» الفاء تعقيب للتفصيل بالمجمل، أي المذكور تفصيل وتفسير لقوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾(١) أي فلتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس، ولا تكن من المزدلفة، بل عرفة.

[٢٦٠١] إسناده قوي، انظر شرح السنة (٧/١٥٩) (١٩٣١).

(١) البقرة: ١٩٩ . (٢) المزمل:١٧.

٢٦٠٣ - * وعن عبَّاسِ بنِ مرداسٍ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دَعا لأُمَّتِه عشيَّةَ عرفةَ بالمغفرةِ، فأجيبَ: «إني قدْ غفَرتُ لهمْ ماخَلا المظالم، فإنِي آخذٌ للمظلومِ منه». قال: «أيْ ربِّ! إنْ شئتَ أعطَيتَ المظلوم منَ الجنَّةِ، وغفَرتَ للظالمِ» فلمْ يُجبْ عشيَّتَهُ. فلمَّا أصبحَ بالمزدلفَةِ أعادَ الدعاءَ، فأجيبَ إلى ما سأل. قال: فضحكَ رسولُ اللهِ ﷺ- أو قال تبسَّمَ- فقال له أبو بكرٍ وعمرُ: بأبي أنتَ وأمي، إنَّ هذه لساعةٌ ما كنتَ تضحكُ فيها، فما الذى أضحككَ، أضحكَ اللهُ سنَّكَ؟ قال: «إنَّ عدُوَّ اللهِ إبليسَ لما علِمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد استجابَ دُعائي، وغفرَ لأمَّتي. أخذَ الترابَ، فجعلَ يَحثُوه على رأسِه، ويدعُو بالوَيْلِ والثُّبورِ، فأضحكني ما رأيتُ منْ جزَعِه» رواه ابنُ ماجه، وروى البيهقيُّ في «كتاب البعث والنشور» نحوَه.

الحديث الثانى عن عباس بن مرداس: قوله: «فأجيب إلى ما سأل» أى لما سأل، وقد سبق أن الأغراض نهاية المطالب، و«إلى» للغاية، فيلتقيان فى معنى واحد. قوله: «يحثوه على رأسه» يلمح إلى قوله ﷺ: «مارئى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر». قوله: «ويدعو بالويل» أى يقول: ياويلاه ياثبوراه! «نه» : الويل الحزن والهلاك، والمشقة من العذاب، وكل من وقع فى هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء فيه، ياحزنى يا هلاكى ياعذابى احضر، فهذا وقتك وأوانك، فكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع ، والثبور الهلاك، ونداؤه كنداء الويل.

قال الإمام أحمد البيهقى رحمه الله : يحتمل أن تكون الإجابة إلى المغفرة بعد أن يذيقهم شيئًا من العذاب دون الاستحقاق، فيكون الخبر خاصًا فى وقت دون وقت، ويحتمل أن تكون الإجابة إلى المغفرة لبعضهم، فيكون الخبر خاصًا فى قوم دون قوم ، ثم من لايغفر له يذيقه من العذاب بما كسب وافيًا ، ويحتمل أن يكون عاما، ونص الكتاب يدل على أنه مفوض إلى مشيئة الله تعالى حيث قال: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] فلا ينبغى لمسلم أن [يغر]* نفسه، فإن المعصية شؤم، وخلاف الجبار فى أوامره ونواهيه عظيم، وأحدنا لايصبر على حُمَّى يوم، أو وجع ساعة، فكيف يصبر على عذاب أليم، وعقاب شديد، لايعلم وقت نهايته إلا الله تعالى، وإن كان قد ورد خبر الصادق بنهايته دون بيان وقته، متى ما كان مؤمنًا، وبالله التوفيق.

---

(١) النساء: ١١٦.

(٥) باب الدفع من عرفة والمزدلفة

الفصل الأول

٢٦٠٤- * عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عنْ أبيه، قال: سُئِلَ أسامةُ بنُ زيد: كيفَ كانَ رسولُ الله ﷺ يسيرُ في حجَّةِ الوَداعِ حينَ دفَعَ؟ قال: كانَ يسيرُ العَنَقَ، فإذا وجدَ فجوةً نصَّ . متفق عليه.

٢٦٠٥ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّه دَفَعَ معَ النبيِّ ﷺ يومَ عرفةَ فسمعَ النبيُّ ﷺ وراءَه زجْرًا شديدًا ، وضربًا للإبلِ ، فأشارَ بسوْطِه إليهمْ وقال: «يا أيُّها النَّاسُ! عليكم بالسَّكينَةِ، فإنَّ البرَّ ليسَ بالإيضاعِ» رواه البخاري.

٢٦٠٦ - * وعنه، أنَّ أسامةَ بنَ زيدٍ كانَ ردْفَ النبيِّ ﷺ منْ عرفةَ إلى المزدلفة، ثمَّ أرْدفَ الفضلَ منَ المزدلفةِ إلى منى؛ فكلاهُما قال: لمْ يزلِ النبيُّ ﷺ يُلَبِّي حتى رَمى جمرةَ العقَبةِ. متفق عليه.

٢٦٠٧ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: جمعَ النبيُّ ﷺ المغربَ والعِشاءَبجمع، كلُّ واحدةٍ منهما بإقامةٍ، ولم يسبحْ بينهما،ولا على إثْرِ كلٍّ واحدةٍ منهما. رواه البخاري. •

باب الدفع من عرفة

الفصل الأول

الحديث الأول عن هشام رضى الله عنه: قوله: «حين دفع» «قض»: أى انصرف من عرفة إلى مزدلفة ، سمى ذلك دفعًا لازدحامهم إذا انصرفوا، فيدفع بعضهم بعضًا،أو لأنهم كانوا يدفعون به أنفسهم إلى مزدلفة. و«العَنَقَ» السير السريع، وانتصابه على المصدر انتصاب القهقرى فى قولهم: رجع القهقرى،أو التقدير يسير السير العنق. و«الفجوة» الفرجة يريد بها المكان الخالى عن المارة. و«النص» السير الشديد،وأصله الاستقصاء والبلوغ غاية الشيء. وقيل:النص فوق العنق.

الحديث الثانى عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «فإن البر ليس بالإيضاع» «تو» : أى ليس البر فى الحج ، وهو أن يوفق صاحبه فى قضاء نسكه بالإصابة، واجتناب الرفث والفسوق، ويتداركه الله بالقبول بالإيضاع، وهو حمل الدابة على إسراعها فى السير، يقال: وضع البعير وغيره، أى أسرع فى سيره، وأوضعه راكبه.

الحديث الثالث والرابع مضى شرحه في باب حجة الوداع مستقصى.

٢٦٠٨ - * وعن عبدِالله بنِ مسعودٍ، قال: ما رأيتُ رسول الله ﷺ صلى صلاةً إلا لمِيقاتِها ، إلا صلاتَينِ: صلاةَ المغربِ والعِشاء بجمعٍ، وصلّى الفجرَ يومئذٍ قبلَ ميقاتِها . متفق عليه.

٢٦٠٩ - وعن ابنِ عبَّاسٍ ، قال: أنا مِمَّن قدَّمَ النبيُّ ﷺ ليلةَ المزدلفة في ضعَفَةِ أهله. متفق عليه.

٢٦١٠ - وعن الفضلِ بن عبَّاسٍ، وكانَ رَديفَ النبيِّ ﷺ ، أنَّه قال في عشيَّة عرفةَ وغَداةِ جمعٍ للنّاسِ حين دفَعوا: «عليكم بالسكينة» وهوَ كافٌّ ناقتَه حتى دخلَ مُحسرًا، وهوَ منْ منى، قال: «عليكم بحَصى الخَذْف الذي يُرمى به الجمرةُ»، وقال لمْ يزلْ رسولُ الله ﷺ يُلبّي حتى رَمى الجمْرةَ. رواه مسلم.

٢٦١١- * وعن جابرٍ، قال: أفاضَ النبيُّ ﷺ منْ جَمْعٍ وعليهِ السكينةُ، وأمرهم بالسكينةِ وأوْضَعَ في وادي مُحسرٍ، وأمرهُم أنْ يَرمُوا بمثْلِ حصى الخَذْفِ. وقال:

الحديث الخامس عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: قوله: «إلا لميقاتها» أى مستقبلا لميقاتها، كقوله تعالى: ﴿لايجليها لوقتها إلا هو﴾ (١) «مح»: معناه أنه ﷺ صلى المغرب فى وقت العشاء بجمع التى هى المزدلفة، وصلى الفجر يومئذ قبل ميقاتها المعتاد، ولكن بعد تحقق طلوع الفجر؛ لأن ذلك ليس بجائز بإجماع المسلمين، فيتعين تأويله على ما ذكرته، وقد ثبت فى صحيح البخارى فى هذا الحديث فى بعض رواياته أن ابن مسعود: صلى الفجر حين طلع الفجر بالمزدلفة، ثم قال: إن رسول الله ﷺ صلى الفجر هذه الساعة.

الحديث السادس عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «أنا ممن قدم» الراجع إلى الموصول محذوف، أى ممن قدمه. قوله: «فى ضعفة» أى بعثنى فى زمرة ضعفاء أهله من النساء والصبيان، فيه دليل على استحباب تقديم الضعفة حتى لا يتخلفوا ، ولايتأذوا بالاستعجال والازدحام.

الحديث السابع والثامن عن جابر رضي الله عنه: قوله: «بمثل حصى الخذف» أى صغارا «نه»: الخذف هو رميك حصاة أو نواة، تأخذها بين سبابتيك، وترمى بها. قوله: «لعلى لا أراكم»«لعل» كلمة الترجى ، لكن من مثله ﷺ وارد على التحقيق. «مح» : فيه إشارة إلى

---

(١) الأعراف: ١٨٧ .

«لعلي لا أراكم بعدَ عامي هذا». لمْ أجدْ هذا الحديث في الصحيحين إلا في «جامع الترمذيِّ» مع تقديمٍ وتأخيرٍ. [٢٦١١]

الفصل الثاني

٢٦١٢- * عن محمّد بنِ قيسِ بن مخْرمةَ، قال: خطبَ رسولُ الله ﷺ فقال: «إن أهلَ الجاهليَّةِ كانوا يدْفعونَ منْ عرفةَ حين تكونُ الشَّمسُ كأنّها عمائمُ الرِّجالِ في وُجوهِهِم قبلَ أنْ تغرُبَ ، ومنَ المزْدلفةِ بعدَ أنْ تطلُعَ الشّمسُ حينَ تكونُ كأنّها عمائمُ الرِّجالِ في وُجوهِهِمْ. وإنّا لا ندْفعُ منْ عرفةَ حتى تغرُبَ الشّمسُ، وندْفعُ منَ المزْدلفةِ قبلَ أنْ تطلُعَ الشّمسُ؛ هَدْيُنا مخالفٌ لهَدْيِ عَبَدةِ الأوثان والشّرك» [رواه البيهقي في شعب الإيمان وقال فيه: خطبنا وساقه بنحوه]. [٢٦١٢]

٢٦١٣ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قدَّمَنَا رسولُ الله ﷺ ليلةَ المزدلفة أُغيلمةَ بني عبد المطَّلب على حُمراتٍ فجعلَ يلْطحُ أفخاذَنا ويقول: «أبيْنيَّ! لاترمُوا الجمرةَ حتى تَطْلُعَ الشمسُ» رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه. [٢٦١٣]

توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ، وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة من ملازمته ، وتعلم أمور الدين، ولهذا سميت حجة الوداع.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن محمد بن قيس: قوله: «كأنها عمائم الرجال» «قض» شبه ما يقع من الضوء على الوجه طرفي النهار حينما دنت الشمس من الأفق بالعمامة؛ لأنه يلمع فى وجهه لمعان بياض العمامة، والناظر إذا نظر إليه يجد الضوء فى وجهه كنور العمامة فوق الجبين، والمعنى:إنا نخالف الجاهليِّين بتأخير الدفع من عرفة، وتقديمه من مزدلفة؛ لأن هدينا أي طريقتنا مخالف لطريقتهم، فأخرج العلة مخرج الاستئناف للمبالغة، ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ما هو المقتضي للمخالفة، والداعي إليها ـ انتهى كلامه-. والإضافة في «عمائم الرجال» لمزيد التوضيح، وكذا قوله: «قبل أن تغرب» في المرة الثانية زيادة للبيان، والمعني بوضع المظهر موضع المضمر قوله: «عبدة الأوثان» مقام هديهم،لما سبق من قوله: «إن أهل الجاهلية».

[٢٦١١] حسن صحيح، انظر شرح السنة (٧/ ١٧٢).

[٢٦١٢] انظر مسند الإمام الشافعى (ص-٣٦٩).

[٢٦١٣] إسناده صحيح.

٢٦١٤ - * وعن عائشةَ، قالت: أرسل النبيُّ ﷺ بأمِّ سَلَمَةَ ليلةَ النحر فرمت الجمرةَ قبلَ الفجرِ، ثمَّ مضَتْ فأفاضتْ، وكان ذلك اليومُ اليومَ الذي يكونُ رسولُ الله ﷺ عندها. رواه أبوداود.[٢٦١٤]

٢٦١٥ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: يُلَبِّي المقيمُ أو المعتَمِرُ حتى يستلمَ الحجر. رواه أبوداود وقال: ورويَ موقوفًا على ابنِ عبَّاس.[٢٦١٥]

الفصلُ الثالث

٢٦١٦ - * عن يعقوبَ بنِ عاصمِ بنِ عُروةَ، أنَّهُ سمع الشَّريدَ يقول: أفَضْتُ معَ رسول الله ﷺ فما مَسَّتْ قدَماه الأرضَ حتى أتى جمْعًا. رواه أبو داود.

الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «أغيلمة» بدل من الضمير في «قدمنا» أو تفسير له. «فا»: الأغيلمة تصغير لغلمة قياسًا، ولم يجئ كما أن أصيبية تصغير صبية، ولم يستعمل، وإنما المستعمل صبية وغليمة. قوله: «على حمرات» هي جمع حمار، ويجمع الحمار على حمير، وحُمُرٌ، وحُمْرٌ، وحُمُرات، وأحمرة. وهي حال من المفعول، أي راكبين على حمرات.

قوله: «يلطح» هو بالحاء المهملة، الضرب بالكف ليس بالشديد. قوله: «أبيني» «نه»: قد اختلف في صيغتها ومعناها، فقيل: إنه تصغير ابني، كأعمى وأعيمي، وهو اسم مفرد يدل على الجمع، وقيل: إن ابنًا يجمع على أبناء مقصورًا، وممدودًا، وقيل: هو تصغير ابن، وفيه نظر. وقال أبو عبيد: هو تصغير بنيٍّ جمع ابن مضافًا إلى النفس، فهذا يوجب أن تكون صيغة اللفظ في الحديث أبيني بوزن شريحي، وهذه التقديرات على اختلاف الروايات. «حس»: فيه دليل على أنه يجوز للنسوان والصبيان أن يدفعوا من المزدلفة إلى منى قبل طلوع الفجر يوم النحر بعد انتصاف الليل.

الحديث الثالث عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «فرمت الجمرة» «خط»: اختلفوا في رمي الجمرة قبل طلوع الفجر، فأجازه الشافعي مادام بعد نصف الليل الأول، واحتج بحديث أم سلمة، وقال غيره: إنما هذا رخصة خاصة لها، فلا يجوز أن يرمى قبل الفجر، وقال أصحاب أبي حنيفة ومالك وأحمد: يجوز أن يرمى بعد الفجر قبل طلوع الشمس، ولا يجوز قبل ذلك. «خط»: الأفضل أن لا يرمى إلا بعد طلوع الشمس، كما جاء في حديث ابن عباس. وقوله: «فأفاضت» أي مضت لطواف الإفاضة.

الحديث الرابع ظاهر.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن يعقوب: قوله: «فما مست قدماه الأرض» عبارة عن الركوب من عرفة إلى الجمع.

[٢٦١٤] ضعيف، انظر إرواء الغليل (٤/ ٢٧٧) (١٠٧٧) بنحوه.

[٢٦١٥] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٦٤٦٠) ولم يذكر لفظة: «المقيم».

٢٦١٧ - * وعن ابنِ شهاب، قال: أخبرني سالمٌ أنَّ الحجاجَ بنَ يوسُفَ عام نَزلَ بابنِ الزبير، سأل عبدَالله: كيفَ نصنعُ في الموقفِ يوم عرفةَ؟ فقال سالم: إن كنتَ تريدُ السُّنَّةَ فهَجِّر بالصلاة يوم عرفة. فقال عبد الله بنُ عُمر: صدَقَ، إنهم كانُوا يجمعونَ بين الظُّهر والعصرِ في السُّنَّة. فقلتُ لسالم: أفعلَ ذلكَ رسولُ الله ﷺ؟ فقال سالمٌ: وهل يتَّبعونَ [في] ذلكَ إلا سنَّتَه؟! رواه البخاري.

(٦) باب رَمي الجمار

الفصل الأول

٢٦١٨ - * عن جابرٍ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يَرمي على راحلتِه يومَ النحر، ويقول: «لتأخُذوا مناسككُم،فإني لا أدري لعلّي لا أحجُّ بعدَ حَجَّتي هذه». رواه مسلم.

الحديث الثاني عن ابن شهاب: قوله: «نزل» أي بارز، وقاتل ابن الزبير، و«سأل عبدالله»، أراد به عبدالله بن عمر، وهو أبو سالم الراوي. قوله: «فهجر بالصلاة» أي صلها وقت الهجير. «نه» الهجير والهاجرة اشتداد الحر نصف النهار، والتهجر، والتهجير، والإهجار السير في الهاجرة. قوله: «في السنة» حال من فاعل «يجمعون» أي متوغلين في السنة، ومتمسكين بها بضرس قاطع، قاله تعريضًا بالحجاج، ومن ثم قال سالم: «وهل يتبعون فى ذلك إلا سنته» على سبيل الحصر بعد الاستفهام، أي ما يتبعون التهجير والجمع، لشيءٍ من الأشياء إلا لسنته، فـ«سنته» منصوبة بنزع الخافض، ويجوز أن يكون التقدير لا يتبعون في ذلك إلا سنته.

باب رمي الجمار

الفصل الأول

الحديث الأول عن جابر رضي الله عنه: قوله: «لتأخذوا» «مح»: هذه اللام هي لام الأمر، ومعناه خذوا مناسككم، وتقديره:هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال، والأفعال، والهيئات هي أمور الحج، وهي مناسككم، فخذوا عني واقبلوها، واحفظوها واعملوا بها، وعلموها الناس. وفيه دلالة على ما قاله الشافعي وموافقوه: إنه يستحب لمن وصل منى راكبًا أن يرمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، ولو رماها ماشيًا جاز، وأما من وصلها ماشيًا، فيرميها ماشيا، وهذا في يوم النحر، وأما اليومان الأولان من أيام التشريق، فالسنة أن يرمي فيها جميع الجمرات ماشيًا، وفي اليوم الثالث يرمي راكبًا. وقال أحمد وإسحاق: يستحب يوم النحر أن يرمى ماشيا.

٢٦١٩ - * وعنه، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ رَمى الجمرةَ بمثلِ حصى الخذْف. رواه مسلم.

٢٦٢٠ - * وعنه، قال: رمى رسولُ الله ﷺ الجمرةَ يومَ النَّحرِ ضُحىً، وأما بعْدَ ذلكَ فإذا زالتِ الشمسُ. متفق عليه.

٢٦٢١ - * وعن عبدالله بنِ مسعودٍ: أنه انتهى إلى الجمرةِ الكبرى، فجعل البيتَ عن يسارِهِ، ومنى عن يمينِهِ، ورمى بسبع حصياتٍ يكبّرُ معَ كلٍّ حصاة، ثمَّ قال: هكذا رَمى الذي أُنزلتْ عليهِ سورةُ البقرةِ. متفق عليه.

٢٦٢٢ - * وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الاستجمارُ توٌّ، ورميُ الجمار توٌّ، والسَّعيُ بينَ الصَّفا والمروةِ توٌّ، والطَّوافُ توٌّ، وإذا استجمرَ أحدُكم فليستجمرْ بتوٍّ» رواه مسلم.

أقول: أدخل اللام على أمر المخاطب كما في قراءة رسول الله ﷺ: **﴿فبذلك فلتفرحوا﴾**(١) - الكشاف-(٢): «فلتفرحوا» بالتاء هو الأصل والقياس. وقال: إنما آثر القراءة بالأصل؛ لأنه أدل على الأمر بالفرح، وأشد تصريحًا به إيذانًا بأن الفرح بفضل الله وبرحمته بليغ التوصية به، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ محيي الدين بقوله: «فخذوا عني واقبلوها، واحفظوها واعملوا بها، وعلموها الناس». قال ابن جني: أصل الأمر أن يكون بحرفه، وهو اللام، فأصل «اضرب» لتضرب، كما هو الغالب، لكن لما كثر أمر الحاضر حذفوه تخفيفًا، والذي حسن التاء هاهنا على الأصل، أنه أمر للحاضرين بالفرح؛ لأن النفس تقبل الفرح، فذهب به إلى قوة الخطاب، ولا تقل قياسًا على ذلك «فبذلك فلتحزنوا»؛ لأن الحزن لا تقبله النفس إلا أن يراد بها التهكم والصغار. ويجوز أن تكون اللام للتعليل والمعلل محذوف، أي يقول: فعلت ما فعلت؛ لتأخذوا مناسككم. قوله: «فإني لا أدري» مفعول محذوف، و«لعلى» مستأنف، أي لا أدري ما يفعل بي، أى أظن أني لا أحج، ويحتمل أن يكون للتحقيق، كما يقع في كلام الله تعالى كثيراً.

الحديث الثاني إلى الرابع عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قوله: «سورة البقرة» «حس»: إنما ذكر سورة البقرة؛ لأن معظم المناسك مذكور فيها. أقول: عدوله من التسمية، والوصف برسول الله ونحوه إلى الموصول وصلته، لزيادة التقرير، والاعتناء بشأن الفعل، كما في قوله تعالى: **﴿وراودته التي هو في بيتها﴾**(٣).

---

(١) يونس: ٥٨ - وقرأها حفص «فليفرحوا».

(٢) الكشاف: ج٢/ ١٩٤.　　　(٣) يوسف: ٢٣.

الفصل الثاني

٢٦٢٣ - * عن قدامةَ بنِ عبدِالله بنِ عمَّار، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يرمي الجمرةَ يومَ النحرِ على ناقةٍ صهباء، ليس ضربٌ ولا طردٌ، وليس قيلُ: إليك إليك. رواه الشافعي، والترمذي، والنسائي. وابن ماجه، والدارمي. [٢٦٢٣]

٢٦٢٤ - * وعن عائشة، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنما جُعِلَ رميُ الجمارِ والسعيُ بينَ الصَّفا والمروةِ لإقامةِ ذكرِ الله» رواه الترمذي، والدارمي، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. [٢٦٢٤]

الحديث الخامس عن جابر رضي الله عنه: قوله: «الاستجمار تو» «مح»: التو - بفتح التاء المثناة فوق وتشديد الواو - الوتر، والمراد بـ«الاستجمار» الاستنجاء. قال القاضي عياض: قوله في آخر الحديث: «وإذا استجمر أحدكم فليستجمر» ليس بتكرير، بل المراد بالأول الفعل، وبالثاني عدد الأحجار. والمراد «بالتو» في الجمار سبع، وفي الطواف والسعي سبع سبع، وفي الاستنجاء ثلاث.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن قدامة: قوله: «صهباء» «نه»: الأصهب الذي يعلو لونه صهبة، وهي كالشقرة. و«إليك إليك» أي تنح وابعد، وهذا كما يقال: الطريق الطريق، وتكريره للتأكيد، المعنى لا ضرب هناك، ولا قول: إليك إليك. «قض»: أي ضم إليك ثوبك، وتنح عن الطريق.

الحديث الثاني عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «إنما جعل رمي الجمار» «فا»: في الحديث أن آدم عليه السلام رمى إبليس بمنى، فأجمر بين يديه، فسميت الجمار به الجمار، أي أسرع. أقول: قد مر أن «إنما» وضعت للحصر، وإثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما سواه، فدل الحديث على أن شرعية السعي والرمي ليست إلا لإقامة ذكر الله لاغير، فالعاقل الفطن إذا تفكر في السعي والرمي يتحير، ولم يفهم منهما شيئا إلا التعبد المحض، ويرى عقله وفطنته معزولين مضمحلين عند تلك الحركات، فلا يري غير الله، ولا يذكر سواه، فيتقرر عند ذلك معنى قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد﴾(١) فإذا كان القصد في مثل تلك الحركات، هو ذكر الله تعالى، فما بال غيرها من الحركات المناسبة له؟ والله أعلم.

[٢٦٢٣] إسناده صحيح.

[٢٦٢٤] ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٢٠٥٥) بنحوه.

(١) الكهف: ١١٠.

٢٦٢٥ - * وعنها، قالت: قلْنَا: يارسولَ اللهِ! ألا نبني لكَ بناء يظللكَ بمنى؟ قال: «لا، مِنىً مُناخُ من سَبَقَ». رواه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي.[٢٦٢٥]

الفصل الثالث

٢٦٢٦ - * عن نافعٍ، قال: إنَّ ابنَ عمرَ كانَ يقِفُ عنْدَ الجمرتينِ الأوليَيْنِ وقوفًا طويلاً يكبِّرُ اللهَ، ويسبِّحُهُ، ويحْمَدُه، ويدْعو اللهَ، ولا يَقِفُ عنْدَ جمرَةِ العقبةِ. رواه مالك.[٢٦٢٦]

(٧) باب الهدي

الفصل الأول

٢٦٢٧ - * عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: صلَّى رسولُ الله ﷺ الظُّهرَ بذي الحليفة، ثمَّ دعا بناقَتِه فأشْعَرَها في صفحة سَنَامِها الأيمنِ، وسَلَتَ الدمَ عنْها، وقلَّدَها نعلَيْن، ثمَّ رَكبَ راحِلَتَهُ، فلمَّا استوتْ بهِ على البيداءِ أهلَّ بالحج. رواه مسلم.

الحديث الثالث عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «منى مناخ من سبق» «مظ»: المناخ موضع إناخة الإبل، يعني أفتأذن أن نبنيَ لك بيتا في منى لتسكن فيه؟ فقال ﷺ: «لا» لأن منى ليس مختصا بأحد، إنما هو موضع العبادة من الرمي، وذبح الهدي، والحلق، ونحوها، فلو أجيز البناء فيها، لكثرت الأبنية ويضيق المكان، وهذا مثل الشوارع، ومقاعد الأسواق. وعند أبي حنيفة: أرض الحرم موقوفة، لأن رسول الله ﷺ فتح مكة قهرا، وجعل أرض الحرم موقوفة، فلا يجوز أن يتملكها أحد.

«خط»: إنما لم يأذن النبي ﷺ في البناء لنفسه والمهاجرين بمنى، لأنها دار هاجروا منها لله، فلم يختاروا أن يعودوا إليها، أو يقيموا فيها. أقول: قوله: «منى مناخ من سبق» جملة مستأنفة لبيان موجب عدم البناء، والمناسب للتعليل قول أبي حنيفة والخطابي.

الفصل الثالث: ظاهر

باب الهدي

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «ثم دعا بناقته» «تو»: أراد ناقته التي

[٢٦٢٥] صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، انظر المستدرك (١/ ٤٦٧).

[٢٦٢٦] صححه الشيخ موقوفًا.

٢٦٢٨ - * وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: أهْدَى النبيُّ ﷺ مرَّةً إلى البيتِ غَنمًا فقلَّدَها. متفقٌ عليه.

٢٦٢٩ - * وعن جابرٍ، قال: ذبحَ رسولُ الله ﷺ عن عائشة بقرةً يومَ النحرِ. رواه مسلم.

٢٦٣٠ - * وعنه، قال: نحَرَ النبيُّ ﷺ عن نسائهِ بقرة في حجَّته. رواه مسلم.

٢٦٣١ - * وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: فتَلْتُ قلائدَ بُدْنِ النبيِّ ﷺ بيديَّ، ثمَّ قلَّدَها وأشعرَها، وأهداها، فما حَرُم عليه شيءٌ كانَ أحِلَّ له. متفق عليه.

أراد أن يجعلها في هداياه، فاختصر الكلام، أو كانت هذه الناقة من جملة رواحله، فأضافها إليه. وأُشْعر الهدي إذا طُعِنَ في سنامه الأيمن، حتى يسيل منه دم، ليُعْلَم أنه هدي، من قولهم: شعرت كذا، أي علمت. قوله: «وسلت الدم» أي أماطه. «فا»: سلت مسح، وأصل السلت القطع، والقشر، وسلت القصعة لحستها، وسلتت المرأة خضابها، إذا أزالته. «قض»: كان من عادة أهل الجاهلية إشعار الهدي، وتقليده بنعل أو عروة، أو لحاء شجرة، أو غير ذلك؛ ليشعر بأنه هدي خارج عن ملك المهدي، فلا يتعرض له السراق، وأصحاب الغارات، فلما جاء الإسلام ورأى غرضهم في ذلك معنى صحيحا، قرر ذلك.

«مح»: إشعار الهدي لكونه علامة له مستحب، ليعلم أنه هدي، فإن ضل رد، وإن اختلط تميز، ولأن فيه إظهار شعار، وفيه تنبيه على فعل مثل فعله. و«صفحة السنام» جانبه، وهي مؤنثة، فتذكير الأيمن متاول بأنه وصف للمعنى لا للفظ، فكأنه قيل: جانبها الأيمن، وفيه استحباب الإشعار والتقليد في الهدايا من الإبل، وبهذا قال جماهير العلماء من السلف والخلف. وقال أبو حنيفة: الإشعار بدعة، لأنه مثلة، وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة المشهورة في الإشعار. وأما قولهم: إنه مثلة، فليس كذلك، بل هذا كالفصد، والحجامة، والختان، والكي، والوسم. والسنة أن يشعر في الصفحة اليمنى، وقال مالك: في الصفحة اليسرى، والحديث يرده. واتفقوا على أن الغنم لا تشعر لضعفها، ولأنه يستر بالصوف، وأما تقليده فسنة خلافًا لمالك، والبقر يستحب عند الشافعي وموافقيه الجمع فيها بين الإشعار والتقليد.

الحديث الثاني والثالث والرابع عن جابر رضي الله عنه: قوله: «نحر النبي ﷺ عن نسائه» و«عن» مثلها في قوله تعالى: ﴿وما فعلته عن أمري﴾(١) أي نحر من جهتهن ﷺ ولأجلهن. «مح»: هذا محمول على أنه ﷺ استأذنهن في ذلك، فإن تضحية الإنسان عن غيره لا تجوز إلا بإذنه.

---

(١) الكهف: ٨٢.

٢٦٣٢ - * وعنها، قالت: فتلتُ قلائدَها من عِهنٍ كان عندي، ثمَّ بعثَ بها معَ أبي. متفق عليه.

٢٦٣٣ - * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى رجلاً يَسوقُ بَدنَةً، فقال: «اركبْها». فقال: إِنَّها بدنةٌ. قال: «اركبْها». فقال: إِنَّها بدَنةٌ. قال: «اركبْها ويْلَكَ» في الثانيةِ أو الثالثةِ. متفق عليه.

٢٦٣٤ - * وعن أبي الزُّبير، قال: سمعتُ جابرَ بنَ عبدِالله سُئِلَ عنْ رُكوبِ الهَدْيِ. فقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اركبْها بالمعروفِ إِذا أُلجِئْتَ إِليها حتى تجدَ ظهْراً» رواه مسلم.

الحديث الخامس والسادس عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «من عهن» «نه»: العهن الصوف الملون، الواحدة عهنة. «مح»: في الحديث دليل على استحباب الهدي إلى الحرم - وإن لم يذهب إليه - واستحباب تقليده وإشعاره، وأن الباعث لايصير محرمًا، فلا يحرم عليه شيء مما يحرم على المحرم. وهذا مذهب الجمهور إلا ما حكي عن ابن عباس، وابن عمر، وعطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وحكى الخطابي أيضًا عن أهل الرأي: أنه إذا فعله لزمه اجتناب ما يجتنبه المحرم، ولا يصير محرما، والصحيح ما قاله الجمهور؛ للأحاديث الصحيحة. قوله: «ثم بعث بها مع أبي» «قض»: تريد بالبدن البدن التي أهداها، وبعث بها مع أبي بكر في العام السابق على العام الذي حج فيه بنفسه، وقولها: «فما حرم عليه شيء» إنما قالته ردا لما بلغها من فتيا ابن عباس فيمن بعث هديا إلى مكة أنه يحرم عليه ما يحرم على المحرم، حتى يبلغ الهدي محله وينحر.

الحديث السابع والثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «سئل» حال عن «جابر» وأصل الكلام: سمعت سؤال سائل عن جابر، ونظيره قوله تعالى: ﴿سمعنا مناديا ينادي﴾[1]، والأصل سمعت نداء مناد، فأوقع الفعل على المنادي، وجعل المسموع حالا. قوله: «اركبها» «حس»: فيه دليل على أن من ساق بدنة هديا جاز له ركوبها غير مضر بها، وله الحمل عليها، وهو قول مالك والشافعي وأحمد، وذهب قوم إلى أنه لا يركبها إلا أن يضطر إليه؛ لقوله ﷺ: «اركبها بالمعروف إذا الجئت إليها». ويجوز شرب لبنها بعد الفضل عن ري الولد، أقول:

---

(١) آل عمران: ١٩٣.

٢٦٣٥ - * وعن ابنِ عبَّاس [رضي اللهُ عنهما]، قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ ستةَ عشرَ بَدَنَةً معَ رجلٍ وأمَّرَه فيها. فقال: يارسولَ اللهِ! كيفَ أصنَعُ بما أُبْدِعَ عَلَيَّ منها؟ قال: «انحَرْها، ثمَّ اصبُغْ نعلَيْها في دمِها، ثمَّ اجعَلْها على صفحتِها، ولا تأكُلْ منها أنتَ ولا أحدٌ منْ أهلِ رُفقتِكَ» رواه مسلم.

«حتى تجد» غاية، ومتعلقها جواب الشرط المحذوف الدال عليه قوله: «اركبها بالمعروف». ويجوز أن تكون «إذا» ظرفًا، والحديث الأول مطلق، والثاني مقيد، والمطلق محمول على المقيد.

«مح»: مذهب الشافعي أنه يركبها إذا احتاج، ولا يركبها من غير حاجة، وإنما يركبها بالمعروف من غير إضرار، وبهذا قال ابن المنذر وجماعة، وهو رواية عن مالك، وقال عروة بن الزبير ومالك في الرواية الأخرى وأحمد وإسحاق: له ركوبها من غير حاجة بحيث لا يضر بها، وبه قال أهل الظاهر، وقال أبو حنيفة: لا يركبها إلا أن لا يجد منه بدا. وأما قوله: «ويلك اركبها» فهي كلمة تقال فيمن وقع في هلكة، وقيل: هي كلمة تجري على اللسان من غير قصد إلى ما وضعت له أولا من الدعاء عليه، كقولهم: لا أبا له، وتربت يداه، وما أشبه ذلك.

الحديث التاسع عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «ستة عشر بدنة» وفي المصابيح «ست عشرة» وجاز الأمران؛ لأن البدنة يستوي فيها الذكر والأنثى. قوله: «مع رجل» (قض) قيل: إنه ناجية بن جندب الأسلمي، «وأمَّره فيها» أي جعله أميرا فيها، «بما أبدع على» أي عطب، من قولهم: أبدعت الراحلة، إذا انقطعت عن السير بكلال أوضلع، كأنها بانقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير أمرا خارجًا عما اعتيد منها وألف، وحذف الراجع إلى الموصول الذي هو فاعل «أبدع» وبنى الفعل للمفعول، وأسند إلى الجار والمجرور الأول، كما أسند في نحو سِيْرَ بزَيدٍ. وإنما جاز وقوع هذه الجملة صلة، وهي خالية عن الراجع؛ لأنها في معنى عطب المتضمن له، وقد جاءت الرواية به، ونظيره: هذا حلو حامض، فإن كل واحد منهما حال عن الراجع، لعدم استقلاله، وإنما صح وقوع المجموع خبراً؛ لأنه في معنى [المر]* المتضمن له.

وإنما قال: «عليَّ» والمستعمل أبدع لي؛ لأن عطبَ كلٌّ عليهِ، وللفرق بين انقطاع الراحلة وانقطاع مايسوقه. وقوله: «اصبغ نعليها» وقد ضمن معنى اغمس، وعداه بـ«في» أي اغمس النعلين المقلد بهما، ونهى السائق ورفقته عن الأكل منها، قطعًا لأطماعهم حتى لا يحملهم القَرَمُ** على اللحم على الاستعجال في النحر، ودفعًا للتهمة عنهم، ولهذا إذا أُبدِع على المالك في الطريق ويذبحه ليس له، ولا لأحد من أهل رفقته أن يأكلوا منه، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، إذا كان هديًا أوجبه على نفسه، فإن كان تطوعًا فله أن يتموله ويأكل منه ولاشيء عليه.

---

* في الأصول كذا.

** في اللسان القَرَمُ، بالتحريك: شهوة الشهوة إلى اللحم.

٢٦٣٦ - * وعن جابرٍ، قال: نحَرْنا معَ رسولِ الله ﷺ عامَ الحُدَيبيةِ البَدَنَةَ عنْ سبعةٍ، والبقَرَةَ عنْ سبعةٍ. رواه مسلم.

٢٦٣٧ - * وعن ابنِ عمرَ: أنَّه أتى على رجلٍ قدْ أناخَ بدَنَتَهُ ينحرُها، قال: ابعَثْها قيامًا مقيَّدةً سنَّةَ محمَّدٍ ﷺ. متفق عليه.

وهو مذهب الشافعي وغيره من أهل العلم؛ فإن مجرد التقليد لا يخرجه عن ملكه وتصرفه إلى أن ينحر. وعن بعض المالكية أن التقليد كالإيجاب، فيذبحه ولا يحل له ولا لرفقته أكل شيء منه، فإن أكله هو أو واحد من رفقته حيث لم يجز له لزمه الغرم. «مح» المراد من الرفقة جميع القافلة؛ لأن السبب الذي منعت به الرفقة هو خوف تعطبهم إياه.

فإن قيل: إذا لم يجز للرفقة أكله وترك في البادية، كان طعمة للسباع، وهو إضاعة المال. قلنا: ليس كذلك؛ لأن العادة الغالبة أن سكان البوادي وغيرهم يتبعون منازل الحجيج ومسالكهم؛ لالتقاط ساقط ونحوه، وقد تأتي قافلة في إثر قافلة فيحل لهم أكله.

الحديث العاشر عن جابر رضي الله عنه: قوله: «البدنة» «مح»: البدنة تطلق على البعير والبقرة والشاة، لكن غالب استعمالها في البعير، وفيه دليل على جواز الاشتراك في الهدي، وفيه اختلاف، فمذهب الشافعي جواز الاشتراك، سواء كان تطوعًا أو واجبًا، وسواء تقربوا كلهم، أو بعضهم يريد القربة وبعضهم يريد اللحم،وبهذا قال أحمد وجمهور العلماء. وقال داود وبعض المالكية: يجوز الاشتراك في التطوع دون الواجب،وقال مالك: لايجوز مطلقًا. وقال أبو حنيفة: يجوز إن كانوا كلهم متقربين وإلا فلا.وأجمعوا على أنه لايجوز الاشتراك في الغنم.

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «قيامًا» «قض» قيامًا بمعنى قائمة، وقد صحت الرواية بها أيضًا، وانتصابه على الحال، والعامل فعل محذوف دل عليه قرينة الحال، أي انحرها قائمة مقيدة. و«سنة» نصب بعامل مضمر على أنه مفعول به، والتقدير فاعلا بها أو مقتفيًا في نحرها سنة محمد ﷺ، أو مصدر دل على فعله مضمون الجملة السابقة. «تو» ولا يصح أن يجعل العامل في «قيامًا» «ابعثها»؛ لأن البعث إنما يكون قبل القيام، واجتماع الأمرين في حالة واحدة غير ممكن. أقول: يحتمل أن يكون حالا مقدرة، فيجوز تأخره عن العامل، كما في التنزيل: ﴿فبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين﴾[1]، أي ابعثها مقدرًا قيامها وتقييدها ثم انحرها. «مح»: يستحب أن تنحر الإبل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى، والبقر والغنم مضطجعة على جنبها الأيسر، وتترك رجلها.

---

(١) الصافات: ١١٢.

٢٦٣٨ - * وعن على [رضي اللهُ عنه]، قال: أمرَني رسولُ الله ﷺ أنْ أقومَ على بُدنه، وأنْ أتصدَّقَ بلحمِها وجلودِها وأجلَّتِها، وأن لا أعطيَ الجزَّارَ منها قال: «نحنُ نعطيهِ منْ عندِنا» متفق عليه.

٢٦٣٩ - * وعن جابرٍ، قال: كُنا لا نأكلُ منْ لحومِ بُدنِنا فوقَ ثلاثٍ، فرخَّصَ لنا رسولُ الله ﷺ فقال: «كُلُوا وتزَوَّدُوا»، فأكلْنا وتزَوَّدْنا. متفق عليه.

الفصل الثاني

٢٦٤٠ - * عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ أهْدَى عامَ الحُديبيةِ في هدايا رسول الله ﷺ جَملاً كانَ لأبي جهلٍ، في رأسِه بُرةٌ منْ فضَّةٍ - وفي روايةٍ: منْ ذهب - يَغيظُ بذلكَ المشركينَ رواه أبو داود. [٢٦٤٠]

الحديث الثاني عشر عن على رضي الله عنه: قوله: «أمرني» «مح»: في الحديث فوائد كثيرة: منها: استحباب سوق الهدي، وجواز النيابة في نحره وفي تفرقته، وأنه يتصدق بلحومها وجلودها وجلالها، وأنها تجلل، ويستحب أن يكون جلالها حسنة، وأنه لايعطى الجزار منها؛ لأن عطيته عوض عن عمله، فيكون في معنى بيع جزء منها، وذلك لايجوز، وفيه جواز الاستئجار على النحر ونحوه. ومذهبنا أنه لا يجوز بيع جلد الهدي والأضحية، ولا شيء من أجزائها، ولكن إذا كان تطوعًا فله الانتفاع بالجلد وغيره باللبس. وحكى ابن المنذر عن ابن عمر وأحمد وإسحاق: أنه لابأس ببيع جلد هَديِه والتصدق بثمنه. وقال النخعي والأوزاعي: لابأس أن يشتري به الغربال والمنْخُلَ والفأس والميزان ونحوها. «حس»: إذا أعطى الجزار من اللحم للأجرة لم يجز، وأما إذا تصدق عليه بشيء منه فلا بأس به. وقال الحسن البصري: لا بأس أن يعطى الجزار الجلد.

الحديث الثالث عشر عن جابر رضي الله عنه: قوله: «فوق ثلاث» «مظ»: نهى أولا أن يؤكل من لحم الهدي والأضحية فوق ثلاثة أيام، ثم رخص لهم أن يأكلوا من التطوع، وأما الواجب بالشرع من الهدي كدم التمتع والقران والواجب بإفساد الحج وفواته، وجزاء الصيد، فلا يجوز للمهدي أن يأكل منها شيئًا، بل عليه التصدق عند بعض أهل العلم، وبه قال الشافعي رضي الله عنه.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «عام الحديبية» «قض»: هي السنة السادسة من الهجرة، توجه فيها رسول الله ﷺ مكة للعمرة؛ فأحصره المشركون بالحديبية،

[٢٦٤٠] حسن، - بلفظ: «فضة» - انظر صحيح أبي داود (١٥٣٨).

٢٦٤١ - * وعن ناجيةَ الخُزاعيِّ، قال: قلتُ: يارسولَ الله! كيفَ أصنَعُ بما عَطِبَ منَ البُدْنِ؟ قال: «انحرْها، ثمَّ اغمسْ نعلَها في دمِها، ثمَّ خلِّ بينَ النَّاسِ وبينَها فيأكلونَها» رواه مالك، والترمذيُّ، وابنُ ماجه.[٢٦٤١]

٢٦٤٢ - * ورواه أبوداود، والدارميّ، عن ناجيةَ الأسلَميِّ.[٢٦٤٢]

٢٦٤٣ - * وعن عبدالله بنِ قُرْط [رضي اللهُ عنه]، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إنَّ أعظمَ الأيَّام عندَالله يومُ النَّحرِ، ثمَّ يومُ القَرِّ». قال ثورٌ: وهوَ اليومُ الثاني. قال: وقُرِّبَ لرَسول الله ﷺ بدَنَاتٌ خمسٌ أو ستٌّ، فطفِقْنَ يزْدَلِفنَ إليه، بأيَّتِهنَّ يبدأُ قال: فلمَّا وجَبَتْ جُنُوبُها. قال: فتكلم بكلمةٍ خَفيَّةٍ لم أفهمْها. فقلتُ: ما قال؟ قال: «مَنْ شاءَ اقْتطَعَ». رواه أبوداود.[٢٦٤٣]

وذكر حديثا ابنِ عبَّاسٍ، وجابر في «باب الأضحية».

وهي من أطراف الحل. و«جملا» نصب بـ«أهدى»، و«في هدايا» صلة له، وكان حقه أن يقول: في هداياه، فوضع المظهر موضع المضمر، وكان ذلك مع أبي جهل يوم بدر، فاغتنم. «وفي رأسه برة فضة» أي في أنفه حلقة فضة، فإن البرة هي الحلقة التي تجعل في أنف البعير، لكن لما كان الأنف من الرأس، قال: «في رأسه» على الاتساع. قوله: «برة» «نه»: هي حلقة تجعل في لحم الأنف، وربما كانت من شعر، وأصلها بروة كفروة، ويجمع على برى وبرات وبرين بضم الباء. أقول: لعل قوله: «في هدايا رسول الله» حال من جملا أي «جملا» كائنا في جملة هداياه، قدم اهتمامًا، ولذلك وضع المظهر موضع المضمر تعظيما للهدايا وتفخيما لشأنها، وأن المهدي من هو رسول الله وحبيبه من الله تعالى بمكان، والمقام اقتضى ذلك لغيظ الكفار، وتصديقًا لوعد الله من الفتح والظفر في العام القابل، قال تعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل - إلى قوله - فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعدالله الذين آمنوا﴾(١).

الحديث الثاني عن ناجية: قوله: «بين الناس» التعريف فيه للعهد، والمراد بهم الذين يتبعون القافلة ويلتمسون الساقطة، أو جماعة غيرهم من قافلة أخرى. قوله: «فيأكلونها» الظاهر إسقاط النون بإضمار «أن» في جواب الأمر لكن التقدير: فهم يأكلونها على المبتدأ أو الخبر.

الحديث الثالث عن عبدالله: قوله: «إن أعظم الأيام عندالله يوم النحر» «تو»: فإن قيل: قد ورد من الأحاديث الصحاح في فضل يوم عرفة ما قد دل على أنه أفضل الأيام؛ فكيف التوفيق

[٢٦٤١]، [٢٦٤٢] صحيح، انظر صحيح الترمذي (٧٢٤).

[٢٦٤٣] صحيح، انظر صحيح أبي داود (١٥٥٢).

(١) الفتح: ٢٩.

الفصل الثالث

٢٦٤٤- * عن سلَمةَ بنِ الأكوَع، قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ ضحَّى منكم، فلا يُصبِحنَّ بعدَ ثالثةٍ وفي بيتِه منه شيءٌ». فلمّا كانَ العامُ المقبلُ قالوا: يارسولَ الله! نفعل كما فعلْنا العامَ الماضيَ؟ قال: «كُلوا، وأَطعِموا، وادَّخِروا؛ فإنَّ ذلكَ العامَ كانَ بالنَّاسِ جَهْدٌ، فأردتُ أنْ تُعينوا فيهِم» متفق عليه.

بينهما؟ قلنا: إنا قد وجدنا في الحديث الصحيح ما قد دل على أن الأيام العشر أفضل الأيام؛ لأنها أحب الأيام إلى الله، فيكون معنى قوله: «أفضل الأيام يوم النحر» أي من أفضل الأيام. كما يقال: فلان أعقل الناس وأعلمهم أي من أعقل الناس وأعلمهم. قوله: «يوم القر» «نه»: هو الغد من يوم النحر؛ لأن الناس يقرون فيه بمنى، أي يسكنون ويقيمون. «حس»: سمي به لأن أهل الموسم يوم التروية وعرفة والنحر في تعب من الحج؛ فإذا كان الغد من يوم النحر قروا بمنى. «قال ثور» هو أحد من الرواة. قوله: «يزدلفن» أي يقربن منه يفتعلن من القرب، فأبدلت التاء دالا لأجل الزاي. «مظ»: أي تسعى كل واحدة من تلك البدن إلى رسول الله ﷺ، لينحرها قيل:استلذاذاً واعتداداً ببركة يد رسول الله ﷺ. قوله: «بأيتهن يبدأ» الباء في «بأيتهن» صلة «يبدأ» والاستفهام متأول بجوابه أي تتوخى كل واحدة قربه ﷺ وأنه بأشرفها وأكملها أو بأتوقها إلى إزهاق نفسها، وأنزعها إلى الفداء يبدأ، والجملة حال مؤكدة من «يزدلفن» أي يزدلفن متقربات به. قوله: «فلما وجبت» «تو»: الوجوب السقوط، من وجب الحائط إذا سقط، ووجبت الشمس وجبة، إذا غربت، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾(١) وفيه من البلاغة ما لايخفى، وذلك أنه تعالى ذكر البدن وعظم شأنها، ثم أشار بمقتضى اللفظ إلى أنها تنحر قياما، فإن وجوب الجنوب منها إنما يتصور إذا كانت قائمة، وتلك السنة فيها. قوله: «فتكلم» عطف على «وجبت»، وَّقال" كلام الراوي. وقوله: «فقلت: ما قال» أي قال الراوي: سألت الذي يليه: ما قال؟ فقال ﷺ: «من شاء اقتطع»أى هدى المهدي- للمحتاجين ، «ومن شاء اقتطع» «حس»: فيه دليل على جواز هبة المشاع؛ وعلى جواز أخذ النثار فى عقد الأملاك؛ وأنه ليس من النهب الذى نهى عنه. وكرهه بعض العلماء خوفاً من أن يدخل فيما نهى عنه من النُّهبى.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن سلمة : قوله: «جهد» «نه»: بالضم الوسع والطاقة، وبالفتح المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وقيل: هما لغتان فى الوسع والطاقة؛ فأما فى المشقة والغاية فالفتح لاغير. قوله: «أن تعينوا فيهم» أى تعينوهم؛ فجعل المتعدى منزلة اللازم، وعداه بفى مبالغة، أى أردت أن توقعوا الإعانة فيهم، وتجعلوهم مكانا لها لشدة احتياجهم وافتقارهم، نحو قوله

---

(١) الحج: ٣٦.

٢٦٤٥- * وعن نُبَيْشَةَ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّا كُنا نهَيْناكم عنْ لُحومِها أنْ تأكُلوها فوقَ ثلاث لكيْ تسَعَكُم. جاءَ اللهُ بالسَّعَة، فكُلوا، وادَّخرُوا، وأْتَجِروا. ألاَ وإنَّ هذه الأيَّامَ، أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ، وذِكْرِ اللهِ». رواه أبو داود. [٢٦٤٥]

(٨) باب الحلق

الفصل الأول

٢٦٤٦- * عن ابنِ عُمرَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ حلَقَ رأسَهُ في حَجَّة الوَداع وأناسٌ من أصحابه، وقصَّرَ بعضُهم. متفق عليه.

تعالى: ﴿وأصلح لى فى ذريتى﴾(١). ولعل هذا ليس بنسخ؛ لإمكان الجمع بين الأمرين، فيكون الثانى رخصة.

الحديث الثانى عن نبيشة: قوله: «أن تأكلوها» بدل اشتمال من «لحومها». قوله: «لكي تسعكم» «نه»: وسعه الشيء يسعه سعة فهو واسع، والوسع والسعة الجدة والطاقة، ومنه الحديث «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم» أي لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم. أقول: فالضمير المرفوع فى «تسعكم» للحوم، أى نهيتكم عن أكلها ليتسع عليكم فتؤتوها المحتاجين، يدل عليه قوله: «جاء الله بالسعة» أى على المحتاجين، فوافق هذا التأويل معنى الحديث السابق. قوله: «وأتجروا» أمر من الأجر، أي اطلبوا به الأجر والثواب، ولو كان من التجارة لكان بتشديد التاء، والتجارة فى الضحايا لاتصح؛ لأن بيعها فاسد، إنما تؤكل ويتصدق منها. قوله: «أيام أكل وشرب وذكر الله» التنكير فيهما للنوع، أى سعة وإباحة فيهما، ثم أتبعهما بذكر الله صيانة عن التلهي والتشهي كالبهائم، بل يكونان إعانة على ذكر الله وطاعته،والله أعلم بالصواب.

باب الحلق

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «قصرت من رأس النبى ﷺ» «قض»: كان هذا فى عمرة؛ لأن الحاج يحلق بمنى، فلا يعارض ما روى ابن عمر أنه ﷺ حلق رأسه فى حجة الوداع، ولعل ذلك كان فى عمرة الجعرانة، اعتمرها رسول الله ﷺ لما فتح

[٢٦٤٥] صحيح، انظر صحيح أبي داود (٢٤٣٩).

(١) الأحقاف: ١٥

٢٦٤٧- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال لي معاويةُ: إني قصَّرتُ منْ رأسِ النبيِّ ﷺ عندَ المروةِ بمشْقَصٍ. متفق عليه .

٢٦٤٨- * وعن ابنِ عمَرَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال في حَجةِ الوَداعِ: «اللهُمَّ ارحمْ المحلِّقينَ». قالوا: والمقصِّرينَ يارسولَ الله؟! قال: «اللهُمَّ ارحم المحلِّقين». قالوا : والمقصِّرينَ يارسولَ اللهِ؟! قال: «والمقصِّرينَ». متفق عليه.

مكة، وأراد الرجوع منها فى السنة الثامنة من الهجرة، أو عمرة القضاء، إن صح ما روى عنه: إنى أسلمت عام القضية، والأصح أنه أسلم عام الفتح. قوله: «المشقص» «نه»: المشقص نصل طويل ليس بالعريض، وقيل: هو سهم له نصل عريض وقيل: أراد هاهنا به الحلم، وهو الذى يجز به الشعر والصوف، وهو أشبه بهذا الحديث. «مح»: يستحب للمتمتع أن يقصر فى العمرة، ويحلق فى الحج؛ ليقع الحلق فى أكمل العبادتين.

الحديث الثانى والثالث والرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «قالوا: والمقصرين» هو من **العطف التلقينى**، يعنى يارسول الله! ضم المقصرين إليهم، وقل اللهم ارحم المحلقين والمقصرين، نحو قوله تعالى: **﴿إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي﴾**[1] «الكشاف»[2]: «ومن ذريتى» عطف على الكاف، كأنه قال: وجاعل بعض ذريتى كما يقال لك: سأكرمك فتقول: وزيدًا. «نه»: إنما خص المحلقين أولاً بالدعاء دون المقصرين، وهم الذين أخذوا من أطراف شعورهم ولم يحلقوا-؛ لأن أكثر من أحرم مع النبيِّ ﷺ لم يكن معهم هدى؛-وكان النبى ﷺ قد ساق الهدى، ومن معه هدىٌ فإنه لايحلق حتى ينحر هديه، فلما أمر النبى ﷺ من ليس معه هدى أن يحلق ويحل، ووجدوا فى أنفسهم من ذلك، وأحبوا أن يأذن لهم فى المقام على إحرامهم حتى يكملوا الحج،-وكانت طاعة النبى ﷺأولى بهم-، فلما لم يكن لهم بد من الإحلال كان التقصير فى نفوسهم أخف من الحلق، فمال أكثرهم، وكان فيهم من بادر إلى الطاعة، وحلق ولم يراجع؛ فلذلك قدم المحلقين وأخر المقصرين.

«مح»: هذا فى حجة الوداع، وهو الصحيح المشهور، وحكى القاضى عياض عن بعضهم: أن هذا كان يوم الحديبية حين أمرهم بالحلق، فلم يفعلوا طمعًا بدخول مكة يومئذ. وعن ابن عباس قال: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فدعا رسول الله ﷺ بالدعاء. قيل:

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الكشاف: (ج١/٩٢).

٢٦٤٩- * وعن يحيى بنِ الحُصَينِ، عنْ جدته، أنَّها سمعتِ النبيَّ ﷺ فى حجَّةِ الوَداعِ دَعا للمُحلِّقينَ ثلاثًا، وللمُقصِّرينَ مرَّةً واحدةً. رواه مسلم.

٢٦٥٠- * وعن أنسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ أتى منىً، فأتى الجمرةَ فرماها، ثمَّ أتى منزلَه بمنىً، ونحَرَ نسُكَه، ثمَّ دَعا بالحلاَّقِ، وناوَلَ الحالقَ شقَّه الأيمنَ، ثمَّ دَعا أبا طلحةَ الأنصاريَّ، فأعطاهُ إياهُ، ثمَّ ناولَ الشِّقَّ الأيسرَ، فقال: «احلقْ» فحلَقه، فأعطاهُ أبا طلحةَ، فقال: «اقسِمْهُ بينَ النَّاسِ». متفق عليه.

يارسول الله! ما بال المحلقين، ظاهرت لهم بالترحم؟ قال: «لأنهم لم يشكوا». ووجه فضيلة الحلق على التقصير أن المقصر مبق على نفسه الزينة من الشعر، والحاج مأمور بترك الزينة؛ ولأنه أدل على صدق النية فى التذلل لله تعالى. والمذهب المشهور أن الحلق أو التقصير نسك من مناسك الحج والعمرة، وركن من أركانهما لايحصل واحد منهما إلا به، وعليه اتفقت الجمهور. وللشافعى قول شاذ ضعيف: أنه استباحة محظور كالطيب واللباس وليس بنسك، والصواب الأول، والمشروع فى حق النساء التقصير، وأقله ثلاث شعرات، ويكره لهن الحلق والأفضل فى الحلق والتقصير أن يكون بعد رمي جمرة العقبة ، وقد ذبح الهديَ إن كان معه سواء كان قارنًا أو مفردًا.

الحديث الخامس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «نحر نسكه» «تو»: نسك جمع نسيكة، وقيل: مصدر، والمصادر تقام مقام الأسماء المشتقة منها، فتطلق على الواحد والجمع، وأكثر ما نجده فى الحديث بتخفيف السين، وفى الحديث يجوز أن يحمل على الواحد؛ لأنه كان ينحر الواحد بعد الواحد، ويجوز أن يحمل على الجمع؛ لأنه نحر يومئذ بيده ثلاثًا وستين بدنة، وكأنه راعى بهذه العدة سِنِيَّ عمره ﷺ. وإنما قسم الشعر فى أصحابه؛ ليكون بركة باقية بيْن اظهرهم وتذكرة لهم، وكأنه أشار بذلك إلى اقتراب الأجل وانقضاء زمان الصحبة، وأرى أنه خص أبا طلحة بالقسمة التفاتًا إلى هذا المعنى؛ لأنه هو الذى حفر قبره ولحد له وبنى فيه اللبن. «مح»: اختلفوا فى اسم الحلاق، والصحيح المشهور أنه معمر بن عبدالله العدوى، وقيل: اسمه فراس بن أمية بن ربيعة الكُلبى بضم الكاف. وفيه استحباب بدئه الحلق بالجانب الأيمن، وقال أبو حنيفة: يبدأ بالجانب الأيسر. وفيه أن شعر الآدميِّ طاهر، وهو الصحيح. وفيه جواز التبرك بشعره واقتنائه، ومواساة الإمام والكبير بين أصحابه وأتباعه فيما يفرقه عليهم من عطائه. قوله: «شقه الأيمن [فحلقه]*» أى قال: احلق فحلقه، تدل على المحذوف القرينة الآتية. فإن قلت: لم حذف فى الأولى وذكر فى الثانية؟ قلت: ليدل على سرعة امتثال الحالق،

---

* فى المتن «وناول الحالق شقه الأيمن» فقط، والذى فى الشرح بعض روايات الحديث.

٢٦٥١- * وعن عائشةَ [رضي الله عنها»، قالتْ: كنتُ أُطيّبُ رسولَ اللهِ ﷺ قبلَ أنْ يحرِمَ، ويومَ النَّحرِ قبلَ أنْ يطوفَ بالبيتِ بطيبٍ فيه مسْكٌ. متفق عليه.

٢٦٥٢- * وعن ابنِ عُمَرَ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أفاضَ يومَ النحْرِ. ثمَّ رجعَ، فصلَّى الظهْرَ بمنىً. رواه مسلم .

الفصل الثاني

٢٦٥٣- * عن عليٍّ وعائشةَ [رضي اللهُ عنهما]. قالا: نهى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تحْلِقَ المرأةُ رأسَها. رواه الترمذيُّ .[٢٦٥٣]

٢٦٥٤- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : «ليسَ على النِّساءِ الحَلْقُ؛ إنَّما على النساءِ التَّقصيرُ» رواه أبو داود، والدارميُّ .[٢٦٥٤]

(٩) باب

[فى التحلل ونقلهم بعض الأعمال على بعض]

الفصل الأول

٢٦٥٥- * عن عبد اللهِ بنِ عمْرِو بن العاص: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وقفَ في حَجَّةِ الوَداعِ بمنى للنَّاسِ يسألونَهُ، فجاءَه رجلٌ، فقال: لمْ أشعُرْ فحلقْتُ قبلَ أنْ أذْبحَ.

وأنه كما أمر امتثل، نحوه قوله تعالى: ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت﴾(١) كأنه طمع أن يُعْطَى المحلوقَ، فلما آثر عليه أبا طلحة تقاعد عن سرعة الامتثال فى المرة الثانية، والله أعلم.

والحديث السادس إلى آخر الفصل الثانى غنى عن الشرح.

بـــاب

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبدالله: قوله: «يسألونه» يحتمل أن يكون حالاً من فاعل «وقف» أى وقف ﷺ ، مسئولا، وأن يكون من «الناس» أى وقف لهم سائلين عنه، ويجوز أن يكون استئنافًا بيانًا لعلة الوقوف، وينصره الرواية الأخرى لمسلم: «وقف رسول الله ﷺ على راحلته

[٢٦٥٣] قال أبو عيسى: حديث على فيه اضطراب. وروى هذا الحديث عن حماد بن سلمة عن قتادة عن عائشة أن النبى ﷺ نهى أن تحلق المرأة رأسها. والعمل على هذا عند أهل العلم: لا يرون على المرأة حلقا، ويرون أن عليها التقصير وانظر تحفة الأحوذى (٣/ ٦٦١/ح ٩١٧) (وصحيح الترمذى ٧٢٨).

[٢٦٥٤] قال المباركفورى : وقد قوى إسناده البخارى فى التاريخ، وأبو حاتم فى العلل، وحسنه الحافظ، وأعله ابن القطان، ورد عليه ابن الموفق فأصاب كذا فى النيل. قال: وفى الباب أيضا عن عائشة من وجه آخر أخرجه البزار، وهو ضعيف، وعن عثمان، أخرجه البزار، وهو أيضا ضعيف. انظر السابق .

(١) البقرة: ٦٠

فقال: «اذبَحْ ولا حرَجَ». فجاءَ آخرُ، فقال: لمْ أشعرْ فنحرْتُ قبلَ أنْ أرمِيَ. فقال: «ارْمِ ولا حرَجَ». فما سئلَ النبيُّ ﷺ عنْ شيءٍ قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلاَّ قال: «افعَلْ ولا حرَجَ». متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: أتاه رجلٌ، فقال: حلقْتُ قبلَ أنْ أرمي. قال: «ارْمِ ولا حرَجَ». وأتاهُ آخرُ، فقال: أفَضتُ إلى البيتِ قبلَ أنْ أرْميَ. قال: «ارْمِ ولا حرَجَ».

٢٦٥٦- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ يُسأَلُ يومَ النحْرِ بمنى، فيقولُ: «لا حرَجَ»، فسألَه رجلٌ، فقال: رَمَيْتُ بعدَ ما أمسَيتُ. فقال: «لا حرَجَ». رواه البخاري.

فطفق ناس يسألونه». قوله: «لم أشعر فحلقت» الفاء سببية، جعل الحلق مسببًا عن عدم شعوره، كأنه يعتذر لتقصيره. «مح»: قد تقرر أن أفعال يوم النحر أربعة: رمى جمرة العقبة ثم الذبح ثم الحلق ثم طواف الإفاضة؛ فإن السنة أن تكون مرتبة على هذا النسق، فلو خولفت وقدم بعضها على بعض جاز، ولا فدية عليه لهذه الأحاديث، وبهذا قال جماعة من السلف، وهو مذهبنا، وللشافعى قول ضعيف: أنه إذا قدم الحلق على الرمى والطواف لزمه دم.

«قض»: اختلف فى أنه سنة لا شيء فى تركه أو واجب يتعلق الدم بتركه؟ وعلى الأول ذهب أكثر علماء الصحابة والتابعين، وبه قال الشافعى وأحمد وإسحاق؛ لهذا الحديث وأمثاله، وإلى الثانى مال ابن جبير، وبه قال أبو حنيفة ومالك، وأولوا قوله: «ولا حرج» على رفع الإثم لجهله دون الفدية. ويدل على هذا أن ابن عباس رضى الله عنهما روى مثل هذا الحديث، وأوجب الدم، فلولا أنه فهم ذلك وعلم أنه المراد لما أمر بخلافه.

قوله: «قدِّم ولا أخِّر» لابد من تقدير لا فى الأول؛ لأن الكلام الفصيح قلما تقع لا الداخلة على الماضى فيه إلا مكررة، وشاع ذلك لأن الكلام فى سياق النفى، ونظيره قوله تعالى: ﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾(١).

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «كان يسأل يوم النحر» أى لم يزل يسأل، يدل عليه قوله فى الحديث السابق: «فما سئل النبى ﷺ عن شيءٍ قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج». قوله: «بعدما أمسيت» أى بعد العصر. «مظ»: آخر وقت الرمى يوم النحر

---

(١) الأحقاف: ٩

الفصل الثاني

٢٦٥٧- * عن عليٍّ، قال: أتاه رجلٌ، فقال: يارسولَ الله! إني أفضْتُ قبلَ أنْ أحلقَ: فقال: «احلقْ أوْ قصِّرْ ولا حرَجَ». وجاءَ آخرُ، فقال: ذَبحْتُ قبلَ أنْ أرْميَ قال: «ارْمِ ولا حرَجَ» رواه الترمذيُّ .[٢٦٥٧]

الفصل الثالث

٢٦٥٨- * عن أُسامةَ بنِ شريكٍ، قال: خرجْتُ معَ رسول الله ﷺ حاجًّا، فكانَ النَّاسُ يأتونَه، فمنْ قائلٍ: يارسولَ الله! سعَيْتُ قبلَ أن أطوفَ، أو أخَّرتُ شيئًا أو قدَّمْتُ شيئًا، فكانَ يقولُ: «لا حرَجَ إلا على رجلٍ اقترَضَ عِرْضَ مسلمٍ وهو ظالمٌ، فذلكَ الذيَ حرِجَ وَهلَكَ» رواه أبو داود .[٢٦٥٨]

(٨) باب
خطبة يوم النحر ورمي أيام التشريق والتوديع

غروب الشمس من يومه، فإذا غربت فات، ولزمه دم فى قول، وأول وقت رمي هذا اليوم بعد نصف ليلة النحر عند الشافعى، وبعد طلوع فجر يوم النحر عند أبى حنيفة ومالك وأحمد .

الفصل الثانى والفصل الثالث

الحديث الأول عن أسامة: قوله: «فكان الناس» الفاء تقتضى مقتدرات شتى، أى خرجت حاجا مع رسول الله ﷺ فكان كيت وكيت، وقضينا مناسكنا فكان الناس يأتونه فيسألونه، فالفاء فى «فمن قائل» تفصيلية، والأولى فصيحة، و«من» تبعيضيه. قوله: «إلا على رجل» استثناء منقطع بمعنى لكن. قوله: «اقترض» «نه»: أى نال منه وقطعه بالغيبة، وهو افتعال من القرض القطع. أقول: انظر أيها المتأمل فى تشديد أمر الغيبة واختصاصه فى هذا المقام دون سائر الآثام. وتقييده بقوله: «وهو ظالم» إشارة إلى ما أبيح فيه من الذب بالجرح، عما روى من الأحاديث ومن الشهادات فى القضايا وغير ذلك. وقوله: «وهو ظالم» يحتمل وجهين أن يكون حالا مؤكدة، وأن تكون مستقلة. وذلك على تقدير أن يكون بعض المقترضين غير ظالم، مثل جرح غير المعدلين، و«فذلك» فذلكة للتفصيل السابق.

باب خطبة يوم النحر، ورمي أيام التشريق، والتوديع

قوله: «التوديع» عطف على التشريق، أي أيام النفر التى تستتبع طواف الوداع وأنشد:

[٢٦٥٧] حسن، انظر صحيح الترمذى (٧٠٢).
[٢٦٥٨] صحيح، انظر صحيح أبى داود (١٧٧٥).

الفصل الأول

٢٦٥٩- * عن أبي بكرةَ [رضي الله عنه] قال: خطبَنا النبيُّ ﷺ يومَ النحرِ، قال: «إنَّ الزمان قد استدارَ كهيئتِه يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ، السَّنَةُ اثنا عَشْرَ شهرًا، منها أربعةٌ حرمٌ، ثلاثٌ متوالياتٌ، ذو القَعدة، وذو الحجَّة، والمحرَّمُ، ورجبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشعبان». وقال: «أيُّ شهرٍ هذا؟» قلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلم.

فَلَما قضينا من منى كل حَاجة ... وَمسحَ بالأركان من هو مَاسحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطيِّ الأباطِحُ

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى بكرة: قوله: «خطبنا» «غب»: الخطب والمخاطبة والتخاطب، المراجعة فى الكلام، ومنه الخُطبة والخِطبة، لكن الخُطبة مختصة بالموعظة، والخِطبة بطلب المرأة. «تو»: والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وأراد به هاهنا السنة- انتهى كلامه. وذلك أن قوله: «السنة اثنا عشر شهرًا» إلى آخره جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، فالمعنى: أن الزمان في انقسامه إلى الأعوام، والأعوام إلى الأشهر عاد إلى أصل الحساب والوضع. الذى اختاره الله ووضعه يوم خلق السموات والأرض. والهيئة صورة الشيءِ وشكله وحالته، والكاف صفة مصدر محذوف، أى استدار استدارة مثل حالته يوم خلق الله. «نه»: يقال: دار يدور، واستدار يستدير، بمعنى إذا طاف حول الشيءِ، وإذا عاد إلى الموضع الذى ابتدأ منه. ومعنى الحديث أن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر، وهو النسيء المذكور فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة فى الكفر﴾(١) ليقاتلوا فيه، ويفعلون ذلك كل سنة بعد سنة، فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه فى جميع شهور السنة، فلما كانت تلك السنة قد عاد إلى زمنه المخصوص به قبل، ودارت السنة كهيئتها الأولى. «حس»: قال بعضهم: إنما أخر النبى ﷺ الحج مع الإمكان ليوافق أهل الحساب، فحج معه حجة الوداع. قوله: «ثلاث متواليات» إنما حذف التاء من العدد باعتبار أن الشهر الذى هو واحد الأشهر بمعنى الليالى، فاعتبر لذلك تأنيثه. قوله: «ورجب مضر» عطف على قوله «ثلاث» «حس»: إنما أضافه إلى مضر؛ لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من محافظة سائر العرب، ولم يكن يستحله أحد من العرب. وقوله: «الذى بين جمادى وشعبان» ذكره تاكيدًا وإزاحة للريب الحادث فيه من النسيء، وهذا معنى كلام الخطابى.

قوله: «أى شهر هذا؟» «قض»: يريد به تذكارهم حرمة الشهر وتقريرها فى نفوسهم ليبنى

---

(١) التوبة: ٣٧.

فسكَتَ حتى ظَنَنَّا أنَّهُ سيُسميه بغير اسمه. فقال: «أليس ذا الحجَّة؟» قلنا: بلى.قال: «أى ٌ بلدٍ هذا؟» قلنا: اللهُ ورسولهُ أعلم، فكستَ حتى ظَنَنَّا أنهُ سيسميه بغير اسمه. قال: «أليسَ البلدةَ؟» قلنا: بلى! قال: «فأي يومٍ هذا؟» قلنا: اللهُ ورسولهُ أعلم، فسكتَ حتى ظنَنَّا أنهُ سيُسمِّيه بغيرِ اسمِه. قال: «أليسَ يومَ النحرِ؟» قلنا: بلى. قال: «فإنَّ دِماءَكم وأموالكُم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومِكُم هذا، في

عليه ما أراد تقريره، وقولهم فى الجواب: «الله ورسوله أعلم» مراعاة للأدب وتحرزاً عن التقدم بين يدى الله ورسوله، وتوقفًا فيما لا يعلم الغرض من السؤال عنه. أقول: فى قولهم: «سيسميه»إشارة إلى تفويض الأمور بالكلية إلى الشارع، وعزل لما ألفوه من المتعارف المشهور.

قوله: «أليس ذا الحجة؟» بالنصب، وفى أصل المالكى بالرفع، وقال: الأصل أليسه ذو الحجة؟، وَمَنْ حذف الضمير المتصل خبرا لكان وأخواته قول الشاعر:

فأطعَمَنا من لحمها وسديفها شواءً وخير الخير ما كان عاجله

أراد خير الخير الذى كأنه عاجله وقال:

شهدت دلائل جَمة لَم أحصها أن المفضل لن يَزالَ عتيقُ

أراد لن يزاله. «مح»: فى هذا التمثيل دليل على استحباب ضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير قياسًا. وفى قوله:«فليبلغ الشاهد الغائب» تصريح بوجوب نقل العلم وإشاعة السنن والأحكام. «تو»: وإنما شبهها فى الحرمة بهذه الأشياء؛ لأنهم كانوا لا يرون استباحة تلك الأشياء وانتهاك حرمتها بحال.

قوله: «البلدة» «تو»: وجه تسميتها بالبلدة- وهى تقع على سائر البلدان - أنها البلدة الجامعة للخير المستحقة أن تسمى بهذا الاسم؛لتفوقها سائر مسميات أجناسها تفوق الكعبة فى تسميتها بالبيت سائر مسميات أجناسها، حتى كأنها هى المحل المستحق للإقامة بها. قال ابن جنى:من عادة العرب أن يوقعوا على الشيء الذى يختصونه بالمدح اسم الجنس، ألا تراهم كيف سموا الكعبة بالبيت، وكتاب سيبويه بالكتاب!

قوله: «وأعراضكم» «تو»: أى أنفسكم وأحسابكم، فإن العرض يقال للنفس وللحسب، يقال: فلان نقى العرض، أى بريء أن يشتم أو يعاب. والعرض رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أوخبيثة. «حس»: لو كان المراد من الأعراض النفوس لكان تكراراً؛ لأن ذكر الدماء كاف، إذ المراد به النفوس. أقول: الظاهر أن يراد بالأعراض الأخلاق النفسانية، والكلام فيه يحتاج إلى فضل تأمل، فالمراد بالعرض هنا الخلق، كما سبق، وفى قول الحماسي: إذاالمرء

بلدكـم هذا، في شهـرِكم هذا، وستَـلْقَوْنَ ربَّكم. فـيسألكُـم عن أعمالِـكم، ألا فلا تَرْجِعُـوا بعدي ضُلاَّلاً، يضربُ بَـعضُكم رقابَ بعـضٍ، ألاهلْ بلَّغْتُ؟» قالـوا: نعم. قال: «اللهم اشهدْ؛ فليبلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامعٍ» متفق عليه.

٢٦٦٠- * وعن وَبرَةَ، قال: سألتُ ابنَ عمر: مـتى أرْمي الجمارَ؟ قال: إذا رمى إمامُكَ فارمِـهْ، فأعدتُ عليه المـسألةَ. فقال: كنا نتـحَيَّنُ، فإذا زالتِ الشمـسُ رمينا. رواه البخاري.

٢٦٦١- * وعن سالمٍ، عن ابنِ عمر: أنه كانَ يرمي جـمرةَ الدُّنيا بسبع حَصَياتٍ،

لم يدنس من اللوم عرضه*. وفى قول أبى ضمضم: اللهم إنى تـصدقت بعرضي على عبادك، ما يرجع عليه عيبه. والتحقيق ما ذكره صاحب النهاية: العرض موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان فى نفسه أو فى سلفه، ولما كان موضـع العرض النفس قال من قال: العرض النفس **إطلاقًا** للمحل على **الحال**، وحين كان المدح نسبة الشخص إلى الأخلاق الحميدة، والذم نسبته إلى الذميمـة، سواء كانت فيه أو لا، قال من قال: الـعرض الخلق؛ **إطلاقًا لاسم الـلازم على الملزوم.**

قوله: «ضلالا» «حس»: ويروى «كفارًا» أي لا تكن أفعالكم شبيهة أعمال الكفار فى ضرب رقاب المسلـمين. «مظ»: يعنى إذا فارقـت الدنيا، فاثبتوا بـعدي على ما أنتم علـيه من الإيمان والتقـوى، ولا تظلموا أحدًا، ولاتـحاربوا المسلـمين، ولا تأخذوا أمـوالهم بالباطـل؛ فإن هذه الأفعال من الضلالة والعـدول من الحق إلى الباطل. قال المالكى: «رجع» هـنا استُعْمِلَ كصار معنى وعملا، أى لا تصيروا بعدى كفارا ومنه قول الشاعر:

قد يرجع المرء بعد المقت ذا مقة ... بالحلم فادرأ به بغضا ذا** إحن

ويجوز فى «يـضرب» الرفع والجزم. أقـول: على الرفع جمـلة مستأنفـة مبينة لقـوله: «فلا ترجعوا بعدى ضـلالا» فينبغى أن يحمل على الـعموم، وأن يقال: لايظلم بعضـكم بعضًا فلا تسفكوا دماءكم ولا تهتكوا أعراضكـم ولا تستبيحوا أموالكم، ونحوه - أى فى **إطلاق الخاص وإرادة العموم** - قوله تعالى: ﴿**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما**﴾(1).

الحديث الثـانى عن وبرة: قوله: «إذا رمى إمامـك» أى اقتد فى الرمي بمن هـو أعلم منك بوقت الرمى. و«نتحين» أى نطلب الوقت، أى ننتظر دخول وقت الرمى.

---

(1) النساء: ١٠.

* وتمامه: فكل رداء يرتديه جميل.

** في (ك): (بالعلم) (ذي).

يُكَبِّرُ على إِثْرِ كلِّ حصاة، ثمَّ. يتقدَّمُ حتى يُسهِلَ فيقومُ مستقبل القبلة طويلاً، ويَدعُو، ويرفعُ يديه، ثَمَّ يرمي الوسطَى بسبع حَصَيَات، يُكَبِّر كلما رمى بحصاة، ثمَّ يأخُذُ بذات الشمَال فيُهلُ ويقومُ مستقبلَ القبلة، ثمَّ يدعُو ويَرفعُ يديه، ويقومُ طويلاً، ثم يرمي جمرةَ ذَاتِ العقبَة منْ بطن الوادي بسَبْع حَصَيَات، يكبِّرُ عندَ كلِّ حصاةٍ، ولا يَقِفُ عندَها، ثمَّ يَنصرفُ، فيقول: هكذا رأيتُ النبيَّ ﷺ يفعلُه. رواه البخاري.

٢٦٦٢- * وعن ابنِ عمر، قال استأذَنَ العباسُ بنُ عبدِ المطلب رسولَ الله ﷺ أنْ يبيتَ بمكَّةَ ليالي منًى، من أجلِ سقايتِه، فأذنَ له. متفق عليه.

الحديث الثالث عن سالم: قوله: «جمرة الدنيا» أى جمرة العقبة الدنيا، ووصفها بالدنيا؛ لدنوها من منازل النازلين عند مسجد الخيف. قوله: «حتى يسهل» «نه»: أسهل يسهل إذا صار إلى السهل من الأرض وهو ضد الحزن، أراد أنه صار إلى بطن الوادى. [«حس»]*: «مستقبل القبلة» حال و«طويلا» صفة مصدر محذوف، أى قيامًا طويلا. «حس»: على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من ليالى أيام التشريق ويرمى كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة عند كل جمرة بسبع حصيات على الترتيب، آخرها جمرة العقبة. فمن رمى اليوم الثانى وأراد أن ينفر قبل غروب الشمس ويترك بيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها، فله ذلك، ومن لم ينفر حتى غربت الشمس، فعليه أن يبيت ويرمى اليوم الثالث بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، ومن ترك مبيت هذه الليالى ممن لم يرخص له فيه فعليه دم، ومن ترك مبيت ليلة فعلية ثلث دم وفى ليلتين ثلثا دم، على أقيس قولي الشافعى رضي الله عنه. ولو ترك رمى يوم من أيام التشريق قضاه فى اليوم الثانى والثالث أيَّ وقت شاء من ليل أو نهار، فإن لم يقض حتى مضت أيام التشريق فلا قضاء عليه، وعليه لرمى كل يوم دم. وكذا من ترك ثلاث حصيات فعليه دم، وفى حصاة ثلث وفى حصاتين ثلثان. «مح»: وفى قدر الواجب من هذا المبيت قولان للشافعى، أصحهما الواجب معظم الليل، والثانى ساعة.

الحديث الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «من أجل سقايته» أى بسبب ذلك وبعلية. وقيل: أصله «من أَجَلَ شرا» إذا جناه يَأْجِلُهُ أَجْلا، كأنك إذا قلت: من أجلك فعلت كذا، أردت من أن جنيت فعله وأوجبته، ويدل عليه قولهم: من جراك فعلته، أى من جَرَرْتَهَ بمعنى جنيته. «مح» : يجوز لأهل السقاية أن يتركوا المبيت ويذهبوا إلى مكة ليستسقوا بالليل الماء، ويجعلوه فى الحياض مُسْبَلاً للسائرين وغيرهم. ولا يختص ذلك عند الشافعى بآل عباس، بل كل من تولى السقاية كان له هذا، وكذا لو نشأ سقاية أخرى كان للقائم بشأنها ترك المبيت.

واعلم أن السقاية حق لآل عباس، وكانت للعباس فى الجاهلية؛ فأقرها النبى ﷺ له وهى لآل العباس أبدًا.

---

* فى «ك» ، «قوله».

٢٦٦٣- * وعن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، جاءَ إلى السّقايةِ فاستسقى. فقالَ العباسُ: يافضلُ! اذهبْ إلى أُمِّكَ فأتِ رسولَ الله ﷺ بشرابٍ من عندها. فقال: «اسقِني» فقال يارسولَ الله! إنَّهم يجعلونَ أيدَيهم فيه. قال: «اسقني». فشربَ منه، ثم أتى زمزمَ وهم يسقونَ ويَعملونَ فيها. فقال: «اعملُوا فإنَّكم على عملٍ صالحٍ». ثمَّ قال «لولا أن تُغلَبُوا؛ لنَزلتُ حتى أضعَ الحَبْلَ على هذه». وأشار إلى عاتقه. رواه البخاري.

٢٦٦٤- * وعن أنس [رضي الله عنه] أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى الظهرَ، والعصرَ، والمغربَ، والعشاءَ، ثمَّ رقَدَ رقدةً بالمُحصَّبِ، ثم ركبَ إلى البيتِ، فطافَ به. رواه البخاري.

٢٦٦٥- * وعن عبد العزيزِ بن رُفَيعٍ، قال: سألتُ أنسَ بنَ مالكٍ. قلت: أخبرني بشيءٍ عقلتَه عن رسول الله ﷺ: أينَ صلَّى الظهرَ يومَ التروية؟ قال: بمنى. قلت: فأينَ

الحديث الخامس عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «يسقون ويعملون» أى يسعون ويكدحون فيه. قوله: «لولا أن تغلبوا» «تو»: أعلمهم أن الذى يكدحون فيه بمكان من العمل الصالح، يحب نبى الله ﷺ أن يشاركهم فيه، غير أنه لا يأمن عليهم إن فعل ذلك غائلة الولاة، وتنافسهم وتنازعهم فيه حرصا على حيازة هذه المأثرة، فيغلبوا عليها وينتزعُوا [عنهم].

الحديث السادس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «بالمحصب» بفتح الصاد والتشديد، وقد تنازع فيه الفعلان، أى «صلى» و«رقد». والمحصب فى الأصل كل موضع كثر حصباؤه، والمراد به الشعب الذى أحد طرفيه منى ويتصل الآخر بالأبطح. قيل: فعبر به عن المحصب المعروف إطلاقا لاسم المجاوِر على المجاوَر. «حس»: التحصيب هو أنه إذا نفر من منى إلى مكة للتوديع بعد الفراغ من الرمى، أن يقيم بالشعب الذى يخرج به إلى الأبطح حتى يرقد ساعة من الليل ثم يدخل مكة. وكان ابن عمر يراه سنة، وقال: كان النبى ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينزلون بالأبطح. وقال ابن عباس: التحصيب ليس بشيء، وإنما هو منزل نزله النبى ﷺ. قوله: «ليس بشيء» يريد به ليس بنسك من مناسك الحج؛ إنما نزله للاستراحة.

الحديث السابع عن عبد العزيز: قوله: «عقلته» أى علمته وحفظته. قوله «افعل كما يفعل أمراؤك» يريد إنما ذكرتُهُ عن رسول الله ﷺ ليس بنسك من المناسك وجب عليك فعله؛ فافعل ما يفعله أمراؤك.

صلَّى العصرَ يومَ النَّفرِ؟ قال: بالأبطح. ثمَّ قال: افعلْ كما يَفعلُ أمراؤُك. متفق عليه.

٢٦٦٦- * وعن عائشة [رضي اللهُ عنها] ، قالت: «نزولُ الأ بطحِ ليس بسنةٍ، إنما نزلَهُ رسولُ الله ﷺ لأنَّهُ كانَ أسمحَ لخروجِهِ إذا خرجَ». متفق عليه.

٢٦٦٧- * وعنها، قالت: «أحْرَمتُ من التنعيمِ بعُمرةٍ، فدخلتُ فقضيتُ عُمرتي، وانتظرني رسولُ الله ﷺ بالأبطحِ حتى فرغتُ، فأمرَ الناسَ بالرحيلِ، فخرَج فمرَّ بالبيتِ فطافَ به قبْلَ صلاةِ الصَّبحِ، ثمَّ خرَجَ إلى المدينة». هذا الحديثُ ما وجدتُهُ برواية الشيخين، بل برواية أبي داود مع اختلافٍ يسير في آخره .[٢٦٦٧]

٢٦٦٨- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كانَ الناسُ ينصرفونَ في كلِّ وجه. فقال رسولُ الله ﷺ: «لاَ ينْفِرَنَّ أحدُكم، حتى يكونَ آخرُ عَهْدِهِ بالبيت، إلا أنَّهُ خُفِّفَ عن الحائضِ». متفق عليه.

٢٦٦٩- * وعن عائشةَ، قالتْ: حاضتْ صفيَّةُ ليلةَ النفرِ، فقالت: ما أُراني إلا حابِستَكُمْ. قال النبيُّ ﷺ: «عقْرى حَلْقى، أطافتْ يومَ النَّحرِ؟» قيل: نعم. قال «فانْفِري» . متفق عليه.

الحديث الثامن عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «أسمح» أى أسهل [«حس»]*: معناه أنه ﷺ كان ينزل بالأبطح فيترك به ثقله ومتاعه، ثم يدخل مكة؛ ليكون خروجه منها إلى المدينة أسهل.

الحديث التاسع والعاشر عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «آخر عهده بالبيت» هذا عبارة عن وجوب طواف الوداع. «حس»: الطواف ثلاث: طواف القدوم، وهو سنة لا شيء على تاركه. وطواف الإفاضة ويسمى طواف الزيارة، وهو من أركان الحج لايحصل التحلل دونه ولا يقوم الدم مقامه. وطواف الوداع، ولا رخصة فى تركه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر مكيا كان أو آفاقيا، حج أو لم يحج، فإن خرج ولم يطف عاد إن كان قريبا، ومن مضى ولم يرجع فلا دم عليه عند مالك. وقال الشافعى: من ترك فعليه دم إلا الحائض والنفساء، وإليه ذهب مالك والشافعى وأحمد وأصحاب أبى حنيفة رضى الله عنهم. والاستثناء فيه منقطع، أى لكنه خفف.

الحديث الحادى عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «ليلة النفر» أى ليلة يوم النفر؛ لأن

[٢٦٦٧] صحيح، انظر صحيح أبى داود (١٧٦٦).

* فى «ك» ، «شف».

الفصل الثاني

٢٦٧٠- * عن عمرو بنِ الأحوص، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ في حَجَّةِ الوَداع: «أيُّ يومٍ هذا؟» قالوا: يومُ الحجِّ الأكبر. قال: «فإنَّ دماءكم وأموالكُم وأعراضكُم بينكم حرامٌ كحرمةِ يومِكُم هذا في بلدِكم هذا، ألا لا يَجْني جانٍ على

النفر لم يشرع في تلك الليلة. قوله: «ما أراني إلا حابستكم» «فا»: مفعولا «أرى» الضمير والمستثنى و«إلا» لغو. «شف»: يحكى على أن لايجعل الاستثناء لغواً، والمعنى ما أراني على حالةٍ أو صفةِ كوني حابستكم. أقول: لم يرد باللغو أن «إلا» زائدة، بل أن المستثنى معمول الفعلِ المذكورِ؛ ولذلك سمى مفرغًا. «قض»: ظنت صفية أن طواف الوداع كطواف الزيارة في تمام الحج، وأنه لايجوز تركها بالأعذار، فقالت: «ما أراني» أي ما أظنني «إلا حابستكم» أي عن الرحلة إلى المدينة، فتوهم رسول الله ، أنها قالت قولها؛ لأنها قصرت فلم تطف للزيارة، ولذلك دعا عليها، فسأل أنها هل طافت يوم النحر؟ فلما علم أنها طافت للزيارة أمرها بالنفار. «شف»: عدل عن خطابها إلى غيرها، فقال: «أطافت» فلما علم من حالها أنها ما أخلت به وأتت بما لا مندوحة دونه من طواف الركن خاطبها، فقال لها: «فانفري».

قوله: «عَقْرى حَلْقى» «خط»: هكذا رُويَ على وزن فَعْلَى بفتح الفاء مقصور الألف، وحقها أن يكون منونًا؛ ليكون مصدرًا، أي عقرها الله عقرًا، وحلقها حلقًا، ومعنى العقر التجريح والقتل، وقطع عقب الرجل، والحلق إصابة وجع في الحلق، أو ضرب شيءٍ على الحلق. وهذا دعاء لا يراد وقوعه، بل عادة العرب التكلم بمثل هذا على سبيل التلطف. «فا»: هما صفتان للمرأة إذا وصفت بالشؤم، يعني أنها تحلق قومها وتعقرهم أي تستأصلهم من شؤمها عليهم، ومحلها رفع أي هي عقرى حلقى. قال أبو عبيدة: الصواب «عقرى حلقى» أي عقر جسدها وأصيبت بداء في حلقها. قال سيبويه: عقرته إذا قلت له عقرًا، وهذا نحو فديته.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن عمرو بن الأحوص: قوله: «ألا لا يجنى جان إلا على نفسه» «قض»: «لايجنى» خبر في معنى النهي، وفيه مزيد تأكيد؛ لأنه كأنه نهاه فقصد أن ينتهي فأخبر عنه، وهو الداعي إلى العدول عن صيغة النهي إلى صيغة الخبر. ونظيره إطلاق لفظ الماضي في الدعاء، ولمزيد التأكيد والحث على الانتهاء أضاف الجناية إلى نفسه، والمراد به الجناية على الغير؛ بيانه أن الجناية على الغير لما كانت سببًا للجناية عليه اقتصاصًا ومجازاة، كانت كالجناية على نفسه، فأبرزها على ذلك ليكون أدعى إلى الكف وأمكن في النفس؛ لتضمنه ما يدل على المعنى الموجب للنهي. ودليل هذا التأويل: أنه روى في بعض طرق هذا الحديث: «ألا لا يجنى جان إلا على نفسه». أقول: يمكن أن ينزل على حقيقته من الإخبار؛ كأنه ﷺ

نفْسه، ولا يَجْني جان على ولده، ولا مَوْلودٌ على والده، ألا وإنَّ الشيطانَ قد أيِسَ أن يُعبَدَ في بلدِكم هذا أبدًا، ولكنْ ستكون لهُ طاعةٌ فيما تحتقرونَ من أعمالكُم فَسَيَرْضى به» . رواه ابن ماجه، والترمذي وصحَّحه .[٢٦٧٠]

بعد ما قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام» مخاطبًا لسائر الأمة، وله مزيد اختصاص بالأئمة والولاة والحكام، أتبع قوله: «ألا لايجنى جان إلا على نفسه» فأتى بنكرة فى سياق النفى؛ ليفيد العموم، يعنى من ارتكب هذا المحظور وجنى على الغير بتمزيق عرضه وأخذ ماله وسفك دمه من حق ذلك أن لا يتجاوز بالاقتصاص إلى الغير، ولا يؤخذ غيره بتلك الجريمة كفعل الجاهلية، نحو قوله تعالى: ﴿**الزانى لاينكح إلا زانية**﴾[1] «**الكشاف**»[2]: يجوز أن يكون خبرًا محضًا على معنى أن عادتهم جارية على ذلك، وعلى المؤمن أن لايدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها، وقال أيضًا فى قوله تعالى: ﴿**ولكم فى القصاص حيوة**﴾[3]: وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة.

قوله: «ولا مولود على والده» «قض»: يحتمل أن يكون المراد النهي عن الجناية عليهما، وإنما أوردهما بالتصريح، والتنصيص لاختصاص الجناية عليهما بمزيد قبح وشناعة، وأن يكون المراد به تأكيد قوله: «لايجنى جان على نفسه»؛ فإن العرب فى جاهليتهم يأخذون بالجناية من يجدونه من الجانى وأقاربه الأقرب فالأقرب، ولعلهم سنوا القتل فيهم، فالمعنى على هذا لايجنى أحد على غيره فيؤخذ به هو ووالده وولده، ويكون فى الحقيقة جنايته على الغير جنايته على نفسه ووالده وولده.

قوله: «أن يعبد فى بلادكم» يعنى أنتم أيها العرب لن تعبدوا الطاغوت وغير الله من الأصنام بعد هذا، ولكن ستكون للشيطان طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم، وما يتهجن فى خواطركم، وما تتفوهون به من هناتكم وصغائر ذنوبكم، فيؤدى ذلك إلى الفتن وهيج الحروب والفساد فى الأرض من إهلاك الحرث والنسل، كما قال نصر بن سيار:

فإن النار بالعودين تزكى   وإن الحرب أولها كلام

هذا معنى قوله ﷺ : «إن الشيطان قد أيس من أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» أى إيقاع الفتنة والعداوة والخصومة والقتل. وقوله: «أبدًا» إذا كان بمعنى خالدًا يكون ظرفًا لـ«أيس»، وإذا كان بمعنى قط يكون الكلام راجعًا إلى النفى، أى لايعبد قط.

[٢٦٧٠] صحيح، انظر صحيح ابن ماجه (٢٤٧٩) بنحوه.

(١) النور: ٣.   (٢) الكشاف: (ج٣/ ٦٠).   (٣) البقرة: ١٧٩

٢٦٧١- * وعن رافعِ بنِ عمرٍو المُزَني، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يخطبُ النَّاسَ بمنًى حينَ ارتفعَ الضُحى على بغلةٍ شهباءَ، وعليٌّ يُعبِّرُ عنهُ، والناسُ بينَ قائمٍ وقاعدٍ. رواه أبو داود. [٢٦٧١]

٢٦٧٢- * وعن عائشةَ وابنِ عبَّاسٍ [رضي الله عنهم] أنَّ رسولَ الله ﷺ أخَّرَ طوافَ الزيارةِ يومَ النحرِ إلى الليلِ. رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه.

٢٦٧٣- * وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَرمُلْ في السَّبعِ الذي أفاضَ فيه. رواه أبو داود، وابن ماجه.

٢٦٧٤- * وعن عائشةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا رمَى أحدُكم جَمْرةَ العقَبَةِ فقَدْ حلَّ لهُ كلُّ شيءٍ إلا النساءَ» رواه في «شرح السنة» وقال: إسناده ضعيفٌ. [٢٦٧٤]

الحديث الثاني عن رافع: قوله: «شهباء» «نه»: الشهبة البياض، وفى حديث حليمة: «خرجت فى سنة شهباء» أي ذات قحط وجدب، والشهباء الأرض التي لاخضرة فيها، لقلة المطر، فسميت سنة الجدب بها. «تو»: الشهباء البيضاء التى تخالط لون سواد. قوله: «يعبر عنه» «غب»: أصل العبز التجاوز من حال إلى حال، عبر القوم إذا ماتوا، كأنهم عبروا قنطرة الدنيا، وأما العبارة فهى مختصة بالكلام العابر للهواء من لسان المتكلم إلى سمع السامع. «تو»: عبرت عن فلان إذا تكلمت عنه، واللسان يعبر عما في الضمير، والصحيح فى الحديث أن يحمل على معنى التبليغ، وذلك أن النبى ﷺ كان فى ذلك الموسم بين أمة من الناس وجم غفير منهم بحيث لا يسعهم المكان، فمنهم قيام ومنهم قعود لا [يسمعهم]* الداعى؛ فأقيم له فى كل جانب مبلغ يسمع صوته فيؤديه إلى من بعد منه، ويحتمل أن يكون عليٌّ رضى الله عنه وقف موقفًا يبلغه صوت النبى ﷺ، فإذا فهم الخطاب عبره لأخريات الناس بزيادة بيان. قوله: «يخطب» و«على بغلة» و«على رضى الله عنه» و«الناس» أحوال متداخلات.

الحديث الثالث عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «طواف الزيارة» أى الإفاضة. [أقول]**: أول وقته عند الشافعى بعد نصف ليلة العيد، وعند أبى حنيفة ومالك وأحمد بعد طلوع الفجر. وأما آخره فأي وقت طاف جاز.

الحديث الرابع والخامس عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «حين صلى الظهر» لابد من تقدير؛ ليستقيم معنى قوله: «من آخر يومه» فالمعنى، حين صلى الظهر والعصر معًا فى يوم عرفة، ووقف ثم أفاض من آخر يومه، يدل عليه حديث حجة الوداع كما سبق.

[٢٦٧١] صحيح، انظر صحيح أبي داود (١٧٢٣).

[٢٦٧٤] إسناده ضعيف، انظر شرح السنة (٧/ ٢١٠)

* فى «ك» «يسعهم».

** فى «ك» «مظ».

٢٦٧٥- * وفي روايةِ أحمدَ، والنسائي عن ابنِ عبَّاس قال: «إذا رمَى الجمْرةَ فقدْ حلَّ لهُ كلُّ شيءٍ إلا النساءَ» .[٢٦٧٥]

٢٦٧٦- * وعنها، قالت: أفاضَ رسولُ الله ﷺ منْ آخر يومه حينَ صلّى الظهرَ، ثمَّ رجَعَ إلى منًى، فمكَثَ بها لياليَ أيامِ التشريقِ، يرمي الجمرةَ إذا زالتِ الشمسُ، كلُّ جمرةٍ بسبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكبِّرُ معَ كلِّ حصَاةٍ، ويَقفُ عندَ الأولى والثانيةِ فيُطيلُ القيامَ ويتضرَّعُ، ويرمي الثالثةَ فلا يَقفُ عندها. رواه أبو داود .[٢٦٧٦]

٢٦٧٧- * وعن أبي البدَّاحِ بنِ عاصمِ بن عديٍّ، عن أبيه، قال:رخَّص رسولُ الله ﷺ لرعاءِ الإبلِ في البيتوتة: أنْ يَرْمُوا يومَ النحرِ، ثمَّ يجمعُوا رميَ يومينِ بعدَ يومِ النحرِ فيَرْموه في أحدِهما. رواه مالك، والترمذي، والنسائي، وقالَ الترمذي: هذا حديث صحيحٌ .[٢٦٧٧]

(١١) باب ما يجتنبه المحرم

الفصل الأول

٢٦٧٨- * عن عبدالله بن عمر: أنَّ رجلاً سألَ رسولَ الله ﷺ: مايلبَس المحرمُ من الثياب؟ فقالَ: «لا تلْبَسُوا القُمُصَ، ولا العمائمَ، ولا السراويلاتِ، ولا البرانس،

الحديث السادس عن أبى البدَّاح: قوله: «رخص» «مظ» : رخص لهم أن يتركوا المبيت بمنى فى ليالى أيام التشريق لاشتغالهم بالرعى، يعنى رخص لهم أن يرموا يوم النحر جمرة العقبة، ثم لم يرموا اليوم الأول من أيام التشريق، ثم يرموا فى الثانى منها رمى يوم القضاء والأداء. وإن قدموا رمى اليوم الثانى إلى الأول هل يجوز أم لا؟ فلا يجوزه الشافعى ومالك؛ لأن ما لم يجب لم يجز، لأنه لايجوز أداء الفرض قبل وجوبه، وأجازه بعضهم.

باب ما يجتنبه المحرم

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: قوله: «سأل» يتعدى بنفسه إلى المفعول الأول، وبعن إلى الثانى، وقد يجوز تعديته إلى الأول بعن وإلى الثانى بنفسه، فيكون تقديره: سأل رسول الله عن هذه المسألة أو عنه إياها، و«ما» استفهامية، وكونه مفعولا على التأويل. ويجوز أن لا تكون استفهامية أى:سئل رسول الله ﷺ عن الشيء الذى يلبسه المحرم.

[٢٦٧٥] ضعيف انظر ضعيف الجامع بنحوه ح (٦٢٦).
[٢٦٧٦] صحيح دون قوله «حين صلّى الظهر» انظر صحيح أبى داود ح (١٧٣٦).
[٢٦٧٧] صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٧٦٣).

ولا الخِفافَ إلا أحدٌ لا يجدُ نعلـين فَيَلْبَسُ خُفَّينِ وليقطعْهُما أسـفلَ من الكعبين، ولا تلبَسُوا من الثـيابِ شيئًا مسَّهُ زعفرانٌ ولا وَرْس» متفق علـيه. وزاد البخاري في رواية «ولا تنتقبُ المرأةُ المحرمةُ، ولا تلبَسُ القفازين».

قوله: «فقال: لاتلبسوا» «قض»: سأل الرجل عما يجوز لبسه، فأجاب عنه بِعَدٍّ ما لايجوز له لبسه؛ ليدل بالالتزام من طريق المفهوم على ما يجوز. وإنما عدل عن الجواب المطابق إلى هذا الجواب؛ لأنه أخصر وأحصَر؛ فإن ما يحرم أقل وأضبط مما يحل؛ أو لأنه لو قال: يلبس كذا وكذا، فربما أوهم أن لبس شيء مما عدده من المـناسك، وليس كذلك؛ فعدل إلى ما لايوهم ذلك؛ أو لأن السؤال كان مـن حقه أن يكون عما لايلـبس؛ لأن الحكم العارض المـحتاج إلى البيـان هو الحرمة، وأمـا جواز ما يلبـس فثابت بالأصـل معلوم بالاسـتصحاب؛ فلـذلك أتى بالجواب على وفـقه تنبيها على ذلك. وفى عطـف البرانس على العمامة دليـل على أن المحرم ينبغى أن لا يغطى رأسه بمعتاد اللباس وغيـره. وحاصل الحديث أنه يحرم على الرجل المحرم لبس المخيط والمطيب وستر الرأس بالعمائم ونحوها. والدليل على اختصاص الحكم بالرجال توجيه الـخطاب نحوهم؛ فإن واو الـضمير وإن استعمل مـتناولا للقبيـلين على التغـليب، فإن الظاهر فيه اختصاصه بالمذكرين. وعطف قوله: «ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين» عليه.

«نه» : البرنس كـل ثوب رأسه منه يلتزق مـن ذراعه أو جبة. وقال الجوهرى: هـو قلنسوة طويلة كان النـساء يلبسونها فى صدر الإسـلام، وهو من البرس - بكسر الباء-الـقطن، والنون زائدة، و«الورس» نبت أصفر يصبـغ به. و«القفاز» - بالضم والتشديد-شيءٌ تـلبسه نساء العرب فى أيديهن، يغطى الأصابع والكف والساعد من البرد. ويكون فيه قطن محشو.

«مح» : الجواب من بديع الكـلام وجزيله؛ فإنه ﷺ سئل عما يلبسه الـمحرم فقال: لايلبس كذا وكذا، وكان التصريح بما لا يلبس أولى؛ لأنه منحصر، ودليله أنه نبه بالقميص والسراويل على جميع ما فى معناهما، وهو ما كان مخيـطًا أو معمولا على قدر البدن أو العضو كالجوشن والران والبتان* وغيرها. ونبـه ﷺ بالعمائم والبرانيـس على كل ساتر للرأس مـخيطًا كان أو غيره، حتى العصابـة فإنها حرام. ونبه ﷺ بالخفاف على كل ساتر لـلرجل من مداس وجمجم وجورب وغيرها. وهذا كله حكم الرجال. وأما المرأة فيباح لها ستر جميع بدنها بكل ساتر إلا وجهها؛ فإنه حرام. وفى ستر يديها بالقفـازين خلاف، والأصح عند الشافعى تحريمه. ونبه ، بالورس والزعفـران على ما فى معناهمـا مما يقصد به الطيب فـهو حرام على القبيلـين، فيكره للمحرم لبس الثوب المصبوغ بغير طيـب. وأما الفواكه كالأترج والتفاح وأزهار البرارى كالشيح

---

* سراويل قصيرة إلى الركبة، وقد تصفحت فى «ط» إلى (البتان).

٢٦٧٩- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يخطبُ وهو يقول: «إذا لم يجد المحرم نعلينِ لبِسَ خُفَّينِ، وإذا لم يجدْ إِزارًا لبس سراويلَ». متفق عليه.

والقيصوم ونحوهما فليس بحرام. ولا يجوز أكل طعام فيه طيب، فإن فعل فعليه فدية، وللمحرم أن يكتحل بكحل لا طيب فيه إذا احتاج إليه ولا فدية. والاكتحال للزينة مكروه، ومنعه أحمد وإسحاق، وفى مذهب مالك قولان.

واعلم أن محرمات الإحرام ستة: اللباس بالتفصيل، والطيب، وإزالة الشعر والظفر، وحلق الرأس، وعقد النكاح، والجماع وسائر الاستمتاع، والسابع إتلاف الصيد. وإذا تطيب أو لبس ما نهيَ عنه وجبت الفدية، إن كان عامدًا بالإجماع، وإن كان ناسيًا فلا يلزمه عند الشافعى والثورى وأحمد وإسحاق، وأوجبها أبو حنيفة ومالك.

والحكمة فى تحريم اللباس المذكور وإباحة الإزار والرداء هى أن يبعد عن الترفيه ويتصف بصفة الخاشع الذليل؛ وليكون على ذكره دائمًا أنه محرم؛ فيكثر من الدعاء ولايفتر عن الأذكار، ويصون نفسه عن ارتكاب المحظورات؛ وليتذكر به الموت ولبس الأكفان والبعث يوم القيامة حفاة عراة مهطعين إلى الداعى. والحكمة فى تحريم الطيب والنساء أن يبعد عن التنعم وزينة الدنيا وملاذها؛ ولأنه ينافى تذلل الحاج؛ فإن حقه أن يكون أشعث أغبر وأن يجمع همه لمقاصد الآخرة. والحكمة فى تحريم الصيد تعظيم بيت الله وحرمه من قتل صيده وقطع شجره.

واختلف العلماء في هذا الحديث والحديث الآتى. فقال أحمد : يجوز لبس الخفين بحالهما ولا يجب قطعهما لحديث ابن عباس، وكان أصحابه يزعمون نسخ حديث ابن عمر المصرح بقطعهما، وزعموا أن قطعهما إضاعة مال. وقال جماهير العلماء:لايجوز لبسهما إلا بعد قطعهما أسفل من الكعبين؛ لحديث ابن عمر. قالوا: وحديث ابن عباس مطلق وحديث ابن عمر مقيد، والمطلق محمول على المقيد، والزيادة من الثقة مقبولة. وقولهم: إنه إضاعة مال ليس بشيءٍ؛ لأن الإضاعة إنما تكون فيما نُهيَ عنه، وأما ما أمر به فليس بإضاعة بل حق يجب الإذعان له. ثم اختلفوا فى لابس الخفين لعدم النعلين هل يجب عليه فدية أم لا؟ فقال مالك والشافعى ومن وافقهما: لاشيءَ عليه؛ لأنه لو وجب فدية لبينها ﷺ. وقال أبو حنيفة وأصحابه: عليه الفدية، كما إذا احتاج إلى حلق الرأس يحلقه ويفدي، والله أعلم.

الحديث الثانى: عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «لبس سراويل» «حس»: لايجوز للمحرم لبس السراويل مع وجود الإزار، فإن فعل فعليه الفدية، فإن لم يجد الإزار جاز له لبس السراويل عند أكثرهم ولا فدية عليه. وهو قول الشافعى وأحمد؛ لأن مطلق الإذن فى السراويل يوجب الإباحة بلا فدية. وقال مالك وأبو حنيفة: ليس له لبس السراويل، ويحكى عن أبى حنيفة أنه قال: يفتقه ويتزر به، ورد بأن مطلق السراويل محمول على اللباس المعهود.

٢٦٨٠- * وعن يعلى بنِ أُميَّةَ، قال: كنَّا عندَ النبيِّ ﷺ بالجِعْرانة، إذْ جاءَهُ رجلٌ أعرابيٌّ عليه جبَّةٌ، وهو متضمِّخٌ بالخَلوقِ، فقال: يارسولَ اللهِ! إنى أحرمتُ بالعُمرةِ، وهذهِ عَليَّ. فقال: «أما الطِّيبُ الذي بك فاغسلْهُ ثلاثَ مرَّاتٍ، وأما الجبَّةُ فانزعْها، ثم اصنعْ في عمرتِك كما تصنعُ في حجِّكَ». متفق عليه.

٢٦٨١- * وعن عثمانَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يَنكِحُ المُحْرِمُ ولا يُنكِحُ، ولا يَخطُبُ». رواه مسلم.

٢٦٨٢- * وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ تزوَّجَ ميمونةَ وهو محرمٌ. متفق عليه.

الحديث الثالث عن يعلى: قوله: «متضمخ» التضمح التلطخ بالطيب والإكثار منه حتى يكاد يقطر. و«الخلوق» ضرب من الطيب يتخذونه من الزعفران وغيره. «حس»: فيه دليل على أن من أحرم فى قميص أو جبة لايمزق عليه، كما يقول الشعبى، بل إنْ نَزَعه فى الحال فلا شيءَ عليه، وعلى أن المحرم إذا لبس أو تطيب ناسيا أو جاهلا فلا فدية عليه؛ لأن السائل كان قريب العهد بالإسلام، ولم يأمره بالفدية، والناسي فى معنى الجاهل، وبه قال الشافعى. وأما ما كان من باب الإتلافات من محظورات الإحرام كالحلق والقلم وقتل الصيد، فلا فرق فيها بين العامد والناسي والجاهل فى لزوم الفدية. وقد احتج بهذا الحديث من لم يجوز للمحرم أن يتطيب قبل إحرامه بما يبقى أثره بعد الإحرام؛ لأنه أمره بغسل الطيب ثلاث مرات للمبالغة. وأجيب عنه بأنه إنما أمره بالغسل؛ لأن التضمخ بالزعفران ونحوه مما له صبغ حرام على الرجال حالتي إحرامه وحله.

قوله: «ثم اصنع فى عمرتك» «مح»: أي اصنع فيها ما تصنع فى الحج من اجتناب المحرمات، ويحتمل أنه ﷺ أراد مع ذلك الطواف والسعي والحلق بصفاتها وهيآتها، وإظهار التلبية وغير ذلك مما يشترك فيه الحج والعمرة. ويخص بعمومه ما لا يدخل فى العمرة من أفعال الحج، كالوقوف والرمي والمبيت بمنى والمزدلفة وغير ذلك. وفى الحديث إشعار بأن الرجل كان عالما بصفة الحج دون العمرة.

الحديث الرابع إلى السادس عن عثمان رضي الله عنه: قوله: «لاينكح» «تو»: يروى من وجهين على صيغة الخبر وتكون «لا» للنفى، وعلى صيغة النهى و«لا» هى الجازمة، والكلمات الثلاث مجزومة بها، وذكر الخطابى أنها على صيغة النهى أصح.

قلت: قد أخرج هذا الحديث مسلم وأبو داود وأبو عيسى وأبو عبدالرحمن فى كتبهم،

٢٦٨٣- * وعن يزيدَ بن الأصمِّ، ابنِ أختِ ميمونةَ، عن ميمونةَ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تزوَّجَها وهو حلالٌ. رواه مسلم.

قال الشيخُ الإمامُ محيي السنّة رحمه الله: والأكثرونَ على أنَّه تزوَّجَها حلالاً. وظهَرَ أمرُ تزويجِها وهو مُحْرِمٌ، ثمَّ بنى بها وهو حلالٌ بسَرِفَ في طريق مكةَ.

والذي وجدناه الأكثر فيما يعتمد عليه من روايات الأثبات هو الرفع فى تلك الكلمات، وقد ذهب الأكثرون من فقهاء الأمصار لاسيما من أصحاب الحديث إلى أن المراد منه النهى، وإن روى على صيغة الخبر.

«مح»: اختلف العلماء لحديث عثمان رضى الله عنه هذا وحديث ابن عباس الذى يليه فى نكاح المحرم، فقال مالك والشافعى وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة ومن بعدهم: لايصح نكاح المحرم، واعتمدوا على أحاديث. وقال أبو حنيفة والكوفيون: يصح نكاحه، لحديث ميمونة. «تو»: وأصحاب أبى حنيفة رأوا حديث ابن عباس أقوى الحديثين؛ لما بين راوييه أعنى ابن عباس ويزيد بن الأصم من الفضل والعلم. ثم إن القوم يرون حديث عثمان رضى الله عنه محتملا للتأويل، لاسيما وقد رُوِيَ على صيغة الإخبار؛ فيكون المراد منه أن النكاح والإنكاح ليسا من شأن المحرم؛ فإنه فى شغل شاغل عن ذلك، وقصد النبى ﷺ بذلك كف المحرم، وتقتير رغبته عن النكاح والإنكاح والخطبة؛ لكونها مدعاة إلى هيجان الشهوة، ولم يقصد تحريمه، وعلى هذا الوجه يخرج أيضًا معناه فى صيغة النهى. وإذ قد بينا أن حديث يزيد ابن الأصم لايقاوم حديث ابن عباس؛ لتفاوت ما بين الراويين من الفضل والعلم، فنقول: إن حديث عثمان رضي الله عنه لايدفع حديث ابن عباس؛ لأنه لايقصر عن حديث عثمان فى درجة الصحة بل يزيد عليه، ثم إن حديث ابن عباس ليس للتأويل فيه مجال، وحديث عثمان محتمل للتأويل على ما ذكرنا؛ فليس لنا أن نعدل عن التوفيق بين الحديثين إلى غير ذلك. ولسنا نسعى فى نصرة المذهب والقيام بحكم العصبية، بل نجتهد فى نفى التضاد عن سنن الرسول ما أمكننا؛ فإن التوفيق بين المختلف أحق وأولى من أن يرد أحدهما بالآخر، والذى ذكرناه من أحسن ما يتوصل به إلى ذلك، والله أعلم.

أقول: كما أنه - رحمه الله- رجح حديث ابن عباس على حديث يزيد؛ لفضله عليه، كذلك نرجح عثمان رضى الله عنه على ابن عباس؛ لما لاينكر تفضيله عليه، وكما رجح حديث ابن عباس، وقال: لأنه لايقصر عنه فى درجة الصحة، كذلك نرجح حديث عثمان لاعتضاده بحديث يزيد وبحديث أبى رافع فى آخر الفصل الثالث، وحسنه الترمذي.

وأما قوله: حديث عثمان محتمل للتأويل، فنقول به لكن على غير ما أوله؛ لأن استعمال

٢٦٨٤- * وعن أبي أيوبَ: أنَّ النبيَّ ﷺ، كان يغسِلُ رأسَهُ وهو مُحْرِمٌ. متفق عليه.

الإخبارى في موضع الإنشائى إنما يكون للمبالغة والتأكيد، فيكون المعنى: لايصح ولايستقيم نكاح المحرم ولا إنكاحه؛ لأنه مناف لحال المحرم الذى من حقه الاتصاف بصفة الذلة والخشوع والتجانف عن الملاذ وقضاء الشهوات، بل شأنه بذكر الموت ولبس الأكفان والوقوف بالمحشر بين يدى الملك الديان، فأنى يليق بحاله التزوج والتزويج! ومن ثم كرر ﷺ المنهيات بقول: «لاينكح ولاينكح ولا يخطب».

وأما قوله: حديث ابن عباس ليس للتأويل فيه مجال؛ فليس بذاك. «مح»: فيه وجوه: أحدهما: أنه مر أن جمهور العلماء من الصحابة ومن بعدهم قالوا: لايصح نكاح المحرم؛ فيكون قد رأوا أنه ﷺ إنما تزوجها حلالا وهم أعرف بالقضية لتعلقهم بها، وثانيها: أن قوله: «وهو محرم» محمول على أنه فى الحرم وهو حلال ، وهى لغة شائعة، ومنه البيت المشهور: قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا. أى فى حرم المدينة. وثالثها: أنه إذا تعارض القول والفعل، فالصحيح عند الأصوليين ترجيح القول؛ لأنه يتعدى إلى الغير والفعل قد يكون مقصورا عليه، يريد أن عثمان رضى الله عنه ينقل قول الرسول وابن عباس يبين حاله، ويستدل بالفعل على ما يدعيه، والقول راجح. ورابعها: قول أصحابنا: إن النبى ﷺ كان له أن يتزوج فى حال الإحرام، وهو مما خص به دون الأمة، وهذا أصح الوجوه.

أقول : ويمكن وجه آخر وهو أن يقال إِن قوله: «وهو محرم» حال يجوز حمله على الحال المقدرة، أى تزوج وهو مقدر الإحرام، وعليه يتنزل قول الأكثرين، وهو أنه ﷺ تزوجها حلالا، وظهر أمر تزويجها وهو محرم، كما فى المتن. والله أعلم.

قوله: «لايُنْكِحُ» «مح» معناه [لايتزوّج]* امرأة بولاية ولا وكالة، قال العلماء : سببه أنه لما منع فى مدة الإحرام من العقد لنفسه صار كالمرأة؛ فلا يعقد لغيره. وظاهر هذا العموم أنه لا فرق بين أن يزوج بولاية خاصة كالأب والأخ، أو عامة كالسلطان والقاضى ونائبه، هذا هو الصحيح عندنا. وقال بعض أصحابنا: يجوز أن يزوج المحرم بالولاية العامة؛ لأنها يستفاد بها ما لا يستفاد بالخاصة.

واعلم أن النهى عن النكاح والإنكاح للمحرم نهى تحريم، فلو فعل لم ينعقد. وأما قوله ﷺ: «ولا يخطب» فهو نهى تنزيه. وكذا لايكره للمحرم أن يكون شاهدا فى نكاح عقد الحلال. وقال بعض أصحابنا: لا ينعقد بشهادته، لأن الشاهد ركن في عقد النكاح كالوليِّ.

الحديث السابع عن أبى أيوب : قوله: «يغسل رأسه» «مح»: يجوز للمحرم غسل رأسه، وإمرار اليد على شعره بحيث لاينتف شعرًا، واتفق العلماء على جواز غسل المحرم رأسه وحده،

---

* كذا فى الأصول، والصواب «لايزوج» صحيح مسلم ج (٣/ ٥٦٧).

٢٦٨٥- * وعن ابنِ عبَّاسٍ قال: احتجمَ النبيُّ ﷺ وهو مُحْرِمٌ. متفق عليه.

٢٦٨٦- * وعن عثمانَ، حدَّثَ عن رسولِ اللهِ ﷺ في الرَّجُلِ إذا اشتكى عينيهِ وهو محرمٌ ضمَّدهما بالصَّبرِ. رواه مسلم.

٢٦٨٧- * وعن أُمِّ الحصين، قالتْ: رأيتُ أُسامةَ وبلالاً، وأحدُهما آخذٌ بخِطامِ ناقة رسولِ اللهِ ﷺ، والآخرُ رافعٌ ثوبَه يستُره من الحر حتى رمى جمرةَ العقبةِ. رواه مسلم.

٢٦٨٨- * وعن كعبِ بن عجْرَةَ [رضي الله عنه] أنَّ النبيَّ ﷺ، مرَّ بهِ وهو بالحديبيةِ قبْلَ أن يدخلَ مكةَ، وهو محرمٌ، وهو يوقدُ تحتَ قدرٍ، والقَمْلُ تتهافتُ

وعن الجنابة واجب عليه، وأما غسله تبردًا فمذهبنا جوازه بلا كراهة. ويجوز عندنا غسل رأسه بالسدر و[الخطمى]*، ولا فدية عليه مالم ينتف شعرًا، وقال أبو حنيفة ومالك: هو حرام، فوجب الفدية.

الحديث الثامن عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «احتجم» «حس»: قد رخص عامة العلماء فى الحجامة للمحرم من غير أن يقطع شعرًا، فإن قطع فعليه دم، ولا بأس بأن [ينفط]** الجروح ويفقأ الدمل ويقطع العروق إذا احتاج إليه. وسئلت عائشة رضى الله عنها عن المحرم، أيحك جسده؟ قالت: «فليحك وليسدد».

الحديث التاسع عن عثمان رضى الله عنه: قوله: «فى الرجل» أى فى حق الرجل أو فى فتيا الرجل. وقوله: «إذا اشتكى» شرط «وضمدها» جوابه، وهو المحَدَّثُ به، يعنى إذا اشتكى الرجل من عينيه ضمد. قوله: «ضمدها» «نه»: أصل الضمد الشد، يقال: ضمد رأسه وجرحه، إذا شدهما بالضِّماد، وهى خرقة يشد بها العضو [المؤوف]***، ثم قيل لوضع الدواء على الجرح وغيره وإن لم يشد.

الحديث العاشر عن أم الحصين: قوله: «رافع ثوبه يستره» «حس»: فيه دليل على أنه لا بأس للمحرم أن يستظل، وهو قول عامة أهل العلم، وكرهه مالك وأحمد.

الحديث الحادى عشر عن كعب: قوله: «تتهافت» «حس»: أى يتساقط من الهفت، وهو السقوط قطعة قطعة، وأكثر ما يستعمل التهافت فى الشر. و«الفرق» بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا، وهو اثنا عشر مدًّا، وهى ثلاثة أصْوُعٍ. وقيل: الفرق خمسة أقساط، والقسط نصف صاع. قوله: «ثلاث آصُعٍ» كذا فى صحيح مسلم وكتاب الحميدى وجامع الأصول وشرح السنة،

---

* فى اللسان : الخطمى: ضرب من النبات يغسل به.

** أي يضع عليها الدهن.

*** «العضو المؤوف» الذى أصابته آفة.

على وجهه، فقال: «أتُؤْذيكَ هوامُّكَ؟» قال: نعم. قال: «فاحلق رأسَكَ وأطعم فَرَقًا بين ستة مَساكين» والفَرَقُ: ثلاثة آصُعٍ «أو صُمْ ثلاثةَ أيَّامٍ أو انسُكْ نسيكةً». متفق عليه.

الفصل الثاني

٢٦٨٩- * عن ابن عمر: أنَّهُ سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ ينهى النساءَ في إحرامهنَّ عن القُفَّازينِ، والنقابِ ومامسَّ الورسُ والزعفرانُ من الثيابِ، ولْتَلْبَسْ بعدَ ذلكَ ما أحبَّتْ من ألوانِ الثيابِ معصفرٍ أو خزّ أو حُليٍّ أو سراويلَ أو قميصٍ أو خُفٍّ. رواه أبو داود. [٢٦٨٩]

وفى نسخ المصابيح: «أصوع». «مح»: الأصوع جمع صاع يذكر ويؤنث، وهو مكيال يسع خمسة أرطال وثلثًا بالبغدادى. وقد ثبت استعمال الآصع في الحديث الصحيح من رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين. وأما ما ذكره ابن المكيٍّ فى كتابه المسمى بـ« تثقيف اللسان» أن هذا الجمع لحن وهو من خطأ العوام، وصوابه أصوع. فغلط منه؛ لأنه من باب المقلوب، قالوا: يجوز فى جمع صاع آصع وفى دار آدر؛ لأن فاء آصع صاد وعينها واو قلبت الواو همزة ونقلت إلى موضع الفاء، ثم قلبت الهمزة ألفًا فصار آصُعًا، ووزنه أعفل.

قوله: «نسيكة» «مح»: هى شاة تجزىء فى الأضحية، «حس»: أراد بالهوام القمل،وسماها هوام؛ لأنها تهم في الرأس وتدب. وفيه دليل على أن فدية الأذى بتخيير الرجل بين الهدى والإطعام والصيام على ما نطق به القرآن، ولا فرق فى التخيير بين أن يحلق رأسه بعذر أو بغير عذر عند أكثر أهل العلم. وذهب قوم إلى أنه إن حلق بغير عذر فعليه دم إن قدر عليه لاغير، وفى أنه إذا اختار الإطعام يطعم كل مسكين نصف صاع، سواء أطعم حنطة أو شعيرًا أو تمرًا أو زبيبًا.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «ولتلبس» أمر عطف على قوله: «نهى» منّ حيث المعنى، كأنه قيل: لاتلبس المرأة القفازين، ولتلبس بعد ذلك ما أحبت. والأوجه أن يؤول الثانى بأن يقال: نهى عن كذا وأمر بكذا؛ لأن «ينهى» حال من مفعول «سمع». والمراد من ألوان الثياب أصنافها، لا اللون المعروف، لأن «معصفر» أو ما عطف عليه بيان للألوان. قوله: «أوحُليٍّ» جعل الحليَّ من جنس الثياب تغليبًا، وفسره المظهر بالحُلَلِ، وقال: هى جمع حُلَّة وهى إزار أو رداء من قطن.

[٢٦٨٩] حسن صحيح انظر صحيح أبى داود ح (١٦١٢).

٢٦٩٠- * وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: كانَ الركبانُ يمرونَ بنا ونحنُ معَ رسول الله ﷺ محرماتٌ، فإذا جاوزُوا بنا سدَلَت إحدانا جلبابها من رأسِها على وجهِها، ، فإذا جاوزونا كشفناهُ. رواه أبو داود، ولابنِ ماجه معناه [٢٦٩٠].

٢٦٩١- * وعن ابنِ عمر [رضي الله عنهما] أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدهنُ بالزيتِ وهو محرمٌ غيرَ المقتَّتِ يَعني غيرَ المطيَّب. رواه الترمذي .[٢٦٩١]

الفصل الثالث

٢٦٩٢- * عن نافعٍ، أنَّ ابنَ عمر وجَدَ القُرَّ، فقال:ألقِ عليَّ ثوبًا يانافعُ! فألقيتُ عليهِ بُرنُسًا. فقال: تُلقي عليَّ هذا وقَد نهى رسولُ اللهِ ﷺ أن يَلبَسَهُ المحرم؟. رواه أبو داود[٢٦٩٢].

٢٦٩٣- * وعن عبدِ الله بن مالكِ بنِ بُحينةَ، قال: احتجمَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو محرمٌ بلحي جمل. من طَريق مكةَ في وسَطِ رأسِه. متفق عليه.

الحديث الثاني عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «فإذا جاوزوا بنا سدلت» وبعده «فإذا جاوزونا كشفناه». وقال المؤلف: هذا لفظ أبي داود وكذا في جامع الأصول عنه، وفى المصابيح «فإذا حاذونا سدلت» وليس عند ابن ماجه بهذا اللفظ ولا بلفظ أبى داود. أقول قوله: «محرمات» خبر بعد خبر، أى نحن مصاحبات محرمات، والفاء فى «فإذا جاوزوا بنا» تفصيل لقوله: «الركبان يمرون بنا» فالأولى أن يكون التفصيل مطابقًا للمفصل، فمعنى قوله: «إذا جاروا بنا» جاوزوا مارين بنا. «حس»: ممن قال بالسدل مالك والشافعي وأحمد. فلو وضع المحرم يده على رأسه أو المحرمة على وجهها لاشيءَ عليهما؛ إذ لا بد لهما منه فى الوضوء.

الحديث الثالث عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «غير المقتت» بالقاف والتائين المنقوطتين من فوق بنقطتين. «نه»: المقتت هو ما يطبخ فيه الرياحين حتى يطيب ريحه.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن نافع: قوله: «وجد القر» أى البرد. «نه»: يقال: قر يومنا يقر قرة ويوم قر بالفتح أى بارد، وليلة قرة.

الحديث الثاني عن عبدالله : قوله: «بلحي جمل» «نه»: هو - بفتح اللام- موضع بين مكة

[٢٦٩٠] قال الشيخ: «إسناده جيد، وقد خرجته فى «حجاب المرأة المسلمة».

[٢٦٩١] الحديث ضعيف لأن مداره على فرقد السبخي وقد عرف حاله، وقال الترمذي: وقد تكلم يحيى بن سعيد فى فرقد وروى عنه الناس، والحديث أخرجه أيضًا أحمد وابن ماجه.

[٢٦٩٢] صحيح انظر صحيح أبى داود ح (١٦١٣).

٢٦٩٤- * وعن أنس [رضي الله عنه] قال : احتجمَ رسولُ الله ﷺ وهو محرمٌ على ظهرِ القدَم من وجعٍ كانَ به. رواه أبو داود، والنسائي.[٢٦٩٤]

٢٦٩٥- * وعن أبي رافعٍ، قال: تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ ميمونةَ وهو حلالٌ وبنى بها وهو حلالٌ، وكنتُ أنا الرسولَ بينَهما. رواه أحمد، والترمذي وقال : هذا حديث حسن.[٢٦٩٥]

(١٢) باب المحرم يجتنب الصيد

الفصل الأول

٢٦٩٦- * عن الصعبِ بنِ جَثَّامةَ أنَّهُ أهدى لرسولِ الله ﷺ حماراً وحشيًّا وهو بالأبواءِ أو بودَّانَ، فردَّ عليهِ، فلما رأى ما فى وجهِهِ قالَ: «إنا لم نردَّهُ عليكَ إلا أنَّا حُرُمٌ» متفق عليه.

والمدينة، وقيل: عقبة، وقيل: ماء. قوله: «فى وسط رأسه» «مح»: بفتح السين قال أهل اللغة: كل ما كان مبينا بعضه من بعض كوسط الصف والقلادة وحلقة الناس ونحو ذلك، فهو وسْطٌ بالإسكان، وما كان منضما غير مبين بعضه من بعض كالدار والساحة فهو وسَطٌ بفتح السين. وهذا محمول على أنه ﷺ كان معذورا؛ لأنه لاينفك عن قطع شعر. والمحرم إذا أراد الحجامة لغير حاجة، فإن تضمنت قلع شعر فهى حرام، وإن لم تتضمن بأن كان فى موضع لاشعر فيه فهى جائزة، ولا فدية فيها، وعن ابن عمر ومالك كراهتها، وعن الحسن البصرى فيها الفدية.

باب المحرم يجتنب الصيد

الفصل الأول

الحديث الأول عن الصعب: قوله: «بالأبواء» «مح»: - بفتح الهمزة والمد- و«ودان» - بفتح الواو وتشديد الدال المهملة- مكانان بين مكة والمدينة. «نه»: ودان قرية جامعة قريبة من الجحفة. قوله: «أنا حرم» «مح» هو بفتح الهمزة و«حرم» بضم الحاء والراء، أى محرمون، أقول: لام التعليل محذوف والمستثنى منه مقدر، أى إنا لانرده لعلة من العلل إلا لأنا حرم. «قض» بهذا تشبث من رأى تحريم لحم الصيد على المحرم مطلقًا، سواء صيد له أو لغيره، كابن عباس وطاووس والثورى. وأوله من فرق بين ما صاده أو صيد له حلال، لا له وهم أكثر علماء الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة - بأنه ﷺ إنما رده عليه؛ لما ظن أنه صيد من أجله، ويدل عليه ما رواه في الحسان عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «لحم الصيد لكم فى الإحرام

[٢٦٩٤] صحيح انظر صحيح أبى داود (١٦٢١) وما قبله.

[٢٦٩٥] صحيح بنحوه انظر صحيح الترمذى ح (٦٧١) ، (٦٧٢)، شرح السنة ح (١٩٨٢) ٧/ ٢٥٢ وقال : رواه مطر الوراق، ومطر عندهم ليس ممن يحتج بحديثه وقد رواه مالك وهو أضبط منه.. «الموطأ» (١٠/٣٤٨) فى الحج: باب نكاح المحرم.

٢٦٩٧- * وعن أبي قتادةَ، أنَّهُ خرجَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ فتخلّفَ معَ بعضِ أصحابِهِ وهم محرمون، وهوَ غيرُ محرمٍ، فرأوا حمارًا وحشيًّا قبلَ أن يراهُ، فلما رأوهُ تركوهُ حتى رآه أبو قتادةَ فركبَ فرسًا لهُ، فسألهُم أن يُناولوه سَوْطَهُ، فأبوا، فتناولَهُ فَحَمَلَ عليهِ، فعَقَرَهُ، ثمَّ أكلَ فأكلُوا، فنَدِموا، فلما أدركوا رسولَ اللهِ ﷺ سألوهُ. قال: «هلْ معكم منه شيءٌ؟» قالوا: معَنَا رجلُه. فأخذَها النبيُّ ﷺ فأكلَها. متفق عليه.

وفى روايةٍ لهما: فلما أتوا رسولَ اللهِ ﷺ قال: «أمنكُمْ أحدٌ أمرَه أن يحملَ عليها؟ أو أشارَ إليها؟» قالوا: لا. قال: «فكلُوا ما بقي من لحمِها».

حلال مالم تصيدوه أو يصاد لكم»، وحديث أبى قتادة التالى لهذا الحديث نحن فيه. لايقال: إنه منسوخ بهذا؛ لأن حديث أبى قتادة كان عام الحديبية، وحديث الصعب كان في حجة الوداع؛ لأن النسخ إنما يصار إليه إذا تعذر الجمع، كيف والحديث المتأخر محتمل، لا دلالة له على الحرمة العامة صريحًا ولا ظاهرًا حتى يعارض الأول فينسخه؟.

قوله: «أهدى لرسول الله ﷺ حمارًا» «مح» لابد فى قوله: «أهدى لرسول الله ﷺ حمارًا» من تقدير مضاف؛ لأنه جاء فى رواية لمسلم «لحم حمار وحش» وفى أخرى «رجل حمار وحش» وأخرى «عجز حمار وحش» وأخرى «شق حمار وحش» وفى أخرى «عضو من لحم صيد» فهذه الطرق التى ذكرها مسلم صريحة فى أنه مذبوح، وأنه إنما أهدى بعض لحم صيد ليأكله. وفيه جواز قبول الهدية للنبى ﷺ بخلاف الصدقة. وفيه أنه يستحب لمن امتنع من قبول الهدية، أن يعتذر بذلك إلى المهدى تطييبًا لقلبه،والله أعلم.

الحديث الثانى عن أبى قتادة: قوله: «وهم محرمون» حال و ذو الحال «بعض أصحابه» وقوله: «وهو غير محرم» يجوز أن يكون عطفًا على «وهم محرمون»، وأن يكون حالا من الضمير فى «محرمون» فيكون حالا متداخلة.

وفى أصل المالكى «أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم» . قال: «أبو قتادة» مبتدأ و«لم يحرم» خبره و«إلا» بمعنى لكن، ونظيره من كتاب الله تعالى قراءة ابن كثير وأبى عمرو: **﴿ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم﴾**(١). فـ«امرأتك» مبتدأ والجملة بعده خبره، ولا يصح أن يجعل «امرأتك» بدلا من «أحد»؛ لأنها لم تسر معه فيتضمنها ضمير المخاطبين. ودل على أنها لم تسر معه قراءة النصب؛ فإنها أخرجتها من أهله الذين أمر أن يسريَ بهم. وإذا لم تكن في الذين سرَى بهم لم يصح أن تبدل من فاعل «يلتفت»؛ لأنه بعض

---

(١) هود: ٨١.

٢٦٩٨- * وعن ابنِ عمرَ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «خمسٌ لاجناحَ على من قتلَهُنَّ في الحَرَمِ والإِحرامِ: الفأرةُ، والغرابُ، والحدأةُ، والعقربُ، والكلبُ العقورُ». متفق عليه.

٢٦٩٩- * وعن عائشةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ، قال: «خمْسٌ فواسقُ يُقتلْنَ في الحِلِّ والحرَمِ: الحيَّةُ، والغُرابُ الأبقَعُ، والفأرةُ، والكلبُ العَقورُ، والحُدَيَّا» متفق عليه.

ما دل عليه الضمير المجرور بـ«من». وتكلف بعض النحويين الإجابة عن هذا، بأن قال: لم يسر بها، ولكن شعرت بالعذاب فتبعتهم، ثم التفتت وهلكت. وعلى تقدير صحة هذا فلا يوجب ذلك دخولها في المخاطبين، بقوله: ﴿لايلتفت منكم أحد﴾ وهذا والحمد لله بين، والاعتراف بصحته متعين. ويجوز أن يحذف فى هذا النوع من الاستثناء خبر المبتدأ، كما ورد: «كل أمتى معافى إلا المجاهرون»، أي لكن المجاهرون بالمعاصى لايعافون. ومنه قوله تعالى: ﴿فشربوا منه إلا قليلٌ منهم﴾[1] أى لكن قليل منهم لم يشربوا.

الحديث الثانى عن أبى قتادة: قوله: «فعقره» أى فقتله، وأصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم.

الحديث الثالث والرابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «خمس» «مح» : روى بالتنوين وبالإضافة . أقول: إن روى منونا و«فواسق» مرفوعًا يكون مبتدأ موصوفًا و«يقتلن» خبره، وإن روى منصوبًا يكون «خمس» صفة موصوف محذوف، و«يقتلن» خبره، و«فواسق» معترضة نصبًا على الذم. «نه»: أصل الفسوق الخروج عن الاستقامة والجور، وبه سمى العاصى فاسقا، وإنما سميت فواسق على الاستعارة؛ لخبثهن، وقيل: لخروجهن من الحرمة فى الحل والحرم، أى لا حرمة لهن بحال. و«الأبقع» ما خالط بياضه لون آخر، و«العقور» من أبنية المبالغة، وهو كل سبع يعقر أى يجرح ويقتل ويفترس كالأسد والنمر والذئب، سماها كلبًا لاشتراكها في السبعية، و«الحديا» هي تصغير الحدأة واحد الحِدأ، وهو الطائر المعروف من الجوارح.

«مح»: اتفق العلماء على أنه يجوز للمحرم قتلهن وما في معناهن، ثم اختلفوا فيما يكون فى معناهن، فقال الشافعى: المعنى فى جواز قتلهن كونهن مؤذيات، فكل مؤذ يجوز للمحرم قتله وما لا فلا. ويجوز أن يقتل فى الحرم كل من وجب عليه قتل بقصاص، أو رجم بالزنا أو قتل بالمحاربة، ويجوز إقامة كل الحدود فيه، سواء [أحرم فى الحج] أو خارجه ثم ألجئ إليه، وهو مذهب مالك والشافعى. وقال أبو حنيفة: ما ارتكبه فى الحرم يقام عليه، وما فعله خارجه ثم لجأ إليه إن كان إتلاف نفس لم يقم عليه فى الحرم، بل يضيق عليه ولايكلم ولا يجالس ولا يبايع، حتى يضطر إلى الخروج منه، وما كان دون النفس يقام فيه.

---

(١) البقرة: ٢٤٩

* كذا في «ك» وفي «ط» ، ولعلها قراءة.

الفصل الثاني

٢٧٠٠- * عن جابرٍ [رضي اللهُ عنه]، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لحمُ الصَّيدِ لكم في الإحْرام حلالٌ، مالمْ تصيدُوهُ أوْ يُصادُ لكم». رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي. [٢٧٠٠]

٢٧٠١- * وعن أبي هريرةَ، عنِ النبيِّ ﷺ، قال: «الجرادُ منْ صَيْدِ البَحرِ» رواه أبو داود، والترمذيُّ. [٢٧٠١]

٢٧٠٢- * وعن أبي سعيدٍ الخدُريِّ، عنِ النبيِّ ﷺ، قال: «يقتُل المُحرِمُ السَّبُعَ العادِيَ». رواه الترمذيّ، وأبو داود، وابنُ ماجه. [٢٧٠٢]

٢٧٠٣- * وعن عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي عمَّار، قال: سألتُ جابرَ بنَ عبدالله عنِ الضَّبُع أصَيْدٌ هيَ؟ فقال: نعمْ. فقلتُ: أيؤكَلُ؟ فقال: نعمْ. فقلتُ: سمعتَه من

«حس» : قاس الشافعى رضي الله عنه عليها كل حيوان لا يؤكل لحمه فقال: لافدية على من قتلها فى الإحرام والحرم؛ لأن الحديث يشتمل على أعيان، بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة،وبعضها طير لايدخل في معنى السباع ولا هى من جملة الهوام،وإنما هى حيوان مستخبث اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل ، فاعتبره ورتب الحكم عليه، إلا المتولد من المأكول من الصيد، وغير المأكول لا يحل أكله ويجب الجزاء بقتله؛ لأن فيه جزاء من المأكول.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن جابر رضى الله عنه: قوله: «أو يصاد لكم» بعد قوله «ما لم تصيدوه» فيه إشكال؛ لأن الظاهر يقتضى الجزم. وغاية ما يتكلف فيه أن يقال: إنه عطف على المعنى؛ فإنه لو قيل: ما لا تصيدونه أو يصاد لكم لكان ظاهراً، فيقدر هذا المعنى.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «الجراد من صيد البحر» «قض»: إنما عده من صيد البحر؛ إما لأنه يشبه صيد البحر من حيث إنه تحل ميتته ولا يفتقر إلى التذكية؛ أو لما قيل من أن الجراد متولد من الحيتان كالديدان.

الحديث الثالث والرابع عن عبد الرحمن : قوله: «عن الضبع» «حس»: اختلفوا فى إباحة لحم الضبع، فرويَ عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: أنه كان يأكله، وروى عن ابن عباس إباحته. وذهب إليه الشافعى وأحمد، وكرهه جماعة، منهم مالك وأصحاب أبى حنيفة، واحتجوا بأنه ﷺ نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع. قلنا: هو عام خصصه حديث جابر. ورووا حديثًا فى كراهة لحم الضبع. قلنا: إسناده ليس بالقوى.

[٢٧٠٠] ضعيف انظر ضعيف الجامع بنحوه ح (٤٦٦٨)، (٤٦٦٩)، (٦٦٧٠).

[٢٧٠١] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (٢٦٤٦).

[٢٧٠٢] ضعيف انظر ضعيف الجامع بنحوه ح (٦٤٥٠).

رسولِ الله ﷺ؟ قال: نعمْ . رواه الترمذيُّ، والنسائي، والشافعي، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

٢٧٠٤- * وعن جابرٍ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عنِ الضَّبُعِ، قال: «هُوَ صيْدٌ، ويَجعَلُ فيه كبشًا إذَا أصابَه المحرِمُ». رواه أبو داود، وابنُ ماجه، والدراميّ. [٢٧٠٤]

٢٧٠٥- * وعن خُزَيمةَ بنَ جزي، قال: سألتُ رسولُ الله ﷺ عنْ أكلِ الضبُعِ. قال: «أوَيأكلُ الضبعَ أحدٌ؟». وسألتُه عنْ أكلِ الذِّئب. قال: «أويَأكلُ الذّئبَ أحدٌ فيهِ خيرٌ؟» . رواه الترمذيّ، وقال: ليس إسنادُه بالقويِّ.[٢٧٠٥]

الفصل الثالث

٢٧٠٦- * عن عبد الرَّحمنِ بنِ عُثمانَ التيميِّ، قال: كنَّا معَ طلحةَ بنِ عُبيد الله ونحنُ حرُمٌ، فأهْديَ لَه طيرٌ وطلحةُ راقدٌ، فمنَّا مَنْ أكَلَ، ومنَّا مَنْ تورَّعَ، فلمَّا استيقظَ طلحةُ وافقَ مَنْ أكلَه، قال: فأكلْناهُ معَ رَسولِ الله ﷺ. رواه مسلم.

(١٣) باب الإحصار وفوت الحج

الفصل الأول

٢٧٠٧- * وعنِ ابنِ عبَّاسٍ، قال : قد أُحصرَ رسولُ الله ﷺ فحلقَ رأسَه، وجامعَ نساءَه، ونحرَ هديَه، حتى اعتمرَ عامًا قابلاً. رواه البخاريّ .

الحديث الخامس والسادس عن خزيمة: قوله: «فيه خير؟» همزة الإنكار فيه محذوفة، يعنى أفي الذئب خير، وهو من الضواري والسباع؟.

الفصل الثالث

عن عبدالرحمن : قوله: «طير» نكره للشيوع، وقد علم أنه مما لايصاد لهم، وفى قوله: «وافق من أكله» إشعار بأنه صوَّبهم، والله أعلم.

باب الإحصار وفوات الحج

«نه» : الإحصار المنع والحبس عن الوجه الذي يقصده. يقال: أحصره المرض أو السلطان إذا منعه عن مقصده فهو محصَرٌ، وحصره إذا حبسه فهو محصور.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «ونحر هديه» «حس»: اتفقوا على أن

[٢٧٠٤] صحيح انظر صحيح أبى داود ح (٣٢٢٦).

[٢٧٠٥]رواه الترمذى وضعفه بقوله «ليس إسناده بالقوى».

٢٧٠٨- * وعن عبدالله بنِ عمرَ، قال: خرجْنا معَ رسولِ الله ﷺ، فحالَ كفَّارُ قريشٍ دونَ البيتِ، فنحرَ النبيُّ ﷺ هداياهُ وحلَّقَ، وقصَّرَ أصحابُه . رواه البخاري.

٢٧٠٩- * وعن المِسوَرِ بنِ مخرمةَ، قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ نحرَ قبلَ أنْ يُحلِّقَ، وأمرَ أصحابَه بذلكَ . رواه البخاري.

٢٧١٠- * وعن ابنِ عمرَ، أنَّه قال: أَليسَ حسبُكم سُنَّةَ رسولِ الله ﷺ؟ إنْ حُبسَ أحدُكم عنِ الحجِّ طافَ بالبيتِ وبالصَّفا والمروَةِ، ثمَّ حلَّ منْ كلِّ شيءٍ حتى يحجَّ عامًا قابلاً ، فيهديَ، أوْ يصومَ إنْ لم يجدْ هَدْيًا. رواه البخاري.

٢٧١١- * وعن عائشة ، قالتْ: دخلَ رسولُ الله ﷺ على ضُباعةَ بنتِ الزبيرِ،

المحرم إذا أحصر عن الحج بعدو أنه يتحلل وعليه هدى، وهو دم شاة يذبحه حيث أحصر، ثم يحلق كما فعل رسول الله ﷺ عام الحديبية. والهدايا كلها يختص ذبحها بالحرم إلا هدي المحصر؛ فإن محل ذبحه حيث أحصر. وقال أصحاب أبي حنيفة: لايراق أيضًا إلا فى الحرم. ثم المحصر إن كان حجه فرضا قد استقر عليه فهو فى ذمته، وإن كان تطوعا أو كان هذا أول [سنة الوجوب]*، فهل يجب عليه القضاء؟ اختلفوا فيه، فذهب جماعة إلى أنه لا قضاء عليه، وهو قول مالك والشافعى ، وذهب قوم إلى أن عليه القضاء، وبه قال أصحاب أبى حنيفة. قوله: «حتى اعتمر» غاية المجموع من قوله: «فحلق وجامع ونحر» أى تحلل ﷺ حتى اعتمر عاما قابلاً.

الحديث الثانى إلى الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «أليس حسبكم؟» أى محسبكم وكافيكم.

«حس» حبس المحرم بالحج إذا حبسه مرض أو عذر غير حبس العدو، فهل له التحلل؟ اختلفوا فيه، فذهب جماعة إلى أنه لايباح له التحلل، بل يقيم على إحرامه، فإن زال العذر - وقد فاته الحج - يتحلل بعمل العمرة. وهو قول ابن عباس؛ قال: لاحصر إلا حصر العدو، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد.

وذهب قوم إلى أن له التحلل، وهو قول أصحاب أبى حنيفة. واحتجوا بقوله ﷺ: «من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل». وضعف هذا الحديث؛ لما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لاحصر إلا حصر العدو.

الحديث الخامس عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «والله ما أجدنى إلا وجعة» أى أجد فى نفسى ضعفا من المرض، ولا أدرى أأقدر على إتمام الحج أم لا؟ والمحِل-بفتح الميم وكسر

---

* فى الأصل كذا. ولعل معناه: السنة التى أوجب الله فيها الحج على عباده. ، والله أعلم.

فقال لها : «لعلَّك أردت الحجّ؟» قالت: والله ما أجدُني إلاَّ وجعةً. فقال لها: «حُجِّي واشترِطي، وَقولي: اللهمَّ مَحِلِّي حيثُ حبَستَني». متفق عليه .

الفصل الثاني

٢٧١٢- * عن ابنِ عبَّاسٍ [رضي اللهُ عنهما]، أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ أصحابَه أنْ يُبدِّلوا الهَديَ الذي نحرُوا عامَ الحُديبيةِ في عُمْرةِ القَضاءِ. رواه [أبو داود. وفيه قصة، وفي سنده محمد بن إسحاق] .[٢٧١٢]

٢٧١٣- * وعن الحجَّاج بنِ عمْرٍو الأنصاريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ

الحاء- زمان أو مكان، من حل إذا خرج من الإحرام. فإن قلت: كيف طابق قولها: «والله» جوابا عن قوله ﷺ «لعلك أردت»؟ قلت: تضمن في «لعل» معنى الاستقصار على سبيل التلطف؛ ومن ثمة أظهرت العذر وأقسمت عليه. «مح»: هى ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بنت عم النبى ﷺ.

«حس» : اختلفوا فى الاشتراط فى الحج، فذهب بعضهم إلى الرخصة فيه وأنه ينعقد إحرامه لظاهر الحديث، وله الخروج بالعذر الذى سمى، وهو قول أحمد وأحد قولي الشافعى، قالا: لايباح له التحلل بعذر سوى الإحصار من عدو من غير شرط؛ لأن التحلل لو كان مباحا من غير شرط لما احتاجت ضباعة إلى الشرط. وذهب آخرون إلى أن إحرامه منعقد، ولايباح له التحلل بالشرط، كمن أحرم مطلقًا، وجعلوا ذلك رخصة خاصة لضباعة كما أذن ﷺ لأصحابه فى رفض الحج، وليس ذلك لغيرهم. وفى قوله: «محلى حيث حبستنى» دليل على أن المحصر يحل حيث يحبس من حل أو حرم.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «أن يبدلوا» أى يذبحوا مكان ما ذبحوه هديا آخر. «حس»: يحتج بهذا من يوجب القضاء على المحصر، ومن يذهب إلى أن دم الإحصار لايذبح إلا فى الحرم، ويقول: إنما أمرهم النبىﷺ بإبدال الهدى؛ لأنهم نحروا هداياهم عام الحديبية خارج الحرم، والله تعالى يقول: ﴿هديا بالغ الكعبة﴾[1] فلم تقع تلك الهدايا محسوبة؛ فأمرهم بالإبدال.

الحديث الثانى عن الحجاج: قوله: «من كسر» «حس»: يحتج بهذا الحديث من يرى

[٢٧١٢] رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٣٨٦) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو حاضر شيخ من أهل اليمن مقبول صدوق، وسنن أبى داود ح (١٨٦٤) ٢/ ١٧٣.

(١) المائدة: ٩٥

كُسرَ، أو عرِجَ فقدْ حلَّ، وعليهِ الحجُّ منْ قابلٍ». رواه الترمذيُّ، وأبو داود، والنسائي، وابنُ ماجه، والدراميّ. وزاد أبو داود في رواية أخرى: «أوْ مرضَ». وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن. وفي «المصابيح»: ضعيف .[٢٧١٣]

٢٧١٤- * وعن عبدِ الرَّحمنِ بنِ يَعمُرَ الدِّيْلي، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «الحجُّ عرفةُ، مَنْ أدركَ عرفة ليلةَ جَمعٍ قبلَ طُلوعِ الفجْرِ فقدْ أدركَ الحجَّ. أيَّامُ مِنًى

القضاء على المحصر، ومن ضعف هذا الحديث؛ لما ثبت عن ابن عباس أنه قال: «لاحصر إلا حصد العدو». وتأوله بعضهم على أنه إنما يحل بالكسر والعرج، إذا كان قد شرط ذلك عند الإحرام على معنى حديث ضباعة، إذ قال لها النبى ﷺ: «حجى واشترطى».

«قض» : وفيهما نظر، أما الأول: فلأن قول ابن عباس لايعارض الحديث المرفوع، فكيف يوجب وَهَنَهُ؟ اللهم إلا إذا ثبت رفعه فيرجع بفضل الراوى وشهرته وأما الثانى: فلأنه تقييد بلا دليل. أقول: ولئن سلم أن حديث ابن عباس يكون موقوفًا عليه، فإذا كان تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى﴾(١)، والمخاطبون بقوله: ﴿فإن أحصرتم﴾ هم الصحابة يوم الحديبية، ولم يكن ذلك الإحصار إلا عن عدو؛ فتقييده بالمرض تقييد بلا دليل. .وقوله: وأما الثانى فلأنه تقييد بلا دليل، فتقييده بحديث ضباعة كاف، فعلى هذا نكون قد عملنا بمقتضى النصوص الظاهرة كلها. وإذا تعرجنا عن ذلك بطل حديث ضباعة. وأما تضعيف الحديث فقد رده المؤلف بقوله: وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

الحديث الثالث عن عبد الرحمن: قوله: «الحج عرفة» «قض»: مبتدأ وخبر على تقدير حذف المضاف من الطرفين، أى ملاك الحج أو معظم أركانه وقوف عرفة؛ لأن الحج لايفوت بفوات غيره. أقول: التعريف فى «الحج» للجنس، وخبره معرفة؛ فيفيد **الحصر**، كقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾(٢)، وقولهم: حاتم الجود. «تو»: وذلك مثل قولهم: المال الإبل، وإنما كان ذلك ملاكه وأصله؛ لأنه يفوت بفواته، ويفوت الوقوف لا إلى بدل. قوله: «فقد أدرك الحج». [«قض»]*: اتفق أهل العلم على أن الحاج إذا فاته الوقوف بعرفة فى وقته فاته الحج، ووقته ما بين زوال يوم عرفة إلى أن يطلع الفجر من يوم النحر؛ فمن فاته الوقوف فى هذا الوقت يجب عليه التحلل بعمل العمرة، من غير أن يكون [محسوبا]** عن العمرة، وعليه قضاء الحج من قابل، وعليه دم شاة، فإن لم يجد فصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع كالمتمتع.

[٢٧١٣] صحيح انظر صحيح الترمذى ح (٧٤٨).

(١) البقرة: ١٩٦ (٢)البقرة: ٢

* فى «ك» «حس».

** كذا فى الأصول.

ثلاثةٌ [أيَّامٍ]، فمنْ تعجَّلَ في يومَينِ فلا إِثمَ عليهِ، ومَنْ تأخَّرَ فلا إِثمَ عليه» رواه الترمذيُّ، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي. وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. [٢٧١٤]

[وهذا الباب خال عن **الفصل الثالث**].

(١٤) باب حرم مكة حرسها الله تعالى

الفصل الأول

٢٧١٥ - * عن ابن عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ يومَ فتحِ مكةَ: «لا هِجرةَ؛

قوله: «فمن تعجل» «قض»: «تعجل» جاء لازما ومتعديا، فإن عديته فمفعوله محذوف، والمعنى فمن تعجل النفر فى يومين، أى فى آخر اليومين الأولين من أيام التشريق، فلا إثم عليه ولا حرج، ومن تأخر إلى اليوم الثالث فلا إثم عليه، أى التقديم والتأخير سواء فى الجواز وعدم الحرج، ليس فى التعجيل ترك واجب، ولا فى التوقف والتأخير ارتكاب بدعة وزيادة على المشروع، مع أن التأخير أفضل. «تو»: ذكر أهل التفسير أن أهل الجاهلية كانوا فئتين: إحداهما: ترى المتعجل آثما، والأخرى: ترى المتأخر آثما؛ فورد التنزيل بنفى الحرج عنهما.

باب حرم مكة حرسها الله تعالى

الحرم الممنوع عنه: إما بتسخير إلهي، وإما بمنع شرعي، وإما بمنع من جهة العقل، وإما من جهة من يرتسم أمره. والحرم سمي حرما لتحريم الله تعالى فيه كثيرا مما ليس بمحرم في غيره من المواضع، وكذلك الشهر الحرام.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «لا هجرة» «تو»: كانت الهجرة إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله ﷺ فرضا على المؤمن المستطيع؛ ليكون في سعة من أمر دينه فلا يمنعه عنه مانع، ولينصر رسول الله ﷺ في إعلاء كلمة الله وإظهار دينه، فينحاز إلى حزب الحق وأنصار دعوته، ويفارق الفريق الباطل؛ فلا يكثر سوادهم، إلى غير ذلك من المعاني الموجبة لكمال الدين. فلما فتح مكة وأظهره الله على الدين كله، أعلمهم بأن الهجرة المفروضة قد انقطعت، وأن السابقة بالهجرة بعد الفتح قد انتهت، وأن ليس لأحد بعد ذلك أن ينال فضيلة الهجرة إليه، ولا أن ينازع المهاجرين في مراتبهم وحقوقهم.

وقوله: «لا هجرة» أي لم تبق هجرة، ولكن بقي الجهاد، فينالون بذلك الأجر والفضل

[٢٧١٤] صحيح انظر صحيح الترمذى بنحوه ح (٧٠٥).

ولكن جهادٌ ونيَّةٌ، وإذا استُنفِرتُمْ فانفِروا». وقال يومَ فتح مكةَ: «إنَّ هذا البلدَ حرَّمه اللهُ يومَ خلَقَ السَّموات والأرضَ، فهوَ حرامٌ بحُرمة الله إلى يومِ القيامةِ، وإنَّه لم يحِلَّ

والغنيمة. وفيه تنبيه على أنهم إذا حرصوا على الجهاد وأحسنوا النية، أدركوا الكثير مما فاتهم بفوات الهجرة. وفي قوله: «لا هجرة» تنبيه على الرخصة في ترك الهجرة، يعني إلى المدينة لنصرة الرسول ﷺ. فأما الهجرة التي تكون من المسلم لصلاح دينه فإنها باقية مدى الدهر.

«مح»: فيه إظهار معجزة لرسول الله ﷺ بأن مكة تبقى دار الإسلام بعد الفتح، لا يتصور منها الهجرة. وقال أصحابنا: معناه أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازاً ظاهراً، انقطعت [بفتحه]* ومضت؛ لأن الإسلام قويَ وعز عزًّا ظاهراً بخلاف ما قبله، لكن لكم طريق إلى تحصيل الفضائل التي في معنى الهجرة، وذلك بالجهاد ونية الخير في كل شيء.

أقول: قوله: «ولكن جهاد ونية» عطف على محل مدخول «لا» والمعنى أن الهجرة من الأوطان إما هجرة إلى المدينة للفرار من الكفار ونصرة الرسول ﷺ، وإما إلى الجهاد في سبيل الله، وإما إلى غير ذلك من تحصيل الفضائل، كطلب العلم وابتغاء فضل الله من التجارة وما شاكلهما؛ فانقطعت الأولى وبقيت الأخريان، فاغتنموهما ولا تقاعدوا عنهما، فإذا استنفرتم فانفروا.

«نه»: الجهاد محاربة الكفار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع من قول أو فعل. يقال: جهد الرجل في الشيء، إذا جد فيه وبالغ، وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادا. والاستنفار الاستنجاد والاستنصار، أي إذا طلب منكم النصرة فأجيبوا وانصروا خارجين إلى الإعانة.

قوله: «حرمه الله يوم خلق السموات» «قض»: معناه أن تحريمه أمر قديم وشريعة سالفة مستمرة، ليس مما أحدثه أو اختص بشرعه. ويحتمل أن يراد به التأقيت، أي إنما خلق هذه الأرض حين خلقها محرمة، والتوفيق بينه وبين ما أورده في الباب التالي له عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرامًا، وإني حرمت المدينة حرامًا ما بين مأزميها، أن لايهراق فيها دم، ولايحمل فيها سلاح لقتال، ولاتخبط فيها شجرة إلا لعلف» أن يقال: إسناد التحريم إلى إبراهيم عليه السلام من حيث إنه مبلغه ومنهيه؛ فإن الحاكم بالشرائع والأحكام كلها هو الله تعالى، والأنبياء يبلغونها، ثم إنها كما تضاف إلى الله تعالى من حيث إنه الحاكم بها، تضاف إلى الرسل؛ لأنها تسمع منهم وتبين على لسانهم. فلعله لما رفع البيت المعمور إلى السماء وقت الطوفان، أو انطمست العمارة التي بناها آدم عليه السلام، والكعبة الآن في محلها على اختلاف الروايات اندرست حرمتها وصارت شريعة متروكة منسية إلى أن أحياها إبراهيم عليه السلام، فرفع قواعد البيت ودعا الناس إلى الحج، وحدَّ الحرم وبين حرمته.

«مح»: قيل: معناه أنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ يوم خلق السموات الأرض، أن إبراهيم سيحرم مكة بأمر الله تعالى.

---

* أي بفتح الرسول ﷺ مكة.

القتالُ فيهِ لأحدٍ قبْلي، ولم يحِلَّ لي إلاَّ ساعةً منْ نهارٍ، فهوَ حرامٌ بحُرمةِ اللهِ إلى يومِ

قوله: «بحرمة الله» «نه»: أي بتحريمه، وقيل: الحرمة الحق بالحق المانع من تحليله. أقول: الفاء في قوله: «فهو» جزاء شرط محذوف، أي إذا كان الله كتب في اللوح المحفوظ تحريمه، ثم أمر إبراهيم عليه السلام بتبليغه وإنهائه؛ فأنا أيضا أبلغ ذلك وأنهيه إليكم، وأقول: فهو حرام بحرمة الله.

قوله: «ولم يحل لي إلا ساعة» «حس»: أراد به ساعة الفتح، أبيحت له إراقة الدم فيها دون الصيد وقطع الشجر ونحوهما. ويحتج به من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة لاصلحا، وهم أصحاب أبي حنيفة. وتأوله غيرهم على معنى أنه أبيح له أن يدخلها من غير إحرام؛ لأنه ﷺ دخلها وعليه عمامة سوداء. وقال أيضا: لايجوز أن يباح له إراقة دم حرام في تلك الساعة، بل إنما أبيح له إراقة دم كان مباحًا خارج الحرم، فحرمه دخول الحرم، فصار الحرم في حقه بمنزلة الحل في تلك الساعة. واختلفوا فيمن ارتكب خارج الحرم ما يوجب القتل عليه، ثم دخل الحرم، هل يحل قتله فيه؟ فذهب جماعة إلى أنه يحل ذلك. قالوا: إن الحرم لايعيذ عاصيًا ولا فارا بدم ولافارا بسرقة.

«قض»: قوله «لم يحل القتال فيه لأحد قبلي» لايدل على أنه قاتل فيه وأخذه عنوة؛ فإن حل الشيء لايستلزم وقوعه؛ فلا حجة للأوزاعي وأصحاب أبي حنيفة. أقول: والحاصل أن الفتح عنوة يقتضي نصب الحرب عليهم والقتال بالرمي بالمنجنيق والسهم، والطعن بالرمح وضرب السيف، ولم يقع ذلك، وإن كان حلالا؛ وأما قتل من استحق القتل خارج الحرم في الحرم، فليس من معنى العنوة في شيء. «مظ»: وفائدة الخلاف أن من قال: فتحت عنوة، أنه لايجوز بيع دور مكة ولا إجارتها؛ لأن النبي ﷺ جعل وقفًا ما أخذه من الكفار من العقار. ومن قال: فتح صلحًا جوز بيعها وإجارتها؛ لأنها مملوكة لأصحابها.

أقول: وكرر قوله: «فهو حرام بحرمة الله»؛ لينيط به غير ما أناط به أولا من قوله: «لا يعضد شوكه» إلى آخره. «نه»: «لايعضد» لايقطع، يقال: عضدت الشجر أعضده أي قطعت. والعضد بالتحريك المعضود. وذكر الشوك دال على منع قطع سائر الأشجار بالطريق الأولى. «حس»: المؤذي من الشوك كالعوسج؛ فلا بأس بقطعه كالحيوان المؤذي. وظاهر الحديث يوجب تحريم قطع أشجار الحرم على العموم، سواء غرسها الآدميون أو نبتت من غير غرس، وهو ظاهر مذهب الشافعي، وإذا قطع شيئًا منها فعليه الجزاء عند أكثرهم، وإن كان القاطع حلالا، وإليه ذهب الشافعي، فعليه في الشجرة الكبيرة بقرة وفي الصغيرة شاة. «مح»: يجوز عند الشافعي ومن وافقه رعي البهائم في كلأ الحرم. وقال أبو حنيفة وأحمد ومحمد: لا يجوز.

القيامةِ، لا يُعضَد شوكه، ولا يُنَفَّرُ صَيدُه، ولا يلتَقطُ لُقَطَته إلاَّ مَنْ عرَّفَها، ولا يُختَلى خلاها.

فقال العبَّاسُ: يارسولَ الله! إلاَّ الإذخَرَ، فإنَّه لقينهم ولبُيوتِهم؟ فقال: «إلاَّ الإذخَرَ» متفق عليه.

٢٧١٦ - * وفي رواية لأبي هريرةَ: «لا يُعضدُ شجرُها، ولا يلتَقطُ ساقطتَها إلاَّ مُنشِدٌ».

قوله: «ولا ينفر صيده» «نه»: يقال نفر ينفر نفورًا ونفارًا إذا فر وذهب. «مح»: هذا تصريح بتحريم الإزعاج وتنحية الصيد من موضعه؛ فإن نفره عصى سواء تلف أم لا، لكن إن تلف في نفاره قبل السكون ضمن. ونبه بالتنفير على الإتلاف ونحوه؛ لأنه إذا حرم التنفير فالإتلاف أولى.

قوله: «ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفهَا» «حس»: اللقطة - بفتح القاف، والعامة تسكنها - ما يلتقط. اختلفوا في لقطة الحرم، فذهب قوم إلى أنه ليس لواجدها غير التعريف أبدا، ولا يملكها بحال ولا يستنفقها ولايتصدق بها حتى يظفر بصاحبها. بخلاف لقطة سائر البقاع، وهو أظهر قولي الشافعي. وذهب الأكثرون إلى أنه لافرق بين لقطتي الحل والحرم، وقالوا: معنى قوله: «إلا من عرفها» عرفها كما يعرفها في سائر البقاع حولا كاملا، حتى لا يتوهم متوهم أنه إذا نادى عليها وقت الموسم، فلم يظهر مالكها جاز له أن يتملكها. «تو»: الوجه هو الأول؛ لأن الكلام ورد مورد بيان الفضائل المختصة بها كتحريم صيدها وقطع شجرها وحصد خلاها. وإذا سوى بين لقطة الحرم ولقطة غيره من البلاد، وجدنا ذكر حكم اللقطة في هذا الحديث خاليًا عن الفائدة.

قوله: «ولا يُختَلي خلاها» «نه» الخلا - مقصورًا - النبات الرقيق مادام رطبًا واختلاؤه قطعه، وأخلت الأرض كثر خلاها، وإذا يبس فهو حشيش. «فا»: حقه أن يكتب بالياء ويثنى خليان. «حس»: ولا بأس بقطع الحشيش والشجر اليابسين كالصيد الميت [يقُدُّه]* . ويكره على مذهب الشافعي نقل تراب الحرم وإخراج الحجارة عنه لتعلق حرمة الحرم بها، ولا يكره نقل ماء زمزم للتبرك.

قوله: «إلا الإذخر» «نه»: هو بكسر الهمزة حشيشة طيبة الرائحة، يسقف بها فوق الخشب، وهمزته زائدة. «مح»: هذا محمول على أنه ﷺ أوحي إليه في الحال باستثناء الإذخر وتخصيصه من العموم، أو أوحي إليه قبل ذلك أنه إن طلب أحد استثناء شيء فاستثن، أو أنه اجتهد في الجميع. قوله: «لقينهم» «نه»: القين واحد القيون وهو الحداد والصائغ. قوله: «إلا منشد» «نه»: المنشد هو المعرف، وأما طالبها فهو ناشد، وأصل النشد والإنشاد رفع الصوت.

---

* في «ك» ، و«ط» «بعده»، والصواب ما أثبتناه، والقد: القطع. شرح السنة ج (٧/ ٢٩٩).

٢٧١٧ - * وعن جابرٍ، قال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يَحِلُّ لأحدِكم أنْ يحمِلَ بمكةَ السِّلاحَ» رواه مسلم.

٢٧١٨ - * وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ مكةَ يومَ الفتحِ وعلى رأسِه المِغْفَرُ، فلمَّا نزعَه جاءَ رجلٌ وقال: إنَّ ابنَ خطَلٍ متعلّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ. فقال: «اقتُلْه» متفق عليه.

٢٧١٩ - * وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ يومَ فتح مكةَ وعليهِ عمامةٌ سوْداءُ بغيرِ إحْرامٍ. رواه مسلم.

الحديث الثاني عن جابر رضي الله عنه: قوله: «لايحل». «مح»: قال القاضي عياض: هذا محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولاحاجة، فإذا احتيج إليه جاز. وهو مذهب مالك والشافعي وعطاء. وكرهه الحسن البصري تمسكا بظاهر الحديث.

وحجة الجمهور دخول النبي ﷺ عام عمرة القضاء بما شرطه من السلاح في القراب، ودخوله ﷺ عام الفتح متأهبا للقتال.

الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه: قوله: «المغفر» في الغريبين: المغفر والغفارة وقاية للرأس ينتفع بها المتسلح، وأصل الغفر التغطية. قوله: «جاء رجل» «تو»: هو فضلة بن عبيد أبو برزة الأسلمي. قوله: «إن ابن خطل» «مح»: قالوا: إنما أمر بقتله؛ لأنه كان قد ارتد عن الإسلام وقتل مسلما كان يخدمه، وكان يهجو النبي ﷺ ويسبه، وكان له قينتان تغنيان بهجاء المسلمين. فإن قيل: وفي حديث آخر «من دخل المسجد فهو آمن» فكيف قتله وهو متعلق بأستار الكعبة؟ فالجواب أنه ﷺ استثناه وابن أبي سرح.

وفي هذا الحديث حجة لمالك والشافعي وموافقيهما في جواز إقامة الحدود والقصاص في حرم مكة، وقال أبو حنيفة: لايجوز، وتأول هذا الحديث بأنه قتله في الساعة التي أبيحت له. وأجاب أصحابنا بأنها إنما أبيحت ساعة الدخول، حتى استولى عليها وأذعن أهلها، وإنما قتل ابن خطل بعد ذلك. وقيل: اسم ابن خطل عبدالعزيز، وقيل: عبدالله، وقيل: غالب. قال أهل السير: قتله سعيد بن حريب.

الحديث الرابع عن جابر رضي الله عنه: قوله: «عمامة سوداء» «مح»: قال القاضي عياض: وجه الجمع بين هذا الحديث والحديث السابق «وعلى رأسه المغفر» أنه ﷺ دخل أولا وعلى رأسه المغفر، ثم بعد إزالة المغفر وضع العمامة، يدل عليه قوله: «خطب للناس وعليه عمامة سوداء»؛ لأن الخطبة كانت عند باب الكعبة. وفي قوله: «بغير إحرام» دليل لمن يجوز الدخول

٢٧٢٠ - * وعن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «يـغزُو جيشٌ الكعبةَ، فإذا كانوا ببَيداء منَ الأرضِ يُخسَفُ بأوَّلِهم وآخرِهم». قلتُ: يارسولَ الله! وكيفَ يُخسَفُ بأوَّلِهم وآخرِهم، وفيـهِم أسواقُهم ومَنْ ليسَ منهُم؟ قال: «يُخـسفُ بأولهم وآخرهم، ثمَّ يُبعثونَ على نيَّاتِهم» متفق عليه.

٢٧٢١ - * وعن أبـي هريـرةَ، قال: قـال رسولُ الله ﷺ: «يـخُرِّبُ الـكعـبةَ ذُو السُّوَيْقتَينِ منَ الحبشةِ» متفق عليه.

٢٧٢٢ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، عن الـنبيِّ ﷺ، قال: «كأني بهِ أسْوَدَ أفحجَ يـقْلعُها حجَرًا حجَرًا» رواه البخاريّ.

بغير إحرام إذا لم يرد نسكا، سواء كان دخوله لحاجة تتكرر كالحطّاب والسقّاء والصيّاد وغيرهم، أم لا كالتاجر والزائر وغيرهما. وهذا أصح القولين لـلشافعي. وفيه جواز لباس الثياب السود في الخطبة، وإن كان البيض أفضل.

الحديث الخامس عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «فإذا كانوا ببيداء» «نه»: البيداء المفارة التي لا شيء فيها، وهي في هذا الحديث اسم موضع مخـصوص بين مكة والمدينة. قوله: «أسواقهم» «نه»: السـوقة من النـاس الرعية، ومـن دون الملك، وكثيـر من الناس يـظنون أن السـوقة أهل الأسواق. «مظ»: الأسواق إن كـان جمع سوق فتقديـره: فيهم أهل أسواقهـم، وإن كان جمع سوقة فلا حاجة إلى التقدير. «ومن ليس منهم» أي من ليس ممن يقصد تخريب الكعبة، بل هم الضعفاء والأسارى. أقول: فالعـطف في «ومن ليس منهم» للتفسير والبـيان. قوله: «ثم يبعثون على نيـاتهم» أي يخسف الكل بـشؤم الأشرار، ثم إنه تعالـى يعامل مع كلٍّ منهـم في المحشر بحسب نيته وقصده، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

الحديث السادس والسابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «ذو السويقتين» «نه»: السويقة تصغير الساق، وهي مؤنثة؛ فلذلك ظهرت التـاء في تصغيرها، وإنما صغر الساقين؛ لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة [والحموشة]*، أي يخربها رجل من الحبشـة له ساقان دقيقتان. أقول: لعل السر في التصغير أن مثل هذه الكعبة المعظمة المحرمة، يهتك حرمتها مثل هذا الحقير الدميم الضعيـف الخلقة. ينصـر هذا التأويل الحديث الـذي يتلوه «كأني به أسـود أفحج يقلعـها حجرا حجرا»؛ لأنه استحضار لتلك الحالة العجيبة الغريبـة في الذهن تعجبًا وتعجيبا للغير، نحوه قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم﴾[1] في وجه.

---

(١) السجدة: ١٢.

* «الحموشة» بالحاء المهملة: الدقة والصغر.

الفصل الثاني

٢٧٢٣ - * عن يَعلى بنِ أُميَّةَ، قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «احتِكارُ الطعامِ في الحرَمِ إلْحادٌ فيهِ» رواه أبوداود. [٢٧٢٣]

٢٧٢٤ - * وعن ابنِ عبَّاس، قال: قال رسولُ الله ﷺ لمكةَ: «ما أطيبَك منْ بلَدٍ، وأحبَّكِ إليَّ، ولوْلا أنَّ قومي أخْرجوني منكِ ماسكنتُ غيرَكِ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ إسناداً. [٢٧٢٤]

قوله: «أسود أفحج» «نه» الفحج تباعد ما بين الفخذين، وهو بتقديم الحاء على الجيم، وفى إعرابه وجوه. «تو»: حالان عن خبر «كأن» وإن لم يكن بفعل فإنه مشبه به، وإذا قيد منصوبه أو مرفوعه بالحال، كان تقييدا باعتبار معناه الذي أشبه الفعل أقول: وفيه نظر؛ لأنهما إذا كان حالين من خبر كأن وذو الحال إما المستقر المرفوع أو المجرور، ولا يجوز الأول لأن المعنى يأباه كل الإباء؛ فتعين الثاني، فالعامل هو متعلق الخبر.

«مظ»: هما بدلان من الضمير المجرور، وفتحا؛ لأنهما غير منصرفين، وعلى التقديرين يلزم إضمار قبل الذكر، اللهم إلا أن يقال: إن الضمير المجرور راجع إلى المذكور في حديث أبي هريرة. والأولى أن يقال: إنه ضمير مبهم يفسره ما بعده كقولك: ربهّ رجلٍ. وقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾(١) -الكشاف- (٢): يجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بـ«سبع سموات»، ونصبه على التمييز. و«حجرا حجرا» حال، كقولهم: بوبته بابا بابا.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن يعلى: قوله: «احتكار الطعام» هو اشتراء القوت في حالة الغلاء؛ ليبيع إذا اشتد غلاؤه، فهو في سائر البلاد حرام، وفي مكة أشد تحريمًا. و«الإلحاد» الميل عن الحق إلى الباطل. قال الله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾(٣). وإنما سماه ظلما؛ لأنه واد غير ذي زرع؛ فالواجب على الناس أن يجلبوا إليها الأرزاق؛ لتتسع عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿وارزقهم من الثمرات﴾(٤)، فمن اجتهد في تضييقهم بالاحتكار فقد ظلمهم، ووضع الشيء في غير موضعه.

[٢٧٢٣] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (١٨٤).
[٢٧٢٤] صحيح انظر صحيح الترمذي ح (٣٠٨٣).
(١) فصلت: ١٢.   (٢) الكشاف: ٣/ ٣٨٥.
(٣) الحج: ٢٥.   (٤) إبراهيم: ٣٧.

٢٧٢٥ - * وعن عبدالله بنِ عديٍّ بنِ حمراءَ [رضي الله عنه]، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ واقفًا على الحَزْوَرَةِ. فقال: «واللهِ إنَّكِ لخَيرُ أرضِ اللهِ وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولوْلا أني أُخرجْتُ منكِ ما خرجْتُ». رواه الترمذي وابن ماجه. [٢٧٢٥]

الحديث الثاني والثالث عن عبدالله: قوله: «الحزورة» «نه»: هو موضع بمكة عند باب الحناطين، وهو بوزن قسورة، قال الشافعي: الناس يشددون الحزورة والحديبية وهما مخففتان.
«تو»: في مجمع الأمثال للميداني أن وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ـ وكان ولي أمر البيت بعد جرهم ـ بنى صرحًا بأسفل مكة، وجعل فيه سلما يرقى فيه، ويزعم أنه يناجي الله فوق الصرح، وكان علماء العرب يرون أنه صديق من الصديقين. وكان قد جعل في صرحه ذلك أمةيقال لها: حزورة، وبها سميت حزورة مكة. أقول: قال في الحديث السابق: «وأحبك إلى» وفي هذا «أحب أرض الله إلى الله» نسب المحبة إلى نفسه أولا؛ لأنه مسقط رأسه، وموضع حل تمائمه. قال الأسدي:

أحب بلاد الله ما بين منعج   إلى وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها حل الشباب تمائمي   وأول أرض مس جلدي ترابها

ومن ثم مَنّ الله تعالى عليه بقوله: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرآدك إلى معاد﴾[1]. قيل: نزلت عليه ﷺ حين بلغ الجحفة في مهاجرته، وقد اشتاق رسول الله ﷺ إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم؛ فنزل جبريل، فقال له: أتشتاق إلى مكة؟ قال: «نعم»، فأوحاها إليه. وأما نسبته إلى الله تعالى ثانيًا؛ فلأنه حرم الله تعالى المعظم ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا﴾[2].

قوله: «ما سكنت غيرك» «مظ»: قاله يوم فتح مكة. قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: فلما عاد ﷺ إلى مكة استقبل الكعبة وقال: «إنك لخير أرض الله ـ الحديث» وقيل: أراد بقوله: ﴿لرآدك إلى معاد﴾ رده إليها يوم فتح مكة. ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن، ومرجعًا له اعتداد؛ لغلبة رسول الله ﷺ وقهره لأهلها، ولظهور عز الإسلام وأهله، وذل الشرك وحزبه.

[٢٧٢٥] إسناده صحيح.
(١) القصص: ٨٥ .   (٢) آل عمران: ٩٦.

الفصل الثالث

٢٧٢٦ - * عن أبي شُرَيحٍ العدَوِيِّ، أنَّه قال لعَمرو بنِ سعيد، وهُوَ يبعثُ البُعوثَ إلى مكةَ: ائذَنْ لي أيُّها الأميرُ! أُحدِّثك قوْلاً قامَ به رسولُ الله ﷺ الغدَ منْ يومِ الفتْحِ، سمعتْه أُذُنايَ، ووَعاهُ قلبي، وأبصرتْهُ عينَايَ حينَ تكلَّمَ به: حمدَ اللهَ وأثْنى عليه، ثمَّ قال: «إنَّ مكةَ حرَّمَها اللهُ ولمْ يُحرِّمْها النَّاسُ، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤْمنُ باللهِ واليَومِ الآخرِ أنْ يسفِكَ بها دمًا، ولا يعْضُدَ بها شجرةً، فإنْ أحدٌ ترَخَّصَ بقتال رسول

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي شريح: قوله: «يبعث البعوث» وهي جمع بعث بمعنى مبعوث الجماعة من الجند الذي يرسله الأمير إلى قتال وفتح بلاد. قوله: «قام به رسول الله ﷺ» صفة للمصدر الذي هو بمعنى التحديث، و«قام» بمعنى القول، وإنما يقال:قام به إذا كان لذلك القول شأن وتفخيم.

«غب»: كثير من الأفعال التي حث الله على توفية حقه ذكره بلفظ الإقامة كقوله تعالى: ﴿**يقيمون الصلاة**﴾(١)، ﴿**ولو أنهم أقاموا التوراة**﴾(٢) ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط**﴾(٣) وكذا قوله: «سمعته أُذُنَايَ» صفة أخرى. «مح»: أراد بهذا كله المبالغة في تحقيق حفظه إياه. أقول: وإنما يقال هذا في أمر يعظم مناله ويعثر الوصول إليه. فيؤكد السمع بالأذن والحفظ بالقلب والإبصار بالعين؛ ليؤذن بنيله وتحققه. و«حمد الله» بيان لقوله: «تكلم».

قوله: «ولم يحرمها الناس» «مح»: أي إن تحريمها بوحي الله، لاباصطلاح الناس عليه بغير أمر الله. أقول: إنما وصف قوله: «لامرىء» بالإيمان؛ ليشعر بالعلية، يعني من شأن المؤمن بالله أن لايخالف أمر الله، ولايحل ما حرمه الله.

قوله: «فإن أحد ترخص» «ترخص» مفسر لرافع «أحد»، كقوله تعالى: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك**﴾(٤). وقوله: «فقولوا» جواب الشرط، والجملة من الجواب العتيد الذي هيىء قبل مساس الحاجة إليه، فهو أقطع للخصم وأرد لشغبه؛ ولهذا أدرج النظار في أثناء مناظرتهم العمل بالمقتضى الذي هو كذا السالم عن معارضة كذا، فيسلقون در المعارض قبل الخصم له، فلما سمع عمرو ذلك، رده بقوله: أنا أعلم بذلك منك، يعني صح سماعك وحفظك، وإيرادك المعارضة على الخصم، لكن ما فهمت المعنى المراد من المقاتلة، فإن ذلك

---

(١) الأنفال: ٣. (٢) المائدة: ٦٦. (٣) الرحمن: ٩. (٤) التوبة: ٦.

الله ﷺ فيها، فقولوا له: إنَّ اللهَ قد أذنَ لرسولِه، ولم يأذنْ لكم. وإنَّما أذنَ لي فيها ساعةً من نهارٍ، وقد عادَتْ حرمتُها اليومَ كحُرمتِها بالأمسِ، وليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ» فقيلَ لأبي شريح: ما قالَ لكَ عمرٌو؟ قال: قال: أنا أعلمُ بذلكَ منكَ يا أبا شُريح! إنَّ الحرَمَ لايُعيذُ عاصيًا ولا فارًّا بدمٍ، ولا فارًّا بخَرْبةٍ. متفق عليه، وفي البخاري: الخَرَبة: الجناية.

٢٧٢٧ - * وعن عيَّاشِ بنِ أبي ربيعةَ المخزومي، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تزالُ هذه الأمَّةُ بخيرٍ ما عظَّمُوا هذهِ الحرمةَ حقَّ تعظيمِها، فإذا ضيَّعُوا ذلكَ هلكُوا» رواه ابن ماجه. [٢٧٢٧]

الترخص كان بسبب الفتح عنوة، وليس بسبب قتل من استحقه خارج الحرم، والذي أنا بصدده من القبيل الثاني لا من الأول، فكيف تنكر علي؟ فهو من القول بالموجب. «مح»: كان ذلك البعث من عمرو بن سعيد إلى مكة لقتال ابن الزبير، وفيه دلالة لمن يقول: فتحت مكة عنوة، وتأويله عند من يقول: فتحت صلحا، أنه ﷺ دخلها متهيئًا للقتال لو احتاج إليه. وقد سبق بيانه في حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

و«الخربة» تروى بفتح الخاء وإسكان الراء، هذا هو المشهور. ويقال: بالضم، وأصلها سرقة الإبل، وتطلق على كل جناية. وفي صحيح البخاري أنها البلية. وقال الخليل: هي الفساد في الدين، من الخارب وهو اللص المفسد في الأرض. وقيل: هي العيب انتهى كلامه.

فإن قلت: قوله: «لي» على التكلم في قوله: «وإنما أذن لي» بعد قوله: «بقتال رسول الله» هل يسمى التفاتا؟ قلت: لا؛ لأن السياق في قوله: «بقتال رسول الله» حكاية قول المترخص، وسياق هذا البيان الأول الذي تضمنه جواب المترخص، وقضية الالتفات والانتقال من صيغة إلى أخرى تقتضي اتحاد السياق. ويجوز أن يكون التفاتا إذا قدر: فإن ترخص أحد بقتالي، فوضع «رسول الله» موضعه تجريدا.

الحديث الثاني عن عياش: قوله: «هذه الحرمة» إن كان المشار إليه قد سبق من ذكر حرم الله تعالى، إما بقرينة المقام أو الكلام فلا مقال فيه، وإن كان ما في ذهن المتكلم، فيجب بيانه بعد ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾(١) وقولك: هذا أخوك. اللهم إلا أن يقال: إن الحرمة المعظمة المعهودة عند العرب قاطبة هي حرمة بيت الله وبلده الحرام؛ ولذلك جعل مقيسا عليه ومشبها به، كما مر مراراً.

[٢٧٢٧] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (٦٢٢٦).

(١) الكهف :٧٨.

(١٥) باب حرم المدينة حرسها الله تعالى

الفصل الأول

٢٧٢٨ - * عن عليّ رضي اللهُ عنه، قال: ما كتبْنا عنْ رسولِ الله ﷺ إلا القُرآنَ وما في هذه الصحيفة. قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «المدينةُ حرامٌ ما بينَ عَيرٍ إلى ثَوْرٍ فمنْ أحدَثَ فيها حدثًا أو آوى مُحْدِثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والنَّاسِ أجمعين،

باب حرم المدينة حرسها الله تعالى

الفصل الأول

الحديث الأول عن على رضي الله عنه: قوله: «ما كتبنا عن رسول الله إلا القرآن وما في هذه الصحيفة» فإن قلت: قد تقرر عند علماء المعاني أن ما وإلا يفيدان الحصر، وهما أصل في الباب؛ فيفيد التركيب أن عليًّا رضي الله عنه ما كتب شيئًا غير القرآن وما في هذه الصحيفة. وقد يوهم خلاف ذلك الجواب ما روينا في مسند الإمام أحمد عن أبي حسان، أن عليا كان يأمر بالأمر فيؤتى، فيقال: قد فعلنا كذا وكذا، فيقول: صدق الله ورسوله، قال: فقال له الأشتر: إن هذا الذي تقول قد [تفشغ]* في الناس، أهو شيء عهده إليك رسول الله ﷺ؟ قال: ما عهد إلى رسول الله ﷺ شيئًا خاصة دون الناس، إلا شيء سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي. قال: فلم يزالوا به حتى أخرج الصحيفة؛ فإذا فيها «من أحدث حدثًا». الحديث

«مح»: هذا تصريح منه رضي الله عنه بإبطال ما تزعمه الشيعة ويفترونه من قولهم: إن عليا رضي الله عنه أوصى إليه النبي ﷺ بأمور كثيرة من أسرار العلم وقواعد الدين، وأنه ﷺ خص أهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم. فهذه دعاوى باطلة واختراعات فاسدة، لا أصل لها. ويكفي في إبطالها قول على رضي الله عنه هذا. وفيه دليل على جواز كتابة العلم. ومعنى تفشغ بالتاء المثناة من فوق والفاء والشين والغين المعجمتين ـ الظهور والانتشار، كذا في النهاية.

قوله: «ما بين عير إلى ثور» «نه»: هما جبلان، أما عير فجبل معروف بالمدينة، وأما ثور فالمعروف أنه بمكة، وفيه الغار الذي بات به النبي ﷺ لما هاجر. وفي رواية قليلة «بل بين عير وأحد» وأحد بالمدينة، فيكون «ثور» غلطًا من الراوي، وإن كان هو الأشهر في الرواية والأكثر. وقيل: إن عيرًا جبل بمكة، ويكون المراد منه أنه حَرَّمَ من المدينة قدر ما بين عير وثور من مكة، وحَرَّمَ المدينة تحريمًا مثل تحريم ما بين عير وثور بمكة، على حذف المضاف، ووصف المصدر المحذوف. و«الحدث» الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولامعروف في السنة.

وقوله: «محدثًا» بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر من نصر جانيا

---

* في اللسان «الفشغ» اتساع الشيء وانتشاره.

لايُقبل منه صَرْفٌ ولاعدلٌ، ذمَّةُ المسلمينَ واحدةٌ يسعَى بها أدْنَاهم، فمن أخْفر مسلمًا فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ، لا يُقبلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ، ومن والَى قومًا بغيرِ إذنِ مواليه فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ، لايُقبلُ منه صرفٌ ولاعدلٌ». متفق عليه.

وفي روايةٍ لهما: «من ادَّعى إلى غيرِ أبيهِ، أو تولى غير مواليهِ؛ فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ لايُقبلُ منه صرفٌ ولاعدلٌ».

وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والصبر عليه؛ فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكرها عليه فقد آواه.

قوله: «ذمة المسلمين» «قض»: الذمة العهد، سمي بها؛ لأنها تذم متعاطيها على إضاعتها، «يسعى بها» يتولاها ويذهب بها، والمعنى أن ذمة المسلمين واحدة، سواء صدرت من واحد أو أكثر، شريف أو وضيع، فإذا أَمن أحد من المسلمين كافرًا وأعطاه ذمته، لم يكن لأحد نقضه. «لايقبل منه صرف ولا عدل» أي شفاعة ولا فدية؛ لأنها تعادل المفدي. وقيل: توبة ولافدية، وقيل: فريضة ولا نافلة.

وقوله: «من والى قومًا بغير إذن مواليه» قيل: أراد به ولاء الموالاة لا ولاء العتق، والظاهر أنه أراد به ولاء العتق؛ لعطفه على قوله: «من ادعى إلى غير أبيه» والجمع بينهما بالوعيد فى الرواية الأخرى، فإن العتق من حيث إن له لحمة كلحمة النسب، فإذا نسب إلى غير من هو له، كان كالدعي الذي تبرأ عمن هو منه، وألحق نفسه بغيره، فيستحق به الدعاء عليه بالطرد والإبعاد عن الرحمة. وقوله: «بغير إذن مواليه» ليس لتقييد الحكم بعدم الإذن وقصره عليه، وإنما هو للتنبيه على ما هو المانع، وهو إبطال حق مواليه والإهانة بهم، وإيراد الكلام على ما هو الغالب.

«حس»: إذا أعطى واحد من المسلمين أمانًا أهل الحرب، فإن أمانه ماضٍ، وإن كان المجير عبدًا أو امرأة، وهو أدناهم وأقلهم، وإن لم يكن العبد مأذونًا من القتال ولم يُجوز أبو حنيفة. وإنما يصح الأمان من آحاد المسلمين إذا أَمن واحدًا أو اثنين، فأما عقد الأمان لأهل ناحية فلا يصح إلا من الإمام.

قوله: «فمن أخفر» «نه»: خفرت الرجل أجرته وحفظته، وخفرته إذا كنت له خفيرًا، أي حاميًا وكفيلا، وتخفرت به إذا استجرت به، والخفارة بالكسر والضم الذمام، وأخفرت الرجل إذا أنقضت عهده وذمامه، والهمزة فيه للإزالة، أي أزلت خفارته، كأشكيته إذا أزلت شكواه. والدعوة في النسب بالكسر، هو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه

٢٧٢٩ - * وعن سعد، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إني أُحَرِّمُ ما بينَ لابَتي المدينة: أن يُقطَعَ عضاهُها، أو يُقتلَ صيدُها». وقال: «المدينةُ خيرٌ لهم لوكانوا يعلَمونَ، لايدعُها أحدٌ رَغبَةً عنها إلا أبْدَلَ اللهُ فيها من هوَ خيرٌ منه، ولايَثبُتُ أحدٌ على لأوائها، وجَهْدِها إلا كنتُ لهُ شفيعًا أو شهيدًا يومَ القيامة» رواه مسلم.

فنهى عنه. وقوله: «ومن والى قومًا بغير إذن مواليه» أي اتخذهم أولياء له، ظاهره يوهم أنه شرط وليس شرطًا؛ لأنه لايجوز له إذا أذنوا له أن يوالي غيرهم، إنما هو بمعنى التوكيد؛ لتحريمه والتنبيه على بطلانه، والإرشاد إلى السبب فيه؛ لأنه إذا استأذن أولياءه في موالاة غيرهم منعوه، والمعنى إن سولت له نفسه ذلك فليستأذنهم؛ فإنهم يمنعونه.

الحديث الثاني عن سعد رضي الله عنه: قوله: «أن يقطع عضاهها» هو بدل اشتمال من «ما بين لابتي المدينة». وأنث الضمير في «عضاهها» بتأويل الأمكنة. «نه»: اللابة الحرة، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها، وجمعها لابات، فإذا كثرت فهي اللاب واللوب، مثل قارة وقار وقور، وألفها منقلبة عن واو. «فا»: اللابة الحرة وجمعها لاب ولوب. والإبل إذا اجتمعت وكانت سوداء سميت لابة، وهي من اللوبان وهي شدة الحر كما أن الحرة من الحر.

قوله: «وقال: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» «لو» إن كانت امتناعية فجوابها محذوف دل عليه ما قبله، هذا إذا كان يُجْرِي «يعلمون» مجرى اللازم، أي لو كانوا من أهل العلم والمعرفة لعرفوا ذلك وما فارقوا المدينة. وإذا قدر مفعوله، كان المعنى:لو علموا ذلك لما فارقوا المدينة. وإن كانت بمعنى ليت فلا جواب لها. وعلى التقديرين ففيه تجهيل لمن فارقها وآثر غيرها عليها؛ لتفويته على نفسه خيرًا عظيما؛ ولذلك قال: «إلا أبدل الله فيها من هو خير منه» كما قال تعالى: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لايكونوا أمثالكم**﴾[1] أي يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين عنهما.

قوله: «عضاهها» «نه»: العضاه شجر أم غيلان، وهو شجر عظيم له شوك، الواحد عضة بالتاء وأصلها عضهة، وقيل: واحدتها عضاهة. قوله: «شفيعًا أو شهيدًا» «مح»: قيل: «أو» للشك، والأظهر أنها للتقسيم؛ لأن الحديث رواه جابر وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وغيرهم بهذا اللفظ، ويبعد اتفاقهم على الشك، فمعناه يكون شهيدًا للمطيعين منهم وشفيعًا للعاصين، أو شهيدًا لمن مات في حياته وشفيعًا لمن مات بعده. قال القاضي

---

(١) محمد: ٣٨

٢٧٣٠ - * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لايصبرُ على لأواءِ المدينة وشدَّتِها أحدٌ من أُمّتي إلا كنتُ له شفيعًا يومَ القيامة» رواه مسلم.

٢٧٣١ - * وعنه، قال: كانَ الناسُ إذا رأوا أولَ الثمرةِ جاءوا به إلى النبيِّ ﷺ فإذا أخذهُ قال: «اللهُمَّ باركْ لنا في ثمرِنا، وباركْ لنا في مدينتنا، وباركْ لنا في صاعنا، وباركْ لنا في مُدِّنا، اللهُمَّ إنَّ إبراهيم عبْدك وخليلُكَ ونبيُّكَ، وإني عبدُكَ ونبيُّكَ، وإنه دَعاك لمكّةَ وأنا أدعوكَ للمدينة بمثلِ مادَعاكَ لمكة ومِثْلِه معَه». ثمَّ قال: يدعُو أصغرَ وليدٍ له، فيعطيهِ ذلكَ الثمرَ. رواه مسلم.

عياض: وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين، وللعاملين في القيامة، وعلى شهادته على جميع الأمة. وقد قال ﷺ في شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء» فيكون تخصيصهم بذلك مزية ورفعة منزلة وحظوة.

قوله: «إلا أبدل الله» «مح»: قال القاضي: اختلفوا في هذا فقيل: هو مختص بمدة حياته ﷺ، وقال آخرون: هو عام أبدا. واللأواء بالمد الشدة والجوع. والجهد - بالفتح - المشقة، و-بالضم- الوسع والطاقة.

الحديث الثالث والرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «جاءوا به إلى النبي ﷺ» «تو»: إنما كانوا يؤثرونه بذلك على أنفسهم حبا له وكرامة لوجهه المكرم؛ وطلبا للبركة فيما جدد الله عليهم من نعمة، ويرونه أولى الناس بما سيق إليهم من رزق ربهم. وأما إعطاؤه ﷺ أصغر وليد يراه، فإنه من تمام المناسبة الواقعة بين الولدان وبين الباكورة، وذلك حدثان عهدهما بالإبداع، فخص به أصغر وليد يراه. أقول: قول الشيخ: أصغر وليد يراه، يؤذن بأن الوليد مطلق، وعليه الرواية الأخرى لمسلم، «ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان» وهذه الرواية وهي قوله: «ثم يدعو أصغر وليد له» صريحة بأنه مقيد بأن الوليد له. فإما أن يتأول هذه الرواية وهو الأنسب، أو يحمل المطلق على المقيد. «مح»: في إعطائه الوليد الثمر، بيان مكارم أخلاقهﷺ، وكمال الشفقة والرحمة وملاطفة الكبار والصغار. وخص به الصغير؛ لكونه أرغب وأكثر تطلعا إليه وحرصا عليه. «شف»: وفي إيثاره على الغير قمع الشره الموجب لتناوله، وكسر الشهوة المقتضية لذوقه، ومن أن النفوس الزكية لا تركن إلى تناول شيء من أنواع الباكورة، إلا بعد ما عم وجوده، فيقدر كل على أكله.

وإنما لم يذكر الخلة لنفسه - مع أنه أيضًا خليل الله تعالى، على ما دل عليه قوله ﷺ في باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه: «وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا» - رعاية للأدب في ترك

المساواة بين نفسه وبين آبائه وأجداده الكرام. أقول: لو صرح به لقيل: عبدك وحبيبك، وفي عدم تصريحه به مع رعاية الأدب تنبيه على تنويهه وجلالة شأنه، وأنه أرفع درجة وأعظم قدرًا. ونحوه قوله تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض- إلى قوله-درجات**﴾[1] **الكشاف**[2]: الظاهر أنه أراد محمدًا ﷺ، وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى؛ لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه، والمتميز الذي لايلتبس. وسئل الحطيئة عن أشعر الناس، فذكر زهيرا والنابغة، ثم قال: ولو شئت لذكرت الثالث، أراد نفسه، ولو صرح به لم يفخم أمره.

قوله: «بارك لنا في مدينتنا»: «مح»: قال القاضي عياض: البركة تكون بمعنى النماء والزيادة، وبمعنى الثبات واللزوم، ويحتمل أن تكون هذه البركة دينية، وهي ما يتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى في الزكوات والكفارات، فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها لبقاء الحكم بها ببقاء الشريعة وإثباتها، وأن تكون دنيوية من تكثير المكيال والقدر بها، حتى يكفي منه ما لايكفي من غيره في غير المدينة، أو ترجع البركة إلى التصرف بها في التجارة وأرباحها وإلى كثرة ما يكال بها من غلاتها وأثمارها، أو لاتساع عيش أهلها بعد ضيقه، لما فتح الله عليهم ووسع من فضله لهم؛ بتمليك البلاد الخصب والريف بالشام والعراق وغيرهما، حتى كثر الحمل إلى المدينة ووسع عيشهم. وفي هذه كلها ظهور إجابة دعوته ﷺ وقبولها. قال الشيخ محيي الدين: والظاهر من هذا كله أن المراد البركة في نفس المكيل بالمدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لايكفيه في غيرها.

أقول: ولعل الظاهر هو قوله: أو لاتساع عيش أهلها ـ إلى آخره؛ لأنه ﷺ قال: «وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة»، ودعاء إبراهيم عليه السلام هو قوله: ﴿**فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾[3]، يعني وارزقهم من الثمرات بأن تجلب إليهم من البلاد؛ لعلهم يشكرون النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب، ليس فيه نجم ولا شجر ولاماء. لاجرم أن الله عز وجل أجاب دعوته، فجعله حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه. ولعمري! إن دعاء حبيب الله ﷺ استجيب لها، وضاعف خيرها على خيرها، بأن جلب إليها في زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم من

---

(١) البقرة: ٢٥٣ .

(٢) الكشاف : (ج ١/ ١٥١).

(٣) إبراهيم : ٣٧.

٢٧٣٢ - * وعن أبي سعيد، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ إبراهيم حرَّمَ مكةَ فجعَلَها حرامًا، وإني حرمتُ المدينةَ حرامًا ما بينَ مأزِمَيْهَا أنْ لا يُهراقَ فيها دمٌ، ولا يُحمَلَ فيها سلاحٌ لقتالٍ، ولاتُخبَط فيها شجرةٌ إلا لعلَفٍ». رواه مسلم.

٢٧٣٣ - * وعن عامرِ بنِ سعيدٍ: أنَّ سعدًا ركبَ إلى قصرِه بالعقيق، فوجدَ عبدًا يقطعُ شجرًا، أو يخبِطُه، فسلَبَهُ، فلما رجعَ سعدٌ جاءهُ أهلُ العبدِ فكلَّموهُ أن يَرُدَّ على غلامِهم أو عليهم ما أخَذَ مِنْ غلامِهم. فقال: معاذَ اللهِ أن أرُدَّ شيئًا نَفَّلنيهِ رسولُ اللهِ ﷺ، وأبى أن يَرُدَّ عليهم. رواه مسلم.

مشارق الأرض ومغاربها، من كنوز كسرى وقيصر وخاقان ما لايحصى ولايحصر. وفي آخر الأمر بادر الدين إليها من أقاصي الأرض وشاسع البلاد، وهذا معنى قوله ﷺ: «ومثله معه»، وينصر هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه بعد هذا «أُمرْتُ بقرية تأكل القرى» ومكة أيضا من مأكولها كما سنقرر. والله أعلم.

الحديث الخامس والسادس عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «حرمت المدينة» «تو»: أراد بذلك تحريم التعظيم دون ما عداه من الأحكام المتعلقة بالحرم. ومن الدليل عليه قوله في هذا الحديث: «لا يخبط شجرها إلا لعلف»، وأشجار حرم مكة لايجوز خبطها بحال وصيدها، وإن رأى تحريمه نفر يسير من الصحابة؛ فإن الجمهور منهم لم ينكروا اصطياد الطيور بالمدينة. ولم يبلغنا فيه عن النبي ﷺ نهي من طريق يعتمد عليه. وقد قال لأبي عمير: «ما فعل النغير؟»، ولو كان حراما لم يسكت عنه في موضع الحاجة. و«حرامًا» نصب على المصدر، أي حَرَّمْتُ المدينة فَحُرِّمَتْ حَرَامًا، كقوله تعالى: ﴿أنبتكم من الأرض نباتا﴾(١). و«مأزميها» بدل من «المدينة»، ويحتمل أن يكون «حراما» مفعول فعل محذوف، أي جعلت حراما ما بين مأزميها، و«مابين مأزميها» مفعولا ثانيا. والمأزم كل طريق بين جبلين.

وقوله: «أن لايهراق فيها دم» وقع موقع التفسير لما حرم، كأنه قال: وذلك أن لايهراق فيها دم، وليس من المفعولية في شيء، ولو كان مفعولا به لقيل: إني حرمت أن يهراق بها دم، والمراد من النهي عن إراقة الدم هو النهى عن القتال فيها. وذلك أن إراقة الدم الحرام ممنوع عنها على الإطلاق، والمباح منه لم نجد فيه اختلافا يعتد به إلا في حرم مكة.

«مح»: في الأحاديث الصحيحة حجة ظاهرة للشافعي ومالك وموافقيهما في تحريم صيد المدينة وشجرها. وأباح أبو حنيفة ذلك، [واحتج عليه]* بحديث أبي عمير، وأجاب أصحابنا

---

(١) نوح : ١٧.

* بالبناء للفاعل ومعناه: أن أبا حنيفة احتج بحديث أبي عمير على إباحة صيد المدينة وشجرها.

٢٧٣٤ - * وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وُعِكَ أبو بكرٍ وبلالٌ، فجئتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه، فقال: «اللهُمَّ حبِّبْ إلينا المدينة كحبِّنا مكة أو أشدَّ، وصحِّحها، وبارِكْ لنا في صاعها، ومُدِّها، وانقل حُمَّاها فاجعلْها بالجحفة» متفق عليه.

بأنه يحتمل أن حديث النغير كان قبل تحريم المدينة، أو أنه صاده من الحل لا من الحرم. وهذا الجواب لايلزمهم على أصولهم؛ لأن مذهبهم أن صيد الحل إذا أدخله الحلال إلى الحرم ثبت له حكم ما بالحرم. ولكن أصلهم هذا ضعيف؛ فرد عليهم. والمشهور من مذهب مالك والشافعي والجمهور أنه لاضمان في صيد المدينة وقطع شجرها، بل حرام بلاضمان، وقال بعض العلماء: يجب فيه الجزاء كحرم مكة، وللشافعي فيه قول قديم: إنه يسلب القاتل؛ لحديث سعد بن أبي وقاص، وقد ذكر مسلم في صحيحه تحريمها مرفوعا عن النبي ﷺ، من رواية على بن أبي طالب رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص وأنس بن مالك وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم، فلا يلتفت إلى ما خالف هذه الأحاديث الصحيحة.

وقال الشيخ: ولا يضر الشافعي مخالفة أئمة الأمصار في قوله القديم، إذا كانت السنة معه وعمل الصحابة به، ولم يثبت له دفع، فعلى هذا في كيفية الضمان وجهان أحدهما: يضمن كما يضمن في حرم مكة، وأصحهما أنه يسلب الصائد وقاطع الشجر والكلأ، وفي السلب وجهان أحدهما: ثيابه فقط، وأصحهما ثيابه وفرسه وسلاحه وغير ذلك مما يدخل في سلب القتيل. وفي مصرفه أقوال: أحدها: أنه لمساكين الحرم أو لبيت المال أو للسالب، وهو الأصح لحديث سعد. و«العلف» ـ بإسكان اللام ـ مصدر علفت علفا، وبالفتح اسم للحشيش والتبن والشعير ونحوها، وفيه جواز أخذ أوراق الشجر للعلف.

قوله: و«لا تخبط» «نه»: الخبط ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خَبَطٌ ـ بالتحريك ـ فعل بمعنى مفعول، وهو من علف الإبل. «مظ»: «نفلنيه» بالتشديد أي جعله لي نفلا أي غنيمة.

الحديث السابع عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «وعك» «نه»: الوعك الحمى، وقيل: ألمها وقد وعكه المرض وعكا فهو موعوك. قوله: «حبب إلينا المدينة» سببه أنه ﷺ لما قدم المدينة، وعك أبوبكر وبلال رضي الله عنهما، قالت عائشة: دخلت عليهما، فقلت: يأبت! كيف تجدك؟ ويا بلال! كيف تجدك؟ وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى، يقول:

كل امرئ مصبح في أهله   والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته، فيقول:

٢٧٣٥ - * وعن عبدالله بن عُمَرَ في رؤيا النبيِّ ﷺ في المدينة: «رأيتُ امرأةً سوداءَ، ثائرةَ الرأسِ، خَرجتْ منَ المدينةِ حتى نزلتْ مَهيَعةً، فتأوَّلتُها: أنَّ وباءَ المدينةِ نُقِلَ إلى مَهيَعَةَ وهي الجحفةُ» رواه البخاري.

٢٧٣٦ - * وعن سفيانَ بن أبي زهير [رضي الله عنه] قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُفتَحُ اليمنُ فيأتي قومٌ يبُسُّونَ فيَتحمَّلونَ بأهليهم ومَنْ أطاعهم، والمدينةُ خير لهم لوكانوا يعلمونَ. ويُفْتحُ الشام فيأتي قوم يَبُسُّونَ فيتحمَّلونَ بأهليهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لوكانوا يعلمون. ويفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» متفق عليه.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وعندي إذخر وجليـــل*

وهـــل أَرِدَن يومًا ميـــاه مجـــنة ... وهل يبدُوَنْ لي شامة وطفيل**

فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة».

قوله: «فاجعلها بالجحفة» «مح»: قال الخطابي وغيره: كان ساكنو الجحفة في ذلك الوقت يهودا. وفيه دليل على جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والأسقام والهلاك، والدعاء للمسلمين بالصحة وطيب بلادهم والبركة فيها وكشف الضر والشدائد عنهم، وفيه إظهار معجزة رسول الله ﷺ؛ فإن الجحفة من يومئذ مَحَمَّةٌ ■، فمن شرب من مائها حُمَّ.

الحديث الثامن عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: قوله: «في رؤيا النبي ﷺ» أي قال لي حديث رؤيا النبي في شأن المدينة «رأيت امرأة سوداء» فيكون قوله: «رأيت امرأة سوداء» حكاية حكاها ابن عمر عن رسول الله ﷺ. قوله: «مهيعة» «تو»: مهيعة هي الجحفة، وأرض مهيعة أي مبسوطة، وبها كانت تعرف، فلما ذهب السيل بأهلها سميت جحفة. والوباء مرض عام، وأرض موبوءة إذا كثر مرضها، والوباء يمد ويقصر، وكانت الجحفة بعد رؤياه هذه أكثر أرض الله وباء، ومنها غديرخم أوخم البلاد ماء وهواء، وقد ذكر عن الأصمعي أنه قال: لم يولد بغديرخم أحد فعاش إلى أن يحتلم إلا أن يتحول منها.

«مح»: الوباء الموت الذريع، ويطلق أيضًا على الأرض الوخمة التي تكثر بها الأمراض، لاسيما للغرباء. فإن قيل: كيف قدموا على الوباء، وفي الحديث الصحيح النهي عن القدوم إلى الوباء؟ أجاب القاضي أن هذا القدوم كان قبل النهي، أو أن النهي عنه إنما هو في القدوم على الوباء الذريع والطاعون، وما كان في المدينة إنما هو من القبيل الثاني، يدل عليه قوله: «وانقل حماها» في الحديث السابق.

الحديث التاسع عن سفيان: قوله: «يبسون» «نه»: يقال: بسَّ الناقة وأبسَّها، إذا سُقْتُها

---

* الإذخر، والجليل: كلاهما حشيش طيب الريح يستخدم في سقف البيوت.

** قال صاحب النهاية: الشامة والطفيل: جبلان بمكة، وقيل: عينان بها.

■ في اللسان: أرض محمَّة: كثيرة الحمى.

٢٧٣٧ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُمرتُ بقرية تأكلُ القُرى يقولونَ: يثربُ، وهي المدينةُ تَنْفي الناسَ كما يَنفي الكيرُ خبَثَ الحديدِ». متفق عليه.

وزجرتها، وقلت لها: بس بكسر الباء وفتحها. «تو» و«قض»: المعنى أنه يفتح اليمن فاعجب قوما بلادها وبُلَهْنِيَّة* أهلها، فيحملهم على المهاجرة إليها بأنفسهم وأموالهم حتى يخرجوا منها، والحال أن المدينة خير لهم؛ لأنها حرم الرسول ﷺ وجواره ومهبط الوحي ومنزل البركات، لو كانوا يعلمون ما فيها والإقامة بها من الفوائد الدينية والعوائد الأخروية، التي يستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية العاجلة بسبب المهاجرة عنها والإقامة في غيرها. «مظ»: أخبر ﷺ في أول الهجرة إلى المدينة بأن سيفتح اليمن فيأتي من اليمن قوم إلى المدينة، حتى يكثر أهل المدينة، والمدينة خير لهم من غيرها.

أقول: الوجه هو الأول؛ لأن تنكير «قوم» ووصفه بقوله: «يبسون» ثم توكيده بقوله: «لو كانوا يعلمون» لايساعد الثاني. بيانه أن تنكير «قوم» لتحقيرهم وتوهين أمرهم، ثم الوصف بـ«يبسون» ـ وهو سوق الدواب ـ يشعر بركاكة عقولهم، وأنهم ممن ركنوا إلى الحظوظ البهيمية، وحطام الدنيا الفانية العاجلة، وأعرضوا عن الإقامة في جوار رسول الله ﷺ ومهبط الوحي ومنزل البركات؛ ولذلك كرر قومًا ووصفه في كل قرينة بـ«يبسون» استحضارًا لتلك الهيئة القبيحة. ومعنى «لو كانو يعلمون» قد سبق في الحديث الثالث، والذي يقتضي هذا المقام أن ينزل «يعلمون» منزلة اللازم؛ لينتفي عنهم العلم والمعرفة بالكلية، ولو ذهب مع ذلك إلى معنى التمني لكان أبلغ؛ لأن معنى التمني طلب ما لايمكن حصوله، أي ليتهم كانوا من أهل العلم تغليظًا وتشديدًا.

الحديث العاشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «بقرية» «تو» و«قض»: أي بنزولها واستيطانها، «تأكل القرى» أي تغلبها وتظهر عليها، بمعنى أن أهلها تغلب أهل سائر البلاد فتفتح منها، يقال: أكلنا بني فلان أي غلبناهم وظهرنا عليهم؛ فإن الغالب المستولي على الشيء كالمغني له إفناء الأكل إياه، و«يثرب» من أسماء المدينة، سميت باسم واحد من العمالقة نزل بها، وكانت تدعى به قبل الإسلام، فلما هاجر الرسول ﷺ كره ذلك؛ لما فيه من إيهام معنى التثريب أو غيره، فبدله بطابة والمدينة؛ ولذلك قال: يقولون ذلك، والاسم الحقيق بأن تدعى به هي المدينة، وهي فعيلة من مدن بالمكان إذا قام به، وإنما قلنا: إنه الحقيق بأن يدعى بها؛ لأن التركيب يدل على التفخيم، كقول الشاعر:

هم القوم كل القوم يا أم خالد!**

أي هي المستحقة لأن تتخذ دار إقامة. «مح»: حكي عن عيسى بن دينار: أن من سماها يثرب

---

* في اللسان: مادة تلهن، قال: البلهنية: سعة العيش ورفاهيته.

** البيت نسبه صاحب اللسان لأشهب بن رميلة وصدره: وإن الذى حانت بفلج دماؤهم

قال ابن برّى: النحويون يستشهدون بهذا البيت على حذف النون من (اللذين) لضرورة الشعر، والأصل فيه: (وإن الذين) لسان العرب (فلج).

٢٧٣٨ - * وعن جابرِ بنِ سَمُرَةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ سمَّى المدينةَ طابةَ». رواه مسلم.

٢٧٣٩ - * وعن جابرِ بنِ عبدالله: أنَّ أعرابيًّا بايعَ رسولَ الله ﷺ، فأصابَ الأعرابيَّ وعْكٌ بالمدينة، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: «يامحمَّدُ! أقلْني بيعتي، فأبى رسولُ الله ﷺ، ثمَّ جاءهُ فقال: أقلْني بيعتي، فأبى، ثمَّ جاءهُ فقال: أقلني بيعتي. فأبى، فخرجَ الأعرابي. فقال رسولُ الله ﷺ: «إنما المدينةُ كالكير تَنفي خَبَثها وتنصعُ طيبها» متفق عليه.

كتبت عليه خطيئة، وذلك لأن التثريب هو التوبيخ والملامة، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ويكره القبيح، وأما تسميتها في القرآن بيثرب، فهي حكاية قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

أقول: وتحقيق ذلك إنما يتبين ببيان النظم؛ فنقول - وبالله التوفيق -: إن الله تعالى سمى المدينة؛ لكونها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان، في قوله: ﴿**والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم**﴾(١) وأمر رسوله ﷺ بالاستيطان والإقامة بها في هذا الحديث، ووصفها بأنها تأكل القرى، بمعنى أن الذين تبوءوها داراً وإيمانًا من الأنصار ينصرون رسول الله ونبيه ﷺ على أعدائه، ويفتحون سائر ما حولها من القرى والمدن حتى مشارق الأرض ومغاربها ثم استأنف قول الحساد من اليهود والمنافقين، بأنهم يقولون: إنها يثرب توبيخًا وتعييرًا، وأنها ليست موضع إقامة واستيطان للمؤمنين، والحال بخلافه؛ إذ هي موضع استقرار واستيطان لمثلي ومثل أنصار ديني، لكي نجلي مثل أولئك الخبثة الأشرار من اليهود إلى أقاصي الشام، ونستأصل شأفة المنافقين من أصلها، كما ينفي الكير خبث الحديد. فظهر من هذا أن من يحقر شأن ما عظمها، ومن وصف ما سماه الله تعالى بالإيمان بما لايليق به، يستحق أن يسمى عاصيًا بل هو كافر. والله أعلم.

الحديث الحادي عشر عن جابر رضي الله عنه: قوله: «طابة» «نه»: إنه ﷺ أمر أن تسمى بها، وسماها طيبة وطابة، وهما تأنيث طيب ،وطاب بمعنى الطيب، وقيل: هو من الطيب الطاهر؛ لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه.

الحديث الثاني عشر عن جابر رضي الله عنه: قوله: «بايع رسول الله ﷺ» «مح» قالوا: إن هذا الأعرابي كان ممن هاجر وبايع النبي ﷺ على المقام معه في المدينة، وقيل: يحتمل أن

---

(١) الحشر: ٩.

٢٧٤٠ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَنفيَ المدينةُ شِرارَها كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد». رواه مسلم.

٢٧٤١ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «على أنقاب المدينةِ ملائكةٌ، لايدخلُها الطاعونُ، ولا الدَّجالُ» متفق عليه.

تكون بيعته بعد فتح مكة وسقوط الهجرة، وإنما بايع للإسلام، والصحيح الأول. وقالوا: إنما لم تقبل بيعته؛ لأنه لايجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام، ولا لمن هاجر إلى النبي ﷺ للمقام عنده أن يترك الإقامة معه ويذهب إلى وطنه. وقوله: «تنصع» بفتح التاء والصاد المهملة، أي تصفو وتخلص وتميز، والناصع الصافي الخالص، ولفظ جامع الأصول «تصنع» بالصاد المهملة والنون، وقال: هكذا هو الرواية.

قوله: «كالكير» «تو»: كير الحداد هو المبني من الطين، وقيل: الكير الزق، والكور ما بني من الطين، وأصل الكلمة من الكور الزيادة، وضموا الكاف على الأصل في أحدهما، وكسروها في الآخر؛ للفرق بين البنائين. و«خبثها» - مفتوحة الخاء والباء - ما تبرزه النار من الجواهر المعدنية فيخلصها بما يميزه عنها من ذلك، وتروى مضمومة الخاء ساكنة الباء، أي الشيء الخبيث، والأول أشبه لمناسبته الكير، وأنث ضمير الخبث؛ لأنه نزل المدينة بمنزلة الكير، فأعاد الضمير إليها، ويروى «طيبها» - بكسر الطاء وضم الباء - ويروى بفتح الطاء وكسر الياء المشددة، وهي الرواية الصحيحة، وهو أقوم معنى؛ لأنه ذكر في مقابلة الخبيث، وأية مناسبة بين الكير والطيب! شبه رسول الله ﷺ المدينة وما يصيب ساكنها من الجهد والبلاء بالكير، وما يوقد عليه في النار، فيميز به الخبيث من الطيب فيذهب الخبيث ويبقى الطيب فيه أزكى ما كان وأخلص، وكذلك المدينة تنفي شرارها بالحمى والوصب والجوع، وتطهر خيارهم وتزكيهم.

الحديث الثالث عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «حتى تنفي المدينة شرارها» يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك في زمن النبي ﷺ؛ لأن بعثته من أشراط الساعة وعلاماتها، وثانيهما: أن يكون في آخر الزمان وخروج الدجال، وذلك أنه يقصد المدينة فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق. «مح»: يحتمل أن يكون مختصًّا بزمن الدجال، وأن يكون في أزمنة متفرقة.

الحديث الرابع عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «على أنقاب المدينة» «نه»: هي جمع قلة للنقب، وهو الطريق بين الجبلين. قوله: «لايدخلها» جملة مستأنفة بيان لموجب استقرار الملائكة على الأنقاب، واستقرارهم عليها إما على التمثيل، يعني أن الله تعالى منعها أن يصيب أهلها، أو الحقيقة فيكون منع الطاعون عن دخول الأنقاب على سبيل التغليب.

٢٧٤٢ - * وعن أنسٍ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ليسَ من بلدٍ إلا سَيَطَؤهُ الدَّجالُ إلا مكةَ والمدينة ليس نَقْبٌ من أنقابِها إلا عليه الملائكةُ صافِّينَ يَحْرُسُونها، فينزلُ السَّبَخة فترجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رجَفَاتٍ، فيخرجُ إليه كلُّ كافرٍ ومنافقٍ» متفق عليه.

٢٧٤٣ ـ * وعن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لايكيدُ أهلَ المدينةِ أحدٌ إلا انماعَ كما ينماعُ الملحُ في الماء» متفق عليه.

٢٧٤٤ - * وعن أنسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا قدِمَ من سَفَرٍ فنظرَ إلى جُدُراتِ المدينة، أوضعَ راحلتَه، وإن كان على دابَّة حرَّكَها من حُبِّها. رواه البخاري.

الحديث الخامس عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «إلا سيطؤه الدجال» خبر «ليس»، أي ليس بلد من البلاد يسكن الناس فيه وله شأن، إلا سيدخله الدجال، وقوله: «إلا مكة» مستثنى من المستثنى. قوله: «السبخة» «نه»: هي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولاتكاد تنبت إلا بعض الشجر، وجمعها السباخ. قوله: «بأهلها» الباء يحتمل أن تكون سببية، أي تتزلزل وتضطرب بسبب أهلها؛ لينفضَّ إلى الدجال الكافرُ والمنافقُ، وأن يكون حالا، أي ترجف ملتبسة بأهلها. «مظ»: «ترجف المدينة بأهلها» أي تحركهم وتلقي ميل الدجال في قلب من ليس بمؤمن خالص، فعلى هذا الباء صلة الفعل.

الحديث السادس عشر عن سعد رضي الله عنه: قوله: «كما ينماع» «نه»: أي يذوب ويجري، ماع الشيء يميع وإنما ينماع إذا ذاب وسال. أقول: وفيه معنى قوله تعالى: ﴿**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**﴾[1] شبه أهل المدينة مع وفور علمهم وصفاء قريحتهم بالماء، وشبه من يريد الكيد بهم بالملح؛ لأن نكاية كيدهم لما كانت راجعة إليهم شبهوا بالملح الذي يريد إفساد الماء، فيذوب هو بنفسه.

فإن قلت: يلزم على هذا كدورة أهل المدينة بسبب فنائهم. قلت: المراد مجرد الإفناء، ولا يلزم في وجه التشبيه أن يكون شاملا لجميع أوصاف المشبه به، نحو قولهم: النحو في الكلام كالملح في الطعام.

«مح»: يعني من أراد المكر بهم لايمهله الله تعالى، ولم يمكن له سلطانًا بل يذهبه عن قريب، كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة؛ فإنه هلك في منصرفه عنها، ثم هلال بن يزيد بن معاوية وغيرهما ممن صنع صنيعهما. وقيل: المراد من كادها اغتيالا وطلبًا لغرتها في غفلة، فلايتم له أمره، بخلاف من أتاها جهاراً.

---

(١) فاطر : ٤٣

٢٧٤٥ - * وعنه، أنَّ النبيَّ ﷺ طلعَ له أُحُدٌ، فقال: «هذا جَبَلٌ يُحبُّنا ونحبُّه، اللهمَّ إنَّ إبراهيمَ حرَّمَ مكةَ، وإني أُحرِّمُ مابينَ لابتيها» متفق عليه .

٢٧٤٦ - * وعن سهلِ بن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «أُحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه» رواه البخاري.

الفصل الثاني

٢٧٤٧ - * عن سليمانَ بن أبي عبدالله، قال: رأيتُ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ أخذَ رجلاً يَصيدُ في حرمِ المدينة الذي حرَّمَ رسولُ الله ﷺ، فسَلَبه ثيابَهُ، فجاءَ مواليه،

الحديث السابع عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «حركها» خص الحركة بالدابة نحو الفرس والبغل والحمار، والوضع بالراحلة أي البعير؛ لأن الوضع مختص به. «نه»: يقال: وضع البعير يضع وضعًا وأوضعه راكبه إيضاعًا، إذا حمله على سرعة السير. أقول: قوله: «من حبها» تنازع فيه «أوضع» و«حرك» وأنشد في معناه:

إذا دنت المنازل زاد شوقي ولا سيما إذا بدت الخيام

فلمح العين دون الحي شهر ورجع الطرف دون السير عام

الحديث الثامن عشر والتاسع عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «هذا جبل يحبنا ونحبه» «نه»: هذا محمول على **المجاز**، أراد أنه جبل يحبنا أهلُهُ ونحب أهلَهُ وهم الأنصار، ويجوز أن يكون من باب **المجاز الصريح**، أي إننا نحب الجبل بأهله؛ لأنه في أرض من نحب. «مظ»*: أراد به المدينة وسكانها، كما قال تعالى: ﴿**وسئل القرية**﴾(١) أي أهلها. «حس»: الأولى إجراؤه على ظاهره، ولا ننكر وصف الجمادات بحب الأنبياء والأولياء وأهل الطاعة، كما حنت الأسطوانة على مفارقته، حتى سمع القوم حنينها إلى أن سكنها النبي ﷺ، وكما أخبر ﷺ أن حجرًا كان يسلم عليه قبل الوحي، فلا ينكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء المدينة كانت تحبه، وتحن إلى لقائه حال مفارقته. أقول: هذا هو المختار الذى لا محيد عنه؛ وإن كان ما قاله الشيخ التوربشتى، ولعله أراد بالجبل أرض المدينة كلها؛ وإنما خص الجبل بالذكر؛ لأنه أول ما يبدو من أعلامها؛ له وجه مناسبة بالحال؛ لقوله في الحديث أولاً: «طلع له أحد» وثانيًا: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة» إلى آخره. وإلى المعنى الأول **تلميح** قول بلال: وهل يبدون لي شامة وطفيل؟ وليس المتمنى ظهور هذين الجبلين، بل لأنهما من أعلام مكة.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن سليمان: قوله: «ثيابه» بدل اشتمال من الضمير في «سلبه» وتكريره

---

(١) يوسف: ٨٢.

* هكذا فى (ط) وفى (ك) خط.

فكلَّموهُ فيه. فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ حرَّمَ هذا الحرمَ وقال: «من أخذَ أحدًا يصيدُ فيه فلْيَسْلُبْهُ» فلا أردُّ عليكم طُعمةً أطعَمنيها رسولُ الله ﷺ، ولكنْ إنْ شئتُمْ دفعتُ إليكم ثمنَه. رواه أبو داود. [٢٧٤٧]

٢٧٤٨ - * وعن صالحٍ مولًى لسعد، أنَّ سعدًا وجدَ عبيدًا من عبيدِ المدينة يقطعونَ من شجرِ المدينة، فأخذَ متاعَهم وقال- يعني لمواليهم- : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ينهى أن يُقطَعَ من شَجرِ المدينةِ شيءٌ، وقال: «من قطعَ منه شيئًا فلمنْ أخذَه سَلَبُه» رواه أبو داود. [٢٧٤٨]

٢٧٤٩ - * وعن الزبيرِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ صَيْد وَجٍّ وعضَاهَه حِرْمٌ مُحَرَّمٌ لله» رواه أبو داود. وقال محيي السنة: «وجّ» ذكروا أنها من ناحية الطائف وقال الخطابي: «أنَّه» بدلُ «أنها». [٢٧٤٩]

٢٧٥٠ - * وعن ابنِ عُمرَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «من استطاع أن يموتَ

وصف الحرم تارة بقوله: «في حرم المدينة الذي حرم رسول الله ﷺ» وتارة بقوله: «حرم هذا الحرم» دليل على أنه اعتقد أن تحريمها كتحريم مكة. قوله: «دفعت إليكم» «مظ»: دفع الثمن إليهم تبرع منه عليهم؛ لأن السلب لو لم يكن جائزًا للزمه أن يرد ما أخذه، وإذا لم يلزمه رد ما أخذ لم يلزمه قيمته أيضًا.

الحديث الثاني والثالث عن الزبير: قوله: «إن صيد وج» قيل: إنها من ناحية الطائف. «خط»: لست أعلم لتحريمه ﷺ وجًا معنى إلا أن يكون على سبيل الحمى لنوع من منافع المسلمين، وقد يحتمل أن يكون ذلك التحريم في وقت معلوم وفي مدة محصورة، ثم نسخ كسائر بلاد الحل. ذكر الشافعي أنه لايصاد فيه، ولا يعضد شجره، ولم يذكر فيه ضمانًا، وفي هذا المعنى النقيع. «حس»: حماه رسول الله ﷺ نظرًا لعامة المسلمين لإبل الصدقة ونَعم الجزية، فيجوز الاصطياد فيه؛ لأن المقصود منه منع الكلأ من العامة، ولا يجوز بيع النقيع، ولا بيع شيء من أشجاره كالموقوف. قوله: «حِرْم» أي حرام، وهما لغتان كحل وحلال، و«محرم» جيء به على وجه التأكيد لقوله: «حرم» وقوله: «لله» متعلق بالتحريم، أي حرم الله ذلك. قوله: وقال الخطابي: «أنه» التأنيث بحسب البقعة، والتذكير بحسب البلد.

الحديث الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «فليمت بها» أمر له بالموت بها، وليس ذلك من استطاعته بل هو إلى الله تعالى، لكنه أمر بلزومها والإقامة بها بحيث لايفارقها،

[٢٧٤٧] رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٩٩) بروايات مختلفة.

[٢٧٤٨] صحيح انظر صحيح أبي داود ح (١٧٩٢).

[٢٧٤٩] رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٠٠) وفي سنده محمد بن عبدالله بن إنسان عن أبيه ومحمد قال فيه أبو حاتم ليس بالقوي وفي حديثه نظر ذكر له البخاري هذا الحديث وقال: لا يتابع عليه وأبوه لا يعرف روى عنه غير ابنه وقال البخاري: لا يصح حديثه وكذا قال ابن حبان والأزدي -ذكر الخلال في العلل أن أحمد ضعفه وصحح الشافعي حديثه واعتمده - كذا في الميزان-.

بالمدينةِ فلْيَمُتْ بها، فإني أشْفعُ لمنْ يموتُ بها». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيحٌ، غريبٌ إسنادًا. [٢٧٥٠]

٢٧٥١ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «آخرُ قريةٍ من قُرى الإسلام خرابًا المدينةُ». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

٢٧٥٢ - * وعن جريرِ بن عبدالله، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللهَ أوحى إليَّ: أيَّ هؤلاءِ الثلاثةِ نزلتَ فهي دارُ هجرتكَ المدينة، أو البحرينِ، أو قِنَّسْرينَ». رواه الترمذي. [٢٧٥٢]

الفصل الثالث

٢٧٥٣ - * عن أبي بكرةَ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «لايدخلُ المدينةَ رعبُ المسيح الدَّجال، لها يومئذٍ سبعةُ أبوابٍ، على كلِّ بابٍ ملَكانِ» رواه البخاري.

٢٧٥٤ - * وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «اللهُمَّ اجعلْ بالمدينةِ ضعفَي ماجعلتَ بمكة من البركة» متفق عليه.

فيكون ذلك سببًا لأن يموت فيها، فأطلق المسبب وأراد السبب، كقوله تعالى: ﴿فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١).

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «المدينة» لأنها دار الهجرة للنبي ﷺ، وبها أقام وفيها دفن.

الحديث السادس عن جرير رضي الله عنه: قوله: «أي هؤلاء» «شف»: «أي» ظرف لـ«نزلت» مقدم عليه للاستفهام، و«القنسرين» بلد بالشام و«البحرين» جزيرة ببحر عمان.

الفصل الثالث

الحديث الأول والثاني عن أنس رضي الله عنه: قوله: «رعب المسيح» مبالغة؛ لأن خوفه إذا لم يكن يدخلها فهي بالطريق الأولى أن لايدخلها المخذول، ويغتالها، نحوه قوله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر». قوله: «ضعفي ما جعلت بمكة» معناه ما سبق في الحديث الثالث من الفصل الأول في قوله: «بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه».

[٢٧٥٠] صحيح انظر صحيح الترمذي ح (٣٠٧٦).
[٢٧٥٢] موضوع انظر ضعيف الجامع ح (١٥٧٣).
(١) البقرة: ١٣٢..

٢٧٥٥ - * وعن رجلٍ من آلِ الخطَّابِ، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ زارني متعمدًا كانَ في جواري يومَ القيامة، ومن سكنَ المدينةَ وصبرَ على بلائها كنتُ لهُ شهيدًا وشفيعًا يومَ القيامة، ومن ماتَ في أحد الحَرَمينِ بعثَهُ اللهُ مِنَ الآمنينَ يومَ القيامة»[٢٧٥٥].

٢٧٥٦ - * وعن ابنِ عمرَ مرفوعًا: «مَنْ حجَّ ، فزارَ قبري بعدَ موتي؛ كانَ كمَنْ زارَني في حياتي». رواهما البيهقي في «شعب الإيمان»[٢٧٥٦].

٢٧٥٧- * وعن يحيى بن سعيدٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ جالسًا وقبرٌ يُحْفَرُ بالمدينة، فاطَّلعَ رجلٌ في القبرِ، فقال: بئسَ مضجعُ المؤمن! فقال رسول الله ﷺ: «بئس ماقلت!» قالَ الرجلُ: إني لم أردْ هذا، إنما أردتُ القتل في سبيل الله. فقال رسولُ الله ﷺ: «لامثْلَ القتل في سبيلِ الله، ماعلى الأرضِ بقعةٌ أحبُّ إليَّ أنْ يكونَ قبري بها منها» ثلاث مرَّاتٍ. رواه مالك مرسلاً[٢٧٥٧].

الحديث الثالث عن رجل: قوله: «من زارني متعمدًا» فيه وجهان: أحدهما: أن لايقصد غيرها، وسمعت أن بعض العارفين حين قصد حجة الإسلام، لم يزر النبي ﷺ، فقيل له في ذلك، فقال: أتجرد للزيارة نية أخرى فأزوره. وثانيهما: أن يقصدهما معًا، وينوي الحجة والزيارة بحيث لاتشوبه شائبة من أغراض الدنيا، ولو قصد مكة فحسب، فهجم على الزيارة اتفاقًا لايكون متعمدًا.

الحديث الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «فزار» الفاء ليست للتعقيب؛ لأن من لم يعقب الزيارة بالحج لايخرج من هذا الوعد، بل هو للتفاوت في رتبتها كقولك: خذ الأفضل فالأفضل واعمل الأحسن فالأجمل. وهذا التفسير يؤيد الوجه الثاني في الحديث السابق.

الحديث الخامس عن يحيى: قوله: «وقبر يحفر» حال من الضمير في «جالسًا» لا من اسم «كان»؛ لأنه مختلف فيه، والمخصوص بالذم في قوله: «بئس مضجع المؤمن» محذوف، أي هذا، وقوله: «لم أرد هذا» يعني ما أردت أن القبر بئس مضجع المؤمن مطلقًا، بل أردت أن

[٢٧٥٥] إسناده ضعيف.

[٢٧٥٦] إسناده ضعيف.

[٢٧٥٧] إسناده ضعيف لإرساله.

٢٧٥٨ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال عمرُ بنُ الخطابِ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهوَ بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آتٍ من ربِّي، فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارَك، وقل: عُمرةٌ في حجَّةٍ». وفي روايةٍ: «قل: عُمرةٌ وحجّةٌ» رواه البخاري.

موت المؤمن في الغربة شهيداً خير من موته في فراشه وبلده، فأجاب رسول الله ﷺ بقوله: «لا مثل القتل» أي ليس الموت بالمدينة مثل القتل في سبيل الله أي في الغربة بل هو أفضل وأكمل فوضع قوله: «ما على الأرض بقعة» إلى آخره موضع قوله: «بل هو أفضل وأكمل» فإذن «لا» بمعنى «ليس» واسمه محذوف، و«مثل القتل» خبره.

الحديث السادس عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «وقل: عمرة في حجة» أي احسب صلاتك في هذا الوادي المبارك واعتدها بعمرة داخلة في حجة، «نه»: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، وقد سبق بحثه. والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الجزء السادس لشرح الطيبي

❁ ❁ ❁





